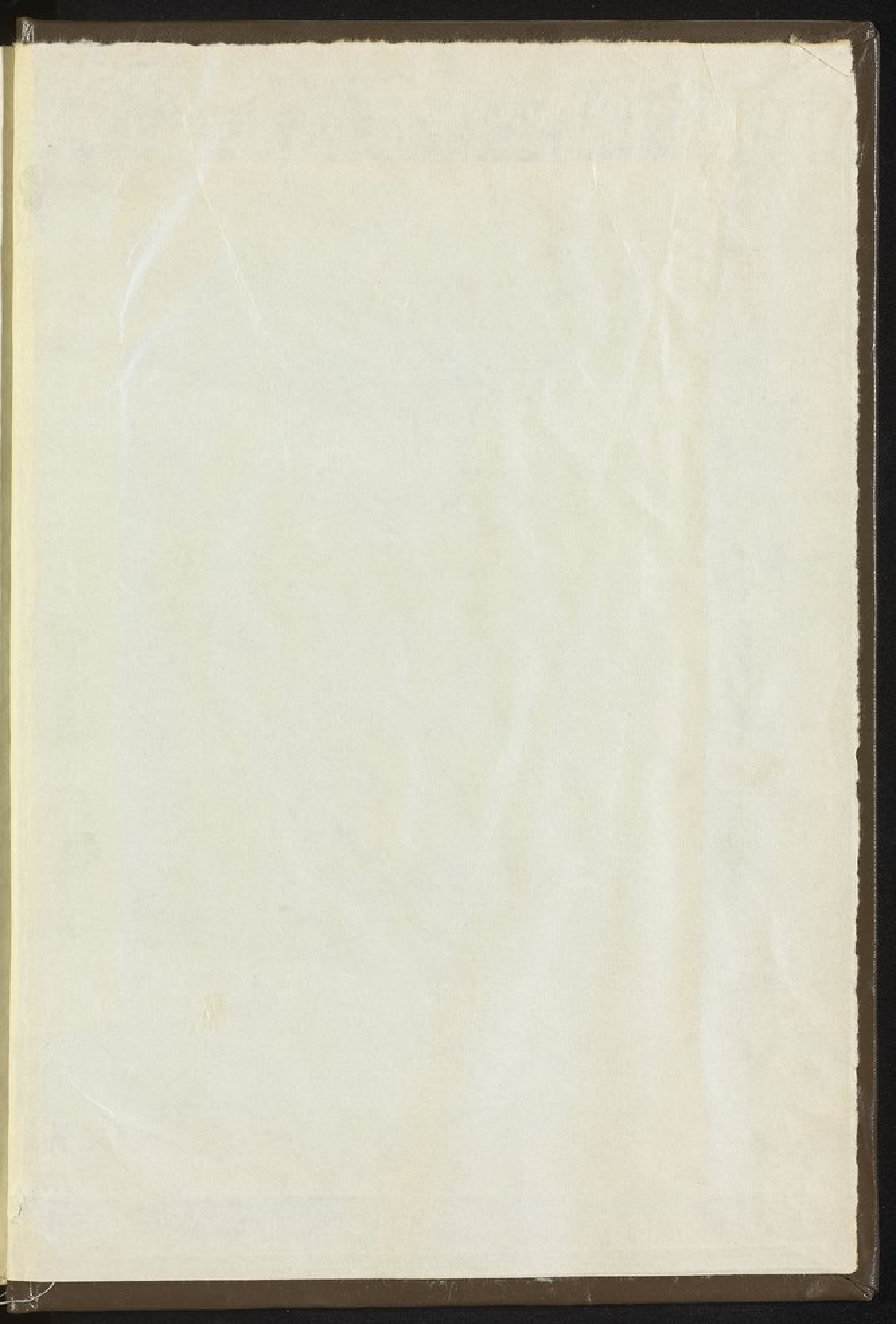
تفسير البصائر

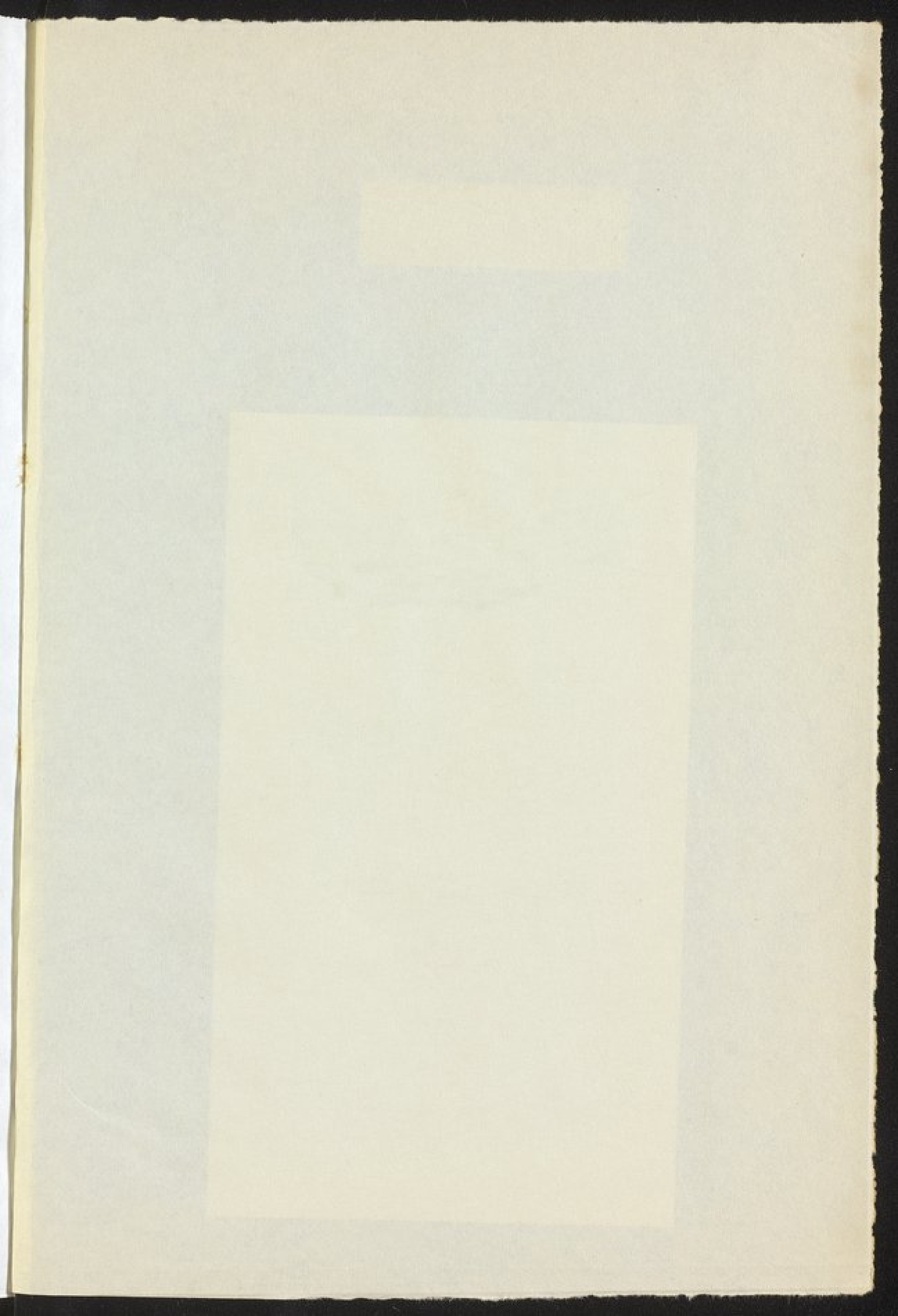
تأليف

يعسوب الدين رستگار الجويباري

المجلد الواحد والاربعون







Jūybārī

المجلد الواحد والأربعون

من كتاب

تفسير البصائر

تأليف

يعسوب الدين رستگار الجويباري

ايران – قم
مطبعة قم

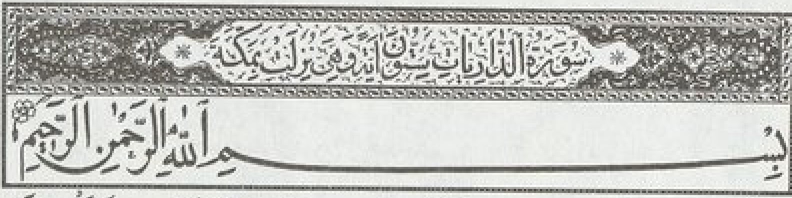
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي علا بحوله، ودنا بطوله، الذي لا يحول ولا يزول
أنشأ الخلق إنشاء، وابتدأه ابتداء، بلا روية أجالها، ولا تجربة
استفادها، ولا حركة أحدثها، ولا همامة نفس اضطرب فيها،
أحال الأشياء لأوقاتها، ولاءم بين مختلفاتها، وغرز غرائزها، و
ألزمها أشباحها، عالما بها قبل ابتدائها، محيطا بحدودها و
انتهائها، عارفا بقرائنها وأحنائها.

ثم أنشأ سبحانه فتق الأجواء، وشق الأرجاء، وسكائك الهواء،
فأجرى فيها ماء متلاطما تياره، متراكما زخاره، حمله على متن
الريح العاصفة، والزعزع القاصفة، فأمرها برده، وسلطها
على شده، وقرنها إلى حده، الهواء من تحتها فتيق، والماء من فوقها
دفيق، ثم أنشأ سبحانه ريحا اعتقم مهبها، وأدام مربها، وأعصف
مجراها، وأبعد منشاها، فأمرها بتصفيق الماء الزخار، وإثارة موج
البحار، فمخضته مخض السقاء، وعصفت به عصفها بالفضاء،

تردّ أوّله إلى آخره، وساجيه إلى مائره، حتى عبّ عبابه، ورمى بالزبد ركامه، فرفعه في هواء منفتق، وجوّ منفهق، فسوّى منه سبع سماوات جعل سفلاهنّ موجاً مكفوفاً، وعلياهنّ سقفاً محفوظاً وسمكاً مرفوعاً، بغير عمد يدعمها، ولا دسار ينظمها، ثمّ زيّنها بزينة الكواكب، وضياء الثواقب، وأجرى فيها سراجاً مستطيراً، وقمراً منيراً، في فلك دائر، وسقف سائر، ورقيم مائر.

قدّر ما خلق فأحكم تقديره، ودبّره فألطف تدبيره، ووجّهه لوجهته فلم يتعدّ حدود منزلته، ولم يقصر دون الانتهاء إلى غايته، ولم يستصعب إذ أمر بالمضيّ على إرادته، والسّلام على رسول الله، صلّى الله عليه وآله الطّيّبين الطّاهرين.



والذاريات ذروا ﴿١﴾ فالحاملات وقرا ﴿٢﴾ فالجاريات يسرا ﴿٣﴾ فالمقسمات امرا ﴿٤﴾ انما
توعدون لصادق ﴿٥﴾ وان الدين لواقع ﴿٦﴾ والسماء ذات الحبك ﴿٧﴾ انكم لفي قول مختلف ﴿٨﴾
يؤفك عنه من افك ﴿٩﴾ قتل الخراصون ﴿١٠﴾ الذين هم في غمرة ساهون ﴿١١﴾ يسئلون ايان
يوم الدين ﴿١٢﴾ يوم هم على النار يفتنون ﴿١٣﴾ ذوقوا فتنتكم هذا الذي كنتم به تستعجلون
﴿١٤﴾ ان المتقين في جنات وعيون ﴿١٥﴾ اخذين ما اتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك
محسنين ﴿١٦﴾ كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ﴿١٧﴾ وبالاسحار هم يستغفرون ﴿١٨﴾
وفي اموالهم حق للسائل والمحروم ﴿١٩﴾ وفي الارض ايات للموقنين ﴿٢٠﴾ وفي انفسكم
افلا تبصرون ﴿٢١﴾ وفي السماء رزقكم وما توعدون ﴿٢٢﴾ فورب السماء والارض انه لحق
مثل ما انكم تنطقون ﴿٢٣﴾ هل اتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين ﴿٢٤﴾ اذ دخلوا عليه فقالوا
سلاما قال سلام قوم منكرون ﴿٢٥﴾ فراغ الى اهله فجاء بعجل سمين ﴿٢٦﴾ فقربه اليهم قال الا
تاكلون ﴿٢٧﴾ فاوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم ﴿٢٨﴾ فاقبلت امراته في صرة
فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم ﴿٢٩﴾ قالوا كذلك قال ربك انه هو الحكيم العليم ﴿٣٠﴾

قال فما خطبكم ايها المرسلون ﴿٣١﴾ قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين ﴿٣٢﴾ لنرسل عليهم حجارة من
طين ﴿٣٣﴾ مسومة عند ربك للمسرفين ﴿٣٤﴾ فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين ﴿٣٥﴾ فما وجدنا فيها
غير بيت من المسلمين ﴿٣٦﴾ وتركنا فيها اية للذين يخافون العذاب الاليم ﴿٣٧﴾ وفي موسى اذ ارسلناه
الى فرعون بسلطان مبين ﴿٣٨﴾ فتولى بركنه وقال ساحر او مجنون ﴿٣٩﴾ فاخذناه وجنوده
فنبذناهم في اليم وهو مليم ﴿٤٠﴾ وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم ﴿٤١﴾ ما تذر من شيء
اتت عليه الا جعلته كالرميم ﴿٤٢﴾ وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين ﴿٤٣﴾ فعتوا عن امر ربهم
فاخذتهم الصاعقة وهم ينظرون ﴿٤٤﴾ فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين ﴿٤٥﴾ وقوم
نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين ﴿٤٦﴾ والسماء بنيناها بايد وانا لموسعون ﴿٤٧﴾ والارض
فرشناها فنعم الماهدون ﴿٤٨﴾ ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ﴿٤٩﴾
ففروا الى الله اني لكم منه نذير مبين ﴿٥٠﴾ ولا تجعلوا مع الله الها اخر اني لكم منه
نذير مبين ﴿٥١﴾ كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون ﴿٥٢﴾
اتواصوا به بل هم قوم طاغون ﴿٥٣﴾ فتول عنهم فما انت بملوم ﴿٥٤﴾ وذكر فان الذكرى
تنفع المؤمنين ﴿٥٥﴾ وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ﴿٥٦﴾ ما اريد منهم من رزق
وما اريد ان يطعمون ﴿٥٧﴾ ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴿٥٨﴾ فان للذين ظلموا ذنوبا
مثل ذنوب اصحابهم فلا يستعجلون ﴿٥٩﴾ فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون ﴿٦٠﴾

« فضلها وخواصها »

روى الصدوق رحمة الله تعالى عليه فى ثواب الاعمال باسناده عن داود بن فرقد عن أبى عبد الله عليه السلام قال : من قرأ سورة « والذاريات » فى يومه أو فى ليلته أصلح الله عز وجل له معيشته وأتاه برزق واسع ونور له فى قبره بسراج يزهر الى يوم القيامة .

أقول : رواه الطبرسى فى المجمع والبحرانى فى البرهان والحويزى فى نور الثقلين والمجلسى فى البحار .

وذلك لانّ من قرأ السورة متدبّراً فيها وجعل نفسه فى زمرة المحسنين الذين لا تفوت عنهم صلاة الليل وهم مستغفرون بالاسحار وينفقون من أموالهم ذوى الحاجات وما اليها من صالح الاعمال . .

اذ قال الله تعالى : «كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحارهم يستغفرون وفى أموالهم حق للسائل والمحروم» السورة : ١٧ ـ ١٩) .

فكانت هذه حاله وخصاله أصلح الله عزوجل له معيشته وأتاه برزق واسع ونور له فى قبره بسراج يزهر ويسعى نوره بين يديه يوم القيامة ، قال الله تعالى: «استغفروا ربكم انه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ويمدد كم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً» نوح : ١٠ ـ ١٢) .

وقال : «استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة الى قوتكم » هود : ٥٢) .

وقال: «وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعاً حسناً الى أجل مسمّى ويؤت كل ذى فضل فضله» هود: ٣).

وقال: «وما لكم ألاّ تنفقوا فى سبيل الله - من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له وله أجر كريم، يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم» الحديد: ١٠-١٢)

وفى تفسير البرهان: وروى عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال: من قرأ هذه السورة أعطاه الله بعدد كل ريح هبت وذرت فى الدنيا عشر حسنات.

وفى المجمع: ابىّ بن كعب عن النبى صلى الله عليه وآله من قرأ سورة الذاريات أعطى من الاجر عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت فى الدنيا.

وفى البرهان: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من كتبها فى اناء وشربها زال عنه وجع البطن وان علقت على الحامل المتعسرة ولدت سريعاً.

أقول: انّ رواية ابىّ مردودة سنداً ولكن مضمونها مؤيدة بما تحتويه رواية داود بن فرقد الموثقة المؤيدة بالايات القرآنيّة.

وأما الرواية الاخيرة - وان كان فيها ما لا يخفى سنداً - فمن غير بعيد أن يكون من خواص السورة ما جاء فيها.

﴿ الغرض ﴾

غرض السورة توكيد كون ما يوعد به النّاس من البعث والجزاء، وانه وعد صادق وأمر واقع لامحالة بطريق أقسام ربانية بمشاهد كون الله تعالى ونواميسه وعظيم خلقه تذكيراً بعظمة خالق الكون وقدرته على تحقيق ما أوعد النّاس به مع حملة شديدة على المكذبين الجاحدين والتذكير بما كان عليه زعماء الكفار من اعراض، وحمل النّاس على الانصراف والارتداد عن الدعوة وتنديد وتقريع يتمثلان من لفظ «قتل» فهم ساهون في غمرة الجهالة عن فهم الحق وادراك الحقيقة ومع تنويه بالمتقين وأعمالهم الصالحة ومصائرهم في الاخرة.

وفي السورة لفت نظر السامعين ـ وخاصة الكفار الذين يجادلون في صحة ما يتلى عليهم وما يوعدون به ـ الى ما في الارض من مشاهد وآيات تقوم براهين قاطعة على وجود الله تعالى وعظمته وصحة ما ينذر به نبيّه وقدرته جلّ وعلا عليه كافية لاقناع ما حسنت نيته ورغب في معرفة الحق واليقين.

ولفت نظر أيضاً الى ماضي تكوين الانسان الجسماني والعقلي والى السّماء وما فيها من أسباب رزق الناس وحياتهم.

وفيها اشارة الى حوادث ورسالات بعض الرسل ومصائر أممهم، لحمل السامعين على الارعواء والايقاظ.

ولفت نظر ثالث الى بعض مشاهد قدرة الله وافضاله من رفع السّماء وبنائها بقوله تعالى: ومن بسط الارض وتمهيدها بأحسن وجه، ومن خلق كل شيء زوجين ليتمّ التماثل والتناسب في ملكوت الله تعالى.

ومن كل ذلك تذكرة من شأنها أن تدعو السامعين الى التدبّر في عظمة الله تعالى وقدرته على تحقيق ما أوعد الناس به .

وفى سلسلتها انذار السامعين ودعوتهم الى أن يفرّوا الى الله تعالى وأن لا يدعوا مع الله الهاً آخر ، وهذاهو مهمّة الرسالة : انى لكم منه نذير مبين .

وفى عقيبها اشارة الى أن الكفّار فى قولهم للنبى ﷺ تجاه الدعوة انه ساحر أو مجنون ليس بيدء انما يفعلون كما كان يفعل الذين من قبلهم حيث كانوا يقولون لكل نبىّ أتى اليهم مثلذلك ، ولكنه لا بد له ﷺ من التذكير وهذا مهمته فانه نافع لمن أراد الحق والهداية ، ورغب فى الايمان حتماً .

مع تقرير غرض خلق الجن والانس وهو العبادة لله وحده .

وفى ختام السورة انذار قوى للكفّار ، وعود على ما بدأت :

« انّما توعدون لصادق وان الدين لواقع ـ فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون » .

﴿ النزول ﴾

سورة الذاريات مكية نزلت بعد سورة الاحقاف وقبل سورة الغاشية وهي السورة السابعة والستون نزولا والحادية والخمسون مصحفاً وتشتمل على ستين آية سبقت عليها ٣٤٧٩/ آية نزولا و ٤٦٧٥/ آية مصحفاً على التحقيق.

ومشتملة على ٣٦٠/ كلمة وقيل : ٣٧٠/ كلمة وعلى ١٢٨٦/ حرفاً وقيل : ١٢٨٧ حرفاً وقيل : ١٢٨٩/ حرفاً وقيل : ١٢٣٨/ حرفاً على ما في بعض التفاسير.

في شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي باسناده عن عبد الله بن عباس في قوله تعالى : «كانوا قليلا من الليل ما يهجعون» قال : نزلت في علي بن أبي طالب والحسن والحسين وفاطمة عليهم السلام وكان علي عليه السلام يصلي ثلثي الليل الاخير وينام الثلث الاول فاذا كان السحر جلس في الاستغفار والدعاء وكان ورده في كل ليلة سبعين ركعة ختم فيها القرآن.

وفي الدر المنثور : عن الحسن بن محمد بن الحنفية قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وآله سرية فأصابوا وغنموا فجاء قوم بعدما فرغوا فنزلت : «ومن أموالهم حق للسائل والمحروم».

وفي المجمع : وروى بالاسناد عن مجاهد قال : خرج علي بن ابيطالب عليه السلام مغتماً مشتملا في قميصه فقال : لما نزلت : «فتول عنهم فما أنت بملوم» لم يبق أحد منا الا أيقن بالهلكة حين قيل للنبي صلى الله عليه وآله : «فتول عنهم» فلما نزل : «وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين» طابت أنفسنا.

وفيه : قال المفسرون : لما نزلت هذه الآية : «فتول عنهم فما أنت بملوم» حزن رسول الله ﷺ والمؤمنون وظنوا ان الوحي قد انقطع وان العذاب قد حل حتى نزلت الآية الثانية .

﴿ القرائة ﴾

قرأ حمزة وأبو عمرو : « والذاريات ذروا » بادغام التاء في الذال ، وقرأ حمزة وعاصم (مثل ما) بالضم ، والباقون سوى حفص بالفتح على البناء لاضافة (مثل) الى غير متمكن ، أو على انه لحق حقاً مثل نطقكم .

وقرأ حمزة (سلم) بكسر السين وسكون اللام والباقون (سلام) .

وقرأ أبو عمرو (الصعقة) بسكون العين للمرة ، وهي الصوت الذي يكون عن الصاعقة والباقون (الصاعقة) وهي التي تقع من السماء .

وقرأ أبو عمرو (قوم نوح) بالجر عطفاً على قوله تعالى : « وفي موسى » أي في ارسال موسى آيات واضحة ، وفي قوم نوح آية والباقون بالفتح على تقدير : وأهلكنا قوم نوح ، أو أغرقنا قوم نوح .

﴿ الوقف والوصل ﴾

(ذروا ط) للعطف والجواب الآتي (وقرا لا) كما تقدم (يسرا لا) كذلك (امرا لا) للجواب الآتي (لصادق لا) للعطف (لواقع ط) لتمام الكلام بالجواب (الحبك لا) لجواب القسم الآتي (مختلف لا) لمكان السفة الاتية وهي: « يوفك عنه » (افك ط) لتمام الكلام .

(الخراصون لا) لمكان الصفة الاتية (ساهون لا) لان « يسئلون » صلة بعد صلة(الدين ط) ، بناء على ان عامل « يوم » منتظر، أى يقال لهم ذوقوا (فتنتكم ط) لتمام الكلام .

(وعيون لا) لمكان الحال (ربهم ط) لتمام الكلام (محسنين ط) كالمتقدم (يهجعون ج) لتمام الكلام والعطف (للموقنين لا) للعطف (وفى أنفسكم ط) لمكان الاستفهام (والارض لا) لجواب القسم (المكرمين م) لان عامل «اذ» محذوف وهو اذكر ولو وصل لاوهم انه ظرف للاتيان .

(سلاما ط) لتمام الكلام (سلام ج) لحق المحذوف مع اتحاد القائل أى أنتم قوم منكرون(سمين لا) للعطف(تأكلون ز) للآية مع العطف(خيفة ط) لتمام الجملة (لاتخف ط)كالمتقدم (كذلك لا)للتعلق بما بعده(ربك ط)لتمام الكلام(مجرمين لا) لذكر غرض الارسال (طين لا) لمكان الصفة الآية (المؤمنين ج) للآية مع العطف بالفاء واتصال المعنى (المسلمين ج) كما تقدم .

(الاليم ط) لتناهى القصة وحكم العربية الوصل للعطف على قوله تعالى : « وفى الارض آيات » (مليم ط) كما تقدم (العقيم ج) لاحتمال ما بعده الاستئناف والحال أى غير تاركته (كالرميم ط) لتناهى القصة.

(منتصرين لا) على القرائتين فيما بعده للعطف أى وفى قوم نوح أو أخذنا قوم نوح(من قبل ط) لتمام الكلام وما بعده اخبار بماكانوا عليه من الفسق(فاسقين ع) (الى الله ط) لتمام الكلام (مبين ج) للاية والعطف (آخر ط) لانتهاء النهى .

(اتواصوا به ج)لان بل للاضراب معنى مع العطف لفظاً (بملوم ج)للاية مع اتفاق الجملتين .

﴿ اللغة ﴾

١٠ - الذرو والذاريات - ٥١٥

ذرت الريح الشيء تذروه ذرواً - من باب دعا - : قلعته و أطارته و بددته وأذهبته . قال تعالى : « فأصبح هشيماً تذروه الرياح » الكهف:٤٥) وذرأ الحنطة يذروها : نقاها في الريح فتخلصت من تبنها.

الذاريات : الرياح الّتي تذرو التراب و غيره وتفرقه و تبدده بعد رفعه عن مكانه ، قال تعالى: « والذاريات ذرواً » .

ذروة السنام وذراه : اعلاه : ، ومنه قيل : أنا في ذراك اى في أعلى مكان من جنابك ، ومنه الحديث: «على ذروة كل بعير شيطان» . والمذروان: طرفا الاليتين.

الذرو من الحديث : ما ارتفع اليك وترامى من حواشيه وأطرافه من قولهم: ذرأ الي فلان : ارتفع وقصد .

ومنه حديث الامام على عليه السلام : « يذرو الرواية ذرو الريح الهشيم» أى يسرد الرواية كما تنسف الريح هشيم النبت .

في النهاية: في الحديث : « ان الله خلق في الجنة ريحاً من دونها باب مغلق لو فتح ذلك الباب لاذرت ما بين السماء والارض » و في رواية : « لذرت الدنيا و ما فيها » .

ومنه الحديث ان رجلا قال لاولاده: « اذا مت فاحرقوني ثم ذروني في الريح».

وفي الحديث: «أول الثلاثة يدخلون النار منهم ذو ذروة لايعطي حق من ماله».

٦٢ ـ الوقر ـ ١٦٩٥

وقرت الاذن توقر وقراً ـ من باب علم ـ : أصابها ثقل أو صمت فلا تسمع، يقال : الوقر ـ بفتح الواو ـ لثقل السمع أو صمم الاذن ، قال الله تعالى : «وفى آذانهم وقراً » الانعام : ٢٥)

وقر يقر وقاراً و وقارة ـ من باب ضرب ـ : كان حليماً رزيناً ، يقال : الوقار للعظمة كماكان من شأن الحليم الرزين العظمة ، قال الله تعالى : « مالكم لاترجون لله وقاراً » نوح : ١٣)

وقر الرجل يوقر ـ من باب كرم ـ : رزن وثبت فهو وقور ، وفى الحديث : « الايمان ما وقر فى القلوب » أى ثبت وسكن ، وقال تعالى : «وقرن فى بيوتكن» الاحزاب : ٣٣) أى جلسن وسكن فيها .

وفى الحديث : « التعلم فى الصغر كالوقرة فى الحجر » الوقرة : النقرة فى الصخرة أراد انه يثبت العلم فى القلب حال الصغر ثبات هذه النقرة فى الحجر .

وقّره توقيراً: عظّمه وبجّله . قال تعالى: «وتعزّروه وتوقّروه» الفتح : ٩) وفى الحديث : « من وقّر صاحب بدعة فقد اعان على هدم الاسلام » أى عظمه ومنه: «وقّروا كباركم» أى عظّموهم وارفعوا شأنهم ومنزلتهم والموقّر: المجرب العاقل ، الوقر : ثقل الحمل على ظهر أو فى بطن .

الوقر ـ بكسر الواو ـ : الحمل يكون على ظهر أو رأس ويخصّ بعضهم به الحمل الثقيل وأكثر مايكون على البغل والحمار ويقال لحمل البعير .

و فى الحديث : « اشتريت أرضاً الى جنب ضيعتى فلما وقرت المال ـ أى حملته ـ الى من اشتريتها منه خبرت ان الارض وقف » .

قال الله تعالى : « فالحاملات وقراً » الذاريات : ٢)

أوقر الدين فلاناً : أثقله ، استوقر الابل استيقاراً : سمنت .

فى المفردات : الوقر: الثقل فى الاذن والوقار : السكون والحلم والوقير: القطيع العظيم من الضأن كأنّ فيها وقاراً لكثرتها وبطء سيرها .

٥ - الحبك - ٢٩٣

حبك يحبك حبكاً - من باب ضرب ونصر - : شدّ وأحكم ، حبّكه : وثّقه وخططه وحبّك الحبل على الحمل: شدّه به، وحبك العقدة : وثقها ، أحبك الشيىء أحكمه وأجاد عمله وصنعه احتبك الثوب : مثل حبكه .

الحبك : جمع الحبيكة وهى تطلق على الطريقة التى تخلفها الرياح الهادئة فى الرمال أوالمياه والطريقة من طرائق النجوم .

و الحبيكة : المحبوكة أى المتقنة من قولهم: ثوب حبيك و محبوك أى محكم النسيج وبكلا المعنيين فسّر قوله تعالى: «والسماء ذات الحبك» الذاريات:٧)

حباك الحمام : سواد مافوق جناحيه وهو الخطّ الاسود على جناحيه .

فى المفردات : قال تعالى : «والسماء ذات الحبك» هى ذات الطرائق فمن الناس من تصور منها الطرائق المحسوسة بالنجوم والمجرّة ، و منهم من اعتبر ذلك بما فيه من الطرائق المعقولة المدركة بالبصيرة والى ذلك أشار بقوله تعالى: «الذين يذكرون الله قياماً» الاية، وأصله من قولهم: بعير محبوك القرى أى محكمه والاحتباك: شدّ الازار .

وفى اللسان : الحبك : الشد واحتبك بازاره : احتبى به وشدّه الى يديه ، الحبكة : الحبل يشدبه على الوسط ، والتحبيك : التوثيق ، الحبك : تكسّر كل شيىء كالرملة اذا مرّت عليها الريح الساكنة والماء القائم اذا مرت به الريح ،

والشعرة الجعدة : تكسّرها حبك، المحبوك: الشديد الخلق من الفرس وغيره .

١٩ ـ الخرص ـ ٤٠٧

خرص فى شيىء يخرص خرصاً فهو خارص ـ من باب نصر ـ : حدس فيه وقال بالظن والتخمين .

خرص المال : أصلحه وخرص التمر: أى قدره بالظن وتخرّص فلان على الباطل واخترصه : افتعله .

ويقال لمن يكثر منه ذلك : خرّاص وهم خرّاصون والخرّاص : الكذّاب حرص : حزر ما على النخل من الرطب تمراً وما فى الكرم من العنب زبيباً ، وفى الحديث : « كان النبى ﷺ يبعث الخرّاص على نخيل خيبر عند ادراك ثمرها فيحزرونه رطباً كذا وتمراً كذا » .

حرص : القى القول عن ظنّ وتخمين دون علم ويقين تشبيهاً بفعل الخارص قال تعالى: « ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون» الزخرف : ٢٠) ويستعمل فى الكذب وماجاء فى القرآن على هذا المعنى الثانى، قال تعالى: «قتل الخرّاصون» الذاريات : ١٠)

الخرص: اسم من خرص تقول: كم خرص أرضك أى كم قدرها وماخمّن فيها.

فى المفردات : الخَرص حزر الثمرة، وقوله تعالى : « قتل الخرّاصون » قيل : لعن الكذّابون و حقيقة ذلك انّ كلّ قول مقول عن ظنّ وتخمين يقال خرص سواء كان مطابقاً للشيىء أو مخالفاً له من حيث انّ صاحبه لم يقله عن علم ولا غلبة ظنّ ولاسماع بل اعتمد فيه على الظن والتخمين كفعل الخارص فى حزمه ، وكل من قال قولا على هذا النحو قد يسمّى كاذباً وان كان قوله مطابقاً للمقول المخبر عنه كما حكى عن المنافقين فى قوله عزّ وجلّ : « اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انّك لرسول الله والله يعلم انّك لرسوله والله يشهد انّ

المنافقين لكاذبون» .

وفى اللسان: أصل الخرص : التظنّى فيما لا تستيقنه ومنه خرص النخل والكرم اذا حزرت التمر لان الحزر انما هو تقدير بظن" لااحاطة والخرَص - بالتحريك - : جوع مع برد ، ورجل خرص : جائع مقرور .

٣٤ - الغمر - ١١٠٣

غمره الماء يغمره غمراً - من باب نصر وعلم - : علاه وغطّاه ، أصل الغمر : الستر والتخفية، ومنه يقال : غمرالقوم فلاناً اذا علوه شرفاً ، أرض غامرة : اذاكان الماء يبلغها فيغمرها .

من المادى" الغمرة : معظم الماء الساتر لمقرّه ، ومنه: الغمر : ازالة أثر الشيىء وبه شبه الرجل السخى والفرس الشديد العدو ، وغمرة الشيىء : شدته ومزدحمه، وغمرات الموت: شدائده، وفى وصف ائمّه أهل البيت عليهم السلام : «بكم فرّج الله عنّا غمرات الكروب » أى شدائده .

و منه المعنوى" فى الضّلالة والجهالة و ورد من المادة الغمرة والغمرات مادّياً للموت معنوياً للضلالة والجهالة فانهما تغمران صاحبهما فيهما و تستران عنهما الهدى والمعرفة .

قال الله تعالى : « الذّين هم فى غمرة ساهون » الذاريات : ١١)

وقال : « بل قلوبهم فى غمرة » المؤمنون : ٦٣) .

وقال: « فى غمرات الموت » الانعام : ٩٣).

يقال : دخلت فى غمار الناس وغمارة الناس ، أى فى جمعهم المتكاثف .

هو أغمرهم : أوسعهم فضلا ، وفى الدعاء: «الحمدلله الذى من خشيته تموج البحار ومن يسبّح فى غمراتها » و فى الحديث : « فقذفهم فى غمرات جهنّم » أى

المواضع الّتى يكثر فيها النّار .

المغمور : الّذى ليس بمشهور. وغمرة كلّ شيىء : منهمكه وشدّته كغمرة الهم والموت ونحوهما.

و الغمرة : فوق الغفلة و الغفلة فوق السهو فالمعنى انّهم فى غاية الغفلة والجهل والسهو .

١٠ - الهجع - ١٥٩٤

هجع يهجع هجوعاً - من باب منع - : نام ليلا .

يقال : أتيت فلاناً بعد هجعة اى بعد نومة خفيفة من اول الليل .

قال الله تعالى : «كانوا قليلا من الليل ما يهجعون» الذاريات: ١٧) ، وفى الدعاء : «وطال هجوعى وقلّ قيامى» .

التهجاع : النومة الخفيفة ، الهجعة : الغفلة والجهل ، رجل هجع : غافل من حديث النبى ﷺ : «ارسل على طول هجعة من الامم» .

المهجع : الغافل السريع الاستنامة الى كل احد ، هجع القوم: نوّموا ، هجع جوعه : كسر ، فانكسر ولم يشبع بعدلازم ومتعد ، طريق تهجع : أى واسع ، الهاجع : اسم فاعل جمعه هجوع وهجع وهواجع .

فى المفردات: الهجوع : النوم ليلا قال : «كانوا قليلا من الليل ما يهجعون» .

وذلك يصح أن يكون معناه كان هجوعهم قليلا من الاوقات الليلية ويجوز أن يكون معناه لم يكونوا يهجعون والقليل يعبّر به عن النفى والمشارف لنفيه لقلته ولقيته بعد هجعة أى بعد نومة .

٨٤ - الروغ - ٦١٢

راغ يروغ روغاً وروغاناً - من باب نصر - : مال وحاد ، راغ الى كذا : مال اليه وأقبل عليه سرّاً ، وراغ عليه : اقبل عليه سراً ، قال الله تعـالى : «فراغ الى أهله فجاء بعجل سمين» الذاريات : ٢٦) أى رجـع الى أهله مـن حال اخفاء منه لرجوعه ، وراغ الثعلب عن الطريق : حاد عنه وذهب هكذا وهكذا اى يمنة ويسرة فى سرعة فلا يستقرّ فى جهة مكراً وخديعة ، يقال : هـو ثعلب روّاغ وهذا أروغ من الثعلب فهورائغ ، راوغه : صارعه وخادعه ، طريق رائغ أى مائل، ومنه حديث قس : «خرجت أريغ بعيراً شرد منى» أى أطلبه بكل طريق .

قـال معاوية بن أبى سفيان لعبد الله بن الزبير : «انّما أنت ثعلب روّاغ كلما خرجت من جحر انجحرت من جحر» روغ فلان الثريدة: دسمها وروّاها ، وروّغ له لقمة : شرّبها بالدسم ، ويقال : هو يراوغ فلاناً : اذا كان يحيد عما يريده عليه راوغ بعضهم بعضا : خادعه ، تروغت الدابة : تمرّغت ، يقال : فلان يروغ عن الحق : مال عنه ، ومنه حديث الاحنف : «فعدلت الى رائغة من روائغ المدينة» اى طريق يعدل ويميل عن الطريق الاعظم .

١٣ ـ الوجس ـ ١٦٤٦

وجس فلان يجس وجساً و وجساناً ـ من باب ضرب ـ : فزع مما وقع فى قلبه أو سمعه من صوت أو غيره خفى ، الوجس : الصوت الخفى وفزعة القلب ، الوجس : اضمار الخوف وأوجس الشيء ايجاساً : أحسّه وشعر به أو أضمره ، يقال : أوجس فزعاً أو خوفاً وهو من الوجس للصوت الخفى وكثر استعماله فى شعور الخوف ، ويطلق الوجس على الفزع يقع فى القلب ، قال الله تعالى : «فأوجس منهم خيفة قالوا لاتخف وبشّروه بغلام عليم» الذاريات : ٢٨) ، وفى الحديث : «دخلت الجنة فسمعت فى جانبها وجساً فقيل : هذا بلال» .

وفى الحديث: «انه نهى عن الوجس » وهو أن يجامع الرجل امرأته ويسمع غيرهما حسهما ، يقال : توجّست الطّعام والشراب : اذا تذوّقته قليلا قليلا ، والاوجس : الدهر ، يقال : سجيس عجيس الاوجس أى لا أفعله طول الدهر .

فى المفردات : الوجس : الصوت الخفى والتوجّس : التسمّع ، والايجاس وجود ذلك فى النفس ، قال : « فأوجس منهم خيفة »

فالوجس قالوا : هو حالة تحصل من النفس بعد الهاجس لأن الهاجس مبتدأ التفكير ثم يكون الواجس الخاطر .

٣٧ - الصك - ٨٦٧

صكّه يصكه صكّاً - من باب نصر -: ضربه شديداً.

أصل المعنى: تلاقي شيئين بشدة حتى كأن أحدهما يضرب الاخر، وصكّ الباب: أغلقه بعنف اصطكت الركبتان: اضطربتا وضربت احداهما الاخرى عند المشى والعدو، فيوثر فيهما.

وورد منه فيما يشبه الضرب مافى«فصكّت وجهها» الذاريات ٢٩) أى لطمت بأطراف الاصابع بيد مبسوطة جبهتها، وأصكّ القوم بالسيوف تضاربوا بها، ومنه الحديث: «اصطكوا بالسيوف» أى تضاربوا بها، والصك: كتاب كالسّجل يكتب فى المعاملات، وفى الحديث: «ما من رجل يشهد شهادة زور على رجل مسلم الا كتب الله له مكانه صكّاً من النّار».

وفى الحديث: «نهى عن بيع صك الورق حتى يقبض».

وجمع الصكّ: صكاك ومنه حديث ملك الموت و قد سئل هل تعلم نفس من تقبض؟ قال: لا انما هى صكاك تنزل من السّماء اقبض نفس فلان بن فلان.

الصكيك: الضعيف.

وفى اللسان: المصكوك: المضروب والصكّ الذى يكتب للعهدة معرّب أصله «چك» ويجمع صكاك وصكوك، ومنه الحديث فى النهى عن شراء الصكاك.

وفيه: وفى القاموس وشرحه: وفى حديث أبى هريرة قال لمروان: أحللت بيع الصكاك» وهى جمع صك وهو الكتاب وذلك ان الامراء كانوا يكتبون الناس بأرزاقهم وأعطياتهم كتباً فيبيعون مافيها قبل أن يقبضوها معجّلا ويعطون المشترى الصك ليمضى ويقبضه فنهوا عن ذلك لانّه بيع مالم يقبض.

٦٩ ـ العقم ـ ١٠٣٤

عقم يعقم عقماً ـ بضم العين فى المصدر وفتحها مع سكون القاف و فتحها ـ من باب علم وضرب ـ : يبس وسكت.

أصل العقم: السد والمنع والقطع ، من الحسى العقم : اليبس يقال : عقمت مفاصل يديه ورجليه اذا يبست ومنها يكون وصف الرحم الذى لا يعطى الولد فهى عقيم قال تعالى: «وقالت عجوز عقيم» الذاريات : ٢٩) وتوصيف الريح بالعقم يقال: ريح عقيم وقال تعالى: «الريح العقيم » الذاريات ٤١) وهى التى أهلك بها عاد وهى الريح الدبور ضد الريح اللاقح سميت عقيماً لانها لا تلقح شجراً ولا تنشىء سحاباً ولا تحمل مطراً.

وتوصف الحرب بالعقم فيقال حرب عقيم يكثر فيها القتلى وتترك النساء أيامى ويوصف يوم القيامة بها قال تعالى: «عذاب يوم عقيم» الحج ٥٥) لانه لا يوم بعده ولانقطاع رحمة الله تعالى يومئذ عن الكافرين وانقطاع فرحهم وانقطاع الليل بعده.

المعقومة من الارحام أى المسدودة التى لا تلد ، وفى الحديث: «سوآء ولود خير من حسناء عقيم» وفى الحديث : «اليمين الفاجرة التى يقطّع بها مال المسلم تعقم الرحم» يريد انها تقطع الصلة والمعروف بين الناس، وعقل عقيم : لا خير فيه ولا ينفع صاحبه، قال رسول الله ﷺ : «العقل عقلان فأمّا عقل صاحب الدنيا فعقيم وأما عقل صاحب الاخرة فمثمر» الدنيا عقيم: لانها لا ترد على صاحبها خيراً.

الملك عقيم : أى لا ينفع فيه نسب لانّه يقتل فى طلبه الاب والولد والاخ والعم فسمى به لقطع صلة الرحم بالتزاحم عليه.

عاقم: خاصم ، والعقام: الرجل السّيء الخلق، يقال: أنت عقام لايصاب له هوى وحرب عقام أى شديدة ورجل عقام أى لا يولد، عقام الخلق : ضيقه، ويقال: فلان عقمى الكلام غامضه الذى لا يعرفه الناس ، وجمع العقيم : عقائم وعقم وعقماء وعقام وعقمى.

فى المفردات أصل العقم: اليبس المانع من قبول الاثر يقال: عقمت مفاصله وداء عقام لا يقبل البرء والعقيم من النساء الّتى لا تقبل ماء الفحل.

٧٢ ـ الرميم ـ ٦٠٠

رمّ الحبل يرمّ رمّاً ورميماً ـ من باب ضرب ونصر ـ : تقطّع ، ورمّ الميت وأرمّ : بلى فهو رميم ، والرميم نبات الارض اذا يبس وديس ، والرميم : الخلق البالى من كل شيىء .

قال الله تعالى :« ماتذر من شيىء أتت عليه الا ّ جعلته كالرّميم » الذاريات : ٤٢) . الرميم : البالى من العظام قال تعالى حكاية عن مكذّب البعث : « من يحيى العظام وهى رميم » يس : ٧٨) .

الرمة ـ بالكسر والتشديد ـ : العظام البالية ومنه الحديث : « نهى ان يستنجى بالرمة والروث و ذلك للحرمة أو لاحتمال نجاستها أو لانّها لاتقوم مقام الحجر لملاستها .

ورممت الشيىء رمة ومرمة : اذا أصلحته بعد ما فسد . ورمّ الأمر : اصلاحه بعد انتشاره، ومنه الحديث:«لايكون العاقل ظاعنا الا ّ فى ثلاث: «تزود لمعادأومرمة لمعاش ولذة من غير محرم» .

والرمة ـ بالضم والتشديد ـ : قطعة من الحبل بالية يشد بها الاسير أوالقاتل اذا قيد الى القصاص ، وبه سمى ذوالرمة ومنه قولهم : دفع الشيىء برمته واصله

انرجلا دفع الى رجل بعيراً بحبل فيعنقه فقيل ذلك لكل من دفع شيئاً بجملته، و في حديث الامام على عليه السلام يذمّ الدنيا : « وأسبابها رمام » أى بالية و هى قطعة حبل بالية، والرمرام : حشيش الربيع، وأرمّ : سكت وخاف وفى الحديث : «فلما سمعوا بذلك أرمّوا ورهبوا» أى سكتوا وخافوا .

فى المفردات : الرمّ : اصلاح الشيىء البالى والرمّة تختصّ بالعظم البالى والرمّة : تختصّ بالحبل البالى ، والرّمّ : الفتات من الخشب والتبن و أرمّت عظامه اذاسحقت حتى اذا نفخ فيها لم يسمع لها دوىّ وترمرم القوم: اذا حرّكوا افواههم بالكلام ولم يصرّحوا .

٣٤ ـ الزوج ـ ٦٥١

زاج بينهم يزوج زوجاً ـ من باب نصر ـ : حرّش وأغرى زوّجه امرأة ـ من باب التفعيل ـ : أنكحها اياه وجعلها له زوجاً وعقد له عليها، قال تعالى: «فلما قضى زيد منها وطراً زوجنا كها» الاحزاب : ٣٧).

وزوجه بامرأة : أنكحه ايّاها، قال تعالى: « وزوجناهم بحورعين » الطور ٢٠) الزوج البعل، الزوجة: امرأة الرجل، جمعها: زوجات، ويطلق الزوج على كل واحد منهما، قال تعالى فى الرجل «قدسمع الله قول التى تجادلك فى زوجها» المجادلة:١) وفى المرأة: «اسكن أنت وزوجك الجنة» الاعراف: ١٩) .

الزوج: الفرد اذا كان معه آخر يقترن به للتناسل الذكر زوج والانثى زوج وهما زوجان والجمع منهما أزواج.

الزوج: ضد الفرد وخلافه يقال: زوج أو فرد، والزوج : الصنف والنوع من كل شيء، قال تعالى: «ومن كل شيء خلقنا زوجين» الذاريات ٤٩) .

وفيه تنبيه الى أن كل ما فى العالم زوج من حيث انّ له ضداً أو مثلا.

وزوج الاشياء : جعلها أصنافاً وقرن بينها، زاوج فلان فلاناً: خالطه، وأزوج بينهما: قرنهما، وتزاوج الكلام، وازدوج : أشبه بعضه بعضاً من السجع أو الوزن . ازدوج ـ من باب الافتعال ـ على قلب التاء دالا لكون الزاء فاء الفعل، والازواج: القرناء .

قال تعالى: «احشروا الذين ظلموا وازواجهم» الصافات : ٢٢) .
أى أقرانهم المقتدين بهم فى عقيدتهم وأفعالهم .

الزيج: خيط البنّاء معرب زيك بالفارسية وهوعند المنجمين: كتاب معروف تعرف به أحوال حركات الكواكب ويؤخذ منه التقويم؛
فى المفردات يقال لكل واحد من القرينين من الذكر والانثى فى الحيوانات المتوازجة: زوج، ولكل قرينين فيها وفى غيرها: زوج كالخف والنعل، ولكل ما يقترن بآخر مماثلا له أو مضادّ زوج.

٣٢ ـ الرزق ـ ٥٦٠

رزقه يرزقه رزقاً ـ من باب نصر ـ: أوصل اليه رزقاً وأعطاه من الخير فهو رازق وذاك مرزوق.

الرزق ـ بالكسر ـ : اسم لما يعطيه الله وينتفع به وقد يوضع موضع المصدر وهو مفتوح الراء.

قال الله تعالى: « كلوا واشربوا من رزق الله » البقرة ٦٠) .

وقال « وفى السماء رزقكم » الذاريات ٢٢) أى تقدير رزقكم ، وقيل: عنى به المطر لانّه سبب الرزق، وفى الحديث : «قسم الله الارزاق » قدرها لعباده لكل واحد منهم نصيباً.

والرازق يقال لخالق الرزق ومعطيه والمسبب له وهو الله الذى خلق

الارزاق وأعطى الخلائق أرزاقها وأوصلها اليهم .

قال الله تعالى: «ان الله هو الرزاق» الذاريات: ٥٨) .

وقال: « وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها » هود: ٦) .

وقال: «قل من يرزقكم من السماء والارض ـ فيسقولون الله» يونس: ٣١).

والرزق نوعان : ظاهرة ماديّة للابدان كالاقوات ، باطنة معنوية للقلوب والنفوس كالمعارف والعلوم والجاه والمقام وما اليها .

والرزق أيضاً نوعان : دنيويّة ، قال تعالى : « ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض» الشورى : ٢٧) .

اخرويّه، قال تعالى: «ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون» آل عمران ١٦٩) .

ارتزق : طلب منه الرزق.

فى المفردات الرزق يقال للعطاء الجارى تارة دنيوياً كان أم اخروياً ، وللنصيب تارة ولما يصل الى الجوف ويتغذى به تارة.

٧٩ ـ القوة ـ ١٢٧١

قوى الشخص أو الشيء يقوى قوّة ـ من باب علم ـ : تماسكت أجزاؤه وصلب فهو قوى ضد ضعف ، يقال : قوى جسمه وقوى عقله وقوى مركزه وقويت عزيمته أو ارادته .

وجاء للقوة فى القرآن الكريم معان :

١ ـ القدرة أو الاستطاعة ماديّة كانت أم معنويّة قال تعالى : « وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة » الانفال : ٦٠) .

وقال : «انّ القوة لله جميعاً » البقرة : ١٦٥) أى القدرة التى هى من صفات الله تعالى .

٢ ـ الجد وصدق العزيمة ، قال تعالى : «خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه» البقرة ٦٣) .

٣ ـ شدة الابرام فى غزل الصوف أو نحوه ، قال : «ولاتكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً » النحل ٩٢) .

القوى جمع القوة ، قال تعالى: «ان هو الاّ وحى يوحى علّمه شديد القوى» النجم ٥) أى ملك قواه شديدة .

المقوى : اسم فاعل من أقوى الرجل يقوى اذا نزل القواء أى القفر ويكنى بذلك عن الفقر ، جمعه مقوون ، قال تعالى «نحن جعلناها تذكرة و متاعاً للمقوين » الواقعة ٧٣) أى المعوزين المحتاجين .

أقوى : اذا استغنى ، أى صار ذاقوّة وغنى ، و أقوى : اذا افتقر ، أى زالت قوّته ، فهو من الاضداد .

اقتوى : تشدد وكان ذاقوة ، واقتوى : استخلص ، و اقتواه : اختصّه لنفسه ، جمع قوىّ : أقوياء .

فى المفردات : القوّة تستعمل تارة فى معنى القدرة ، نحو قوله : «خذوا ما آتيناكم بقوة» وتارة للتهيّؤ الموجود فى الشيىء ، نحو ان يقال : « النوى بالقوة نخل » أى متهيّىء ومترشّح أن يكون منه ذلك .

ويستعمل ذلك فى البدن تارة وفى القلب اخرى وفى المعاون من خارج تارة وفى القدرة الالهيّة تارة اخرى .

ففى البدن نحو قوله : « وقالوا من أشد منّا قوّة ـ فأعينونى بقوّة » فالقوّة ههنا قوة البدن بدلالة انّه رغب عن القوة الخارجيّة فقال : « ما مكّنى فيه ربى خير » وفى القلب نحو قوله : «يا يحيى خذ الكتاب بقوة» أى بقوّة قلب .

وفى المعاون من خارج نحو قوله : «لو انّ لى بكم قوّة» قيل معناه : من اتقوّى به من الجند وما أتقوّى به من المال ، ونحو قوله : «قالوا نحن اولوا قوّة وأولوا بأس شديد» .

وفي القدرة الالهيّة نحو قوله : «ان ّالله قوىّ عزيز وكان الله قويّاً عزيزاً» وقوله : «ان الله هو الرزّاق ذوالقوة المتين» فعام فيما اختص الله تعالى به من القدرة و ما جعله للخلق .

٣ ـ المتين ـ ١٤٠١

متن يمتن متانة فهو متين ـ من باب كرم ـ صلب وقوى واشتدّ و منه حبل متين . والمتن من الارض ما صلب و ارتفع .

يقال : رجل متين أى شديد القوّة .

وفي أسماءالله تعالى المتين ، وهو القوى الّذى لايلحقه فى أفعاله مشقة ولا تعب ولايعتريه وهن ولايمسّه لغوب ، والمعنى فى وصفه بالقوة والمتانة، انه قادر بليغ الاقتدار على كل شيىء .

قال تعالى : «انّ الله هو الرزاق ذوالقوة المتين» الذاريات : ٥٨)

وفى وصفه بالكيد والمتانة ، انّه قوى لطيف لايغلب .

قال تعالى : « انّ كيدى متين » الاعراف ١٨٣) .

متن بالمكان يمتن متوناً ـ من باب نصر ـ ، أقام وحلف وضرب ومدّ ونكح. متن فلان زيداً بالسوط متناً ، ضربه به ، أىّ موضع كان ، وقيل ، ضربه به ضرباً شديداً ، ومتن الشيىء ، مدّه ، ومتن الكبش ، شق صفنه و استخرج بيضته بعروقها، متن الخيمة ، ضربها بخيوطها وأجاد مدّ أطنابها ، ومتن المرأة : نكحها، ماتنه : ماطله ، ماتن فلاناً باعده فى الغاية ، وماتن الرجل فعل به مثل ما يفعل به ، وأمتنه : ضرب متنه ، والماتن واضع الاصل . المتان ـ بالكسر ـ ما بين كل عمودين ، وفى الحديث : « ومتن بالناس يوم كذا » أى سار بهم يوم أجمع ، ومتن فى الارض اذا ذهب .

فى اللسان : المتن من كل شيء ما صلب ظهره والجمع متون والمتان ومتن الرمح والسهم وسطهما .

وفى القاموس : وشرحه المتن النكاح والحلف والضرب بالسوط والذهاب فى الارض والمدّ وما صلب من الارض وارتفع واستوى .

والمتن الرجل الصلب القوى ، ومتنا الظهر مكتنفا الصلب عن يمين وشمال من عصب ولحم ، وقيل هو ما اتصل بالظهر الى العجز .

﴿ النحو ﴾

١ ـ (والذاريات ذرواً)

الواو للقسم و «الذاريات» مجرور بها على حذف فعل القسم ، أى أقسم بالذاريات .

وقيل : الذاريات صفة لموصوف محذوف على تقدير : وربّ الرياح الذاريات و«ذرواً» مصدر عامله «الذاريات» وهى جمع : الذارية على وزن الضاربة .

٢ ـ (فالحاملات وقراً)

الفاء للعطف و «الحاملات» جمع الحاملة مجرورة بالعطف على «الذاريات» و «وقراً» مفعول الحاملات ويحتمل الحال ولم يقل : أوقاراً باعتبار جنس المطر وهو واحد .

٣ ـ (فالجاريات يسراً)

«فالجاريات» عطف على «الذاريات» و «يسراً» مصدر فى موضع الحال أى ميسرة أو صفة لمصدر محذوف أى جريا يسرا .

٤ ـ (فالمقسمات أمراً)

عطف على «الذاريات» و «المقسمات» جمع المقسمة من باب التفعيل

و «أمراً» مفعول به ويحتمل الحال .

٥ - **(انما توعدون لصادق)**

«انّ» حرف تأكيد و «ما» موصولة فى موضع نصب اسمها و«توعدون» فعل مضارع لجمع الخطاب من الايعاد صلة للموصول على حذف العائد ، أى توعدونه و«لصادق» واللام للتأكيد ومدخولها خبر لحرف التأكيد والجملة جواب القسم. وقيل : «ما» مصدرية و «توعدون» من الوعد .

٦ - **(وان الدين لواقع)**

الاية عطف على ما قبلها من جواب القسم .

٧ - **(والسماء ذات الحبك)**

الواو للقسم و « السماء » مجرور بهاو« ذات الحبك » صفة من « السماء » و «الحبك» جمع الحبيكة .

٨ - **(انكم لفى قول مختلف)**

«انّ» حرف تأكيد والضمير لجمع الخطاب فى موضع نصب اسمها و «لفى قول» اللام للتأكيد والجار والمجرور متعلّق بمحذوف وهو خبر لحرف التأكيد و«مختلف» نعت من «قول» والجملة جواب القسم .

٩ - **(يؤفك عنه من افك)**

«يؤفك» فعل مضارع مبنىّ للمفعول وفاعله النيابى «من» وفى ضمير«عنه» وجوه : أحدها - راجع الى « ما » وهو الظاهر . ثانيها - راجع الى القرآن من حيث اشتماله على وعد البعث والجزاء . ثالثها - : راجع الى النبى صلى الله عليه وآله والمعنى يصرف عن الايمان به من صرف . رابعها- : راجع الى قول مختلف و«عن»للتعليل فالجملة صفة لقول ، والمعنى : انكم لفى قول مختلف يوفك بسببه من افك وهو فعل ماض مبنى للمفعول .

١٠ - (قتل الخراصون)

«قتل» فعل ماض مبنىّ للمفعول و « الخراصون » جمع الخرّاص للمبالغة فاعل نيابى من «قتل».

١١ - (الذين هم فى غمرة ساهون)

«الّذين» فى موضع رفع نعت من «الخرّاصون» و «هم» مبتدأ و«فى غمرة» متعلق بقوله : «ساهون» وهو خبره والجملة صلة الموصول.

١٢ - (يسئلون ايان يوم الدين)

«يسئلون» فى موضع رفع نعت ثان من «الخرّاصون» وقيل فى موضع نصب حال منهم . و«ايّان» للزمان استفهاماً مبتدأ و «يوم الدين» خبره وقيل : العكس.

١٣ - (يوم هم على النار يفتنون)

فى «يوم» وجوه : أحدها ـ فى موضع رفع على البدل من «يوم» الاوّل الاّ انّه بنى لانّه اضيف الى غير متمكّن وبنى على الفتح لانّه أخف ـ ثانيها ـ : فى موضع نصب على تقدير :الجزاء يوم الخ،ثالثها ـ هو معرب وفتح على حكم الظرف رابعها ـ : على تقدير أعنى يومهم.

و «هم» مبتدأ و«على النّار» متعلّق بقوله: «يفتنون» وهو خبر المبتدأ عدّى بعلى لاّن المعنى انّهم يجبرون على دخول النار ، و قيل : هو بمعنى فى أى يلقون فى النّار.

١٤ - (ذوقوا فتنتكم هذا الذى كنتم به تستعجلون)

« ذوقوا » فعل أمر لجمع الخطاب و« فتنتكم » مفعول به و « هذا » مبتدأ و«الّذى» موصولة و« كنتم» فعل ماض لجمع الخطاب من أفعال النّاقصة و « به » متعلق بقوله : «تستعجلون» والضمير عائد الصلة و«تستعجلون» فى موضع نصب خبر لفعل الناقص والجملة صلة الموصول وتمامها خبر المبتدأ.

١٥ ـ (ان المتقين فى جنات وعيون)

«انّ» حرف تأكيد و «المتقين» اسمها و « فى جنّات » جمع جنّة متعلق بالمحذوف وهو خبرها أى مستقرّون فيها « وعيون » جمع عين عطف على «جنات».

١٦ ـ (آخذين ما آتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين)

«آخذين» حال من «المتقين» او من ضمير الخبر و «ما» موصولة فى موضع نصب مفعول به للحال و «آتى» فعل ماض من باب الافعال و «هم» فى موضع نصب مفعول به و «ربّهم» فاعل الفعل والجملة صلة الموصول على حذف العائد أى اتاه ايّاهم و «انهم» حرف تأكيد وإسمها و «كانوا» فعل ماض ناقص والواو اقيمت مقام إسمه و «قبل ذلك» متعلق بقوله: «محسنين» وهو خبر لفعل الناقص والجملة خبر لحرف التأكيد.

١٧ ـ (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون)

«كانوا» فعل ماض من أفعال الناقصة إسمها الواو وفى خبرها وجهان: أحدهما: « ما يهجعون » وفى « ما » على هذا وجهان : أحدهما ـ زائدة أى كانوا يهجعون قليلا و «قليلا» نعت لظرف أى زماناً قليلا او نعت لمصدر أى هجوعاً قليلا. ثانيهما ـ: نافية . وهذا مردود لانّ النفى لايتقدّم عليه ما فى حيّزه وقليلا من حيّزه .

ثانيهما ـ : إنّ «قليلا» خبر كان وفى «ما» على هذا أيضاً وجهان : أحدهما ـ: مصدريّة أى كانوا قليلا هجوعهم ويجوز على هذا أن يكون « ما يهجعون » بدلا من إسم كان بدل الاشتمال وعلى هذا لا يجوز أن يتعلق «من الليل» بيهجعون لما فيه من تقديم معمول المصدر عليه وإنّما هو منصوب على التبيين أى يتعلّق بفعل محذوف يفسّره يهجعون . ولكن ليس فيه مدح لانّ كلّ الناس يهجعون فى الليل ثانيهما ـ موصولة على حذف العائد و «قليلا» خبر كان والمعنى :كانوا قليل من الليل الّذى يهجعون فيه .

١٨ - (وبالاسحار هم يستغفرون)

الواو للعطف و«بالاسحار» الباء بمعنى «فى» والاسحار جمع السحر متعلق بفعل الاستغفار و «هم» مبتدأ و «يستغفرون» خبره والجملة عطف على ما قبلها .

١٩ - (وفى أموالهم حق للسائل والمحروم)

الواو للعطف ومايليها عطف على ما قبلها .

٢٠ - (وفى الارض آيات للموقنين)

«فى الارض» خبر مقدم و«آيات» مبتدأ مؤخر .

٢١ - (وفى أنفسكم أفلا تبصرون)

الواو للعطف و «فى أنفسكم» خبر لمبتدأ محذوف أى وفى أنفسكم آيات .

٢٢ - (وفى السماء رزقكم وما توعدون)

الواو للعطف و «فى السماء» متعلّق بمحذوف وهو خبر و « رزقكم » مبتدأ و « ما » موصولة و « توعدون » فعل مضارع لجمع الخطاب صلة على حذف العائد أى توعدونه .

٢٣ - (فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون)

الفاء للتفريع والواو للقسم و«رب» مجرور بها اضيف إلى «السماء» «والارض» عطف على السماء والتقدير فأقسم بربّ السماء وربّ الارض و «انه لحق» جواب القسم وفى الضمير وجوه : أحدها : راجع إلى «ماتوعدون» ثانيها : راجع إلى مجموع «فى السماء رزقكم وماتوعدون» ثالثها : عائد إلى الله تعالى رابعها : عائد إلى القرآن ، وغيرها من الوجوه الضعيفة ، والاوّل هو الظاهر .

و «مثل» نعت من «لحق» بنى لانّه اضيف إلى غير متمكّن وبنى على الفتح لانّه اخفّ و«ما» موصولة و «انكم» على كسر الهمزة وما بعدها صلة على حذف العائد ومصدرية على فتحها وهو الصواب فالمعنى : انه لحق حقاً مثل نطقكم .

٢٤ ـ (هل أتيك حديث ضيف ابراهيم المكرمين)

«هل» حرف إستفهام و«أتى» فعل ماض وضمير الخطاب للنبى ﷺ فى موضع نصب على مفعول به و«حديث» فاعل الفعل أضيف إلى «ضيف» اضيف إلى «ابراهيم» و «المكرمين» نعت من «ضيف ابراهيم» .

٢٥ ـ (اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون)

« إذ » ظرف لحديث وقيل : لضيف وقيل : للمكرمين و «دخلوا» فعل ماض لجمع الغيبة فاعله الواو القائمة مقام الضمير الراجع إلى الضيف و «عليه» متعلّق بفعل الدخول والضمير راجع إلى « ابراهيم » و« فقالوا » الفاء للتفريع و القائلون هم الضيف و « سلاماً » منصوب على المصدريّة أى نسلّم عليك سلاما أو بوقوع الفعل عليه .

و«قال» فاعل الفعل ضمير مستكن راجع إلى «ابراهيم» و«سلام» مبتدأ خبره محذوف أى سلام عليكم أو خبر لمحذوف أى أمرى سلام ، و«قوم منكرون» مبتدأ وخبر فى موضع جر صفة من «ضيف» وقيل : حكاية قول إبراهيم فى نفسه على أنه لما رآهم إستنكرهم وحدّث نفسه أن هؤلاء قوم منكرون وقيل: إنه حكاية قوله عليه السلام لهم على تقدير: أنتم قوم منكرون.

٢٦ ـ (فراغ الى اهله فجاء بعجل سمين)

الفاء للتفريع والفعلان الماضيان فاعلهما ضميران مستكنان فيهما راجعان إلى ابراهيم و «سمين» نعت من «بعجل» والفاء الثانية فصيحة .

٢٧ ـ (فقربه اليهم قال ألا تأكلون)

الفاء للتفريع و«قرّبه» فعل ماض فاعله ضمير مستكن فيه راجع الى ابراهيم وضمير الوصل فى موضع نصب على المفعول به راجع إلى العجل و«إليهم» متعلّق بفعل التقريب وضمير الجمع راجع إلى الضيف و«قال» فعل ماض والقائل هو إبراهيم و«ألا» للعرض وهو طلب بلين كما انّ التحضيض طلب بحثّ و«تأكلون» فعل

مضارع لجمع الخطاب للضيف.

٢٨ ـ (فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم)

الفاء فصيحة على تقدير: فلم يمدّوا إليه ايديهم فلمّا رأى ذلك نكرهم «وأوجس» وهو فعل ماض من باب الافعال فاعله ضمير مستكن فيه راجع الى ابراهيم و«منهم» متعلق به و«خيفة» مفعول به و«قالوا» القائلون هم الضيف و«لا تخف» فعل مضارع خطاب لابراهيم عليه السلام مجزوم بحرف النهى «و بشّروه» فعل ماض فاعله الواو القائمة مقام ضمير الجمع الراجع إلى الضيف وضمير الوصل فى موضع نصب على المفعول به راجع إلى ابراهيم عليه السلام و«بغلام» متعلق بفعل التبشير و«عليم» نعت من «غلام».

٢٩ ـ (فأقبلت امرأته فى صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم)

الفاءان للتفريع و«فى صرّة» حال من الفاعل و «عجوز» خبر لمحذوف و(عقيم) فعيل بمعنى مفعول لاتثبت فيه الهاء صفة من «عجوز».

٣٠ ـ (قالوا كذلك قال ربك انه هو الحكيم العليم)

القائلون هم الضيف و (كذلك) فى موضع نصب بقوله: (قال ربك) وقيل: الكاف فى (كذلك) صفة مصدر محذوف وتقديره: قال ربك قولا كذلك أى مثل ذلك، والخطاب لامرأة ابراهيم عليه السلام.

٣١ ـ (قال فما خطبكم أيها المرسلون)

القائل هو إبراهيم عليه السلام والفاء للتفريع و «ما» للاستفهام مبتدأ و «خطبكم» خبره و قيل: العكس.

٣٢ ـ (قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين)

القائلون هم الضيف و«إنّا» حرف تأكيد مع إسمها و كسر الهمزة لوقوعها مقول القول و«أرسلنا» فعل ماض مبنيّ للمفعول من باب الافعال للتكلم مع الغير.

٣٣ _ (لنرسل عليهم حجارة من طين)

اللام للصيرورة وتسمّى لام العاقبة وقد تسمّى بلام العلّة ومدخولها منصوب بأن مقدّرة، و «عليهم» متعلّق بفعل الارسال والضمير راجع إلى المجرمين و«حجارة» مفعول بها و«من طين» متعلّق بمحذوف نعت من «حجارة» أو حال منها.

٣٤ _ (مسومة عند ربك للمسرفين)

«مسوّمة» نعت من «حجارة» أو حال من ضمير متعلّق الجار والمجرور و«عند» ظرف للمسوّمة واللام فى «للمسرفين» للعهد.

٣٥ _ (فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين)

الفاء فصيحة ومدخولها فعل ماض للتكلم مع الغير من باب الافعال و «من» موصولة فى موضع نصب على المفعول به و «كان» فعل ماض من أفعال الناقصة إسمه ضمير مستكن فيه راجع الى «من» و «فيها» متعلق بفعل محذوف وهو خبر لفعل الناقص والضمير راجع الى القرية المفهومة من السياق و «من المؤمنين» بيان لمن أو للمقيمين فى القرية.

٣٦ _ (فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين)

الفاء للتفريع ومدخولها حرف نفى و «وجدنا» فعل ماض للتكلم مع الغير و«غير بيت» مفعول به.

٣٧ _ (وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الاليم)

« آية » مفعول بها و «للذين» متعلق بمحذوف صفة للاية أى آية ثابتة و«العذاب» مفعول به و «الاليم» صفة للعذاب.

٣٨ _ (وفى موسى اذ أرسلناه الى فرعون بسلطان مبين)

عطف على قوله : «وتركنا فيها آية» فالتقدير وتركنا فى موسى آية وقيل: عطف على قوله : «وفى الارض آيات» و «اذ» ظرف لتركنا ، وقيل : لاية ، وقيل : نعت لها . و «بسلطان» متعلق بفعل الارسال والباء بمعنى مع حال من موسى عليه السلام

٣٩ - (فتولى بركنه وقال ساحر أو مجنون)

الفاء للتفريع ومدخولها فعل ماض من باب التفعل ، فاعله ضمير مستكن فيه راجع الى فرعون و «بركنه» متعلق به حال من فرعون والباء بمعنى مع وقيل : للتعدية و «أو» للتنويع ، فقال تارة : هو ساحر وتارة اخرى هو مجنون أو تكون للترديد وهو الظاهر .

٤٠ - (فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم وهو مليم)

«وهو مليم» الواو للحال أى والحال ان فرعون أتى من الكفر والطغيان بما يلام عليه .

٤١ - (وفى عاد اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم)

عطف على ما تقدم أى وتركنا فى عاد آية و «الريح» مفعول بها و «العقيم» نعت لها .

٤٢ - (ما تذر من شيء أتت عليه الا جعلته كالرميم)

«ما» حرف نفى و «تذر» فعل مضارع فاعله ضمير مستكن فيه راجع الى الريح ، و «من شيىء» «من» زائدة ومدخولها مفعول به و «أتت» نعت من «شيىء» ، و «عليه» الضمير راجع الى «شيىء» وفاعل «أتت - و - جعلت» ضميران مستكنان فيهما راجعان الى الريح .

٤٣ - ٤٤ (وفى ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون)

عطف على ما تقدم أى وتركنا فى ثمود آية و «قيل» القائل هو صالح عليه السلام و «تمتعوا» فعل أمر لجمع الخطاب من باب التفعّل و «وهم ينظرون» جملة حاليّة

٤٥ - (فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين)

الفاء للتفريع ومدخولها حرف نفى و «استطاعوا» فعل ماض لجمع الغيبة من باب الاستفعال و «ما كانوا منتصرين» عطف على «ما استطاعوا» .

٤٦ ـ **(وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوماً فاسقين)**

عطف على القصص السابقة فالتقدير وأهلكنا قوم نوح و «من قبل» مبنيّ لنية المضاف اليه أى، من قبل عاد وثمود و «فاسقين» نعت من «قوما».

٤٨ ـ **(والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون)**

«السماء» منصوبة بفعل محذوف يفسّره المذكور بعدها و «بأيد» جمع يد حال من الفاعل والمرادبها القوة والقدرة و «لموسعون» اللام للتأكيد ومدخولها اسم فاعل من باب الافعال جيىء بصيغة الجمع للتعظيم.

٤٨ ـ **(والارض فرشناها فنعم الماهدون)**

عطف على ما قبلها و «فنعم الماهدون» على حذف المخصوص أى نحن.

٤٩ ـ **(ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون)**

«من كل شيء» متعلق بخلقنا ويجوز أن يكون نعتاً من «زوجين» قدّم فصار حالا و «تذكّرون» فعل‌مضارع لخطاب الجمع المذكر على حذف التاء من باب التفعل.

٥٠ ـ **(ففروا الى الله انى لكم منه نذيرمبين)**

الفاء للتفريع ومدخولها فعل أمر لجمع الخطاب و «لكم» حال من ضمير التكلم و «منه» متعلق بنذير و «مبين» صفة للنذير.

٥١ ـ **(ولا تجعلوا مع الله الهاً آخرانى لكم منه نذيرمبين)**

الواو للعطف و «لا» حرف نهى و «تجعلوا» مجزوم بحرف النهى و «إلهاً» مفعول‌به و«آخر» نعت من «إلهاً» و«آخر» غيرمنصرف لمكان‌الوصف ووزن‌الفعل.

٥٢ ـ **(كذلك ما أتى‌الذين من‌قبلهم من رسول‌الا قالواساحر أومجنون)**

«كذلك» خبر لمحذوف أى الامر كذلك و«ما» حرف نفى و «الذين» فى موضع نصب على المفعول به و «من قبلهم» متعلق بمحذوف وهو صلة الموصول، أى كانوا من قبلهم و«من» زائدة جيىء بهما للتأكيد و«رسول» فاعل لأتى.

٥٣ - (اتواصوا به بل هم قوم طاغون)

الهمزة للاستفهام الانكارى و«تواصوا» فعل ماض لجمع الغيبة من باب التفاعل وضمير «به» راجع إلى القول و« بل » حرف إضراب و «هم» مبتدأ و« قوم» خبره و«طاغون» نعت من «قوم» .

٥٤ - (فتول عنهم فما أنت بملوم)

الفاء للتفريع ومدخولها فعل أمر خطاب للنبى الكريم صلى الله عليه وآله و«عنهم» متعلّق به والضمير راجع إلى «قوم» والفاء الثانية أيضاً للتفريع و تحتمل الفصيحة و «ما» حرف نفى و«أنت» إسمها و«بملوم» خبرها على زيادة الباء للتأكيد .

٥٥ - (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين)

الواو للعطف و « ذكّر » فعل أمر خطاب للرسول صلى الله عليه وآله والفاء للتفريع و « الذكرى » إسم لحرف التأكيد و« تنفع » فى موضع رفع خبرها و«المؤمنين» مفعول بـه .

٥٦ - (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون)

« ليعبدون » اللام للغاية أو للغرض فمدخولها منصوب بأن مقدرة و النون للوقاية على حذف ياء التكلم لدلالة الكسرة عليها واللامان فى «الجنّ والانس» للجنس .

٥٧ - (ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون)

«ما» حرف نفى و«اريد» فعل تكلم وحده من المضارع و«منهم» متعلق به والضمير راجع إلى الجن والانس ، وقيل : إلى الكفار ، و «من رزق» مفعول به على زيادة « من » و « يطعمون » ا' ن للوقاية على حذف ياء التكلم لدلالة الكسرة عليها .

٥٨ - (ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين)

«الرزّاق» للمبالغة و «ذو القوة» نعت من «الله» و «المتين» صفة اخرى له.

٥٩ ـ **(فان للذين ظلموا ذنوباً مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون)**

الفاء للتفريع و « ذنوباً » جمع الذنب بالتحريك اريد بها النصيب و «فلا يستعجلون» الفاء للتفريع ومدخولها حرف نهى والفعل مجزوم بحرف النهى وهو من باب الاستفعال والنون للوقاية على حذف ياء التكلم لدلالة الكسرة عليها . و«ذنوباً» اسم لحرف التأكيد و«مثل ذنوب» نعت من «ذنوباً» .

٦٠ ـ **(فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون)**

الفاء للتفريع ومدخولها مبتدأ و «للذين» متعلّق بمحذوف ، أى ويل ثابت لهم و«الذى» نعت من «يومهم» و «يوعدون» صلة على حذف العائد أى يوعدونه .

﴿ البيـان ﴾

٤ ـ ١ **(والذاريات ذرواً فالحاملات وقراً فالجاريات يسراً فالمقسمات أمراً)**

ان السرّ فى مجيىء القسم بغيرالله فى بعض أوائل السّور مع ما نهانا رسول الله صلّى الله عليه وآله عن الحلف بغيرالله: أن العرب كانت تعتقد أن محمداً صلّى الله عليه وآله رجل قوىّ الحجّة غالب فى المجادلة وإقامة الدّليل فأقسم لهم القرآن الكريم على لسان النّبىّ الكريم صلّى الله عليه وآله بكل شريف ليعلموا صدقه فانهم كانوا يعتقدون ان الايمان الكاذبة تدع الديار وتوجب الهلاك وتضرّ صاحبها وقد كان إكثار القسم دليلا على صدقه صلّى الله عليه وآله .

وان وجه القسم فى المقام بالاربع تعظيم لها بما فيها من العبر من هبوب الرياح تارة وسكونها اخرى، ودعوة للناس الى توحيد الربوبية ليثبت به يوم الجزاء الذى وعده الله ويندفع بذلك إنكار المنكرين للجزاء وذلك انّ تلك الرياح على أنحائها و إختلاف هبوبها جنوباً و شمالا وصيفيها و شتويّها و جريانها و سكونها وما اليها من الاختلاف كما ينبىء عنه صيغ الجمع .

تقتضي مسكناً لها ومحر كاً لا يشبه الاجسام وفي مجيئها وقت الحاجة لتنشئة السحاب وتذرية الطعام ما يقتضي مصرفاً لها قادراً عليها وما في عصوفها تارة ولينها اخرى ما يقتضي قاهراً لها.

ومن محمل يحمل السحاب الماء وأمسكه من غير عماد وأغاث بمطره العباد وأحيى البلاد بعد موتها وصرفه في وقت الغنى عنه بما لو دام لصاروا إلى الهلاك والدّمار ومن تسخير البحر الملح والعذب بجريانها وتقدير الريح للسفن والبحار بما لو زاد لغرق ولو ركد لهلك وبما في هداية النفوس الى تدبير مصالحها وما في عظم النفع بها فيما ينقل من بلد إلى بلد ومن اللطف وعظم الفائدة وجلالة المنزلة للملائكة وتقسيم الامور بأذن الله تعالى في قول.

ومن دفع الافة ومن كتابة الحسنات والسيئات ومن قبض الارواح ومن إستغفارهم للمؤمنين واللعن على الفجار والكافرين.

فتشير الايات الاربع على هذا إلى عامة التدبير حيث تذكر أنموذجاً ممّا يدبّر به الامر في البرّ وهو الذاريات ذرواً وتذكر أنموذجاً ممّا يدبّر به الامر في البحر وهو الجاريات يسراً وتذكر أنموذجاً ممّا يدبّر به الامر في الجوّ وهو الحاملات وقراً وتمّم الجميع بالملائكة الّذين هم وسائط التدبير وهم المقسّمات أمراً فلكل واحد منهم وظيفة في الكون فينقسم الملائكة بانقسام الوظائف لهم فالايات في معنى أن يقال : اقسم بعامّة الاسباب الّتي يتمّم بها أمر التدبير في العالم أنّ كذا و كذا.

ومن المحتمل أن تكون الفاءات لترتيب الاقسام باعتبار ما بينها من التفاوت في الدلالة على كمال القدرة الا لهيّة والاّ فهي لترتيب ما صدر عن الرياح من الافاعيل فانّها تذرو الابخرة الى الجوّ حتّى تنعقد سحاباً فتجرى به باسطة له إلى ما أمرت به فتقسم المطر على أقطار من الارض.

ففي تخصيص الامور المذكورة بالاقسام بها رمز إلى شهادته بتحقيق مضمون الجملة المقسم عليها من حيث انّها أمور بديعة مخالفة لمقتضى الطبيعة فمن قدر

عليها فهو قادر على البعث الموعود والجزاء.

٥ ـ (انما توعدون لصادق)

إن تسئل: كيف وصف الله تعالى الموعود ـ وهو يوم البعت أوالبعث ـ بأنّه صادق ، والصادق وصف للقائل لا للوعد !.

تجَيب عنه : هذا من قبيل المجاز في النسبة، فالصادق بمعنى المصدوق كما في قوله تعالى : «فهو في عيشة راضية» القارعة : ٧) وقوله : «خلق من ماء دافق» الطارق : ٦) أو بمعنا لصدق ، فان المصدر قد جاء على وزن اسم الفاعل كقولهم : قمت قائماً ، ولحقت بهم اللائمة أى اللوم ، أو اشارة الى أنّ هذا الوعد ذاتى وانه هو ذاته الصادق الذى ينطق بالصدق .

٦ ـ (وان الدين لواقع)

بيان لما يقع يوم البعث من الحساب والجزاء على طريق العطف فليس بمنزلة التفسير على ما قيل فتدبر .

٧ ـ (والسماء ذات الحبك)

فى الاقسام بالسماء ذات الطرائق توطئة لذكر إختلاف الناس و تشتّت طرائقهم .

٨ ـ (انكم لفى قول مختلف)

جواب القسم وتأكيده بالتأكيدين والخطاب لهم وتنكير القول من التقريع والتنديد ما لا يخفى .

٩ ـ (يؤفك عنه من افك)

فى الالتفات من الخطاب إلى الغيبة وإيثار الفعلين مبنيّين للمفعول تعميم بعد تخصيص ففى الاية شمول لكل من سلك مسلكهم كما تدلّ عليه الاية التالية.

١٠ ـ (قتل الخراصون)

هذا دعاء عليهم كقوله تعالى : « قتل الانسان ما اكفره » .

وأصل الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى اللعن كأنّه قيل : لعن هؤلاء المنكرون للبعث والجزاء ليس أساسهم الاّ الفرض والتخمين.

وفيه دلالة على أنّ المكرين لم يكونوا جازمين في الانكار بل كانوا شاكين فيه .

١١ ـ (الذين هم في غمرة ساهون)

تصف الخرّاصين بوصف لازم تنبيهاً إلى إستحقاقهم بهذا الدعاء .

١٢ ـ (يسئلون ايان يوم الدين)

سؤال على سبيل الاستعجال إستهزاء .

١٣ ـ (يوم هم على النار يفتنون)

جواب عن سؤالهم على سبيل الاستهزاء وعدل فيه عن بيان وقت يوم الدين إلى بيان أحوالهم فيه لما أنّ وقته من الغيب الّذى لايعلمه إلاّ الله تعالى إذ قال: « لايجلّيها لوقتها الاّهو » الاعراف : ١٨٧) .

١٤ ـ (ذوقوا فتنتكم هذا الذى كنتم به تستعجلون)

حكاية خطاب من الله تعالى أو من الملائكه باذنه جلّ وعلا للخرّاصين وهم يومئذ على النار يفتنون . هذا مواجهة لهم بالعذاب ولقاء لهم بما يسوءهم .

١٥ ـ (ان المتقين في جنات وعيون)

بيان لحال المتقين يوم الدين بعد ذكر حال منكريه ، وفي تنكير جنات وعيون إشارة إلى عظم قدرهما كأنّهما بحيث لايقدر الواصفون على وصفهما أو باعتبار كثرتها باختلاف درجات المتقين فيها وفي الاية إشعار إلى إستحقاقهم بهما

كما تدلّ عليه الاية التالية .

ان تسئل : كيف قال تعالى : « إنّ المتقين فى جنات وعيون » وليسواهم فى الجنة فى العيون ؟

تجيب عنه : انّ العيون كثيرة تحدق بالمتقين من كلّ ناحية فهم فى مجموعها لا فى كل واحدة منها ، ونظير الاية قوله تعالى : « انّ المتقين فى جنات ونهر » القمر : ٥٤) لانّه بمعنى أنهار إلاّ انّه عدل عنها رعاية للفواصل .

١٦ ـ (آخذين ما آتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين)

بيان لحال المتقين وإستمتاعهم بنعم الله تعالى فى الجنه وتعليل لذلك بما كانوا عليه من عقيدة حسنة ومن حسن العمل .

١٧ ـ (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون)

بيان لكيفيّة إحسانهم ومبالغتهم فى تقليل نومهم وإستراحتهم حيث كانوا يقضون أكثر أوقات لياليهم بعبادة الله تعالى أو اكثر لياليهم بها .

وذلك لانّ القليل من الليل لو أخذ بالقليل إلى مجموع زمان كل ليلة فكانوا يهجعون كل ليلة زماناً منها ويصلّون أكثرها ولوأخذ إلى مجموع الليالى فكانوا يهجعون فى قليل من الليل ويقومون للصلاة فى أكثرها اى لايفوتهم صلاة الليل إلاّ فى قليل من الليالى .

١٨ ـ (وبالاسحار هم يستغفرون)

وفيه تنبيه إلى فضل السحر الّذى هم قطعوه إستغفاراً وإشارة إلى أنّهم يرون انّ ماقاموا به من صلاة وتسبيح وذكر لم يستوف ما لله من حق عليهم فى عبادته وتسبيحه فهم لهذا كانوا يستغفرون ربّهم ليتجاوز عن تقصيرهم فى حقّه ولما فى الاستغفار من الاثار وفى الايتين بيان لسيرتهم فى جنب الله تعالى وهى قيام الليل والاستغفار بالاسحار .

١٩ - (وفى أموالهم حق للسائل والمحروم)

بيان لسيرتهم فـى جنب الناس - وانّهم يعرفـون بصفاء فطرتهم ان للسائل والمحروم حقاً فى أموالهم - إثر بيان سيرتهم فى جنب الله تعالى وفى هذا صورة رائعة لاثر الايمان فى قلوبهم من دون ريب .

٢٠ - (وفى الارض آيات للموقنين)

لفت نظر السامعين إلى ما فى الارض من مشاهد وآيات تقوم براهين قاطعة على وجود الله تعالى وقدرته وعظمته وعلى وحدة التدبير القائمة بوحدانية مدبّره من برٍّ وبحر وسهل وجبل ومعادن وعيـون وأنهـار وعلى صحة ما ينذر بـه نبيّـه الكريم ﷺ وقدرته تعالى عليه وفيها آيات كافية لاقناع مـن حسنت نيتّه ورغب فى معرفة الحق واليقين ففى قوله تعالى: «للموقنين» إشارة إلى أنّـه لا ينتفع بتلك الايات الكونيّة ولا يقـع على مواقع الهدى منها إلا أهل اليقين الذين يطلبون المعرفة والعلم بالنظر والتدبر.

٢١ - (وفى انفسكم أفلا تبصرون)

لفت نظر بطريق الالتفات إلى ما فـى تكوين الانسان الجسمانىّ والعقلىّ وماله من مختلف الاحوال وماله من عجائب الاثار والافعال كلها تدل على مدبّر واحد.

وسئوال انكارىّ وتعجبى فـى صدد ما فـى تكوين الانسان عمـا إذا كان السامعون لا يدر كون ذلك ولا تذهلهم روعته وعجائبـه فعموا عـن مشاهد القدرة الالهيّـة وآثارها الناطقة فى كل ما خلق الله تعالى .

٢٢ - (وفى السماء رزقكم وما توعدون)

لفت نظر إلى السماء وما فيها من أسباب الرزق وملاك الحياة .

٢٣ - (فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون)

تفريع لمـا تقدّم حيث انتهى بقسم برب السماء والارض اللتين إحتوتا مـا

احتوتاه من الايات الافاقية والانفسيّة والبراهين القاطعة على أنّ ما يسمعه المخاطبون من نذر وما يتلى عليهم من قرآن كريم حق لايصح الارتياب فيه، ومثله مثل حاسّة النطق في الناس التي لا يصح الارتياب فيها، وهل ينكر الانسان وجوده وهو حيّ ناطق؟ واختار النطق لانّه صفة دالة على وجود الانسان لانّ المنطق هو الصّفة المميزة للانسان في عالم الحيوان الدالة على أنّ وراء الحيوان إنساناً ذا حسّ وادراك وأنّه اذا غابت عنه المحسّات والمدركات فلن يغيب عنه الاحساس عن وجوده وادراك أنّه موجود فما جاء به النبيّ الكريم ﷺ من الوعد فهو واقع لا محالة لاامتراء فيه، كما أخبر به الله تعالى على سبيل القطع واليقين.

٢٤ ـ **(هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين)**

أتى بالقصص بأسلوب الاستفهام تفخيماً لشأن الحديث كما تقول لمخاطبك: هل بلغك كذا و كذا وأنت تعلم أنّه لم يبلغه توجيهاً لانظاره حتّى يصغي إليه ويهتمّ بأمره فلو جاء على صورة الخبر لما كان له من الروعة و الجلال كما يكون عليه بصورة الاستفهام، وتنبيهاً إلى أنّ رسول الله ﷺ لم يعلم به إلا بطريق الوحي.

وفي تخصيص إبراهيم بالذكر من بين الانبياء لكونه شيخ المرسلين ولانّ العرب تجلّه و تحترمه وتدعي انّهم على دينه ولكون رسول الله ﷺ على سننه و ملّته.

«ضيف» بمعنى ضيوف من قبيل إطلاق الفرد على الجمع كقوله تعالى حكاية عن لوط مخاطباً لقومه: «انّ هؤلاء ضيفي فلا تفضحون» الحجر: ٦٨) فأشار اليهم بالجمع كما وصفوا هنا بصفة الجمع «المكرمين».

٢٥ ـ **(اذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال سلام قوم منكرون)**

الظرف لتقييد الحديث أو الخبر الذى يورده الله تعالى على النبيّ الكريم ﷺ فيما كان بين الملائكة وبين إبراهيم على هذا الوقت الّذى دخلوا عليه فيه، فقالوا لابراهيم هذه الكلمة «سلاماً» ايذاناً بأنّهم بعثوا إليه أمناً وسلاماً ولا يريدون به

سوءاً فرد" إبراهيم على ضيفه إذقال سلام تجاه تحيّتهم الموجزة الخاطفة .

٢٦ - (فراغ الى أهله فجاء بعجل سمين)

بيان أدب أخلاقي" اذ ذهب إبراهيم الى أهله في خفية من غير أن يكاشف ضيفه بما يريد من اكرامهم واعداد الطعام لهم ومن أدب المضيف أن يختفي أمره وأن يباده بالقرى من دون أن يشعر به الضيف حذراً من أن يكفّه .

الفاء الثانية فصيحة تفصح عن جمل قد حذفت لدلالة الحال عليها وايذان بكمال سرعة المجيىء بالطعام أي فذبح عجلافحنذه فجاء به. وإنّما جاء بعجل لأنّ عامّة مال ابراهيم عليه السلام البقر .

٢٧ - (فقربه اليهم قال ألا تأكلون)

وفي الاية من الايجاز مالا يخفى أي فقرّ به اليهم فلم يمدّوا أيديهم إليه و لم يقبلوا على الأكل منه كما هوشأن الضّيف حين يقدّم إليه الطعام فلما راى ذلك منهم نكرهم وأوجس منهم خيفة فحرّضهم وقال : ألاتأكلون .

٣٠ - (قالوا كذلك قال ربك انه هو الحكيم العليم)

اشارة الى ما بشّروها به بما لها ولزوجها وهي عجوزعقيم وبعلها شيخ كبير. وتعليل لما أراد الله تعالى بذلك .

٣١ - (قال فما خطبكم ايها المرسلون)

و في نداء ابراهيم عليه السلام للملائكة باسم المرسلين لا باسم الملائكة اشارة الى أنّهم ليسوا مجرد ملائكة عابرين به بل انّهم محمّلون برسالة من رب" العالمين فهو يسئلهم عن محتوى ما أرسلوا به اليه ..

٣٢ - (قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين)

بيان لاستحقاق القوم بالعذاب وهو الاجرام .

٣٣ ـ (لنرسل عليهم حجارة من طين)

تعليل وتقرير للسبب الّذى من أجله ارسلوا الى القوم المجرمين ، و فى وصف الحجارة بأنّها من طين إشارة إلى أنّ هذا الطين اللين الرخو يفعل بقدرة الله تعالى فعل الحجارة الصلدة فيهلك ويدمّر و كأنّه الصّواعق المنقضّة من السّماء.

٣٤ ـ (مسومة عند ربك للمسرفين)

فى الاية استعارة و ذلك انّ المسوّمة : المعلمة وأصل ذلك مستعمل فى تسويم الخيل فى الحرب أى تعليمها بعلامات تميزها من خيل العدوّ فشبهت هذه الحجارة بها لانهّا معلمة بعلامات تدلّ على مكروه المصابين وضرر المعاقبين كما كانت للخيل المسوّمة دالة على ذلك فى لقاء الاعداء وإرسال هذه للعراك كارسال تلك للهلاك .

وقيل : التسويم فى تلك الحجارة هو أن تجعل نكتة سوداء فى حجر أبيض ونكتة بيضاء فى حجر أسود .

و المراد من «عند ربك» انّ الله تعالى خلقها كذلك فقدّرها وهيّئها كذلك من غير أن يفعلها فاعل أو يجعلها جاعل فلاجل هذه الحال وجب أن يجعل لها هذا الاختصاص بقوله : «عند ربّك» وقيل : انها مسوّمة فى سلطان الله و ملكوته أو فى موضع العقاب المعدّ للمذنبين من خلقه كما يشعر بذلك قوله :«للمسرفين» وفى وصف «ربّ» انباء على أن هذا من شئون التربيّة .

٣٥ ـ (فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين)

حكاية من الله تعالى على قوم لوط عليه السلام بطريق الاجمال بعد حكاية ما جرى بين الملائكة وبين إبراهيم عليه السلام من الكلام والفاء فصيحة تفصح عن جمل قد حذفت ثقة بذكرها فى مواضع اخر كأنّه قيل : فباشروا ما أمروا به فاخرجنا .

و فى الاية إشعار بأنّ العذاب لاينزل الاّ بالاستحقاق لاخراج المؤمنين الّذين لايستحقّون العذاب عند نزوله وبأنّ القرية لايعذّب أهلها مادام فيها مؤمن .

٣٦ - (فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين)

تقرير لمن استحقّ السلامة والنجاة من هذا البلاء الاتي على أهل القرية بسبب اسلامهم وهو بيت لوط عليه السلام ومن آمن من اهله .

٣٧ - (وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الاليم)

الترك كناية عن الابقاء وفيها اشارة الى اهلاك المجرمين وجعل أرضهم عاليها سافلها وابقاء الاثار الواضحة من الدّمار والهلاك الّذى حلّ بالقرية وبأهلها الدالة على توحيد الربوبيّة وبطلان الشركاء وعلى تبعة الكفر والعصيان .

٣٩ - (فتولى بركنه وقال ساحر أو مجنون)

الركن كناية عن الجنود لانّهم كانوا كالركن له وقد يسمى أعوان المرء وانصاره أركانه وأعوانه اذ كان بهم يصول واليهم يؤول أو كناية عن قوّته و سلطانه فان ذلك كالركن له والمانع منه وفى قوله : «ساحر أو مجنون» دلالة على تردد فرعون فى الحكم الّذى يحكم به على موسى عليه السلام ولم يكن له به علم .

٤٠ - (فأخذناه وجنوده فنبذناه فى اليم وهو مليم)

فى الاية دلالة على غاية عظم شأن القدرة الربانيّة وهو الاخذ ونهاية هوان أمر فرعون وجنوده وقمأة فرعون وقومه وقوله تعالى : «وهو مليم» جملة حاليّة تصف الحال الّتى كان عليها فرعون حين نبذ هو وجنوده فى اليمّ وفى افراد الضمير اشارة الى أنّه هو وحده سبب ذلك وهو قادتهم فى الاهلاك و داعيتهم الى الضلال فتبعه قومه وخاصّة حواشيه .

٤١ - (وفى عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم)

فى ختامها استعارة حيث امتنعت من أن تأتى بفائدة مطلوبة من فوائد الرياح كتشئة سحاب أو تلقيح شجر أو تذرية طعام أو نفع حيوان أو تصفية هواء كالمرأة الّتى لايرجى ولدها ولاينمى عددها بل كان أثرها الاهلاك والدّمار .

٤٢ ـ (ما تذر من شيء اتت عليه الا جعلته كالرميم)

بيان لعقم الرّيح واعقامها حيث انّها لاتترك شيئاً تمرّ عليه الادمرته وحطمته فيتحوّل الى يكان بال متفتّت .

٤٥ ـ ٤٣ (وفى ثمود ـ وماكانوا منتصرين)

عطف حدث على حدث وقصة على قصة وفيها تقرير لسبب أخذهم بالصّاعقة وبيان حالهم.

٤٦ ـ (وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوماً فاسقين)

فى ختامها تعليل وتقرير كما استحقوا به الاهلاك والغرق .

٤٧ ـ (والسماء بنيناها بايد وانا لموسعون)

رجوع الى السّياق السّابق فى قوله تعالى : « وفى الارض آيات للموقنين» بصدد بيان توحيد الرّبوبيّة و فى ايثار صيغ الجمع لانّها أدلّ على الوحدانية فى التصرف والاستقلال وفى ختامها اشارة الى امتداد السّماء واتساعها .

٤٨ ـ (والارض فرشناها فنعم الماهدون)

ثناء من الله تعالى من ذاته على ذاته والجملة فى معنى : انّ الله تعالى يفعل ذالك على أحسن وجه نظير قوله تعالى: «فتبارك الله أحسن الخالقين» المؤمنون:١٤).

٤٩ ـ (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون)

فى الايات الثلاث لفت لنظر السامعين الى بعض مشاهد قدرة الله تعالى وأفضاله فهو الّذى رفع السماء وبناها بقوّته وهو الّذى بسط الارض ومهدها على أحسن وجه وهو الّذى خلق من كلّ شيء زوجين ليتمّ التماثل والتناسب فى ملكوت الله تعالى فهو ذوالقدرة الشاملة الواسعة ولنعم الصنع صنعه والتمهيد تمهيده وأنّ فى كل هذا التذكرة من شأنها أن تدعو السّامعين الى التدبّر فى عظمة الله تعالى وآلائه والاعتراف بها .

٥٠ ـ (ففروا الى الله انى لكم منه نذير مبين)

مقدّر لقول خوطب به الرسول ﷺ بطريق التلوين و كناية عن الامر بالطاعة والايمان لانّه أمنه من العقاب كأنّه فرّ لمأمنه فهو استعارة تمثيليّة .

وفى الدّعوة بالفرار الى الله تعالى اشارة الى أنّ هناك خطراً يتهدد الانسان اذا هو خرج عن امر ربه وحاد عن الصراط المستقيم..انه حينئذ يقع تحت يد الشيطان وسلطانه ويفترسه كما يفترس الذئب ضالة الغنم .

وفى الفاء إحتمالان: أحدهما ـ : لترتيب الامر على ما حكى من آثار غضبه الموجبة للفرار منها ومن أحكام رحمته المستدعية للفرار اليها فكأنّه قيل : قل: يا ايها النبى ﷺ لهم: اذا كان الامر كذلك فاهربوا الى الله تعالى الذى هذه شؤونه بالايمان والطاعة كى تنجوا من عقابه وتفوزوا بثوابه .

ثانيهما ـ : للعطف على جملة مقدّرة مترتبة على قوله تعالى : «لعلكم تذكرون» كأنّه قيل: قل يا أيّها الرّسول ﷺ لهم : فتذكروا ففرّوا الى الله تعالى وقوله : «انّى لكم منه نذير مبين» تعليل للامر بالفرار اليه جلّ وعلا أو لوجوب الامتثال به وانّ ذلك ليس من تلقاء نفسى ، و قوله : «انى لكم منه نذير مبين» بيان من الرسول ﷺ يدعو الناس الى الله وان يعجلوا بالفرار اليه جل وعلا وتلك الدعوة ليست من عنده وأنما هو رسول الله بها اليهم ... انه نذير مبين من الله اليهم يبين لهم بما معه من كلمات ربه طريق الهدى وينذرهم من عذاب الله اذا هم خرجوا عن هذا الطريق وركبوا طريق الضلال .

٥١ ـ (ولا تجعلوا مع الله الها اخرانى لكم منه نذير مبين)

نهى موجب للفرار من سبب العقاب بعد الامر بالفرار من نفسه كما يشعر به قوله : «انى لكم منه نذير مبين» فكأنّه قيل: وفرّوا من أن تجعلوا معه سبحانه اعتقاداً أو قولا أو عملا الهاً آخر وفيه تأكيد لما قبله من الامر بالفرار من العقاب اليه تعالى على سبيل النّهى عن سببه وايجاب الفرار منه ، والاية محكيّة عن لسان النبى ﷺ كسابقتها .

٥٢ ـ كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أومجنون)

قوله تعالى: «كذلك» كالتخليص لما تقدّم من انكارهم للبعث واختلافهم في القول واشراكهم بالله سبحانه، وقوله تعالى: «ما أتى الّذين من قبلهم» الخ بيان للمشبه بأن حالهم تلك شبيهة بحال أهل الضلال والشرك من قبلهم الذين لم يأتهم رسول من رسل الله يدعوهم الى التوحيد الا تلقوه بهذه المقولة الآثمة: «ساحر أو مجنون» وقد قالها من قبل فرعون، وفي هذا عزاء للنبيّ الكريم ﷺ ووعيد للمشركين بأن يلقوا المصير الّذى لقيه المكذّبون برسل الله من قبلهم.

٥٣ ـ (اتواصوا به بل هم قوم طاغون)

انكار وتعجيب من حالهم واجماعهم على تلك الكلمة الشنيعة التي لاتكادتخطر ببال أحد من العقلاء فضلا عن التفوّه بها أى أوصى بهذا القول الشنيع بعضهم بعضاً حتّى اتّفقوا عليه «بل هم قوم طاغون» اضراب عن كون مدار اتّفاقهم على الشّر تواصيهم بذلك واثبات لكونه أمراً أقبح من التواصى وأشنع منه وهو الطغيان، وهو منشأ جميع الفساد والشرور.

٥٤ ـ (فتول عنهم فما انت بملوم)

تفريع على إستكبارهم وتوبيخ على إصرارهم على العناد واللجاج، فلا يعني الكف عن دعوتهم وإنذارهم وهذه مهمّته والاية التالية إستدركت هذه وامرته ﷺ بالاستمرار في التذكير.

٥٥ ـ (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين)

تفريع على الامر بالتولى عنهم فهو امر بالتذكير بعد النّهى عن الجدال معهم وفى ختامها تنويه بالمؤمنين وذوى النّيّات الحسنة والرغبة الصادقة فهم الذين ينتفعون بالتذكيروالارشاد، وفيها تلقين جليل مستمر المدى لدعاة الاصلاح والمرشدين فعليهم أن يستمرّوا فى الدعوة ولاييأسوا من بطء إستجابة الناس لدعوتهم وانّ دعوتهم لمؤثّرة نافعة حتماً ذوى النفوس الطيّبة والقلوب الصافية

والنوايا السليمة .

٥٦ ـ (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون)

مستأنف مؤكّد للامر مقرّر لمضمون تعليله فانّ كون خلقهم مغياً بعبادتهم لله تعالى ممّا يدعوهم إليه الرّسول ﷺ إلى تذكيرهم الّذى يوجب عليهم التذكّر والاتّعاظ .

وفى الاية إلتفات من سياق التكلّم بالغير إلى التكلّم وحده ولعلّ الوجه فى ذلك انّ الافعال المذكورة سابقاً المنسوبة إلى الله تعالى كالخلق وإرسال الرّسل وإنزال العذاب كلّ ذلك ممّا يقبل توسيط الوسائط كالملائكة وسائر الاسباب بخلاف الغرض من الخلق والايجاد فانّه أمر يختّص بالله جل وعلا لايشاركه فيه أحد .

ولعلّ تقديم خلق الجن فى الذّكر لتقدّمه على خلق الانس فى الوجود .

قال الله تعالى : «ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حماءٍ مسنون والجانّ خلقناه من قبل من نار السّموم» الحجر : ٢٦ ـ ٢٧).

وقيل : وجه تقديم ذكر الجنّ هو انّ العبادة سرية وجهرية وللسّرية فضل على الجهرية وعبادة الجن سرية لايدخلها الرياء وعبادة الانس جهرية يدخلها الرياء .

وفى إختصاص الجنّ والانس من بين المخلوقات بالذكر إشارة إلى انّهما هما المخلوقان اللذان لهما إرادة عاملة ، وهما بهذه الارادة يعملان فيؤمنان أو يكفران ، ويطيعان أو يعصيان ، ومن هنا وقع عليهما التكليف وحقّ عليهما الحساب والجزاء بما يعملان من خير أو شر .

٥٧ ـ (ما اريد منهم من رزق وأريد ان يطعمون)

هذا بيان لكون شأنه جلّ وعلا مع عباده متعالياً عن أن يكون كشأن السادة مع عبيدهم ، حيث يملكونهم ليستعينوا بهم فى تحصيل معايشهم وتهيئة أرزاقهم.

٥٨ ـ (ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين)

تعليل لقوله تعالى : «ما اريد منهم» الخ وتلويح بأنّه جلّ وعلا غنى عنهم والالتفات من التكلم وحده إلى الغيبة لانهاء التعليل إلى إسم الجلالة الّذى منه يبتدىء كل شيء وإليا يرجع ، كأنّه قال : ما اريد منهم رزقا لانّى أنا الرّزاق لانّى أنا الله تعالى .

وصيغة المبالغة «الرزّاق» باعتبار كثرة المرزوقين تلازم كثرة الرزق ، وفى وصف « الله » أو « الرزاق » بالصّفتين « ذو القوّة المتين » تنبيه على عدم عروض العجز والضعف بسبب كثرة المرزوقين ولا بكثرة الرزق وإيصالها إليهم .

٥٩ ـ (فان للذين ظلموا ذنوباً مثل ذنوب أصحابهم فلا تستعجلون)

تفريع على مصائر المنكرين للبعث ونتيجة لما صاروا إليه وما يؤل إليه أمرهم، وهم الذين أوقعوا بأنفسهم ظلماً قادحاً يتجرّعون منه كؤوس البلاء والعذاب وتهديد لهم بأنّ الّذى كانوا يستعجلونه من العذاب إستخفافاً به وتكذيباً له هو واقع بهم لامحالة يوم لايجدون لهم ولياً ولا نصيراً ، وفى ختامها إلتفات من الغيبة إلى التكلّم وحده ، مع الفاء لترتيب النّهى عن الاستعجال على ذلك .

٦٠ ـ (فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون)

الفاء لترتيب ثبوت الويل لهم لما ظلموا وفي وضع الموصول موضع ضميرهم تسجيل عليهم بما فى حيز الصّلة من الكفر واشعار بعلة الحكم وفى تبديل الظلم بالكفر تنبيه على أنّ المراد من الظلم فى الاية السابقة هو ظلم الكفر .

والايتان الاخيرتان خاتمة لايات السّورة والسّياق وإنذاراً قويّاً للكفار وعوداً على مابدأت ودارت عليه السورة من الغرض.

﴿الاعجاز﴾

إن السورة التي تقرأها اشير فيها إلى ستّ قصص من قصص الانبياء على سبيل الاجمال :

ومن وجوه الاعجاز القرآنيّ هو إخبار القرون السالفة ، والامم البائدة والشرائع الدائرة ممّا كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلاّ الفذ من أحبار اهل الكتاب الّذى قطع عمره فى تعلّم ذلك ، مع اختلاط غثّها بسمينها ، فأوردها القرآن الكريم على وجهها وأتى بها على نصّها يعترف العالم منهم بصحّتها وصدقها وإن مثلها لم ينلها بتعليم .

وقد علموا أنّ محمّداً رسول الله الاعظم ﷺ كان اميّاً لا يقرأ ولا يكتب ولا اشتغل بمدارس ولا بتعلّم من أحد ، وهو كان غير غائب عنهم ولا جهل حاله أحد منهم .

وإنما جائت هذه القصص في استعراض خطّ سير الدعوة الاسلاميّة لرسم معالم الطريق فى خطّ الحركة بهذه العقيدة على مدار القرون .. ليس فقط فى ماضيها التاريخيّ بل يكون فى مستقبلها الى آخر الزّمان ، و ليس للجماعة المسلمة الاولى فقط الّتى تلقّت هذا القرآن أوّل مرّة أو مرة بعد اخرى ، وتحرّكت به فى وجه الجاهلية يومذاك

وانّما كان كذلك فى كل جماعة مسلمة تواجه به الجاهلية الى آخر الزمان وهذا ما يجعل هذا القرآن كتاب الدعوة الاسلامية الخالد ودليلها فى الحركة فى كل حين فتقف أمام الّدعوة الواحدة الخالدة على لسان كلّ رسول ولسان كل نبي

في كل رسالة ونبوّة..

دعوة توحيد العبادة والعبوديّة لله تعالى ودعوة البعث والجزاء والايمان به، فالعبادة لله وحده في كلّ شأن من شئون الدنيا والاخرة، والدينونة لله وحده في أمره كلّه وخلع الدينونة لغير الله من عنقه في كل أمره، فيدعو الناس الى توحيد الالوهيّة وتوحيد الرّبوبية وتوحيد القوامة وتوحيد الحاكمية وتوحيد مصدر الشريعة وتوحيدمنهج الحياة وتوحيد الجهةالّتي يدين لها النّاس الدينونة الشاملة.

وانّ أصحاب الدّعوة الى الله تعالى من الانبياء و المرسلين عليهم السّلام في كل مكان وفي كلّ زمان في حاجة الى أن يقفوا طويلا أمام هذا المشهد الباهر.. ولم يؤمن بهم إلا قليل فكانوا جميعهم مواجهين على أعتى أهل الارض وأغنى أهل الارض وأكثر أهل الارض حضارة ماديّة في زمانهم.

قال الله تعالى: «و في موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين فتولّى بركنه وقال ساحرأو مجنون ـ وفي ثمود إذقيل لهم تمتّعوا حتّى حين فعتواعن أمر ربهم» الذاريات: ٣٨ ـ ٤٤).

فالعتاة المجبرة هم الّذين يبطشون بلارحمة و يصدّون النّاس عن الحق ويكفرون باللهتعالى ويكذبون آياته ويفترون برسله وينكرون البعث و الحساب والجزاء، هم الّذين يمتحنهمالله تعالى بالنعمة والمال والقوّة والبنين والقدرةعلى التصنيع والتعدين لالمطلق العطاء وهم غافلون عن قدرته جلّ وعلا بأنّه قادر أن يذهب بهم ويستخلف غيرهم اذا شاء وهم لايضرّونه شيئاً ولايردون له قضاء و هو يعطي حيناً ويسلب حيناً آخر...

و من ثم لايقفون ولا يسكنون في دعوتهم النّاس إلى الله تعالى أمام قوى الجاهلية الطاغيّة من حولهم أمام القوّة المادية وقوة الصناعة وقوة المال و قوة الانظمه والاجهزة والتجارب والخبرات، لانّهم حزب الله تعالى لايعتمدون على غيره ولايجدون لهم ناصراً سواه، ويعلمون أنّه جلّ وعلا وليّهم وناصرهم وكافيهم ومعينهم، فهو يعزّ الاولياء ويذلّ الاعداء..

ومن غير خفاء انّ لكل قصّة أثراً نفسياً في قلوب سامعيها و تنبئهم عن أخبار الانبياء والرسل عليهم السلام وما حصل لهم و كيف قاموا بدعوتهم و كيف عالجوا أزمّاتهم وما انتهى اليه أمرهم ...

ففي الواقع القصّة بما هي حقيقتها مدرسة الهيّة معلموها الانبياء وتلاميذها الامم ، تبيّن فيها الاغراض الالهيّة من التوحيد والنبوة والمعاد والتشريع للفرد والجماعة والامة ...

ولقد سيقت للعبرة والعظة حيث يقف المسلمون و المشركون على أحوال من تقدّمهم من الامم فيعتبروا لو تدبّروا ويتعظ بها ذوالالباب وفيها التسلية الكاملة للنبي ﷺ وأصحابه وأمته حيث يقفون على اخبار الرسل وأممهم و كيف كانت العاقبة لاهل التّقوى واليقين والدائرة على الكافرين والمعاندين وفيها تثبيت لهم وشحذ لعزائمهم .

وقد سيقت القصّة دليلا على صدق الرسول ﷺ وانّ خبره من السماء اذ هو يقصّ أخباراً ماكان يعلمها هو ولا أحد من قومه ولايكون هذا الاّ بوحي من السماء «تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولاقومك من قبل هذا فاصبر انّ العاقبة للمتقين» هود : ٤٩) .

«و كلاّ نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبّت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين» هود : ١٢٠) .

وهي علاج للقلوب ودواء للنفوس، لمافيهامن أخبارالامم وما حلّ بالمجرمين والفجار والكافرين من عاجل بأس الله تعالى فأهل اليقين وغيرهم إذا تلوها ترى لهم من ملكه و سلطانه و عظمته و جبروته و قدرته حيث يبطش بأعدائه ما تذهل منه النفوس و تشيب منه الرؤوس ، وفيها أحسن الدروس وأقوى الامثال التّي تضرب لتحمل الدعاة والقائدين ففيها فوائد :

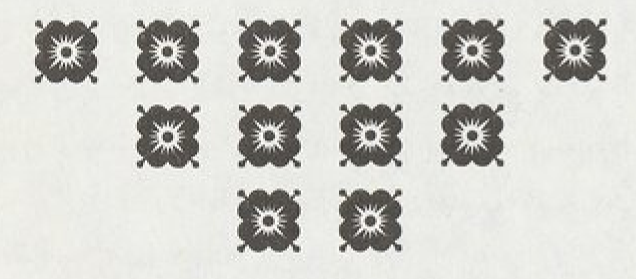
منها : لايمكن لكلّ واحد من الانسان على الاطلاق الاستدلال بالادلّة العقليّة في الاصول و الفروع ، فتذكر القصص الّتي هي كالموصل إلى الدلائل

العقلية الى العقول ...

منها : يبيّن فى ضمن القصص أنواع الدلائل الّتى يستدلّون بهاالانبياء عليهم السلام لاثبات المعارف والحقائق مع بيان شبهات الكفّار ، ثم الرّد عليهم ، ثم اصرار الكفّار واستكبارهم ، ثمّ بيان عاقبة أمرهم وعذابهم فى الدنيا والاخرة، فكان ذكر هذه القصص سبباً لايصال الدلائل و الاجوبة عن الشبهات الى قلوب المنكرين و سبباً لازالة القسوة والغلظة عن قلوبهم لايمكن ذلك ببيان الادلّة العقليّة الجافّة من غير قصّة تبين فى ضمنها هذه المعارف ...

منها : كان ذكر هذه القصص من غير مطالعة كتب ولا تلمذ لاحد مضافاً عمّا يبين الحقائق ويخالف بعض المحرفات للكتب المحرفة معجزة عظيمة تدلّ على صحّة النبوة .

منها : لتليين القلوب و تخضيع النّفوس و إزالة العناد و العداوة و ايجاد الخوف على الكفّار لانهم اذا استمعوا هذه القصص يتقرّر عندهم عاقبة أمر المؤمن ومآل أمر الكافر .



﴿ التكرار ﴾

سورتان يشتمل كلّ واحدة منهما بستين آية : إحداهما ـ : سورة الروم . ثانيهما ـ سورة الذاريات .

وأشير فى هذه السّورة الى ستّ قصص من قصص الانبياء عليهم السلام وأممهم على سبيل الاجمال : ١ـ قصّة ابراهيم عليه السلام وضيفه ٢ـ قصّة هلاك قوم لوط عليه السلام ٣ـ قصّة موسى عليه السلام و اعراض فرعون وذبذبته و هلاكه ٤ـ قصّة عاد ودمارهم . ٥ـ قصّة ثمود وعتوّهم و هلاكهم ٦ـ : قصّة نوح عليه السلام وفسق قومه . كلّ ذلك مماساً لما تدور عليه السّورة من الغرض ونشير فى المقام الى صيغ خمس عشرة لغة ـ أوردنا معانيها اللغويّة على سبيل الاستقصاء فى بحث اللغة ـ الصيغ التى جاءت فى هذه السورة وفى غيرها من السّور القرآنيّة :

١ـ : جاءت كلمة (الذرو) على صيغها فى القرآن الكريم نحو ثلاث مرّات: أحدها ـ : الكهف: ٤٥) ثانيها وثالثها ـ : الذاريات : ١).

٢ـ : جائت كلمة (الوقر) على صيغها فيه نحو : تسع مرّات :

٣ـ : جاءت كلمة (الحبك) بلفظها فيه مرّة واحدة : الذاريات : ٧)

٤ـ : جائت كلمة (الخرص) بصيغها فيه نحو خمس مرّات : ١ـ٢ـ الانعام: ١١٦ ـ ١٤٨) ٣ـ يونس : ٦٦) ٤ـ الزخرف : ٢٠) ٥ـ الذاريات : ١٠)

٥ـ جاءت كلمة (الغمرة) بصيغى الجمع والافراد فيه أربع مرّات : ١ ـ : الذاريات : ١١) ٢ـ٣ـ المؤمنون : ٥٤ ـ ٦٣) ٤ـ الانعام : ٩٣)

٦ـ جاءت كلمة (الهجع) فيه بصيغة واحدة : الذاريات : ١٧)

٧ـ جاءت كلمة (الروغ) فيه بصيغة ثلاث مرات: ١ـ٢ـ : الصافات: ٩١ـ٩٣)
٣ـ : الذاريات : ٢٦)

٨ـ جاءت كلمة (الوجس) فيه بصيغة ثلاث مرّات: ١ـ هود : ٧٠) ٢ـ طه: ٦٧) ٣ـ : الذاريات : ٢٨)

٩ـ جاءت كلمة (الصك) بصيغة واحدة : الذاريات : ٢٩)

١٠ـ جاءت كلمة (العقم) بصيغة فيه أربع مرّات : ١ـ٢ـ الذاريات : ٢٩ ـ ٤١) ٣ـ الحج : ٥٥) ٤ـ الشورى ٥٠)

١١ـ جاءت كلمة (الرميم) بصيغة فيه مرّتين : ١ ـ الذاريات : ٤٢) ٢ ـ يس : ٧٨)

١٢ـ جاءت كلمة (الزوج) بصيغها فيه نحو : ٨١ مرّة .

١٣ـ جاءت كلمة (الرزق) بصيغها فيه نحو : ١٢٣ مرّة .

١٤ـ جاءت كلمة (القوّة) بصيغها فيه نحو : ٤٢ مرّة .

١٥ـ جاءت كلمة (المتن) بصيغة فيه ثلاث مرّات : ١ـ الاعراف : ١٨٣) ٢ـ الذاريات : ٥٨) ٣ـ القلم : ٤٥)

والوجه فى تكرير قوله تعالى بلسان النبى الكريم ﷺ : « انى لكم منه نذير مبين » انّ الاول انذار لترك الامر بالفرار الى الله تعالى والثانى انذار لارتكاب النهى فمن أخذ الامر وترك النهى فقد نجى .

« التنـاسب »

انّ البحث فى المقام على جهات ثلاث :

أحدها - : التناسب بين هذه السّورة وما قبلها نزولا .

ثانيها - : التناسب بينها وسابقتها مصحفاً .

ثالثها - : التناسب بين آيات هذه السّورة نفسها .

اماالاولى : فانّ هذه السورة نزلت بعد سورة الاحقاف ولمّا جاءت فيها حكاية مواقف الكفّار و أقوالهم حينما كانت تتلى عليهم آيات الله الواضحة حيث كانوا يقولون : انّ ما احتوته من اخبار البعث والحساب والجزاء الاخروى و غير ذلك من أمورهو سحر أوحيث كانوا يتّهمون النبى الكريم صلى الله عليه وآله باقتراء القرآن ونسبته الى الله كذباً .

وفيها صور من الجدل والمناظرة بينهم وبين النبىّ صلى الله عليه وآله وردود تنديديّة وحجج مفحمة فى سياقها وانذار للكافرين وتطمين للمؤمنين بمصائر كل منهم يوم القيامة واستشهاد على صحة الدعوة المحمديّة وصدق القرآن الكريم بالتّوراة وموسى واسلام بعض بنى اسرائيل وتنويه بالابناء الصّالحين وتنديد بالعاقين وتذكير بماكان من أمر عاد ورسولهم وهلاكهم وحكاية لاستماع جماعة من الجن للقرآن وتأثّرهم به وتدليل على قدرة الله جلّ وعلا على بعث الموتى .

جاء فى هـذه السّورة توكيد كون ما يوعد به النّاس من البعث والحساب والجزاء وانّه وعد صادق وأمر واقع لامحالة بطريق اقسام ربّانية بمشاهد كون الله جل وعلا ونوامبسه وعظيم خلقه تذكيراً بعظمة خالق الكون وقدرته على تحقيق

ما أوعدالناس به مع حملة شديدة على المنكرين الجاحدين والتذكيربماكان عليه زعماء الكفّار من اعراض وحمل الناس على الانصراف والارتداد عن الدعوة ولكنه لابدّله ﷺ من التذكير وهذا مهمّته فانّه نافع لمن أراد الحق والهدى و رغب فى الايمان مع تقرير غرض خلق الجن والانس.

و اما الثانية: فمناسبة هذه السّورة لما قبلها مصحفاً بوجوه:

أحدها ـ: لمّا اشير فى السّورة السابقة إلى البعث والجزاء والجنّة والنّار إفتتحت هذه السّورة بالاقسام الرّبّانية بأنّ ماوعدوا من ذلك صدق وانّ الجزاء واقع لا محالة.

ثانيها ـ: لمّا ذكر فى السابقة موقف المشركين ومقولاتهم المنكرة للبعث ثم ختمت بتخلية النبىّ ﷺ بين المشركين المعاندين وبين ما ركبوا من ضلال جاءت هذه السّورة لتلقّى هؤلاء المشركين بحديث مجدّد عن البعث والحساب والجزاء.

ثالثها ـ: لمّا اشير فى السابقة إلى إهلاك كثير من القرون بسبب تكذيبهم وعيدالله جلّ وعلا على سبيل الاجمال اشير فى هذه السّورة إلى ما يمسّه غرضها.

رابعها ـ لمّا بيّن تعالى الحشر بدلائله اذ قال: «يوم تشقّق الارض عنهم سراعاً ذلك حشر علينا يسير» وكان المشركون يصرون على إنكارهم للبعث غاية الاصرارلم يبق إلاّ اليمين فجاءت السّورة مفتتحة بها.

خامسها ـ: لمّا ختمت السّابقة بالوعيد افتتحت هذه بتحقيق الوعيد بطريق الخلف واليمن.

وأما الثالثة: فمناسبة إفتتاح السّورة بالقسم لانّ المتكلم إذا بدأ كلامه بالقسم علم السامع انّ ههنا كلاماً عظيماً يجب أن يصغى إليه فاذا وجّه همّه لسماعه خرج له الدليل والبرهان المتين فى صورة اليمين ولمّا كان المشركون يصرّون على إنكار البعث فلابد وأن يجعلهم الله تعالى على أن يصغوا ما يجيىء بهم من تحقيق البعث والحساب والجزاء.

ووجه مناسبة إفتتاحها بالاقسام بالرياح وفي عقيبها بالسماء ذات الحبك وفي إثرها برب السماء والارض فكلها دلائل على قدرة الله تعالى أخرجها في صورة اليمين لما يشاهدون من آثارها ونفعها العظيم لهم .

ثم جاء بجواب إخباراً بان ما يوعد به الناس من البعث صادق لا ريب فيه وان الحساب والجزاء واقع لا محالة ، وليست اخبار الله تعالى - وهي الحق المطلق - تحتاج إلى توكيد تحقيقها بقسم ولكن أهل الضلال والعناد يشكون في نسبة هذه الاخبار إلى الله تعالى وتقريراً لموقف السامعين للقرآن الكريم ووقوعهم في إختلاف وإرتباك في شأن القرآن والدعوة والنذر الربانية والبعث وانهم بسبب ذلك رغبوا عن الحق والهدى .

ثم التفت إلى الذين هم ضاربون في الظن والتخمين متعامون عن الحقيقة وتدبرها إلتفاتاً فيه تنديد وتقريع يتمثلان في لفظ «قتل» فهم ساهون في غمرة الجهالة عن فهم الحق وإدراك الحقيقة ويظلون يسئلون سئوال شك وإنكار عن موعدهم الذي يوعدون به ثم انتقل الى توكيد الامر: فلسوف يأتي الموعد ويلقون فيه ما كانوا يستعجلون به .

ثم أشار الى مصير المتقين في الاخرة جزاء بما كانوا يفعلون في الحياة الدنيا ثم أخذ بلفت نظر السامعين الى ما في الارض من مشاهد والى ما في تكوين الانسان الجسماني ، والعقلي والى السماء وما فيها من أسباب رزق الناس وحياتهم تقوم براهين قاطعة على وجود الله تعالى وعظمته وصحة ما ينذر به نبيه وقدرته عليه وانه حق لا يصح الارتياب فيه ومثله مثل حاسة النطق في الناس التي لا يصح الارتياب فيها .

ثم أشار الى ست قصص من قصص الانبياء عليهم السلام ومصائر أممهم حسب ما اقتضته حكمة التنزيل لحمل السامعين على الارعواء والاتعاظ ثم أخذ بلفت نظر السامعين الى بعض مشاهد قدرة الله تعالى وأفضاله ، وفي كل ذلك لتذكرة من شأنها أن تدعو السامعين الى التدبر في عظمة الله جل وعلا وقدرته ، فاذاً

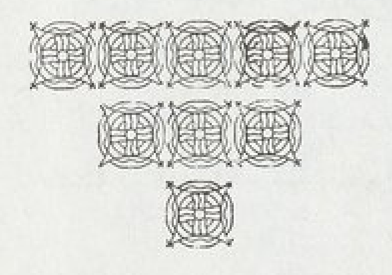
هتفهم بلسان نبيّه ﷺ : أن سارعوا والحالة هذه الى الله وفرّوا من غضبه والمصير الرهيب الّذى يستحقّه الجاحدون وأن لا تدعوا مع الله الهاً آخر.

فجاءت الايات الخمس عقيب الفصل القصصى لتكون نتيجة له ومقرّرة بأنّ النبىّ الكريم ﷺ إنّما بعث كما بعث الانبياء وأنّ ما يدعوا اليه هو ما دعوا اليه ومنذرة بمصير الجاحدين من الامم السابقة . . .

ثم أشار الى موقف الكفّار فى قولهم للنبىّ ﷺ انّه ساحر أو مجنون انّما يفعلون كما كان يفعل الّذين من قبلهم حيث كانوا يقولون لكلّ رسول أتى اليهم مثل ذلك وكانوا يتواصى بعضهم بعضاً ليقولوا قولا واحداً .

ثم أمر نبيه ﷺ بأن يعرض عنهم فلا يحمل نفسه همّاً بل عليه أن يستمر فى التذكير الّذى هو قصارى واجبه .

ثم ارجع ختام السورة الى مفتحها . فتدبّر واغتنم .



﴿ الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه ﴾

وقد وقع الاختلاف في نسخ قوله تعالى: « وفي أموالهم حق للسائل والمحروم » : ١٩).

ووجه الاختلاف: ان الحق الذي تشير اليه الاية الكريمة هل هو الزكاة المفروضة؟ أم هو فرض مالي آخر غيرها؟ او هو حق مندوب وليس بمفروض؟

فان كان الحق واجباً مالياً غير الزكاة فالاية منسوخة لامحالة لان فرض الزكاه نسخ كل صدقة واجبة في القرآن الكريم، وان كان الحق هو الزكاة نفسها أو كان حقاً مستحباً غير مفروض فالاية غير منسوخة.

وما يلهمنا ظاهر السياق حيث يصف المتقين المحسنين في تقواهم واحسانهم - انه بصدد بيان سيرتهم في جنب الله تعالى وهي قيام الليل والاستغفار بالاسحار وهما غير واجبين عليهم وسيرتهم في جنب الناس وهي ايتاء السائل والمحروم على أنهم يرون بصفاء فطرتهم ان في اموالهم حقاً لهما فيعملون بما يعملون نشراً للرحمة وايثاراً للحسنة.

ويؤيد ذلك ما ورد من الروايات الشريفة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في بيان المراد من الحق منها:

في الكافي باسناده عن سماعة بن مهران عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ان الله عزّ وجل فرض للفقراء في أموال الاغنياء فريضة لايحمدون الا بأدائها وهي الزكاة بها حقنوا دمائهم وبها سمّوا مسلمين ولكن الله عزوجل فرض في أموال الاغنياء حقوقاً غير الزكاة فقال عزوجل: « والذين في أموالهم حق معلوم ».

فالحق المعلوم من غير الزكاة وهو شيء يفرضه الرجل على نفسه في ماله

يجب عليه ان يفرضه على قدر طاقته وسعة ماله فيؤدى الّذى فرض على نفسه ان شاء في كل يوم وان شاء فى كل جمعة وان شاء فى كل شهر . الحديث .

وفيه : باسناده عن أبى بصير قال : كنّا عند أبى عبد الله عليه‌السلام ومعنا بعض أصحاب الاموال فذكروا الزكاة فقال أبو عبدالله عليه‌السلام : إنّ الزكاة ليس يحمد بها صاحبها وإنّما هو شيء ظاهر إنما حقن بها دمه وسمّى بها مسلماً ولو لم يؤدّها لم تقبل له صلاة .

وإن عليكم فى أموالكم غير الزكاة فقلت : أصاحك الله وما علينا فى أموالنا غير الزكاة ؟ فقال : سبحان الله أما تسمع الله عزوجلّ يقول فى كتابه: «والذين فى اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم» قال : قلت : ما ذا الحق المعلوم الذى علينا؟ قال : هو الشيء يعمله الرجل فى ماله يعطيه فى اليوم أو فى الجمعة أو فى الشهر قلّ أو كثر غير أنّه يدم عليه . الحديث .

وفيه : باسناده عن إسمعيل بن جابر عن أبى عبدالله عليه‌السلام فى قول الله عزّ وجل : «والذين فى اموالهم حق معلوم للسائل المحروم» .

أهوسوى الزكاة ؟ فقال : هو الرجل يؤتيه الله الثروة من المال فيخرج منه الالف والالفين والثلاثة الالاف والاقلّ والاكثر فيصل به رحمه ويحمل به الكلّ عن قومه .

وغيرها من الروايات الواردة فى ذلك وعلى هذا فلا نسخ فى الاية الكريمة قطعاً .

فى تفسير الجامع لاحكام القرآن : عن الضحاك انّه قال: قوله تعالى: «فتولّ عنهم فما أنت بملوم» الذاريات:٥٤) نسخ بقوله تعالى: «وذكّر فان الذكرى تنفع المؤمنين» الذاريات : ٥٥) .

اقول: ولايخفى على القارى الخبير انّ الاية الاولى تسلية وتحديد لمسؤولية النبيّ الكريم صلى‌الله‌عليه‌وآله: أى لست بمسئول عن التأثير والقبول وأمّا التذكير فذكّر فانك مسئول عنه والذكرى تنفع من ألقى السمع وهو شهيد كما دلّت الاية الثانية فكلّ من الايتين تذكر جانباً من مسئولية الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله سلباً وإيجاباً من غير

تصادم أصلا .

وقيل: نسخ بآية السيف ، ومن غير خفي أيضاً انّه لا تصادم بينهما أيضا أصلا .

وفي الناسخ و المنسوخ للسيد المرتضى رضوان الله تعالى عليه : نسخ قوله تعالى : «وما خلقت الجن والانس الاّ ليعبدون» بقوله تعالى: «ولا يزالون مختلفين الاّ من رحم ربك ولذلك خلقهم» أي للرحمة خلقهم .

اقول: لعلّ المراد بالنسخ هو البيان ورفع الابهام دون النسخ المصطلح و كثيراً ما ورد بهذا المعنى في كلامهم عليهم السلام كما يظهر من الايتين انّ الغرض الاعلى هو الرحمة الخاصّة المترتّبة على العبادة و هي السعاده الخاصّة بالمعرفة بناء على نزول قوله تعالى : « ولا يزالون» الخ بعد قوله تعالى : « وما خلقت الجن والانس» الخ .

و أمّا بناء على نزول العكس كما عليه ترتيب سورتي هود و الذاريات نزولا فالمعنى : انّ الله تعالى خلقهم للرحمة فأمرهم بالعبادة لينالوا بها بها . فتدبر و اغتنم .

وأما التشابه فلم اجد كلاماً من الباحثين يدل على ذلك، فظاهر آياتها محكمات.

﴿ تحقيق فى الاقوال ﴾

١ ـ (والذاريات ذروا)

فى الذاريات أقوال : ١ ـ عن إبن عباس و مجاهد : هى الرياح الّتى تذرو التراب وهشيم النبت والسحاب أى تفرّقها اقسم بها لما فيها من المنافع والوعيد .

١ـ قيل : على تقدير وربّ الذاريات .

٣ـ قيل : الذاريات : النساء الولودات لانّ فى ذرايتهنّ ذروالخلق لانّهن يذرين الاولاد فصرن ذاريات وأقسم بهنّ لما فى ترائبهنّ من خيرة عباده الصالحين وخصّ النساء بذلك دون الرجال وإن كان كل واحد منهما ذارياً لامرين: احدهما ـ لانّهن أوعية دون الرجال ولاجتماع الذروين فيهنّ .

ثانيهما ـ : انّ الذرو فيهن أطول زماناً وهنّ بالمباشرة أقرب عهداً ، فكأنه شبه تتابع الاولاد بما يتطاير من الرياح .

٤ـ قيل: هى الاسباب الّتى تذرى الخلائق على تشبيه الاسباب المعدة للبروز من العدم بالرياح المفرقة للحبوب ونحوها .

أقول: والاول هو المروى عن طريق أئمة أهل البيت عليهم السلام .

٢ ـ (فالحاملات وقرا)

فى الحاملات أقوال :

١ ـ قيل : هى الرياح الحاملة للسحاب .

٢ـ قيل : هى السفن الموقرة بالناس وامتعتهم .

٣ـ قيل : هى الحوامل من جميع الحيوانات .

٤ـ قيل : هى الاسباب الحاملة لمسبباتها مجازاً .

٥ـ قيل : هنّ النساء إذا ثقلن بالحمل .

٦ـ عن ابن عباس ومجاهد : هى السحائب الّتى يحملن ثقلا من الماء .

اقول: والاخير هوالمروى عن طريق ائمة اهل البيت عليهم السلام .

٣ ـ (فالجاريات يسرا)

فى الجاريات أقوال :

١ـ هى السحائب الّتى تجرى وتسيرالى حيث شاء الله تعالى من بلاد الى بلاد.

٢ـ قيل : هى الكواكب الّتى تجرى فى مدارها و منازلها إذ لكل حركة وإن اختلفت سرعة وبطأً .

٣ـ قيل : هـى الكواكب السبعة السيّارة ، و يقـال أخيـراً التسعة الّتى تسمّى بـالسيّارات .

٤ـ قيل : هى الرياح الّتى تجرى فى مهابها جرياً سهلا .

٥ـ عن ابن عباس ومجاهد: هىالسّفن الّتى تجرى فى البحار سهلا يسيراً .

أقول: والاخير هوالمـروى .

٤ ـ (فالمقسمات امرا)

فى المقسمات أقوال :

١ـ قيل : هى السّحب يقسّم الله تعالى بها أرزاق العباد ويمطر بها الامطار على أقطار الارض .

٢ـ قيل : هى الرياح الّتى تقسم السحب على الاقطار من الارض .

٣ـ قيل : هى الكواكب السيّارة .

٤ـ عن ابن‌عباس ومجاهد : هى الملائكة تنزل بأمرالله تعالى على من‌يشاء ، و عن الفراء : تأتى الملائكة بأمر مختلف من الخصب والجدب والمطر و المـوت والحوادث والخوارق .

أقول: والاخير هوالمروى أيضاً .

٥ـ (انما توعدون لصادق)

فى الموعود أقوال :

١ـ قيل : هو الجنّة .

٢ـ قيل : هو النّار .

٣ـ قيل : هو يوم البعث والحشر

٤ـ قيل : أى الثواب والعقاب والخير والشّر .

٥ـ قيل : أى يوم بدر .

٦ـ قيل : أى ما توعدون من أمر البعث والحساب والجزاء ، فالجنّة لاهلها والنّار لاصحابها .

أقول: ظاهرسياق عطف قوله تعالى : « وانّ الدين لواقع » على هذه الاية وظاهر سياق ختام هذة السورة « فويل للذين كفروا من يومهم الّذى يوعدون » وظاهر سياق ختام السورة السابقة مصحفاً إذ قال : « يوم تشقّق الارض عنهم سراعاً ذلك حشر علينا يسير » ق : ٤٤) تؤيّد الثالث من الاقوال .

٦ـ (وان الدين لواقع)

فىالدين قولان: أحدهما ـ : قيل: أى الجزاء . ثانيهما ـ : قيل: اىالحساب.

اقول: وعلىالاّول جمهور المفسّرين وهو المؤيّد بظاهرسياق قوله تعالى: « يوم هم على النّار يفتنون ذوقوا فتنتكم هذا الّذى كنتم به تستعجلون » الذاريات : ١٣ ـ ١٤)

٧ـ (والسماء ذات الحبك)

فى الاية أقوال :

١ـ قيل : اريد بالسماء ههنا السحب الّتى تظلّ الارض .

٢ـ عن عبد الله بن عمر : هى السماء السابعة .

٣- عن ابن عباس وقتادة ومجاهد والربيع: أى ذات الخلق الحسن المستوى.

٤- قيل: جعل الله تعالى فى كل سماء أرضاً.

٥- قيل أى جعل الله تعالى كل سماء أرضاً بالاضافة إلى ما فوقها وسماء بالاضافة إلى ماتحتها فيكون التعدد باعتبار تعدد سطحيها.

٦- عن عكرمة والحسن وسعيد بن جبير: أى ذات حسن وزينة بالنجوم قال تعالى: «انّا زينّا السماء الدنيا بزينة الكواكب» كما ان النساج إذا نسج الثوب أحسن حبكه. اريد بها مسير الكواكب فى مدارها أو نضدها على طرائق التزيين. وقيل: ذات النجوم.

٧- عن مجاهد: أى البنيان المتقن. وقيل: أى ذات الصفاقة وهى احكامها.

٨- قيل: اريد بالحبك: الطرق المجرة الّتى فى السماء سميت بذلك لانّها تأثر المجرّة.

٩- عن ابن زيد أى ذات الشدّة قال تعالى: «و بنينا فوقكم سبعاً شداداً» المحبوك: الشديد الخلق من الفرس وغيره.

١٠- عن الضحاك: أى ذات الطرائق.

اقول: والثالث والرابع والسادس والاخير هى المروية عن طريق ائمة اهل البيت عليهم السلام من غير تناف بينها وبين بعض الاقوال الاخر قيل: والاخير هو الاظهر لمناسبته بجواب القسم الّذى هو إختلاف الناس وتشتّت طراقهم كما انّ الاقسام السابقة: «والذاريات ذروا» الخ كانت مشتركة فى معنى الجرى والسير مناسبة لجوابها: «انما توعدون» الخ المتضمن لمعنى الرجوع إلى الله والسير إليه.

٨ - (انكم لفى قول مختلف)

فى الاية أقوال: ١ - قيل: ان الخطاب للسامعين من المسلمين الذين يقولون بالبعث والجزاء ومن المشركين الذين ينكرون لهما.

٢ - عن ابن زيد قال: خطاب للكفار المنكرين للبعث والجزاء فانهم إختلفوا فيهما فمنهم من نفى البعث والجزاء ومنهم من شك فيهما.

٣ - قيل : خطاب للمشركين حيث إختلفوا فى عبادتهم للاصنام تارة بأنّها آلهتهم واخرى بأنّها شفعاء لهم يوم القيامة وهم كانوا يعترفون بأن الله تعالى خالقهم وهم يعبدون غيره .

٤ - عن قتادة : أى يا أهل مكّة : انكم لفى قول مختلف فى محمّد ﷺ والقرآن فمنكم مصدق ومنكم مكذّب .

٥ - قيل : أى يا أهل مكّة : انّكم لفى قول مختلف فيأمر القرآن لغرض انكار ما يثبته .

وذلك لانّهم يقولون : ان القرآن الكريم سحر والجائى به ساحر ويقولون تارة اخرى : انّه زجر والجائى به مجنون ويقولون ثالثة : انه القاء شياطين الجن والجائى به كاهن . ويقولون رابعة : انّه شعر والجائى به شاعر . ويقولون خامسة: انّه افتراء والجائى به مفتر ويقولون سادسة : انّه من تعليم البشر علّمه ﷺ غيره من البشر ويقولون سابعة : انّه من أساطير الاولين اكتتبها محمد ﷺ .

أقول : وظاهر السياق يؤيّد الثانى .

٩ - (يؤفك عنه من افك) .

فى الاية أقوال : ١ - عن الحسن وقتادة : أى يصرف عن الايمان بالنبى الكريم ﷺ والقرآن من صرف عن الخير ، فمن صرف عن الخير فهو صارف عن الايمان .

٢ - قيل : يصرف عن الحق والصواب من صرف .

٣ - قيل : يصرف عن هذا القول اى بسببه ومن أجله عن الايمان من صرف فالصارف له نفسه وقيل : الصارف له رؤساء البدع وقادة الضلال لان العامة تبع لهم عميانا .

٤ - أى يصرف عن ذلك الاختلاف من عصمه الله تعالى .

٥ - قيل : أى يصرف عن أمر البعث والجزاء والحساب من هو مأفوك عن الحق

٦ - عن مجاهد : أى يفسد العقل عن الايمان من فسد .

٧ ـ قال الزمخشري : وقرىء يؤفن عن من اُفن أي يحرمه من حرم .

٨ ـ عن قطرب : أي يخدع عنه من خدع .

٩ ـ قيل : اى يدفع عنه من دفع .

أقول : والخامس هو الانسب بظاهر السياق .

١٠ ـ (قتل الخراصون) .

فيها أقوال :

١ـ عن ابن عباس ومجاهد وقتادة : اى لعن المرتابون قال ابن عباس : هم الذين يقولون لسنانبعث وهم المقتسمون الّذين إقتسموا اعقاب مكة واقتسموا القول فى أمر البعث والحساب والجزاء وفى نبى اللهﷺ ليصرفوا الناس عن الايمان به وهم المتوهّمون على غير أساس وهمأهل الظنون منغير علمويقين.

وقال ابن الانبارى : إنمّا كان القتل بمعنى اللعنة هنا لانّ من لعنهالله فهو بمنزلة المقتول الهالك .

٢ ـ قيل : أى لعن الكذّابون وهم الدين كذبوا على الله ورسوله ﷺ .

٣ ـ عن ابن عباس : الخرّاصون: الكهنة المتكهنون الذين يتخرّصون فى الكذب والباطل فيتظنّنونه .

٤ ـ قيل : هم المتنجمون ليس لهم من علم ولا يقين بما يقولون ولا دليل الاّ التخمين والفرض .

٥ ـ عنالفراء : الخراصون الذين يتخرّصون بمالا يعلمون فيقولون: إنّ محمداًﷺ مجنون كذّاب ساحر وشاعر .

أقول : والاوّل هو الظاهر من السياق .

١١ ـ (الذين هم فى غمرة ساهون)

فى الاية أقوال :

١ ـ عن ابن عباس : أى هم فى ضلالتهم وجهالتهم متمادون وعلى ما جاء به

الرسول ﷺ متعادون .

٢ـ عن قتادة : أى هم فى عمى متردّدون وفى شبهة يتحيّرون

٣ ـ عن ابن زيد : أى هم فى غاية الجهل ساهون عن الحق وعمّا يراد بهم . وذلك لانّ اول مراتب الجهل هو السهو ثم الغفلة ثم الغمرة فتكون الغمرة عبارة عن المبالغة فى الجهل .

أقول : والاقوال متقاربة المعنى .

١٣ ـ (يوم هم على النار يفتنون) .

فى الفتنة أقوال :

١ ـ قيل : أى هم يفتنون بالنّار كما يفتن الذهب بالنّار .

٢ ـ قيل : أى هم ينضجون بالنّار .

٣ ـ قيل : أى يطبخون بالنّار .

٤ ـ قيل : أى هم يكذّبون .

٥ ـ قيل : الفتنة : العذاب أى هم يعذّبون ويحرقون بالنّار .

أقول: وعلى الاخير اكثر المفسّرين وهو المروى عن الامام على بن أبيطالب عليه السلام .

١٤ ـ (ذوقوا فتنتكم هذا الذى كنتم به تستعجلون).

فى الفتنة أقوال :

١ ـ عن ابن عباس : أى تكذيبكم .

٢ ـ عن مجاهد والضحاك: أى حريقكم .

٣ ـ عن قتادة وابن زيد: أى عذابكم .

أقول: والاخيران متقاربان وعليهما جمهور المفسرين وهما المؤيّدان بما ورد عن الامام على عليه السلام .

١٦ - (آخذين ما آتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين)

في الاية قولان :

١ - عن الضحاك انّه قال : أي قابلين ما أعطاهم ربّهم من الثواب في الجنة.

٢ - عن ابن عباس وسعيد بن جبير: أي عاملين ما أمرهم به ربهم مؤدّين فرائضه وكانوا قبل أن يفرض عليهم الفرائض محسنين في أعمالهم .

اقول: والاوّل هوظاهر السياق .

١٧ - (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون)

في الاية أقوال :

١ - عن قتادة وأبي العالية وأنس : أي يتيقّظون فكانوا يصلّون ما بين صلاة المغرب والعشاء ولاينامون بينهما ، وقيل : بين العشاء والصبح .

٢ - عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومطرف بن عبدالله ومجاهد وأبي العالية ايضاً: أي قلّ ليلة تأتي عليهم إلا يصلون فيهاإمّامن أوّلها وامامن وسطهافيصيبون حظاً من الليل للصلاة .

٣ - عن الزهري و ابراهيم النخعي و الضحاك و مقاتل و مجاهد وقتاده أيضاً والحسن: أي لاينامون من الليل الاّ قليلا لانّ الهجوم بمعنى النوم فكانوايصلون في أكثر أوقات الليل .

٤ - قيل : أي انهم كانوا ينامون قليلا من الليالي تمامها بحيث يفوت منهم في بعض الليالي صلاة الليل فلاتفوتهم صلاة الليل الاّ في قليل من الليالي .

أقول: فالثالث بالنسبة إلى أوقات الليل والرابع بالنسبة إلى الليالي .

٥ - عن قتادة : أي يصلّون العتمة وعلى هذا «ما» للجحد .

٦ - عن الضحاك بن مزاحم : أي كان هؤلاء المحسنون قبل أن تفرض عليهم الفرائض قليلا من الناس من يفعل الاحسان ، ثم ابتدأ فقيل:من الليل ما يهجعون.

أقول: والرابع هو المروي عن ائمة أهل البيت عليهم السلام .

١٨ - (وبالاسحار هم يستغفرون)

فى الاية أقوال :

١ ـ عن مجاهد وابن‌عمر والضحاك ومقاتل والكلبى: أى يصلون صلاة الليل فالاستغفار باعتبار اشتمال صلاة الليل به .

٢ـ قيل: أى يصلّون صلاة الوتر فالاستغفار باعتبار إشتمالها به .

٣ ـ عن الحسن وابن زيد: أى انّهم يصلّون أوّل الليل ثم يستغفرون فى السحر فيسئلون‌الله تعالى المغفرة لذنوبهم فانّ السحروقت يرجى فيه إجابةالدعاء.

أقول: والثانى هو المروى عن أئمة أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين.

١٩ - (وفى أموالهم حق للسائل والمحروم)

فى الحق أقوال :

١ـ عن محمد بن سيرين وقتادة : الحقّ هنا الزكاة المفروضة .

٢ ـ عن ابن عباس : انّه حقّ سوى الزكاة المفروضة يصل‌به رحماً أويقرى به ضيفاً أو يحمل به كلاً أو يغنى به محروماً .

٣ ـ قيل : انّه يعمّ الزكاة المفروضة والصدقات المندوبة .

أقول: والثانى هوالآنسب بوصف الاحسان وليس المقام مقام التشريع .

وفى السائل والمحروم أقوال :

١ ـ عن ابن‌عباس وسعيد بن المسيب ومجاهد وابراهيم النخعى: السائل هو الّذى يسئل الناس لفاقته ، والمحروم هـو الّذى حرم المال وليس له فى الاسلام سهم‌من الغنيمة ، والاصل: ان‌المحروم هو الممنوع الرزق بترك السئوال أوذهاب المال أوخراب‌الضيعة أوسقوط السهم من‌الغنيمة لان‌الانسان يصيرفقيراً بهذه‌الوجوه.

٢ ـ عن قتادة والزهرى : المحروم المتعفّف الذى لايسئل الناس شيئاً ولا يعلم بحاجته .

٣ ـ عن الحسن ومحمد بن الحنفية : المحروم الـذى يجىء بعد الغنيمـة فيسقط سهمه منها .

٤ ـ عن عكرمة والضحاك : المحروم الّذى لايبقى له مال ولا ينمى له .

٥ ـ عن زيد بن أسلم : المحروم الّذى اصيب ثمره أو زرعه أو نسل ماشيته

٦ ـ قيل : المحروم هو المملوك .

٧ ـ قيل : المحروم : الحيوان الّذى على الانسان نفقته .

أقول : والاول هو الاظهر .

٢١ ـ (وفى أنفسكم أفلا تبصرون)

فيها أقوال :

١ ـ عن قتادة : أى من تفكر فى نفسه علم انّه خلق ليعبد الله تعالى .

٢ ـ عن ابن الزبير ومجاهد : اى وفى سبيل الخلاء والبول فى أنفسكم عبرة لكم ودليل لكم على ربّكم .

٣ ـ عن ابن زيد : أى فى تسوية الله تبارك وتعالى مفاصل أبدانكم وجوارحكم دلالة لكم على انّ خلقتم لعبادته .

٤ ـ عن ابن عباس : اريد بذلك إختلاف الالسنة والصور والالوان والطبائع .

٥ ـ عن السائب ابن شريك : يأكل ويشرب من مكان واحد ويخرج من مكانين ولو شرب لبناً محضاً لخرج منه الماء ومنه الغائط فتلك آية فى النفس .

٦ ـ عن ابن زيد : المعنى انه خلقكم من تراب ثم من نطفة و علقة و مضغة ولحم وعظم الى نفخ الروح وجعل لكم السمع والابصار والافئدة .

٧ ـ عن السدى : أى فى حياتكم وموتكم وفيما يدخل ويخرج من طعامكم .

٨ ـ عن الحسن : أى فى الهرم بعد الشباب والضعف بعد القوّة والشيب بعد السواد .

أقول: والاول هو الاوفق بالاطلاق وهو المؤيد بما يأتى من الروايات فانتظر .

٢٢ ـ (وفى السماء رزقكم وما توعدون)

فى السماء رزقكم أقوال :

١ ـ عن سعيد بن جبير والضحاك والحسن ومجاهد وسفيان الثورى أى و فى السماء سبب رزقكم بأن يرسل عليكم المطر و الثلج بالسحاب فيخرج به الارض

أنواع ماتقتاتونه وتلبسونه وتنتفعون به وكذلك الشمس والقمر والنجوم واختلاف مطالعها ومغاربها تعقب عليها الفصول الاربعة و توالى الليل والنهار اذلها دخل فى تنمية النباتات والحيوان ونضجها .

٢ـ عن ابن كيسان : أى وعلى ربّ السماء رزقكم كقوله تعالى : «وما من دابة فى الارض الاّ على الله رزقها» .

٣ـ عن سفيان الثورى: أى عندالله فى السماء تقدير رزقكم على أنّ الارزاق مكتوبة لكم فى اللوح المحفوظ .

٤ـ قيل : اريد بالرزق سببه .

أقول: والثالث هو المروى عن ائمة أهل البيت عليهم السلام .

وفى قوله : « وما توعدون » أقوال :

١ـ عن عطاء : أى من الثواب والعقاب .

٢ـ عن مجاهد والضحاك : أى الجنّة والنار .

٣ـ قيل : أى وفى السماء تقدير رزقكم أى ما قسمه لكم مكتوب فى امّ الكتاب وجميع ما توعدون فى السماء أيضاً لان الملائكة تنزل من السماء لقبض الارواح ولاستنساخ الاعمال ولانزال العذاب ، ويوم القيامة للجزاء والحساب ، إذ قال : « ويوم تشقّق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا » .

٤ ـ عن مجاهد أيضاً : اى من خير وشر .

٥ ـ قيل : من خير خاصّة .

٦ ـ قيل : من شر خاصّة .

٧ ـ عن سفيان بن عيينة : اى الجنّة خاصّة .

٨ ـ عن ابن سيرين والربيع : أى من أمر الساعة .

أقول : والاخير هو الانسب بغرض السورة .

٢٣ ـ (فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون)

فى قوله تعالى : « انه لحق » أقوال :

١ ـ عن الزجاج : ان الله تعالى اقسم بنفسه ان ما ذكر من امر الرزق والايات حق لاشك فيه .

٢ ـ عن الكلبي : أي ما قضى في الكتاب كائن .

٣ ـ قيل : أي ما توعدون من أمر البعث والحساب والجزاء .

٤ ـ قيل : أي إن ما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله .

٥ ـ قيل : الضمير راجع الى أول السورة الى هنا . وغيرها من الاقوال . . .

أقول : والثالث هو ظاهر السياق .

٢٤ ـ (هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين)

في المكرمين قولان : قيل : انهم مكرمون عند الله تعالى لقوله : «بل هم عباد مكرمون » الانبياء : ٢٦) و قوله تعالى : « كراماً كاتبين » الانفطار : ١١) .

٢ ـ عن مجاهد : هم مكرمون لاكرام ابراهيم عليه السلام اياهم اذ رفع مجالسهم وخدمهم بنفسه . وسمّاهم ضيفاً من غير أن اكلوا من طعامه لانّهم دخلوا مدخل الاضياف .

أقول : ولا منافات بينهما .

وفي عدد الملائكة أقوال :

١ ـ عن ابن عباس ومقاتل : انّهم كانوا اثنى عشر ملكاً .

٢ ـ عن محمد بن كعب : كان جبرئيل ومعه سبعة أملاك .

٣ ـ : قيل : هم ثلاثة : جبرائيل وميكائيل وملك آخر .

٤ ـ قيل : هم أربعة : وغيرها من الاقوال . . .

أقول : ما ورد في المقام ما نعتمد به الا انّ صيغة الجمع وضمائره تدل على انهم كانوا أكثر من اثنين .

٢٥ ـ (اذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال سلام قوم منكرون)

في قوله تعالى : « قوم منكرون » أقوال :

١ - قيل : اى غرباء لايعرفهم فلما رآهم استنكرهم وحدّث فى نفسه انّ هؤلاء قوم منكرون .

٢- قيل : لانه عليه السلام رآهم على غير صورة البشر وعلى غير صورة الملائكة الذين كان يعرفهم فنكرهم فقال : «قوم منكرون» .

٣- قيل : أنكرهم لانهم دخلوا عليه من غير استئذان .

٤- عن أبى العالية : أنكر سلامهم فى ذلك الزمان وفى تلك الارض .

٥- قيل : أى خافهم .

أقول : والاوّل هو الاظهر .

٢٨ - (فأوجس منهم خيفة قالوا لاتخف وبشروه بغلام عليم)

فى الغلام قولان : أحدهما - عن مجاهد انّه اسمعيل ابن هاجر .

ثانيهما - : انه اسحق ابن سارة وعليه جمهور المفسرين .

أقول: والاوّل هو المؤيد بمايأتى من الايات الكريمة والروايات الشريفة فخطأ المفسرون فى ذلك جداً .

وهذا لاينافى ما جاء فى قوله تعالى : « فبشّرناها باسحق » هود : ٧١) .

بأن بشّروا ابراهيم عليه السلام باسمعيل عليه السلام فلما سمعته سارة من وراء الحجاب وجائت فبشّروها باسحق عليه السلام .

٢٩ - (فأقبلت امرأته فى صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم)

فى قوله تعالى : «فى صرّة فصكت» أقوال :

١- عن ابن عباس و مجاهدوقتادة والضحاك: أى من ضجّة وصيحة وهى تلطم وجهها بأطراف أصابعها .

٢- عن عكرمة وقتادة ايضاً وسفيان الثورى ومقاتل والكلبى والسدى : أى فى رنة وتأوّه و لم يكن هذا الاقبال من مكان الى مكان و هى تضرب يدها على جبهتها على عادة النسوان عند التعجب .

٣ـ قيل : أي اقبلت في جماعة من النساء وهي تسمع كلام الملائكة وغطت من الملائكة وجهها .

أقول: ولا منافاة بين الاقوال فتدبّر واغتنم .

٣٤ ـ (مسومة عند ربك للمسرفين)

في المسومة أقوال :

١ـ عن ابن عباس : أي الاحجر الابيض فيه نقطة سوداء . وقيل : العكس .

٢ـ قيل : كانت مخطّطة بسواد وبياض .

٣ـ قيل : بسواد وحمرة .

٤ـ قيل : كانت معروفة بأنّها حجارة العذاب .

٥ـ قيل : على كلّ حجر إسم من يهلك به .

٦ـ قيل : عليها أمثال الخواتيم .

٧ـ عن ابن زيد : كانت مطبوخة طبخ الآجر .

أقول: وعلى الخامس أكثر المفسرين .

٣٦ ـ (فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين)

في عدد المسلمين أقوال :

١ـ عن سعيد بن جبير : انّهم كانوا ثلاثه عشر نفراً .

٢ـ قيل : هم لوط وبنتاه .

٣ـ قيل : هم لوط وبناته .

أقول: والاخير هوالظاهرمن قوله : «قال يا قوم هؤلاء بناتي هنّ أطهرلكم ـ قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق» هود : ٧٨ ـ ٧٩) .

٣٧ ـ (وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الاليم)

وفي الاية قولان: أحدهما ـ : قيل : الاية المتروكة هي نفس القرية الخربة .

ثانيهما ـ : قيل: هي الحجارة المنضودة الّتي رجموا بها .

أقول : وعلى الاوّل أكثر المفسرين .

٣٨ - (وفى موسى اذ أرسلناه الى فرعون بسلطان مبين)

وفىموسى قولان : أحدهما - : عن الفراء : أى وفى إرسال موسى وقصصه وما حدث بينه وبين فرعونآيات واضحات على انّه عطف على قوله تعالى: « وفى الارضآيات » ثانيهما - : قيل : أى وتركنا فىموسىآية على انّه عطف علىقوله تعالى : « وتركنا فيها آية » .

أقول : والثانى هوالانسب وعليه أكثر المحققين .

وفى قوله تعالى : « بسلطان مبين » أقوال :

١ - عن قتادة : أى بعذر مبين .

٢ - قيل : أى بحجّة بيّنة وهى العصا .

٣ - قيل : أى بالمعجزات من العصا واليد وغيرهما .

أقول : وعلى الاخير أكثر المفسرين .

٣٩ - (فتولى بركنه وقال ساحرأو مجنون)

فى « بركنه » أقوال :

١ - عن مجاهد وابن زيد : أى فأعرض فرعون عن قبول الحق إعتماداً بجموعه وأجناده ومنعه وعشيرته .

٢ - عن ابن عباس وقتادة : أى بقوّته .

٣ - عن قتادة أيضاً : أى غلب عدوّ الله على قومه .

٤ - قيل : بنفسه .

٥ - عن الاخفش : أى بجانبه كقوله تعالى : « أعرض ونأى بجانبه » و هذا مبالغة فى الاعراض عن الشيىء .

٦- قيل : ركنه : هامان وزيره .

أقول: والثانى هو الاشمل .

٤١ ـ **(وفي عاد اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم)**

فى الريح العقيم أقوال :

١ ـ عن سعيد بن المسيب هى الريح الجنوب.

٢ ـ عن مقاتل : هى الدبور . و فى رواية عن النبى ﷺ قال : نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور .

٣ ـ عن ابن عباس ومجاهد والضحاك: هى النكباء هى الريح الشديدة الّتى لا تلقح شيئاً .

٤ ـ عن عبيد بن عمير : مسكنها الارض الرابعة و ما فتح على عاد منها الاّ كقدر منخر الثور .

٥ ـ عن مجاهد ايضا : هى الصبا .

أقول: والثالث هو المروى والمؤيّد بالايات الكريمة .

٤٥ ـ **(فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين)**

١ ـ عن قتادة : أى لم ينهضوا من تلك الصرعة و ما كانوا ممتنعين من العذاب حين أهلكوا و ما كان لهم ناصر ينصرهم .

٢ ـ قيل : أى ما أطاقوا أن يستقلوا بعذاب الله و أن يتحملوه ويقوموا به .

٣ ـ عن ابن عباس : أى ذهبت أجسامهم و بقيت أرواحهم فى العذاب .

٤ ـ قيل : أى ما كانوا طالبين ناصراً يمنعهم من عذاب الله .

أقول : وعلى الاوّل جمهور المفسرين .

٤٧ ـ **(والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون)**

فى قوله تعالى : « و انا لموسعون » أقوال :

١ ـ عن ابن عباس : أى لقادرون على خلق ما هو أعظم منها .

٢ ـ عن الحسن : أى لموسعون الرزق على الخلق بالمطر.

٣ ـ قيل : أى و انا لذو سعة بخلقها وخلق غيرها لايضيق علينا شىء نريده.

٤ ـ قيل : إشارة الى امتداد السماء واتساعها .

٥ ـ قيل اريد بها توسعة خلق السماء و كنّا قادرين على ما أوسعناها .

٦ ـ قيل : اشارة الى سعة السماء وسعة ما بين سماء و سماء اخرى الى سبع سموات .

أقول: والاوّل هوالانسب المؤيد بظاهرقوله تعالى : «والسماء ذاتالحبك» ويؤول اليه القول الثالث والرابع والسادس .

٤٩ ـ (ومن كل شيىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون)

فيها أقوال :

١ ـ عن ابن زيد : اى الذكر و الانثى .

٢ـ عن الحسن ومجاهد : أى وخلقنا من كلشيىء صنفين: من الجنوالانس والروح والجسم .

٣ ـ قيل : الزوجان : المتقابلان يتمّ احدهما بالاخر فاعل و منفعل كالذكر والانثى والمثبت والمنفى وهكذا ...

أقول: و ظاهر الاطلاق يناسب الثانى فالمراد مطلق المتقابلات .

٥٠ـ (ففروا الى الله انى لكم منه نذيرمبين)

فىالاية أقوال :

١ ـ عن ذى النون المصرى : أى ففرّوا من الجهل الى العلم و من الكفر الى الشكر .

٢ ـ قيل : أى فاهربوا من عذاب الله الى ثوابه ، ورحمته بالايمان والطاعة واجتناب المعصية فالتجأوا اليه ليخلصكم منأوضار الذنوب بالتوبة والاستغفار .

٣ ـ عن سهل بن عبد الله : أى ففرّوا مما سوى الله إلى الله تعالى .

٤ ـ قيل : أى فاهربوا من الشرك إلى التوحيد ، و من الكفر الى الايمان ومن المعصية الى الطاعة .

أقول: والاخير هو الانسب بظاهر السياق .

٥٥ ـ (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين)

و في الاية اقوال :

١ ـ عن الكلبي : أي ذكّر المؤمنين وأعرض عن الكفار .

٢ ـ قيل : أي ذكر الكفار ولا تجادلهم .

٣ ـ قيل : أي ذكر على الاطلاق : الكفار والمؤمنين .

أقول : والاخير هو الانسب بالاطلاق وتؤيده السورة التالية نزولا ومصحفاً .

٥٦ ـ (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون)

في الاية اقوال :

١ ـ عن مجاهد : أي الا ليعرفوني .

و ذلك من باب اطلاق اسم السبب على المسبب تنبيهاً على أنّ المعتبر هي المعرفة الحاصلة بالعبادة لله تعالى لا مايحصل بغيرها أو العكس من أنّ المعرفة سبب للعبادة .

٢ ـ قيل : أي الا ليعبدون على أنّ الغرض هو العبادة ، بمعنى كونهم عابدين لله تعالى لا كونه معبوداً اذ قال : ليعبدون و لم يقل : لاعبد أو لا كون معبوداً لهم .

٣ ـ عن ابن عباس : أي الا ليذعنوا لي بالعبودية طوعاً أو كرهاً ، أما المؤمن فيذعن في النعمة والرخاء و أما الكافر فيذعن في الشدة و البلاء دون النعمة والرخاء .

٤ ـ قيل: أي مستعدين للعبادة ومتمكّنين منها أتم استعداد وأكمل تمكن.

٥ـ عن مجاهد أيضاً والزجاج : أي الاّ لامرهم وأنهاهم .

٦ـ عن زيد بن أسلم وسفيان : هو ما جبلوا عليه من الشقوة والسعادة فخلق السعداء من الجن والانس للعبادة وخلق الاشقياء منهم للمعصية .

٧ـ عن الضحاك والكلبى والفرّاء والقتبى : ليعبده المؤمنون ويوحدوه على أنّ هذا خاص فيمن سبق فى علم الله تعالى انّه يعبده فجـاء بلفظ العموم و معناه الخصوص، والمعنى: وماخلقت أهل السعادة من الجن والانس الاليعبدون ويوحّدونى.

أقول: الاوّل والثانى و الرابع و الخامس هى المروية عن أئمة أهل البيت عليهم السلام.

٥٧ ـ (ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون)

فى الاية أقوال :

١ـ عن ابن‌عباس : أى ما اريد أن يرزقوا أنفسهم ولا أن يطعموها .

٢ـ قيل : أى ما اريد منهم أن يرزقوا عبادى ولا أن يطعموهم .

٣ـ قيل : أى ما اريد أن اصرفهم فى تحصيل رزقى فارتزق به ولا فى تحصيل طعام فيطعمونى به .

أقول : والثالث هو الانسب بظاهر السياق .

٥٩ ـ (فان للذين ظلموا ذنوباً مثل ذنوب أصحابهم فلا تستعجلون)

فى الظلم أقوال :

١ـ قيل : أى ظلموا على أنفسهم بتعريضها للعذاب الخالد فى الاخرة وللذلّة والحرمان فى الحياة الدنيا بتكذيبهم الحق والكفر والانكار للبعث والحساب والجزاء.

٢ـ قيل: أى ظلموا على الله تعالى حيث وضعوا الحقّ وجعلوه باطلا وسعوا فى احياء الباطل .

٣ـ قيل : أى ظلموا على الناس حيث صدّوهم عن سواء السبيل .

أقول: والاول هو الانسب لما يأتى من قوله تعالى: «فويل للذين كفروا» الخ.

وفى قوله تعالى : «ذنوباً» اقوال :

١ـ عن ابن عباس ومجاهد وقتادة أى سجلا من العذاب .

٢ـ عن ابن زيد : أى نصيباً وافراً من العذاب .

٣ـ عن ابراهيم : أى طرفاً من العذاب .

٤ـ عن الحسن : أى دلواً من العذاب، وهو مأخوذ من مقاسمة السقاء الماء بالذنوب وهو الدلو العظيم المملوء .

أقول: وعلى الثانى جمهور المفسرين بعد التقارب بين الاقوال

٦٠ ـ (فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون)

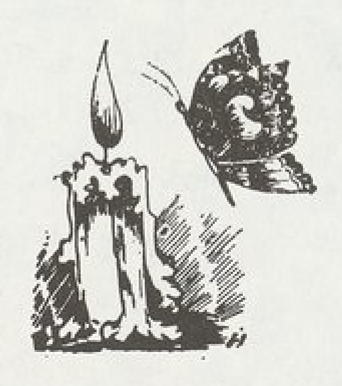
فى اليوم أقوال :

١ـ قيل : أى اليوم الموعود القيامة .

٢ـ قيل : أى يوم بدر .

٣ـ قيل : اريد به العموم .

أقول: وعلى الاوّل أكثر المفسرين ولكن الاخير غير بعيد .



﴿ التفسير والتأويل ﴾

١ ـ (والذاريات ذرواً)

انّ الله جلّ وعلا اقسم بالرياح لما يشاهد من آثارها ومنافعها من الهبوب واللقاح وتفريق السحاب وإثارة التراب وإطارة الدخان وإجراء السفن وما اليها من الاثار والمنافع وما فيها من الوعيد كلها تدلّ على توحيد الله و قدرته ، قال الله تعالى: «انّ فى خلق السموات والارض ـ وتصريف الرياح ـ لايات لقوم يعقلون» البقرة : ١٦٤).

وقال : « وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه » الحجر: ٢٢) .

وقال : « واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدراً» الكهف: ٤٥).

وقال : «ومن آياته أن يرسل الرياح مبشّرات وليذيقكم من رحمته ولتجرى الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون» الروم : ٤٦).

وقال : « والله الذى أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميّت فأحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور » فاطر : ٩) .

٢ ـ (فالحاملات وقراً)

وأقسم تعالى بالسحائب التّى يحملن ثقلا من الماء من بلد إلى بلد فتصير موقرة به فترسل الامطار مبشّرات برحمته تسقى منها الانعام والزروع وتنبت بها البساتين وتخضر بها الحدائق والجنات وتصير الارض القفر مروجاً وعايها يعتمد

الانسان في معاشه وما اليها من الاثار والمنافع التي يشاهدها الانسان فلها المنزلة العظمى في النفوس البشرية.

وفيها آيات واضحة يدعو بها الناس إلى توحيد الربوبية ليثبت به يوم البعث والحساب والجزاء التي وعدها الله تعالى ويندفع بذلك إنكار المنكرين لها.

قال الله تعالى: «هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينشئ السحاب الثقال» الرعد: ١٢).

وقال: «ألم تر ان الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء» النور: ٤٣).

وقال: «الله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفاً فترى الودق يخرج من خلاله فاذا أصاب به من يشاء من عباده إذاهم يستبشرون وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيي الارض بعد موتها ان ذلك لمحي الموتى وهو على كل شيء قدير» الروم: ٤٨ ـ ٥٠).

وقال: «وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدى رحمته حتى اذا أقلت سحاباً ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون» الاعراف: ٥٧).

٣ ـ (فالجاريات يسراً)

وأقسم سبحانه بالسفن التي تساق في البحار في حال من اليسر مواتية لسيرها في ريح رخاء لا عاصفة ولا هامدة لما فيها من المنافع وما يشاهد في البحار من آيات واضحة تدل على قدرة كاملة ومدبر حكيم.

قال الله تعالى: «ومن آياته الجوار في البحر كالاعلام إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره ان في ذلك لايات لكل صبار شكور» الشورى: ٣٢ـ٣٣)

وقال: «هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين

بهم بريح طيّبة وفرحوا بهاجائتها ريحعاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكوننّ من الشاكرين فلما أنجاهم اذا هم يبغون فى الارض بغير الحق » يونس: ٢٢ـ٢٣).

وقال : « ألم تر انّ الفلك تجرى فى البحر بنعمة الله ليريكم من آياته » لقمان : ٣١) .

وقال : « انّ فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلكالتى تجرى فى البحر بما ينفع الناس ـ لايات لقوم يعقلون « البقرة : ١٦٤) .

وقال : « ومن آياتهأن يرسل الرياح مبشّرات وليذيقكم من رحمته ولتجرى الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » الروم : ٤٦) والجاريات جمع الجارية،قالالله تعالى : «انّا لماطغى الماء حملنا كم فىالجارية لنجعلها لكم تذكرة وتعيها اذن واعية » الحاقّة : ١١ ـ١٢) .

وفى الايات الثلاث نكتة لطيفة :

وهى انّ الحشر والبعث الّذى يدور عليه غرض السورة و استهدفته ، يتمّ امكانه بها ، وذلك لانّ أجزاء بدن الانسان إن كانت فىالارض فتميز الرياح بينها بالذرو وإن كانت فى الجو فتحملها بالنقل و إن كانت فى البحر فتخرجها بانشاء السحاب منها .

فالذىهو قادر علىاجراء السفن فىالبحار كان قادراًعلى اخراج تلكالاجزاء منها إلىالبر وبعد ذلك تقسمالملائكة أرواحالخلائق على أجسادها باذنالله جلاوعلا.

٤ ـ (فالمقسمات أمراً)

اقسم الله جلّ و علا بالملائكة فى حال حملهم لما يؤمرون به و هم الذين يقسّمون أوامرالله تعالى فى خلقه ويتقاسمون الاعمال باذنالله فىتدبيرشئون العالم على اختلاف مراتبهم حسب اختلاف امور العالم على ما اقتضته الحكمة الالهية فالتدبير واحد وانقسامالمأمورين باعتبارإنقسام الامور وتكثرهم باعتبارتكثرالامور.

وأقسم بهم لكونهم وسائط التدبير الالهى و المنفذين لاوامر الله جلّ وعلا

ويفعلون ما يؤمرون من نزول على الانبياء عليهم السلام ومن اهلاك قوم و نجاة آخرين وحفظ اعمال الناس خيرها وشرّها وحفظهم ومن موت وما اليها من الامور .

قال الله تعالى : «الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس» الحج: ٧٥).

وقال : «هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين ـ قالوا انّا أرسلنا الى قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة من طين مسوّمة عند ربك للمسرفين» الذاريات: ٢٤ـ٣٤)

وقال: «له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله» الرعد: ١١).

و قال : « وانّ عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون » الانفطار : ١٠ ـ ١٢) .

وقال : « لايعصون الله ماأمرهم ويفعلون ما يؤمرون » التحريم : ٦) .

٥ ـ (انما توعدون لصادق)

أى انّ البعث والحشر الّذى توعدون به لصادق لاريب فيه ولاينبغى فيه الارتياب ، قال الله تعالى : « فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون » الذاريات : ٦٠) .

وقال : « ونفخ فى الصور ذلك يوم الوعيد » ق : ٢٠) .

وقال : « هذا يومكم الّذى كنتم توعدون يوم نطوى السماء كطىّ السّجل للكتب كما بدأنا اوّل مرة نعيده وعداً علينا انّا كنّا فاعلين» الانبياء : ١٠٣ـ١٠٤).

وقد كانوا يسئلون على سبيل الاستهزاء عن زمن يقع فيه الجزاء بالاصالة وعن نفس الجزاء بالتبع كما يظهر من قوله تعالى حكاية عنهم : « يسئلون أيّان يوم الدين » الذاريات : ١٢) .

فأجابهم على طريق السؤال اذقال: «يوم هم على النار يفتنون» الذاريات: ١٣).

٦ ـ (وان الدين لواقع)

انّ الاية فى سياق الخطاب للمشركين والمنكرين للبعث والجزاء والمعنى: وانّ الجزاء الّذى كنتم تكذبون به واقع لامحالة كما تفصح عن ذلك السورة التالية

مصحفاً اذقال تعالى : « فويل يومئذ للمكذبين الذين هم فى خوض يلعبون يوم يدعون الى نار جهنم دعّاً هذه النار الّتى كنتم بها تكذّبون أفسحر هذا أم أنتم لاتبصرون اصلوها فاصبروا أو لاتصبروا سواء عليكم انّما تجزون ما كنتم تعملون» الطور : ١١ ـ ١٦) .

وما ورد انّ ما يوعدون يعنى فى على عليه‌السلام وهو الدين فمن باب التأويل فتدبر واغتنم .

٧ ـ (والسماء ذات الحبك)

أى وأقسم بالسماء ذات المسالك والطرائق وهى جمع الطريقة الّتى تظهر على الماء اذا تثنّى وتكسّر من مرور الرياح عليه .

كقوله تعالى : « ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق » المؤمنون : ١٧) .

وبين كل سماء وسماء طريقة ولكل أهل ، قال الله تعالى: « الذى خلق سبع سموات طباقاً » الملك : ٣) .

وقال : « تسبّح له السموات السبع والارض ومن فيهنّ » الاسراء : ٤٤) .

٨ ـ (انكم لفى قول مختلف)

أى انكم اختلفتم فيما وعدتم به من أمر البعث والجزاء وقلتم فيه من غير علم و يقين وأنتم تسئلون عن يوم البعث والجزاء فيه و تنكرون لهما و ترتابون فيهما تارة اخرى .

و يظهر هذا المعنى من قوله تعالى : « قتل الخراصون ـ يسئلون أيان يوم الدين ـ انّه لحق مثل ما انكم تنطقون » الذاريات : ١٠ ـ ٢٣) .

٩ ـ (يؤفك عنه من افك)

أى يصرف عن الايمان بالبعث و الحساب و الجزاء و بالقرآن الكريم وبمحمد رسول الله الخاتم صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم من هو مأفوك عن الاهتداء و جاحد بآيات الله جلّ وعلا .

قال الله تعالى: «واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم» (الاحقاف:١١).
وقال: «كذالك يؤفك الّذين كانوا بآيات الله يجحدون» غافر: ٦٣).
وما ورد من اختلاف الامة المسلمة فى الامام على عليه السلام وانّ من افك عن ولايته عليه السلام افك عن الجنة، فمن التأويل فتدبّر واغتنم.

١٠ - (قتل الخراصون)

أى لعن القوّالون الخائضون فى أمر البعث والحساب والجزاء المنكرون لها بغير علم ولا دليل الا التخمين والفرض والحدس.

والخرّاص: هو الذى يخرص الاشياء و يقدرها بحدسه و ظنه دون ان يستند فى ذلك الى علم محقق كما يفعل الّذى يخرص ما على النخل من تمر و ما يعطى الزرع من حبّ...

قال الله تعالى: «واذا قيل انّ وعد الله حق والساعة لاريب فيها قلتم ما ندرى ما الساعة ان نظنّ الا ظنّاً وما نحن بمستيقنين» الجاثية: ٣٢).

١١ - (الذين هم فى غمرة ساهون)

أى الخرّاصون هم فى جهالة و ضلالة و ارتياب احاطت بهم غافلون عن حقّية ما وعدوا به.

قال الله تعالى: «واقترب الوعد الحق فاذا هى شاخصة أبصار الذين كفروا ويلنا قد كنّا فى غفلة من هذا بل كنا ظالمين» الانبياء: ٩٧).

١٢ - (يسئلون أيان يوم الدين)

أى يسئل هؤلاء الخراصون ساخرين مستهزئين متى يكون البعث والحساب والجزاء الّتى و عدتنابها.

قال الله تعالى: «يسئلونك عن الساعة أيّان مرسيها قل انمّا علمها عند ربى لايجلّيها لوقتها الا هو» الاعراف: ١٨٧).

١٣ ـ (يوم هم على النار يفتنون)

أى يكون البعث والحساب يوم هـؤلاء الخراصون يعرضون علـى نـار جهنّم يعذّبون بها .

فى المحكم والمتشابه للسيد المرتضى رضوان الله تعالى عليه و سئاوه يعنى علياً عليه السلام عن المتشابه فى تفسير الفتنة فقال : « ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنّا و هم لا يفتنون » وقوله لموسى عليه السلام : « و فتناك فتونا » و منه فتنة الكفر، وهو قوله تعالى : « لقد ابتغوا الفتنة و قلّبوا لك الامور حتى جاء أمراً الحق وظهر أمرالله ».

و قوله تعالى : « والفتنة أكبر من القتل » يعنى ههنا الكفر وقوله سبحانه فى الذين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وآله فى غزاة تبوك أن يتخلّفوا عنه من المنافقين فقال تعالى فيهم : « ومنهم من يقول اذن لى ولا تفتنّى ألا فى الفتنة سقطوا و انّ جهنم لمحيطة بالكافرين ».

ومنه فتنة العذاب و هو قوله تعالى : « يوم هم على النار يفتنون ذوقوا فتنتكم هذا الّذى كنتم به تستعجلون »أى ذوقوا عذابكم .

و منه قوله تعالى : « انّ الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا » أى عذبوا المؤمنين .

ومنه فتنةالمحبة للمالوالولد كقوله تعالى: «أنّما أموالكم وأولاد كم فتنة» أى انّما حبكما لهما فتنة لكم . ومنه فتنة المرض و هو قوله تعالى : أو لا يرون انّهم يفتنون فى كلعام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون و لا هـم يـذ كـرون » أى يمرضون ويقتلون .

١٤ ـ (ذوقوا فتنتكم هذا الذى كنتم به تستعجلون)

أى يقال لهم: ذوقوا عذابكم بالنّار أيها الخراصون هذا الذى كنتم بهتستعجلون فى الحياة الدنيا ساخرين مستهزئين مكذبين به ولكنّ الان عرفتم صحته، قال الله تعالى : « وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الّذى كنتم به تكذبون » السجدة : ٢٠) .

و قال : « فذو قوا فلن تزيد كم الا عذاباً » النبأ : ٣٠).

وقال : « وقالوا إن هـي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ولـو ترى اذ وقفوا على ربّهم قال أليس هذا بالحق قالوا بلى وربّنا قالفذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون قـد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتّى اذا جائتهم الساعـة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرّطنا فيها وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألاساء ما يزرون » الانعام : ٢٩ ـ ٣١) .

١٥ ـ (ان المتقين فى جنات وعيون)

أى انّ الذين اتقوا الله تعالى وأطاعوه واجتنبوا عن معاصيه هم فى بساتين وجنات لايقدر الواصفون على وصفها لعظم قـدرها تجرى مـن تحتها الانهار ولهم فيها ما يشتهون جزاء بما كانوا يعملون .

قال الله تعالى : « انّ المتقين فى مقام أمين فـى جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق متقابلين كذلك وزوّجناهم بحور عين يدعون فيها بكل فاكهة آمنين لايذقوون فيها الموت الا الموتة الاولى ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم » الدخان : ٥١ ـ ٥٧) .

وقال : « وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية فى جنة عالية لاتسمع فيها لاغية فيها عين جارية فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة» الغاشية : ٨ ـ ١٦).

وقال : « ان المتقين فى ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون كلوا واشربوا بما كنتم تعملون » المرسلات : ٤١ ـ ٤٣) .

١٦ ـ (آخذين ما آتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين)

أى آخذين ما أعطاهم ربّهم من الخير والكرامات فى الجنّة لانّهم كانوا فـى الحياة الدنيا يفعلون الطاعات ويحسنون الى غيرهـم بوجوه الاحسان ، كقوله تعالى : « انّ المتقين فى جنّات ونعيم فاكهين بما آتاهم ربّهم و وقاهم ربّهم عذاب

الجحيم كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون » الطور : ١٧ ـ ١٩).

١٧ ـ (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون)

أى كان هؤلاء المتقون المحسنون ينامون قليلا من الليالى تمامها ـ بحيث يفوت منهم صلاة الليل فى بعض الليالى ـ فلا تفوتهم صلاة الليل الا فى قليل من الليالى .

١٨ ـ (وبالاسحار هم يستغفرون)

أى وكان هؤلاء المتقون المحسنون يصلّون وقت السحر صلاة الليل ومنها ركعة الوتر فيستغفرون فيها .

وهم الذين يصفهم الله تعالى فى قوله : « الصّابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار » آل عمران : ١٧) .

١٩ ـ (وفى أموالهم حق السائل والمحروم)

أى وجعل هؤلاء المتقون المحسنون فى أموالهم جزء معيّناً ميزوه وعزلوه للطالب المحتاج وهو الّذى يسئل العطيّة باظهار الفاقة وللمحروم المتعفف الّذى لا يجد ما يغنيه ولا يسئل الناس تعففاً .

قال الله تعالى : « والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » المعارج : ٢٤ ـ ٢٥) .

فمن جملة صفة المتقين المحسنين انّهم يقدّرون بصفاء فطرتهم فى أموالهم نصيباً وحظّاً معيّناً لهما ويلزمون أنفسهم باخراجه .

وليس المراد به ما أوجبه الشارع والاّ لقال يؤدّون ما أوجبنا عليهم أو ندبنا إليه لانّ الاية انّما خرجت مخرج المدح لهم فى سياق مدحهم بالقيام للعبادة ليلا والاستغفار بالاسحار وهما غير مفروضين عليهم .

فالزموا أنفسهم بالاحسان وتسمية ما التزموا اخراجه حقّاً لا تدلّ على وجوبه ، لانّ الحقّ قد يطلق على الوظيفة المقدّرة وان لم تكن واجبة .

ويمكن أن يستدلّ بالاية على الترغيب في نذر الاموال ونحوه وتعيين شيء منها للمذكورين ولو بالوصية وغيرها خصوصاً اذا يدوم .

٢٠ - (وفى الارض آيات للموقنين)

أى وفى الارض من جبالها و سهلها ومن برّها وبحرها ومن أنواع نباتها وأقسام حيوانها ومن معادنها ووقوفها بلا عمد وبسطها لتصرف الخلق عليها .

وفى دورانها على حولها وفى ليلهاونهارها وشرقها وغربها وجنوبها وشمالها وفى عيونها وأنهارها وفى منافعها المتصلة بعضها ببعض الملائمة بعضها لبعض فى نظام واحد مستمرّ من غير اتفاق وصدفة لائح عليها آثار القدرة والعلم والحكمة .

آيات واضحة ودلالات قاطعة وحجج باهرة على أنّ خلقها وتدبير أمرها ينتهى الى خالق مدبّر قادر عليم حكيم .

فأىّ جانب قصد من جوانبها وأيّة وجهة ولّيت من جهات التدبير العام الجارى فيها كانت آية بيّنة وبرهاناً ساطعاً علىوحدانيّة ربّها لاشريك له يتجلّى فيه الحق لاهل التقوى واليقين .

لانّ قلوبهم عمرت باليقين وبه حياتها ، وبحياتها ترى ملكوت السموات والارض وتشاهد آثار التدبير الالهى والابداع فى هذا العالم الوسيع ، وفى هذا الجوّ الشاسع وفى هذه الارض البسيطة كلّها علامات تدل على قدرة الله جل وعلا على البعث والنشور .

فانظر الى عود النبات بعد أن صار هشيماً والى تقدير الاقوات وفيها القوام للحيوانات والى البلدان الّتى فيها آثار الهلاك النازل بالامم المكذبة ، فانظر ... ثم انظر . .

والموقنون هم يعرفون وحدانية ربّهم وقدرته على البعث والنشور وصدق نبوّة نبيّهم وهم ينتفعون بتلك الايات والاثار ويتدبّرون فيها ويعتبرون بها .

فكل قلب لايقين فيه فهو ميّت جامد جافّ لا يرى ولايدرك الحقائق الّتى

وراءه ولا يعلم الاّ ظاهراً من الحياة الدنيا ، وأمّا حقيقتها فمحجوبة عنه ، لانّ القلوب الجوفاء لا تفتح لحقيقة الوجود ولا تفتح القلوب الاّ بمفتاح الايمان ولا تراها الاّ بنور اليقين ، فالقلب الذى يخلو عن الايمان يحرم عن نعمة اليقين ويحرم عن ادراك الحقائق وليس صاحب القلب الجاف الاّ خرّاصاً بلا اساس ودليل وعلم لا يتبع الاّ هواه وأهل الاهواء.

٢١ ـ (وفى أنفسكم أفلا تبصرون)

أى وفى أنفسكم أيها الخرّاصون المنكرون للبعث والنشور والحساب والجزاء دلالة واضحة على ذلك، من حال الى حال وصفة الى صفة من حال النطفة الى الطفولية ومن الصغر الى الشباب و منه إلى الكهولة ومنها إلى الشيخوخة و منها الى الكبر ومنه الى أرذل العمر ومن ضعف الى القوة ومنها الضعف ، والقدرة بعد العجز وبالعكس والغنى بعد الفقر وبالعكس والعلم بعد الجهل و بالعكس . . .

و فى اختلاف الالسنة و الالوان و فى درجات العقول و الافهام و فى اختلاف الاعضاء و تعدد وظائف كلّ منها على وجه يحار فيه اللب و يدهش به العقل آيات واضحة تدلّ على كمال قدرة الله تعالى و غاية حكمته و بديع صنعة و تدبيره .

وانّ فى هذا السمع وفى هذا البصر وفى هذا السان وفى ذاك القلب آية واضحة على خالق مدبر حكيم لا اله الا هو .

كيف و لا يدرى أحد ما هو اسود ؟ و ما ذاك أحمر ؟ و ما هو أبيض ؟ و ما ذاك أصفر ؟ وما هذا الكلام الّذى يتلجلج به ؟ وما هذا القلب ؟ أىّ شيىء هو ؟ انما هو مضغة فى جوفه يجعل الله فيه العقل أفيدرى أحد ما ذاك العقل و ما صفته و كيف ؟ !

أفلا تنظرون فى ذلك فتتفكروا فيه فتعلموا حقيقة ما وراء ظاهر الحياة الدّنيا فتعترفوا بها ؟ !

ولعمرى اذا وقف الانسان فى تكوينة الجسمانىّ وفى أسرار هذا الجسد وفى

تكوينه الـروحي" و في أسرار النفس في ظاهره و في باطنه و وقف يتأمـل فـي عجائب النّفس و أسرارها وفي جسده وحكمه يدهش و يتحيّر: تكوين أعضـائه وتوزيعها ووظائفها وطريقة أدائها لهذه الوظائف وفي عمليّة الهضم والامتصاص وفي عمليّة النفس والاحتراق وفي دورة الدم في القلب والعروق . . .

وفي الجهاز العصبي" و تركيبه وادارته للجسم وفي الغدد وافرازها وعلاقتها بنمو" الجسد ونشاطه وانتظامه وفي تناسق هذه الاجهزة كلها وتعاونها وتجاوبها الكلام الدّقيق و في أسرار روحه وطاقاتها المعلومة والمجهولة وفي ادراكها للمدركات و طريقة ادراكها وفي حفظها وتذكرها هذه المعلومات والصّور المختزنة .
أين و كيف هذه الصور والرؤى والمشاهد؟ كيف انطبعت وأين؟ و كيف تستدعى فتجيء؟
ثم في أسرار هذا الجنس في توالده وتوارثه خلية واحدة تحمل كل" رصيد الجنس البشري من الخصائص وتحمل معها خصائص الابوين والاجداد القريبين والقديمين...

فأين تكمن هذه الخصائص في تلك الخلية الصغيرة و كيف تهتدى بذاتها الـى طريقها التاريخي الطويل فتمثله أدق تمثيل و تنتهي الى اعادة هذا الكائـن الانساني العجيب و في أسرار الجنين و دورتـه في الارحام و انفصاله عن امّه و اعتماده على نفسه ؟ ! . .

ويؤذن لقلبه و رئتيه بالحركة لبدء الحياة فحينئذ تدهش العقول و تحير الالباب ثم في نطق الانسان بعد أشهر وسنة بالكلمات و الحروف والعبارات و في أسرار التكلم والمخارج . . .

قال الله تعالى : « سنريهم آياتنا في الافاق و في أنفسهم حتى يتبين لهم انّه الحق أو لم يكف بربك انّه على كل شيء شهيد ألا انهم في مرية من لقاء ربهم ألا انّه بكل شيء محيط » فصلت : ٥٣ - ٥٤).

٢٢ - (وفي السماء رزقكم و ما توعدون)

أي و فـي السماء تقديـر رزقكم علـى أن" الارزاق مكتوبـة لكم فـي اللوح المحفوظ فتنزل من السماء الى الارض على عدد قطر المطر الى كـل نفس

بما قدّر لها ، قال تعالى : « وان من شيء الاّ عندنا خزائنه و ما ننزل الا بقدر معلوم» الحجر : ٢١) .

وفى السماء ما توعدون من أمر الساعة وجزاء كم من النار وحريقها .

قال الله تعالى: « قالوا ءاذا متنا و كنا ترابا و عظاما ءانا لمبعوثون لقد وعدنا نحن واباؤنا هذا من قبل ان هذا الا أساطير الاّولين-قل رب اما ترينى ما يوعدون ربّ فلا تجعلنى فى القوم الظالمين و انا على أن نريك ما نعدهم لقادرون » المؤمنون : ٨٣-٩٥) .

٢٣ - (فورب السماء و الارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون)

أقسم الله تعالى بجلاله و كبريائه : انّ ما وعدكم به من أمر القيامة والبعث والجزاء حق لامرية فيه فلا تشكّوا فيه كما لا تشكون فى نطقكم حين تنطقون كما يقال : انّ هذا لحق كما انك ترى وتسمع .

٢٤ - (هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين)

أى أعندك يا محمّد صلى الله عليه وآله نبأ بما حدث بين ابراهيم عليه السلام وضيوفه من الملائكة الّذين و فدوا عليه وهم ذاهبون فى طريقهم الى قوم لوط فأكرمهم ابراهيم عليهم السلام وهم عند الله مكرمون فنبّىء المشركين عن ذلك ، قال تعالى: « ونبئهم عن ضيف ابراهيم » الحجر : ٥١) .

٢٥ - (اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون)

أى حين دخل الملائكة على ابراهيم عليه السلام فقالوا له على طريق التحية: أسلم سلاما عليك فردّ عليهم التحية بأحسن منها قال : سلام عليكم و قال فى نفسه : انّ هؤلاء قوم لا نعرفهم و ذلك أنّه ظنّهم من الانس فلم يعرفهم .

و هذا لا ينافى ما جاء فى قوله تعالى : « فلمّا رآى أيديهم لا تصل اليه نكرهم » هود : ٧٠) .

بأنّ ما فى هذه السورة حديث نفسه بالنكر وما فى سورة هود اظهاره به ، اذ

قال تعالى حكاية عنه : « قال إنّا منكم وجلون » الحجر : ٥٢) .

٣٦ - (فراغ الى أهله فجاء بعجل سمين)

أى فذهب إبراهيم عليه السلام فى خفية من ضيفه إلى أهله ـ لان من أدب المضيف أن يبادر بالقرى حذراً من أن يكفّه الضّيف أو يصير منتظراً ـ فجاء مسرعاً ضيفه بعجل سمين قد شواه لهم .

قال تعالى : « فما لبث أن جاء بعجل حنيذ » هود : ٦٩) .

٣٧ - (فقربه اليهم قال ألا تأكلون)

أى فوضع إبراهيم عليه السلام العجل المشوىّ بين أيديهم ليأكلوه فلم يمدّوا أيديهم إليه و لمّا رآهم انّهم لا يأكلون منه عرض عليهم إذ قال : لهم ألا تأكلون منه .

قال الله تعالى : « فلما رأى أيديهم لا تصل اليه » هود : ٧٠) .

وفى هذا تلطف منه فى العبارة وعرض حسن إذ إنتظم كلامه وعمله آداب الضّيافة حين جاء بطعام من حيث لايشعرون وأتى بأفضل ماله وهو عجل فتىّ مشوى ووضعه بين أيديهم و لم يضعه بعيدا منهم حتّى يذهبوا إليه و تلطف فى العرض إذ قال : ألا تأكلون ؟

٣٨ - (فأوجس منهم خيفة قالوا لاتخف وبشروه بغلام عليم)

ولمّا رأى ابراهيم عليه السلام اعراض الملائكة عن طعامه أضمر منهم خيفة وظن أنّهم يريدون به سوءاً أو وقع فى نفسه إنّهم ملائكة ارسلوا للعذاب، ، قال تعالى: « فلمّا رأى أيديهم لاتصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة » هود : ٧٠).

و ذلك لانّ أكل الضيف أمنة ودليل على سروره و إنشراح صدره وللطعام حرمة و فى الاعراض عنه وحشة موجبة لسوء الظن ، فلما شاهدوا منه الخوف قالوا تطميناً له : لا تخف يا ابراهيم انّا ارسلنا إلى قوم لوط و بشّروه بغلام عليم وهو اسمعيل بن هاجر و قدكان ابراهيم عليه السلام يسئل الله تعالى ويطلب من الله جلّ وعلا

إبناً صالحاً منها فاستجاب دعاءه ، قال الله تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام : « رب هب لى من الصالحين فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعى قال يابنى إنى ارى فى المنام انى اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت إفعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين » الصافات ١٠٠ ـ ١٠٢).

٢٩ ـ (فأقبلت امرأته فى صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم)

كانت سارة امرأة ابراهيم عليه السلام فى زاوية بيتها تنظر إليهم وتسمع بشارتهم لابراهيم عليه السلام بغلام عليم فأقبلت فى ضجة وصيحة فلطمت بوجهها متعجبة عن البشارة زاعمة إن الغلام سيولد منها وقالت : كيف البشارة ؟ فبشروها باسحق فما بشر به ابراهيم غير ما بشر به سارة هو باسمعيل وهى باسحق ، قال الله تعالى : « فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب قالت يا ويلتنا أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخاً ان هذا لشيىء عجيب قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد » هود : ٧١ ـ ٧٣) .

٣٠ ـ (قالوا كذلك قال ربك انه هو الحكيم العليم)

أى قالت الملائكة لسارة : كما قلنا لك وأخبرناك قال ربك : انك ستلدين غلاماً فلا تشكى فيه و لا تستبعدى ـ وهى كانت تستبعد الولادة لسببين : كبر السن والعقم وقد كانت لا تلد فى عنفوان شبابها والان قد عجزت وأيست فأجدر بها الان ألا تلد ـ فانا لا نقول من تلقاء أنفسنا وانما نخبرك به عنه تعالى و هو حكيم يفعل على سبيل الحكمة وعليم بمصالح خلقه .

٣١ ـ (قال فما خطبكم أيها المرسلون)

لما علم ابراهيم عليه السلام أنهم الملائكة بالبشارة وقيل : باحياء العجل وأنهم لا ينزلون مجتمعين الا لامر عظيم سئلهم عنه قال : فما شأنكم الذى ارسلتم لاجله سوى البشارة ولاى أمر جئتم أيها المرسلون .

٣٢ ـ (قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين)

قالت الملائكة لابراهيم انّا ارسلنا الى قوم عاصين لله تعالى كافرين لنعمة استحقوا العذاب والهلاك والدمار ، يعنون قوم لوط .

٣٣ ـ (لنرسل عليهم حجارة من طين)

لنرسل بأمر الله تعالى على قوم لوط من السماء حجارة من طين طيناً متحجّراً سمّاه الله جلا وعلا سجيلا مهيّئة للاحراق والهلاك .

قال الله تعالى : «وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود» هود : ٨٢) .

٣٤ ـ (مسومة عند ربك للمسرفين)

أى معلمة عند الله تعالى بعلامة العذاب المخصوص عليها اسم من يرمى بها وقد أعدّ لرجم من قضى برجمه من المتمادين فى الضلالة ، المجاوزين الحد فى الفجور .

قال الله تعالى : «و لوطاً اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين انّكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون» الاعراف : ٨٠ ـ ٨١) .

و قال : «و تذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون» الشعراء : ١٦٦) .

٣٥ ـ (فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين)

أى فلماذهب الملائكة الى قوم لوط عليه السلام لاهلاكهم اخرجنا من كان فى قرية لوط من المؤمنين . وذلك لان الله تعالى لا يهلك قرية وفيها مستغفر ومصلح و ما يهلكها الا وأهلها ظالمون .

قال الله تعالى : «و ما كان ربّك ليهلك القرى بظلم و أهلها مصلحون» هود : ١١٧) .

وقال : «و ما كان الله معذّبهم وهم يستغفرون» الانفال : ٣٣) .

و قال : «وما كنّا مهلكى القرى الا وأهلها ظالمون» القصص : ٥٩) .

٣٦ ـ (فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين)

أى فما وجدنا فى القرية غير بيت واحد من المسلمين الّذين استحقوا النجاة من هذا البلاء الاتى على القرية و اهلها و هو بيت لوط ابن أخى ابراهيم عليه السلام و من آمن بالله تعالى من اهله فاسلموا وجههم لله تعالى ظاهراً و باطناً وانقادوا لاوامر الله واجتنبوا عن نواهيه الا امرأته فكانت من الغابرين .

قال الله تعالى : « فأنجيناه و أهله الاّ امرأته كانت من الغابرين » الاعراف : ٨٣) .

و قال : « قالوا يا لوط انّا رسل ربّك لن يصلوا اليك فاسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم احد الاامرأتك انّه مصيبها ما اصابهم انّ موعدهم الصبح » هود : ٨١) .

وقال : « ثمّ دمرنا الاخرين » الشعراء : ١٧٢) .

٣٧ ـ (و تركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الاليم)

أى و أبقينا فى قرية قوم لوط من آثار التدمير والاهلاك الّتى يشاهدها النّاس علامة و عبرة لاهل ذلك الزمان و من بعدهم الذين يخافون العذاب الاليم لانّهم المنتفعون .

قال الله تعالى : « انّ فى ذلك لايات للمتوسمين » الحجر : ٧٥) .

و قال : « ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون » العنكبوت : ٣٥) .

وفى ذلك كله دلالة على توحيد الربوبية و كمال القدرة الالهية و بطلان الشرك

٣٨ ـ (وفى موسى اذ أرسلناه الى فرعون بسلطان مبين)

اى و تركنا فى قصص موسى عليه السلام علامة فيها عبرة لقوم يعقلون اذ أرسلناه الى فرعون بحجج ظاهرة و دلائل واضحة على صدق نبوته من العصا و اليد البيضاء وغيرهما من المعجزات .

٣٩ ـ (فتولى بركنه و قال ساحر او مجنون)

أى فاعرض فرعون عن التدبر فيما جاء به موسى عليه السلام من الايات وعن النظر

فى السلطان المبين معتزاً بقوته معتمداً بسلطانه وكان يقول تحقيراً لشأن موسى عليه السلام هو ساحر أو مجنون كما كان يقول انه كذاب أو مسحور ، وفي ذلك دلالة على اضطراب فرعون وجهله وتردده في الحكم على موسى (ع) فان الساحر هو اللطيف الحيلة وذلك ينافى صفة المجنون المختلط العقل فكيف يوصف شخص واحد بهاتين الصفتين وهكذا فى قوله انه كذاب أو مسحور .

وهذا هو شأن أئمة الكفر فى كل حين وشأن قادة الضلالة فى كل وقت حين يقهرهم الحق وتسقط من بين أيديهم الحجة على دفعه وكان غرضه صرف القوم عن النظر والتأمل فيما جاء به من الايات والسلطان المبين خوفاً على ملكه ان ينهار وعلى دولته ان يلحقها الدمار وابقاء على ماله من النفوذ والسلطان فى البلاد .

قال الله تعالى حكاية عن فرعون : « قال ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون ـ فالقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين قال للملاء حوله ان هذا لساحر عليم » الشعراء : ٢٧ ـ ٣٤) .

وقال : « ولقد أرسلنا موسى بآياتنا و سلطان مبين الى فرعون و هامان و قارون فقالوا ساحر كذاب فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم » المؤمن : ٢٤ ـ ٢٥) .

وقال : « ولقد آتينا موسى تسع ايات بينات ـ فقال له فرعون انى لاظنك يا موسى مسحوراً » الأسراء : ١٠١) .

٤٠ (فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم وهو مليم)

أى فأخذنا فرعون وجنوده فطرحناهم وألقيناهم فى البحر وفرعون هو الذى قد أتى ما ينبغي أن يلام عليه حينئذ وفى كل وقت من الكفر والاستكبار والتكذيب والعتو ومليم فى نعمة الله تعالى وفى عباده وهو أضلهم واتبعوه ، قال الله تعالى : « واستكبر هو وجنوده فى الارض بغير الحق وظنوا انهم الينا لايرجعون فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وجعلناهم ائمة يدعون الى النار ويوم القيامة لاينصرون واتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين » القصص : ٣٩ ـ ٤١) .

وقال : « ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادى فاضرب لهم طريقاً فى البحر يبساً لاتخاف دركاً ولا تخشى فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم وأضل فرعون قومه » طه : ٧٧ ـ ٧٩) .

٤١ ـ (وفى عاد اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم)

وتركنا فى قصة عاد علامة فيها عبرة وعظة لقوم يتفكرون إذ أطلقنا عليهم الريح لارحمة فيها ولا بركة ولا منفعة وإنّما كانت هى ريح الهلاك والدمار والنقمة على القوم الضالين ولم تبق احداً منهم .

قال الله تعالى : « فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً فى أيّام نحسات لنذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا » فصلت : ١٦) .

وقال : « انّا ارسلنا عليهم ريحاً صرصراً فى يوم نحس مستمر تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر » القمر : ١٩ ـ ٢٠) .

٤٢ ـ (ما تذر من شىء أتت عليه الاجعلته كالرميم)

أى ما تترك هذه الريح ولا تبقى شيئاً حين تمرّ عليه الاّ جعلته كالشىء الهالك البالى من نبات الارض اذا يبس وديس .

قال الله تعالى : « وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية سخّرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية » الحاقة : ٦ ـ ٨) .

وقال : « تدمّر كلّ شىء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلاّ مساكنهم كذلك نجزى القوم المجرمين » الاحقاف : ٢٥) .

٤٣ ـ (وفى ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين)

وفى ثمود أيضاً آية فيها عبرة وعظة لقوم يعلمون ، إذ قال لهم صالح نبيهم ـلما عقروا الناقةـ تمتعوا ثلاثة ايام .

وذلك ليرجعوا فيها عن كفرهم وعتوّهم ولكن لم ينفعهم ذلك فحق عليهم

كلمة العذاب .

قال الله تعالى : « فعقروها فقال تمتعوا فى داركم ثلاثة ايام ذلك وعد غير مكذوب » هود : ٦٥) .

٤٤ - **(فعتوا عن امر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون)**

أى فلم يرجعوا عن الكفر والعتوّ ولم يتوبوا إلى الله تعالى فأخذتهم الصاعقة بعد الايّام الثلاثة وهم ينظرون إليها جهاراً لا يقدرون على دفعها ، وقوله تعالى : « فأخذتهم الصاعقة » هذا لا ينافي ما جاء في موضع آخر من ذكر الرجفة والصيحة بدل الصاعقة لجواز تحقّقهما معاً في عذابهم ، قال الله تعالى : « وعتواً عن أمر ربّهم وقالوا ياصالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى دارهم جاثمين » الاعراف : ٧٧-٧٨) .

وقال : «فلما جاء أمرنا نجّينا صالحاً والذين آمنوا معه برحمة منّا و من خزى يومئذ - واخذ الذين ظلموا الصيحة» هود: ٦٦-٦٧) .

وقال: «انّا ارسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر» القمر:٣١)

٤٥ - **(فما استطاعوا من قيام وماكانوا منتصرين)**

أى فما تمكّنوا من قيام من مجلسهم ليفرّوا من عذاب الله تعالى أو يدفعوا عن انفسهم العذاب لانّهم لم يمهلوا حتىّ بمقدار أن يقوموا من مجلسهم وما كان لهم ناصر ليدفع عنهم العذاب وما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون .

قال الله تعالى : « فأخذتهم الصيحة مصبحين فما أغنى عنهم ماكانوايكسبون » الحجر : ٨٣-٨٤) .

وقال : « فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمّرناهم وقومهم اجمعين ، فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا انّ فى ذلك لاية لقوم يعلمون» النمل:٥١-٥٢) .

٤٦ - **(وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوماً فاسقين)**

أى واهلكنا قوم نوح من قبل لوط وعاد وثمود وموسى لانّ هؤلاء الهالكين كانوا قوماً خارجين عن حظيرة الدين ودائرة الايمان و كذّبوا رسولنا نوحاً عليه السلام وعصوا الله جلّ وعلا .

٤٧ - (والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون)

أى و خلقنا السماء و رفعناها على حسن نظامها بقوّة و قدرة و انّا لقادرون على خلق ما هو أعظم من هذه السماء الدنيا إلى سبع سموات ، فكل سماء أوسع مما تحتها .

قال الله تعالى : « الّذى خلق سبع سموات طباقا» الملك : ٣) .

٤٨ - (والارض فرشناها فنعم الماهدون)

أى فبسطنا الارض بسطاً على أحسن وجه وجعلناها صالحة لسكنى الانسان والحيوان فنعم الماهدون نحن إذ فعلنا ذلك لمصالح العباد ومنافعهم، قال الله تعالى: «الّذى جعل لكم الارض مهداً وسلك لكم فيها سبلا وانزل من السماء ماء فاخرجنا به ازواجاً من نبات شتّى كلوا وارعوا انعامكم انّ فى ذلك لايات لاولى النهى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى» طه: ٥٣-٥٥).

وقال : « الّذى جعل لكم الارض مهداً وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون والّذى نزّل من السماء ماء بقدر فانشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون ، والّذى خلق الازواج كلّها وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الّذى سخر لنا هذا وما كنّا له مقرنين وانّا الى ربّنا لمنقلبون» الزخرف : ١٠-١٤) .

٤٩ (ومن كل شيىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون)

أى وخلقنا من كل شيىء صنفين ونوعين وجنسين : من الذكر والانثى ومن الجن والانس ومن الروح والجسم ومن الليل والنهار ومن البر والبحر ومن النور والظلمة ومن الشقاء والسعادة ومن الهدى والضلالة ومن الحياة والموت ومن البياض والسواد ومن الباطل والحق ومن الايمان والكفر ومن الخير والشر ...

قال الله تعالى: « وهو الذى مدّ الارض وجعل فيها رواسى وانهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار انّ فى ذلك لايات لقوم

يتفكرون» الرعد: ٣).

٥٠ - (ففروا الى الله انى لكم منه نذير مبين)

أى قل يا محمد صلى الله عليه وآله لهؤلاء المشركين المنكرين للبعث والحساب والجزاء فاهربوا من الشرك إلى التوحيد ومن الانكار و التكذيب الى الايمان و التصديق انّى لكم من الله مخوف من عقابه الذى احله بهولاء الامم التى قصّ عليكم قصصها مبين لكم ما ارسلت به.

قال تعالى: «انّ ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستّة أيام ثم استوى على العرش يدبّر الامر - ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون اليه مرجعكم جميعاً وعدالله حقّاً انه يبدؤا الخلق ثم يعيده ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط و الذين كفروا لهم شراب من حميم و عذاب اليم بما كانوا يكفرون» يونس: ٣-٤).

وقال: «ذلكم الله ربّكم له الملك لااله الاّ هو فأنّى تصرفون» الزمر: ٦)

وما ورد فى معنى ففروا أى حجّوا فهو من باب التأويل.

٥١ - (ولاتجعلوا مع الله الهاً آخر انى لكم منه نذيرمبين)

أى ولا تجعلوا لله انداداً ولاتعبدوا مع الله جل وعلا الذى خلقكم معبوداً آخر من الاصنام والاوثان وما اليها من الالهة المصنوعة المتوهمة إذ لاشريك له فى الالوهية والمعبودية

قال الله تعالى: «يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذى جعل لكم الارض فراشاً والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وانتم تعلمون» البقرة: ٢١-٢٢).

٥٢ - (كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أومجنون)

أى كما كذّبك قومك قريش ومن اليهم وما جئت به اليهم وقالوا لك: انك ساحر أو مجنون - فعلت الامم التى كانوا قبل قريش إذ قالوا لرسلنا اليهم: مثل

مقالة مشركي قريش لك .

فهم ليسوا ببدع فى الامم ولاأنت ببدع فى الرسل فكلهم قد كذّبوا وأنكروا وأوذوا رسلنا وهم صبروا حتى أتاهم نصرالله جلّ وعلا فى الحياة الدنيا ، هذا هو فرعون يقول: « ساحر أو مجنون » .

قال الله تعالى : « وان يكذّبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين و كذّب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير» الحج : ٤٢-٤٤) .

وقال: «قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون و لقد كذّبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذّبوا و اوذوا حتّى أتاهم نصرنا ولا مبدّل لكلمات الله و لقد جاءك من نبإِ المرسلين » الانعام : ٣٣-٣٤) .

وقال : « انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا » المؤمن : ٥١) .

وقال : « حتىّ إذا استيئس الرّسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجّى من نشاء ولا يردّ بأسنا عن القوم المجرمين» يوسف : ١١٠) .

٥٣ - (أتواصوا به بل هم قوم طاغون)

أى كان يوصى أوّلهم آخرهم بالتكذيب والاستهزاء والانكار لما جاء به الرسول و تواطئوا عليها ، فكان متأخرهم يقولون مقالة متقدّميهم و علة ذلك انهم قوم طاغون .

قال الله تعالى : « وما يأتيهم من رسول الاّ كانوا به يستهزؤن - لايؤمنون به وقد خلت سنة الاوّلين» الحجر: ١١-١٣).

وقال تعالى : « والذين كذّبوا بآياتنا واستكبروا عنها اولئك أصحاب النار هم فيها خالدون - قال ادخلوا فى امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس فى النار كلما دخلت امة لعنت اختها حتى إذا ادّاركوا فيها جميعاً قالت اخراهم لاولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار قال لكل ضعف ولكن لاتعلمون

وقالت اولاهم لاخراهم فماكان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون» الاعراف : ٣٦-٣٩) .

٥٤ - (فتول عنهم فما أنت بملوم)

أى فاعرض يا أيها الرسول ﷺ عن المشركين المستهزئين المنكرين ، واصفح عنهم فما انت بملوم فى كفرهم وجحودهم بل انما اللوم عليهم من حيث انهم كذّبوا وأنكروا للبعث والحساب والجزاء وما كانوا يوعدون .

قال تعالى: «فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزئين» الحجر : ٩٤ - ٩٥) .

وقال: «فتولّ عنهم ـ ولقد يسّرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر» القمر:٦-١٧)

٥٥ - (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين)

وذكّر الناس بما انزلنا اليك من القرآن لانّ المؤمنين ينتفعون به .

قال الله تعالى: « فذكّر إنمّا أنت مذكّر لست عليهم بمصيطر »الغاشية:٢١-٢٢).

وقال : « فذكّر فما أنت بنعمت ربّك بكاهن ولا مجنون أم يقولون شاعر ـ ام تأمرهم أحلامهم بهذا ام هم قوم طاغون » الطور : ٢٩ - ٣٢) .

فعرض الدعوة على النّاس و كشف معالم الدين لهم بما يتلى عليهم من آيات الله تعالى وان لم يلتفت إليه كثير منهم ولم يأخذوا طريقهم اليه أمر مطلوب من النبّى الكريم ﷺ .

فان كثيراً من الناس ينتفعون به ويقيمون وجوههم عليه كما انّ المؤمنين الّذين آمنوا واستجابوا لدعوة الحق يزيدهم هدا التذكير ايماناً ويقع من قلوبهم موقع النفع فيقوّى يقينهم ويثبت أقدامهم على طريق الحق .

قال الله تعالى : « إنّما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربّهم يتوكلون » الانفال : ٢) .

٥٦ - (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون)

إنّ الله تعالى خلق الجن والانس للرحمة ولا ينال بها أحد إلاّ بالعبادة فأمرهم الله جلّ وعلا بها ، وحقيقة العبادة نصب العبد نفسه في مقام الذلّة والعبودية وتوجيه وجهه الى مقام ربّه وانقطاعه عن نفسه وعن كلّ شيء سوى الله جلّ وعلا فيذكّر ربه وهذا هو مراد من فسّر العبادة بالمعرفة الّتي تحصل بالعبادة فاعبد ربّك حتّى يأتيك اليقين .

قال الله تعالى : « ولا يزالون مختلفين الاّ من رحم ربك ولذلك خلقهم » هود : ١١٨ ـ ١١٩) أي للرحمة خلقهم .

قال الله سبحانه: «ورحمتي وسعت كلّ شيء فسأكتبها للذين يتّقون ويؤتون الزكاة والّذين هم بآياتنا يؤمنون» الاعراف : ١٥٦) .

وقال : « تلك الجنّة التّي نورث من عبادنا من كان تقيّا » مريم:٦٣).

وقال : « أو عجبتم أن جاء كم ذكر من ربّكم على رجل منكم لينذركم ولتتّقوا ولعلّكم ترحمون » الاعراف : ٦٣) .

و قال : « وإذا جاءك الّذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربّكم على نفسه الرحمة انّه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانّه غفور رحيم و كذلك نفصّل الايات و لتستبين سبيل المجرمين قل انّي نهيت أن اعبد الّذين يدعون من دون الله قل لا اتبّع اهواءكم قد ضللت اذا و ما انا من المهتدين » الانعام : ٥٤ ـ ٥٦) .

وقال : «انّ الله ربّي وربّكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم» آل عمران: ٥١) .

وقال : «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصّلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله اولئك سيرحمهم الله انّ الله عزيز حكيم وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيّبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم » التوبة : ٧١ ـ ٧٢) .

٥٧ - (ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون)

أى ما اريد من الجن والانس ان اصرفهم فى تحصيل رزق فارتزق به ولا فى تحصيل طعام يطعمونى به بل اتفضّل عليهم برزقهم وبما يصلحهم وما يعيشون به هنيئاً من عندى فليشتغلوا بما ينال به الى رحمتى الاخرى فى الدار الاخرة فانّى انا الرزاق والمعطى .

فانّ الله تعالى غنىّ عن عبادة عباده وعن ايمان المؤمنين به ، فما يريد من العبادة والايمان لذّة لذاته المقدّسة ولا انتفاعاً لنفسه وانمّا أمرهم بالعبادة لينالوا بها برحمته الّتى خلقهم لنيلهم بها بحسن اختيارهم .

قال الله تعالى : «وأمر اهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسئلك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للتقوى » طه : ١٣٢) .

وقال: «لكم رزقاً فابتغوا عندالله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون» العنكبوت : ١٧) .

٥٨ - (ان الله هو الرزاق ذوالقوة المتين)

انّ الله هوالرزّاق لعباده ولخلقه كله وهو الّذى يفيض رزقه عليهم ويمنحهم من فضله ما يمسك عليهم وجودهم ويقيم به حياتهم وهم الفقراء إليه فى جميع أحوالهم وشئونهم وهو ذوالقدرة الشديد الذى يستحيل عليه العجز والضعف وهو القادر بذاته غالب على أمره غير محتاج الى أحد من خلقه .

قال الله تعالى : « الله لطيف بعباده يرزق من يشاء و هو القوىّ العزيز » الشورى : ١٩) .

وقال تعالى : « وما من دابّة فى الارض إلا على الله رزقها » هود : ٦) .

وقال : « هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض » فاطر: ٣).

وقال : « يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنى الحميد إن يشاء يذهبكم ويأت بخلق جديد و ما ذلك على الله بعزيز » فاطر: ١٥ ـ ١٧).

٥٩ ـ **(فان للذين ظلموا ذنوباً مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون)**

أى فان للذين ظلموا على أنفسهم بالكفر والانكار لما كانوا يوعدون نصيباً من العذاب مثل نصيب أصحابهم الذين هلكوا من الامم السالفة من قوم لوط وعاد وثمود و من فرعون و أذنابه و من قوم نوح عليه السلام فلا يطلبوا منّى ان اعجل فى إنزال العذاب بهم إذ قالوا : يا محمد : « إئتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين » الاحقاف ٢٢) وانا على ما نعدهم لقادرون فلا يفوتون منه إمّا فى هذه الحياة الدنيا و إمّا فى الدار الاخرة .

قال : « وإنا على أن نريك ما نعدهم لقادرون » المؤمنون : ٩٥) .

وقال : « وان ما نرينّك بعض الذى نعدهم أو نتوفينك فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب » الرعد: ٤٠).

٦٠ ـ **(فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون)**

أى فويل للذين كفروا بالله من اهل مكّة و من إليهم و كذّبوا رسوله صلى الله عليه وآله و أنكروا البعث والحساب والجزاء من يومهم الّذى كانوا يوعدون به من البعث والحساب والجزاء .

قال الله تعالى : « فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم اسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين وانذرهم يوم الحسرة اذ قضى الامر وهم فى غفلة و هم لايؤمنون » مريم ٣٧ ـ ٣٩).

وقال : « فذرهم يخوضوا و يلعبوا حتى يلاقوا يومهم الّذى يوعدون يوم يخرجون من الاجداث سراعاً كانّهم إلى نصب يوفضون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الّذى كانوا يوعدون » المعارج : ٤٢ ـ ٤٤) .

﴿ جملة المعانى ﴾

٤٦٧٦ - (والذاريات ذروا)

إن الله تعالى اقسم بالرياح لما يشاهد من آثارها و منافعها و مافيها من الوعد والوعيد .

٤٦٧٧ - (فالحاملات وقرا)

واقسم جل وعلا بالسحائب التى يحملن ثقلا من الماء من بلد الى بلد .

٤٦٧٨ - (فالجاريات يسرا)

وأقسم سبحانه بالسفن التى تساق فى البحار بالرياح فتجرى سهلا يسيرا

٤٦٧٩ - (فالمقسمات أمرا)

وأقسم عز اسمه بالملائكة حال حملهم لما يؤمرون به الذين يقسمون أوامر الله تعالى فى خلقه .

٤٦٨٠ - (انما توعدون لصادق)

أقسم الله جل وعز بالاشياء الاربعة بأن البعث والحشر والحساب والجزاء التى كان يعد بها الناس لصادق لا ريب فيه .

٤٦٨١ - (وان الدين لواقع)

وان الجزاء الذى كان يعدبه واقع لامحالة .

٤٦٨٢ - (والسماء ذات الحبك)

وأقسم الله تعالى بالسماء ذات المسالك والطرائق .

٤٦٨٣ - (انكم لفى قول مختلف)

بأنكم اختلفتم فيما وعدتم به من أمر البعث والجزاء وقلتم فيه من غير علم .

٤٦٨٤ - (يؤفك عنه من افك)

أى يصرف عن الايمان بالبعث ، و ما جاء به النبى ﷺ من هو مأفوك عن الاهتداء .

٤٦٨٥ - (قتل الخراصون)

أى لعن القوّالون المنكرون للبعث من غير دليل ولا علم .

٤٦٨٦ - (الذين هم فى غمرة ساهون)

أى هؤلاء الخرّاصون فى جهالة و ارتياب أحاطت بهم غافلون عن حقيّة ما وعدوا به .

٤٦٨٧ - (يسئلون أيان يوم الدين)

أى يسئلك هؤلاء الخرّاصون على طريق الاستهزاء : متى يكون البعث والجزاء .

٤٦٨٨ - (يوم هم على النار يفتنون)

أى قل لهم : انّ البعث والجزاء يوم هم يعرضون على نار جهنّم و يعذّبون بها .

٤٦٨٩ - (ذوقوا فتنتكم هذا الذى كنتم به تستعجلون)

أى يقال لهم يومئذ : ذوقوا عذابكم بالنار ايّها الخراصون المنكرون و كنتم به تستعجلون .

٤٦٩٠ - (ان المتقين فى جنات و عيون)

أى انّ الذين اتقوا هم فى جنات لايقدر الواصفون على وصفها لعظم قدرها

تحيط بهم عيون من عسل و لبن و ماء لم يتغيّر طعمه .

٤٦٩١ - (آخذين ما آتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين)

أى آخذين ما أعطاهم ربّهم من الخير فى الجنة لانهم كانوا فى الحياة الدنيا يحسنون عقيدتهم و عملهم .

٤٦٩٢ - (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون)

اى كان هؤلاء المتقون المحسنون يناموين قليلا من الليالى تمام الليل بحيث يفوت منهم صلاته فى بعض الليالى فلا تفوتهم الاّ فى قليل من الليالى .

٤٦٩٣ - (و بالاسحارهم يستغفرون)

و كانواهم وقت السحر يستغفرون الله لانفسهم وللمؤمنين والمؤمنات .

٤٦٩٤ - (وفى اموالهم حق للسائل والمحروم)

أى وجعل هؤلاء المحسنون فى أموالهم بصفاء فطرتهم جزءاً للطالب المحتاج والمحروم المتعفف .

٤٦٩٥ - (وفى الارض آيات للمؤمنين)

أى و فى الارض من جبالها و سهلها وبرّها و بحرها و ما على ظهرها و ما فى بطنها دلائل قاطعة على وحدانية خالقها و كمال قدرته و غاية علمه وحكمته .

٤٦٩٦ - (وفى أنفسكم أفلا تبصرون)

أى وفى انفسكم ايها المنكرون للبعث والجزاء دلالة واضحة على ذلك افلا تنظرون فيها فتتفكّروا فيها فتعلموا حقّيّة ما وراء هذه الحياة الدنيا .

٤٦٩٧ - (وفى السماء رزقكم و ما توعدون)

أى وفى السّماء تقدير أرزقكم وامرما توعدون به من أمر الساعة .

٤٦٩٨ - (فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون)

أقسم الله تعالى بوحدانية ربوبيته : انّ ما وعدكم به أيها المنكرون من أمر البعث والجزاء حقّ لامرية فيه فلا تشكّوا فيه كما لا تشكّون فى نطقكم حين تنطقون .

٤٦٩٩ - (هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين)

أى عندك يا محمّد صلى الله عليه وآله نبأ بما حدث بين ابراهيم عليه السلام و ضيوفه من الملائكة المكرمين .

٤٧٠٠ - (اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون)

حين دخلوا على ابراهيم عليه السلام فقالوا له على طريق التحيّة : اسلّم سلاماً عليك فردّ عليهم التحيّة بأحسن منها قال : سلام عليكم وقال فى نفسه : من هؤلاء لانعرفهم .

٤٧٠١ - (فراغ الى أهله فجاء بعجل سمين)

اى فذهب ابراهيم عليه السلام فى خفية من ضيفه الى أهله فجاء مسرعاً بعجل سمين قد شوّاه لهم .

٤٧٠٢ - (فقربه اليهم قال ألا تأكلون)

أى فوضع ابراهيم عليه السلام العجل المشوى بين أيديهم قال : ألا تأكلونه .

٤٧٠٣ - (فأوجس منهم خيفة قالوا لاتخف وبشروه بغلام عليم)

فأضمر منهم خيفة اذ ظنّ انهم يريدون به سوءاً او وقع من نفسه انّهم ملائكة ارسلوا للعذاب قالوله : لا تخف يا ابراهيم وبشروه باسمعيل عليه السلام .

٤٧٠٤ - (فاقبلت امرأته فى صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم)

فجائت سارة امرأة ابراهيم عليه السلام فى صيحة اذ سمعت البشارة فلطمت بوجهها متعجبة عن البشارة زاعمة انّ الغلام سيولد منها وقالت: كيف البشارة أألد وأنا عجوز

لم اكن والداً فبشّروها باسحق.

٤٧٠٥ - (قالوا كذلك قال ربك انه هو الحكيم العليم)

قالت الملائكة لسارة: كما اخبرناك قال ربك انّ الله هو حكيم يفعل بحكمته وعليم بمصالح خلقه.

٤٧٠٦ - (قال فما خطبكم أيها المرسلون)

لمّا علم ابراهيم عليه السلام انهم الملائكة قال: فما شأنكم الّذى ارسلتم لاجله ايّها المرسلون.

٤٧٠٧ - (قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين)

قالت الملائكة لابراهيم عليه السلام انا ارسلنا الى قوم اجرموا فاستحقوا الهلاك وهم قوم لوط.

٤٧٠٨ - (لنرسل عليهم حجارة من طين)

لنرسل بأمر الله تعالى على اهلاك قوم لوط بحجارة من طين مهيّئة للاحراق.

٤٧٠٩ - (مسومة عند ربك للمسرفين)

معلمة عند الله جل وعلا بعلامة العذاب للمجاوزين الحدّ فى الفجور.

٤٧١٠ - (فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين)

فلما ذهبت الملائكة الى قوم لوط عليه السلام لاهلاكهم أخرج الله تعالى المؤمنين من قريتهم.

٤٧١١ - (فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين)

قال الله تعالى فما وجدنا فى تلك القرية غير بيت واحد من المسلمين الذين استحقوا للنجاة من الهلاك وهو بيت لوط وبناته معه.

٤٧١٢ ـ (وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الاليم)

وأبقينا فى قرية قوم لوط من آثار الهلاك والتدمير علامة فيها عبرة للذين يخافون العذاب الاليم لانّهم يعتبرون .

٤٧١٣ ـ (وفى موسى اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين)

وتركنا فى قصّة موسى عليه السلام علامة فيها عبرة لقوم يعقلون اذ أرسلناه الى فرعون بحجج ظاهرة و دلائل قاطعة على صدق نبوّته من العصا واليد البيضاء .

٤٧١٤ ـ (فتولى بركنه وقال ساحر أو مجنون)

فاعرض فرعون عن التدبر فيما جاء به موسى عليه السلام قال من غير علم : انّه ساحر أو مجنون .

٤٧١٥ ـ (فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم وهو مليم)

فاخذنا فرعون وجيشه وأذنابه وحواشيه فألقيناهم فى البحر وكان فرعون حينئذ يلام على مافعله من قبل من الكفر والطغيان .

٤٧١٦ ـ (وفى عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم)

وتركنا فى قصّة عاد علامة فيها عظة لقوم يتفكّرون إذ أطلقنا عليهم لارحمة فيها .

٤٧١٧ ـ (ما تذر من شىء أتت عليه الاجعلته كالرميم)

ما تترك هذه الريح ولا تبقى شيئاً حين تمرّ عليه إلاّ جعلته كالشىء الهالك البالى .

٤٧١٨ ـ (وفى ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين)

وأبقينا فى ثمود أيضا آية فيها عبرة لقوم يعلمون إذ قال لهم صالح نبيّهم عليه السلام لما عقروا الناقة تمتّعوا ثلاثة ايام .

٤٧١٩ - (فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون)

فلم يرجعوا عن الكفر والطغيان فاخذتهم الصاعقة بعد الايّام الثلاثة وهم ينظرون اليها لايقدرون على دفعها .

٤٧٢٠ - (فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين)

فماكانوا متمكّنين من قيام من مجلسهم ليفرّوا من عذاب الله تعالى أويدفعوا عن انفسهم العذاب وما كان لهم ناصر يدفع عنهم العذاب .

٤٧٢١ - (وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين)

واهلكنا قوم نوح من قبل قوم لوط وعاد وثمود وموسى لانّهم كانوا خارجين عن حظيرة الدين .

٤٧٢٢ - (والسماء بنيناها بايد وانا لموسعون)

و خلقنا السماء و رفعناها على حسن نظامها بقوّة و انا على خلق ما هو أعظم لقادرون .

٤٧٢٣ - (والارض فرشناها فنعم الماهدون)

وبسطنا الارض بسطاً على أحسن وجه وجعلناها صالحة لسكنى الانسان والحيوان فنعم الماهدون نحن .

٤٧٢٤ - (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون)

وخلقنا من كل شيءصنفين ونوعين وجنسين : من الذكر والانثى ومن الجن والانس ومن الروح والجسم ...

٤٧٢٥ - (ففروا الى الله اني لكم منه نذير مبين)

قل يا محمد صلى الله عليه وآله لهؤلاء المنكرين للبعث والجزاء فاهربوا إلى الله تعالى انّي لكم من الله مخوف من عقابه الّذى أحلّه بهؤلاء الامم السالفة . .

٤٧٢٦ ـ (ولا تجعلوا مع الله الهاً آخر انى لكم منه نذير مبين)

ولا تجعلوا لله سبحانه أنداداً ولا تعبدوا مع الله معبوداً آخر انّى لكم من الله تعالى نذير مبين .

٤٧٢٧ ـ (كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون)

كما كذّبك قومك قريش وقالوا لك : انك ساحر أو مجنون فعلت الامم الّتى كانوا قبل قريش إذ قالوا لرسلنا : مثل مقالة قومك .

٤٧٢٨ ـ (اتواصوا به بل هم قوم طاغون)

كان يوصى بعضهم بعضا بالانكار وتواطئوا عليه لانّهم كانوا قوما طاغين .

٤٧٢٩ ـ (فتول عنهم فما انت بملوم)

فاعرض ايّها الرسول ﷺ عن المنكرين فما أنت بملوم فى كفرهم وانكار .

٤٧٣٠ ـ (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين)

وذكّر ايّها الرسول ﷺ الناس بما انزلنا اليك لان المؤمنين منهم منتفعون به .

٤٧٣١ ـ (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون)

انّ الله تعالى خلق الجنّ والانس للرحمة ولا ينالبها أحد منهم إلا بالعبادة فأمرهم بها لينالوا بها .

٤٧٣٢ ـ (ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون)

ما اريد من الجن والانس فى خلقهم ان اصرفهم فى تحصيل رزق فارتزق به ولا فى تحصيل طعام يطعمونى به .

٤٧٣٣ ـ (ان الله هو الرزاق ذوالقوة المتين)

وحال انّ الله جلّ وعلا هو يرزق خلقه على كثرتهم وهو ذوالقدرة الشديد

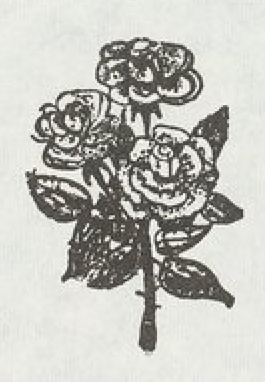
والغالب على أمره .

٤٧٣٤ - (فان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم فلايستعجلون)

فـان للذين ظلموا على انفسهم بالكفر والانكار لما يوعدون به نصيباً مـن العذاب مثل نصيب أضرابهم من الامم السالفة فلا يطلبوا منّى أن اعجل فـى إنزال العذاب بهم .

٤٧٣٥ - (فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون)

فويـل للذين كفروا بالله وانكروا للبعث والجزاء مـن يـومهم الّذى كانوا يوعدون به من البعث والجزاء .



﴿ بحث روائی ﴾

فی المجمع : قال أبو جعفر وأبو عبدالله علیهما السلام : لا یجوز لاحد أن یقسم الاّ بالله تعالی والله یقسم بماشاء من خلقه .

وفی الاحتجاج : عن الاصبغ بن نباتة قال : خطبنا أمیرالمؤمنین عليه السلام علی منبر الکوفة فحمد الله وأثنی علیه ثم قال : ایّها الناس سلونی فان بین جوانحی علماً جمّاً .

فقام إلیه إبن الکواء فقال : یا أمیرالمؤمنین ما الذّاریات ذرواً ؟ قال : الریاح قال : فما الحاملات وقراً ؟ قال : السحاب ، قال : فما الجاریات یسراً ؟ قال : السفن قال : فما المقسمات امرا ؟ قال : الملائکة .

وفی تفسیر القمی : حدّثنی أبی عن ابن أبی عمیر عن جمیل عن أبی عبدالله عليه السلام فی قوله تعالی : « والذاریات ذروا » .

فقال : انّ ابن الکوّاء سئل أمیر المؤمنین عليه السلام عن « الذاریات ذروا » قال: الریح وعن « فالحاملات وقرا » فقال : هی السحاب وعن « فالجاریات یسرا » فقال: هی السفن وعن « فالمقسمّات أمرا » فقال : الملائکة .

وفی الدر المنثور : بالاسناد عن علیّ بن أبیطالب عليه السلام فی : « والذاریات ذروا » قال : الریاح « فالحاملات وقرا » قال : السحاب « فالجاریات یسرا » قال : السفن « فالمقسّمات امرا » قال : الملائکة .

وفی تفسیر ابن کثیر : بالاسناد عن أبی الطفیل : انّه سمع علیاً عليه السلام انّه صعد منبر الکوفة فقال : لا تسئلونی عن آیة فی کتاب الله ولا عن سنّة عن رسول الله صلى الله عليه وآله الاّ أنبأتکم بذلک فقام الیه ابن الکواء فقال : یا أمیرالمؤمنین ما معنی

قوله تعالى: « والذاريات ذروا »؟ قال علي عليه السلام: الريح قال: « فالحاملات وقراً »؟ قال: السحاب قال: « فالجاريات يسراً »؟ قال: السفن قال: « فالمقسمات أمرا »؟ قال: الملائكة.

وفي شرح ابن أبي الحديد: وجاء رجل الى عمر فقال: ان ضبيعا التميمي لقينا يا امير المؤمنين فجعل يسئلنا عن تفسير حروف من القرآن.

فقال: اللهم امكني منه فبينا عمر يوماً جالس يغدي الناس إذ جاءه الضبيع وعليه ثياب وعمامة فتقدم فأكل حتى إذا فرغ قال: يا أمير المؤمنين ما معنى قوله تعالى: «والذاريات ذرواً فالحاملات وقراً»!

قال: ويحك انت هو!

فقام إليه فحسر عن ذراعيه فلم يزل يجلده حتى سقطت عمامته فاذا له ضفيرتان فقال: والذي نفس عمر بيده لو وجدتك محلوقاً لضربت رأسك ثم أمر به فجعل في بيت ثم كان يخرجه كل يوم فيضربه مأة فاذا برأ أخرجه فضربه مأة اخرى ثم حمله على قتب وسيره إلى البصرة.

وكتب إلى أبي موسى - الاشعري - يأمره أن يحرم على الناس مجالسته وأن يقوم في الناس خطيباً ثم يقول: ان ضبيعا قد ابتغى العلم فأخطأه فلم يزل وضيعا في قومه وعند الناس حتى هلك وقد كان من قبل سيد قومه.

أقول: رواه الالوسي في (روح المعاني) عن سعيد بن المسيب.

وفي الجامع لاحكام القرآن: بالاسناد عن السائب ابن يزيد ان رجلا قال لعمر: انني مررت برجل يسئل عن تفسير مشكل القرآن فقال عمر: اللهم امكني منه فدخل الرجل على عمر يوماً وهو لابس ثياباً وعمامة وعمر يقرأ القرآن فلما فرغ قام إليه الرجل فقال: يا اميرالمؤمنين ما «الذاريات ذرواً» فقام عمر فحسر عن ذراعيه وجعل يجلده ثم قال: ألبسوه ثيابه واحملوه على قتب وأبلغوا به حيه ثم ليقم خطيبا فليقل: ان ضبيعا طلب العلم فأخطأه فلم يزل وضيعا في قومه بعد ان كان سيداً فيهم.

أقول: أفمن كان يدّعي الخلافة الالهية ـ وعليه حل المشكلات ـ يجوز له أن يجيب السائل بالضرب والتشهير بالخطأ وهو لايريد الّا حل ما اشكل عليه من القرآن الكريم؟ افمن كان هذا شأنه يليق لذلك؟!.

فالقضاء على من له عقل سليم وانصاف.

وفي تفسير الجامع لاحكام القرآن: عن عامر بن وائلة: انّ إبن الكواء سئل علياً رضي‌الله عنه فقال: يا اميرالمؤمنين ما «الذاريات ذروا»؟ قال: ويلك سل تفقّهاً ولا تسئل تعنّتاً «والذاريات ذروا» الرياح «فالحاملات وقرا» السحاب «فالجاريات يسرا» السفن «فالمقسمات امرا» الملائكة.

وفيه: وروى الحرث عن علي رضي الله عنه «والذاريات ذروا» قال: الرياح «فالحاملات وقرا» قال: السحاب تحمل الماء كما تحمل ذوات الاربع الوقر «فالجاريات يسرا» قال: السفن موقرة «فالمقسمات أمرا» قال: الملائكة تأتي بامر مختلف جبرئيل بالغلظة وميكائيل صاحب الرحمة وملك‌الموت يأتي بالموت.

وفي تفسير الطبري: باسناده عن‌القاسم إبن أبي‌بزة قال: سمعت أباالطفيل قال: سمعت علياً رضي‌الله عنه يقول: لاتسئلوني عن كتاب ناطق ولاسنة ماضية الّا حدثتكم فسئله إبن الكواء عن الذاريات فقال: هي الرياح.

وفي التهذيب: عن الصادق عليه‌السلام في قوله الله عزوجل: «فالمقسمات امرا» قال: الملائكة تقسم أرزاق بني‌آدم من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس فمن نام فيما بينهما نام عن رزقه.

وفي تفسير القمي: باسناده عن‌أبي حمزة قال: سمعت أبا جعفر عليه‌السلام يقول في قول‌الله: «انما توعدون لصادق» يعني في علي عليه‌السلام و «ان الدين لواقع» يعني علياً عليه‌السلام وعليّ هوالدين وقوله: «والسماء ذات‌الحبك» قال: السماء رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وآله وعلي عليه‌السلام ذات الحبك.

وفيه: باسناده عن الحسين بن الخالد عن أبي‌الحسن الرضا عليه‌السلام قلت له: أخبرني عن‌قول الله عزوجل: «والسماء ذات الحبك» فقال هي محبوكة الى الارض

وشبك بين اصابعه قلت : كيف يكون محبوكة الى الارض والله يقول: رفع السماء بغير عمد ترونها ، فقال: سبحان الله أليس الله يقول: بغير عمد ترونها ؟ قلت: بلى فقال: ثم عمد ولكن لاترونها قلت: كيف ذلك جعلني الله فداك ؟ قال: فبسط كفّه اليسرى ثم وضع اليمنى عليها فقال: هذه أرض الدنيا والسماء الدنيا عليها فوقها قبّة والارض الثانية فوق سماء الدنيا والسماء الثانية فوقها قبة والارض الثالثة فوق السماء الثانية والسماء الثالثة فوقها قبّة والارض الرابعة فوق السماء الثالثة والسماء الرابعة فوقها قبة والارض الخامسة فوق السماء الرابعة والسماء الخامسه فوقها قبة والارض السادسة فوق السماء الخامسة و السماء السادسة فوقها قبّة والارض السابعة فوق السماء السادسة والسماء السابعة فوقها قبة وعرش الرحمن تبارك وتعالى فوق السماء السابعة وهو قوله عزوجل : « الّذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزّل الامر بينهن» فأمّا صاحب الامر فهو رسول الله صلى الله عليه وآله والوصّى بعد رسول الله قائم على وجه الارض فانما يتنزّل إليه من فوق السماء من بين السموات والارضين قلت : فماتحتنا الاّ أرض واحدة ؟ فقال : ما تحتنا الاّ أرض واحدة وانّ الست لهن فوقنا .

وفي المجمع : « ذات الحبك » ذات الطرائق الحسنة لكنّا لانرى تلك الحبك لبعدها عنّا . وقيل : ذات الحسن والزينة عن على عليه السلام .

وفي الدر المنثور: عن على عليه السلام انه سئل عن قوله : والسماء ذات الحبك » قال : ذات الخلق الحسن .

وفي جوامع الجامع : و عن على عليه السلام : حسنها وزينتها .

وفي الكافي: باسناده عن أبى حمزة عن أبى جعفر عليه السلام فى قوله : « لفى قول مختلف » فى أمر الولاية « يؤفك عنه من افك » قال : من افك عن الولاية افك عن الجنة .

وفى بصائر الدرجات : عن أبى جعفر عليه السلام قال: وأمّا قوله: «انكم لفى قول مختلف» فانّه علىّ عليه السلام يعنى انّه لمختلف عليه قد اختلف هذه الامة فى ولايته فمن استقام على ولاية علىّ عليه السلام دخل الجنة ومن خالف ولاية علىّ دخل النار .

وأمّا قوله: «يؤفك عنه من افك» فانه يعني علياً عليه السلام من افك عن ولايته افك عن الجنّة فذلك قوله: «يؤفك عنه من افك».

١٠ ـ (قتل الخراصون)

في تفسير القمي: في قوله: «قتل الخرّاصون» قال: الذين هم يخرصون بآرائهم من غير علم ولا يقين، وقوله: «الذين هم في غمرة ساهون» قال: أي في ضلال. والساهي الّذي لا يذكر الله.

وفي الاختصاص: عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّ وجل: «يوم هم على النار يفتنون» قال: يكسرون في الكرّة كما يكسر الذهب حتّى يرجع كلّ شيء إلى شبهه، يعني إلى حقيقته.

أقول: الكرّة: الرجعة، كقوله تعالى: «تلك اذاً كرّة خاسرة النازعات: ١٢).

لعلّ المراد افتتانهم حتى يظهر حقائقهم.

وفي الكافي: باسناده عن محمد بن مسلم قال: سمعت أباجعفر عليه السلام يقول: إنّ العبد يوقظ ثلاث مرّات من الليل فان لم يقم أتاه الشيطان فبال في اذنه، قال: وسئلته عن قول الله عزوجل: «كانوا قليلا من الليل ما يهجعون» قال: كانوا أقلّ الليالي تفوتهم لا يقومون فيها.

وفي التهذيب: باسناده عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال: «كانوا قليلا من الليل ما يهجعون» قال: كان القوم ينامون ولكن كلما إنقلب أحدهم قال: الحمدلله ولا اله الاّ الله والله أكبر.

وفيه: باسناده عن معاوية بن عمّار قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول في قول الله عزّ وجلّ: «وبالاسحارهم يستغفرون» في الوتر في آخر الليل سبعين مرّة.

وفي الدر المنثور: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ آخر الليل في التهجد أحب إليّ من أوّله، لانّ الله يقول: «وبالاسحارهم يستغفرون».

وفي الكافي: باسناده عن صفوان الجمال عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله

عزوجل : « للسائل والمحروم » قال : المحروم المحارف الّذی حرم كدّ یده فی الشراء والبیع .

اقول: رواه الشیخ قدس سرّه فی التهذیب.

و فی روایة اخری : عن أبی جعفر و أبی عبدالله علیهما السلام انّهما قالا : المحروم الرجل الذی لیس بعقله بأس و لم یبسط له فی الرزق وهومحارف .

وفی تفسیر القمی: فی قوله تعالی: «وفی أموالهم حقّ للسائل والمحروم» قال: السائل الذی یسئل والمحروم الذی قد منع كدّه .

وفی تفسیر محاسن التأویل : عن الامام الحسین بن علی عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : للسائل حق وان جاء علی فرس .

أقول : رواه أكثر مفسری العامّة .

٢٠ ـ (وفی الارض آیات للموقنین)

فی تفسیر القمی : فی قوله تعالی : « وفی الارض آیات للموقنین » قال : فی كل شیء خلقه آیة ، وقال الشاعر : وفی كل شیء له آیة ـ تدل علی أنّه واحد

وفیه : فی قوله تعالی : « وفی أنفسكم افلا تبصرون » قال : خلقك سمیعاً بصیراً تغضب مرّة وترضی مرّة وتجوع مرّة وتشبع مرّة وذلك كلّه من آیات الله .

أقول : وفی المجمع : عن الصادق عليه السلام .

وفی التوحید : باسناده عن هشام بن سالم قال : سئل أبو عبد الله عليه السلام فقیل له : بما عرفت ربّك ؟ قال : بفسخ العزم ونقض الهم ، عزمت ففسخ عزمی ، وهممت فنقض همّی .

وفی الكافی : باسناده عن أبی الحسن الرضا عليه السلام فی حدیث ـ قال له زندیق : فأخبرنی متی كان ؟ قال أبو الحسن عليه السلام : انّی لما نظرت إلی جسدی ولم یمكننی فیه زیادة ولا نقصان فی العرض والطول ودفع المكاره عنه وجرّ المنفعة إلیه علمت أنّ لهذا البنیان بانیاً : فأقررت به مع ما أری من دوران الفلك بقدرته وإنشاء السحاب وتصریف الریاح ومجری الشمس والقمر والنجوم وغیر ذلك من

الايات العجيبات البينات علمت أنّ لهذا مقدّراً أو منشئاً .

وفيه : في حديث ـ قال أبو عبدالله عليه السلام لابن أبي العوجاء : ويلك وكيف إحتجب عنك من أراك قدرته فى نفسك ، نشوك ولم تكن ، وكبرك بعد صغرك ، وقوّتك بعد ضعفك وضعفك بعد قوّتك ، وسقمك بعد صحتك ، وصحتك بعد سقمك ورضاك بعد غضبك ، وغضبك بعدرضاك ، وحزنك بعد فرحك ، وفرحك بعد حزنك وبغضك بعد حبّك ، وحبّك بعد بغضك ، وعزمك بعد أناتك ، وأناتك بعد عزمك ، وشهوتك بعد كراهيتك ، وكراهيتك بعد شهوتك ، ورغبتك بعد رهبتك ، ورهبتك بعد رغبتك ، ورجاك بعد يأسك ، ويأسك بعد رجاك ، وخاطرك بما لم تكن فى وهمك ، وغروب ما أنت معتقده عن ذهنك ، وما زال يعدد على قدرته الّتى هى فى نفسى التى لا أدفعها حتّى ظننت أنه سيظهر فيما بينى وبينه .

وفى الدالمنثور : عن علي بن أبي طالب عليه السلام «وفى أنفسكم أفلا تبصرون» قال : سبيل الغائط والبول .

وفى قرب الاسناد : باسناده عن علي بن الحسين عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّ الرزق ينزل من السماء إلى الارض على عدد قطر المطر إلى كل نفس بما قدّر لها ولكن لله فضول ، فاسئلوا الله من فضله .

وفى ارشاد المفيد قدس سره : عن علي عليه السلام فى حديث : اطلبوا الرزق فانه مضمون لطالبه .

وفى غيبة الشيخ رضوان‌الله تعالى عليه: بالاسناد عن إبن عباس فى قوله : « وفى السماء رزقكم وما توعدون » قال : هو خروج المهدى عليه السلام .

وفى تفسير القمى : فى قوله تعالى : « وفى السماء رزقكم وما توعدون » قال : المطر ينزل من السماء فيخرج به أقوات العالم من الارض ، وما توعدون من أخبار القيامة والرجعة والاخبار الّتى فى السماء ثم أقسم عزّوجل بنفسه « فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون » يعنى ماوعدتكم .

٢٨ـ (فأوجس منهم خيفة قالوا لاتخف وبشروه بغلام عليم)

في العلل: في حديث ـ باسناده عن أبى بصير عن أبى جعفر عليه السلام في قوله تعالى: «وبشّروه بغلام عليم» قال: والغلام العليم هو اسمعيل بن هاجر.

وفيه: باسناده عن أبى بصير وغيره عن أحدهما عليه السلام قال: انّ الملائكة لمّا جائت في هلاك قوم لوط «قالوا انّا مهلكوا أهل هذه القرية» قالت سارة وعجبت من قلتهم و كثرة أهل القرية، فقالت: ومن يطيق قوم لوط؟ فبشّروها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فصكّت وجهها وقالت: عجوز عقيم وهي يومئذ ابنة تسعين سنة وابراهيم يومئذ ابن عشرين ومأة سنة. الحديث.

وفي تفسير القمي: في قوله تعالى: «فصكّت وجهها» أى غطته لمّا بشّرها جبرئيل باسحق.

وفي المجمع: «فاقبلت امرأته في صرّة» وقيل: في جماعة. عن الصادق عليه السلام.

وفي تفسير القمي: في قوله تعالى: «وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم» وهي التى لاتلقح الشجر ولا تنبت النبات، وقوله تعالى: «وفي ثمود إذ قيل لهم تمتّعوا حتّى حين» قال: الحين هنا ثلاثة أيام.

وفي الدر المنثور: عن على بن أبيطالب عليه السلام قال: الريح العقيم النكباء.

وفي التوحيد: باسناده عن محمد بن مسلم قال: سئلت أباجعفر عليه السلام فقلت: قوله عزوجلّ: «ياابليس مامنعك أن تسجد لماخلقت بيدى» قال: اليد في كلام العرب القوّة والنعمة قال: «واذكر عبدنا داود ذاالايد» وقال: «والسماء بنيناها بأيد» أى بقوّة و قال: «وايّدهم بروح منه» أى قوّاهم ويقال لفلان: عندى يد بيضاء أى نعمة.

وفيه: باسناده عن عبد الله بن يونس عن أبى عبد الله عليه السلام قال: بينا اميرالمؤمنين عليه السلام يخطب على منبر الكوفة إذ قام رجل يقال له: ذعلب ذرب اللسان بليل في الخطاب شجاع القلب فقال يا اميرالمؤمنين هل رأيت ربك؟ فقال: ويلك يا ذعلب أكنت أعبد ربّاً لم أره؟! قال: يا أمير المؤمنين كيف رأيته؟

فقال ويلك يا ذعلب لم تره العيون بمشاهدة الابصار ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان ويلك ياذعلب ان ربّى لطيف اللطافة فلا يوصف باللطف ، عظيم العظمة لايوصف بالعظم ، كبير الكبراء لايوصف بالكبر، جليل الجلالة لا يوصف بالغلظ ، قبل كل شيء فلا يقال : شيء قبله، وبعد كل شيء لايقال له: بعد ، شاء الاشياء لابهمّة، درّاك لا بحديقة ، هو في الاشياء كلها غير متمازج بها، ولا بائن منها ، ظاهر لابتأويل المباشرة ، متجلى لا باستهلال رؤية ، باين لا بمسافة ، قريب لا بمداناة ، لطيف لا بتجسم، موجود لا بعد عدم ، فاعل لا باضطراب مقدر لا بحركة ، مريد لا بهامة ، سميع لا بآلة ، بصير لا بأداة ، لا تحويه الاماكن ، ولا تصحبه الاوقات ، ولا تحدّه الصفات ولاتأخذه السنات ، سبق الاوقات كونه والعدم وجوده والابتداء أزله بتشعيره المشاعر عرف أن لا مشعر له وبتجهيزه الجواهر عرف أن لا جوهر له وبمضادته بين الاشياء عرف أن لا ضدّ له.و بمقارنته بين الاشياء عرف أن لا قرين له ضاد النور بظلمة والجسو بالبلل والصرد بالحرور ،مؤلف بين متعادياتها، مفرق بين متدانياتها ، دالّة بتفريقها على مفرقها وبتأليفها على مؤلفها .

وذلك قوله عزّ وجل : « ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون » ففرّق بينها وبين قبل وبعد ليعلم أن لاقبل له ولا بعد شاهدة بغرايزها ان لاغريزة لمغرزها مخيرة بتوقيتها ان لا وقت لموقتها حجب بعضها عن بعض ليعلم ان لاحجاب بينه وبين خلقه غير خلقه كان ربّاً ولا مربوب والهاً إذ لا مألوه وعالماً اذ لا معلوم وسميعاً إذ لا مسموع ـ قال: فخرّ ذعلب مغشياً عليه ثم أفاق وقال : ما سمعت بهذا الكلام ولا أعود الى شيء من ذلك .

وفي امالي الشيخ قدس سره : باسناده عن محمد بن زيد الطبرى قال سمعت الرضا عليه السلام يتكلم فى توحيد الله ـ إلى أن قال ـ : لا تصحبه الاوقات ولا تضمنه الاماكن ولا تأخذه السنات ولا تحدّه الصفات ولا تقيّده الادوات ، سبق الاوقات كونه والعدم وجوده والابتداء أزله ، بخلقه الاشياء علم أن لا شبه له وبمضادته بين الاشياء علم أن لا ضدّ له وبمقارنته بين الامور عرف ان لا قرين له ، ضادّ النور

بالظلمة والشر بالخير، مؤلف بين متعادتها ، مفرق بين متدانياتها، بتفريقها دلّ على مفرّقها وبتأليفها على مؤلفها، قال الله تعالى : « ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون » له معنى الربوبية اذ لا مربوب و حقيقة الالهيّة إذ لا مألوه ومعنى العالم ولا معلوم ليس منذ خلق استحق معنى الخالق ولا من حيث احدث استفاد معنى المحدث ، الحديث .

٥٠ - (ففروا الى الله انى لكم منه نذير مبين)

فى الكافى : باسناده عن أبى الجارود عن أبى جعفر عليه السلام قال : « ففرّوا الى الله انّى لكم منه نذير مبين » قال : حجّوا الى الله عزّ وجل .

وفى الفقيه: باسناده عن زيد بن على عن أبيه عليه السلام فى قوله تعالى: «ففرّوا الى الله » يعنى حجّوا الى بيت الله يعنى الكعبة بيت فمن حجّ بيت الله فقد قصد الى الله والمساجد بيوت الله فمن سعى اليها فقد سعى الى الله وقصد اليه .

وفيه : باسناده عن ابى بصير عن أبى جعفر وأبى عبدالله عليهما السلام انّهما قالا : ان الناس لما كذبوا رسول الله صلى الله عليه وآله همّ الله تبارك وتعالى بهلاك اهل الارض الاّ علياً فما سواه بقوله : « فتولّ عنهم فما أنت بملوم » ثم بدا له فرحم المؤمنين ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله : « وذكّر فان الذكرى تنفع المؤمنين » .

أقول: وسيأتى كلام فى البحث المذهبى انشاءالله تعالى فانتظر.

و فى التوحيد : باسناده عن أبى بصير عن أبى عبد الله عليه السلام فى قول الله عزّ وجل: «وما خلقت الجن والانس الاّ ليعبدون » قال : خلقهم ليأمرهم بالعبادة قال : وسئلته عن قوله عزّ وجلّ: «ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم» قال : خلقهم ليقولوا ما يستوجبون رحمته فيرحمهم .

وفيه : باسناده عن جميل بن درّاج عن أبى عبدالله عليه السلام قال سئلته عن قول الله عزّ وجلّ : «وما خلقت الجن والانس الاّ ليعبدون» قال : خلقهم للعبادة قلت : خاصّة أم عامّة ؟ قال : لا بل عامّة .

وفيه : باسناده عن محمد بن أبى عمير قال : سئلت أباالحسن موسى بن جعفر

عليهما السلام عن معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله: الشقى من شقى فى بطن امّه والسعيد من سعد فى بطن امّه ؟ فقال: الشقى من علم الله وهو فى بطن امّه انه يستعمل أعمال الاشقياء والسعيد من علم الله وهو فى بطن امّه انه يستعمل أعمال السعداء قلت : فما معنى قوله صلى الله عليه وآله : اعملوا فكل ميسّر لما خلق له فقال : ان الله عزّ وجلّ : خلق الجن والانس ليعبدوه ولم يخلقهم ليعصوه وذلك قوله عزوجل : « وما خلقت الجن والانس الاّ ليعبدون » فيسّر كلاّ لما خلق له فويل (فالويل-خ) لمن استحب العمى على الهدى .

وفى تفسير القمى : فى قوله تعالى: «وما خلقت الجن والانس الاليعبدون» قال : خلقتهم للامر والنهى والتكليف وليست خلقة جبر أن يعبدوه ولكن خلقة إختيار ليختبرهم بالامر والنهى ومن يطع الله ومن يعصى .

وفى تفسير العياشى : عن يعقوب بن سعيد عن أبى عبدالله عليه السلام قال : سئلته عن قول الله : «وماخلقت الجن والانس الاّ ليعبدون» قال : خلقهم للعبادة قال:قلت: قوله : « ولا يزالون مختلفين الاّ من رحم ربك ولذلك خلقهم » فقال : نزلت هذه بعد ذلك .

وفى العلل : باسناده عن ابى عبدالله عليه السلام قال: خرج الحسين بن على عليه السلام على أصحابه فقال: أيها الناس انّ الله عزوجل ذكره ما خلق العباد الاّ ليعرفوه فاذا عرفوه عبدوه فاذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة من سواه ، فقال له رجل : يابن رسول الله بأبى انت وامّى فما معرفة الله؟ قال : معرفة أهل كل زمان امامهم الذى تجب عليهم طاعته .

أقول: وذلك لانّ معرفة الله تعالى انمّا تحصل من معرفة الامام اذ هو السبيل إلى معرفته جلّ وعلا .

وما يستفاد من الروايات الواردة فى الاية الشريفة انّ هناك أغراضاً ثلاثة مترتّبة : المعرفة والتكليف والعبادة .

﴿ بحث مذهبي ﴾

إختلفت الكلمات في خلق الجنة والنار فذهب طائفة من المفسرين وغيرهم إلى خلقهما الآن مستدلين في خلق الجنة بقوله تعالى : « وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما » البقرة : ٣٥) .

وقوله : « وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدّت للمتقين » آل عمران :١٣٣) .

وقوله تعالى : « وازلفت الجنة للمتقين » الشعراء : ٩٠) .

وقوله تعالى: «عندها جنة المأوى» الشعراء : ١٥) وغيرها من الايات الكريمة .

وفي خلق النار بقوله تعالى : « وفي السماء رزقكم وما توعدون » الذاريات : ٢٢) .

وقوله تعالى : « واتقوا النار التي اعدّت للكافرين » آل عمران : ١٣١) .

وقوله تعالى : « وبرّزت الجحيم للغاوين » الشعراء : ٩١) .

وقوله تعالى : « انا اعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها - انّا اعتدنا جهنم للكافرين نزولا » الكهف : ٢٩ - ١٠٢) .

وقوله تعالى: « ويعذّب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانّين بالله ظنّ السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعدّ لهم جهنّم وسائت مصيرا » الفتح : ٦) وغيرها من الايات .

ومنهم من ذهب إلى خلق الجنة دون النار مستدلا بقوله تعالى « ان الذين كذّبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء » الاعراف : ٤٠) .

ولا يخفى على القارىء الخبيران الاية الكريمة لاتدل على مدّعاه .

وانكر الاخرون كلاالمذهبين من غير دليل وعلمالا الخرص والتخمين .

وقد أشبعنا الكلام فى خلق الجنة والنار فى هذا التفسير فراجع .

واستدل من ذهب إلى أن الايمان والاسلام حقيقة واحدة بقوله تعالى : « فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين » الذاريات : ٣٥ ـ ٣٦) .

ولكنّ التدبر فى المقام يلهمنا إن الايتين لا تدلان على ذلك، و لا بصدد وحدة حقيقة الايمان و الاسلام بل انمّا المقام بصدد بيان انّ الايمان و الاسلام صفتا مدح توجبان السلامة و النجاة .

وانّ الايات الكريمة والروايات الشريفة تفرق بين الايمان والاسلام ومن الايات قوله تعالى : « قالت الاعراب آمنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم » الحجرات : ١٤) .

و من الروايات ماورد صحيحاً عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: و فرق ما بين المسلم والمؤمن ، انّ المسلم إنّما يكون مؤمنا أن يكون مطيعا فى الباطن مع ما هو عليه فى الظاهر فاذا فعل ذلك بالظاهر كان مسلماً واذا فعل ذلك بالظاهر والباطن بخضوع وتقرب بعلم كان مؤمناً فقد يكون العبد مسلما ولايكون مؤمنا الا وهو مسلم .

واستدل من ذهب إلى أنّ الارض غير كرويّة بقوله تعالى : « والارض فرشناها فنعم الماهدون » الذاريات : ٤٨) .

على ان البسط والفرش والتسطيح تنافى كرويّتها .

قال الله تعالى : « والله جعل لكم الارض بساطا » نوح : ١٩) .

وقال : « والى الارض كيف سطحت» الغاشية : ٢٠) .

وقال : « وهو الذى مدّ الارض » الرعد : ٣) .

وقيل : لا تنافيها من غير بيان وجهه .

واستدل من ذهب إلى أنّ دحوالارض كان بعد خلق السماء ـ لانّ بناء البيت يكون قبل الفرش ـ بقوله تعالى: « والارض فرشناها » .

أقول: ولا يخفى على القارىء الخبير إن الاية تدل على العكس فانالفرش على ما فسّرته الايات الكريمة هو البسط و هو قبل البناء و السقف وان التقديم فيالذكر لا يلازم التقديم فيالوجود .

قال تعالى : « وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً » الانبياء : ٣٢) .

تبصرة : انّ قوله تعالى : « و ما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » ردّ على ثلاثة مذاهب : أحدها ـ على من ذهب إلى انّ طائفة من الجن والانس خلقت للعبادة والاخرون للكفر والمعصية .

و ذلك لدخول لامي الجنس على الجن و الانس تشملان للجميع ، وهذا لا ينافى الكفر والعصيان من بعضهم لانّ الغاية لا يلزم وجودها كما فى قولك : بريت هذا القلم لا كتب به فانك قد لا تكتب به و أمّا المقام فقد تترك طائفة منهم العبادة بسوء اختياره ولن يرضىالله تعالى من عباده الكفر والعصيان اذقال : « ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضاه لكم » الزمر : ٧) .

ثانيها ـ : ردّ على منذهب إلى انّه لاتكليف للجن فانّ الاية تدلعلى انّ الجن والانس فيالعبادة على شرع سواء .

ثالثها ـ : ردعلى من أنكر الارادة والاختيار للجن فان الاية تدل على انّ الجن والانس يستعدان للتكليف اذ لا تكليف على أحد الاوله إرادة و اختيار وله استطاعة أن يمتثل أو يمتنع .

قال الله تعالى: « لا يكلّفالله نفساً الا وسعها » البقرة :٢٨٦) فتدبّر واغتنم.

﴿ الارض وانشاءها ﴾

قال الله تعالى : « وفي الارض آيات للمؤقنين » الذاريات : ٢٠) .

فلا بدّ من البحث حول الارض ما يقتضيه المقام إجمالا لما فيها من الايات الدالة على وحدانية خالقها و من الحجج الباهرة على كمال القدرة لصانعها ومن البراهين القاطعة على غاية علم بارئها و حكمته و لما فيها من العبر لمن يخشى ...

قال الامام مولى الموحدين على بن ابيطالب عليه السلام : « فسبحان من امسكها بعد موجان مياهها، وأجمدها بعد رطوبة أكنافها فجعلها لخلقه مهاداً، وبسطها لهم فراشاً فوق بحر لجّى راكد، لا يجرى، وقائم لايسرى، تكر كره الرياح العواصف و تمخضه الغمام الذوارف انّ فى ذلك لعبرة لمن يخشى » .

قوله عليه السلام : « تكر كره » الكر كرة : تصريف الرياح السحاب اذا جمعته بعد تفريق . « الرياح العواصف » : الشديدة الهبوب و «تمخضه» : تحرّكه «الغمام الذوارف» أى السحب المواطر .

فى نهج البلاغة : قال الامام على عليه السلام : «خلق الخلائق على غير مثال خلا من غيره ولم يستعن على خلقها بأحد من خلقه ، وأنشا الارض فأمسكها من غير اشتغال وأرساها على غير قرار ، وأقامها بغير قوائم ، ورفعها بغير دعائم ، وحصّنها من الاود والاعوجاج ، ومنعها من التهافت والانفراج .

أرسى أوتادها وضرب أسدادها واستفاض عيونها و خدّ أوديتها فلم يهن ما بناه، ولا ضعف ما قوّاه ، هو الظاهر عليها بسلطانه وعظمته ، وهو الباطن لها بعلمه ومعرفته، والعالى على كل شيىء منها بجلاله وعزته، لايعجزه شيىء منها طلبه ولا يمتنع عليه فيغلبه، ولايفوته السريع منها فيسبقه ولايحتاج الى ذى مال فيرزقه .

خضعت الاشياء له ، وذلّت مستكينة لعظمته ، لا تستطيع الهرب من سلطانه إلى غيره ، فتمتنع من نفعه وضرّه ، ولا كفء له فيكافئه ولا نظير له فيساويه .

هو المفنى لها بعد وجودها حتّى يصير موجودها كمفقودها وليس فناء الدنيا بعد إبتداعها بأعجب من إنشاءها واختراعها و كيف ولو اجتمع جميع حيوانها من طيرها وبهائمها وما كان من مراحها وسائمها وأصناف أسناخها وأجناسها ومتلبّدة اممها وأكياسها على أحداث بعوضة ما قدرت على أحداثها ، ولا عرفت كيف السبيل الى ايجادها، و لتحيّرت عقولها فى علم ذلك و تاهت و عجزت قواها و تناهت و رجعت خاسئة حسيرة عارفة بأنها مقهورة مقرّة بالعجز عن ، انشاءها مذعنة بالضعف عن افنائها » .

أقول: انّ الامام أمير المؤمنين علىّ عليه السلام يذكر انّ الله جلّ وعلا خلق الخلق غير محتذ لمثال ولا مستفيد من غيره كيفيّة الصنعة بخلاف الواحد منا فان الواحد منّا لابدأن يحتذى فى الصنعة كالبنّاء والنّجار والصانع وغيرها .

وقال صلى الله عليه وآله : « ولم يستعن على خلقها بأحد من خلقه » لانه تعالى قادر لذاته لا يعجزه شيء .

ثم يذكر عليه السلام أنشأ الله جل وعلا الارض ، وانه أمسكها من غير اشتغال منه بامساكها وغير ذلك من أفعاله ومخلوقاته ليس كالواحد منّا يمسك الثقيل فيشتغل بامساكه عن كثير من اموره .

وقال : « وأرساها على غير قرار » : جعلها راسية على غير قرار تتمكّن عليه بل واقفة بارادته التى اقتضت وقوفها او لانّ الفلك يجذبها من جميع جهاتها - كما قيل - أو لانّه يدفعها من جميع جهاتها أو لانّ أحد نصفيها صاعد بالطبع والاخر هابط بالطبع فاقتضى التعادل وقوفها او لانها طالبة للمركز فوقفت .

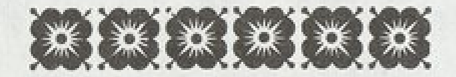
وقوله عليه السلام : « من الاود » : الاعوجاج و كرّر لاختلاف اللفظ .

و « من التهافت » : من التساقط و « أسدادها » جمع سدّ وهو الجبل .

و « استفاض عيونها » : جعلها فائضة . و « خدّ أوديتها » شقّها .

وقوله عليه السلام : « فلم يهن ما بناه » : لم يضعف ، و « هـو الظاهر » : الغالب القاهر ، « الباطن » : العالم الخبير ، « من مراحها » : مـوضع الانعام الذى تأوى اليه ، « اسناخها » : جمع السنخ وهو الاصل .

وقوله عليه السلام : « لواجتمع جميع الحيوان على أحداث بعوضة » فى معنى قوله تعالى : « ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له » الحج : ٧٣) .



﴿ الارض ونظرية قطعة ناريتها ﴾

إعلم أنّ هناك نظرية واهية لاتبتنى على علم وأىّ دليل الاّ الخرص والتخمين وقلدّها من لا تحقيق له ولا تدبّر فى جوانب بحث.

وهذه هى نظرية (لاپلاس) اذ زعم انّ الارض كانت فى الابتداء قطعة نارية ملتهبة فى درجات عالية من الحرارة عند ما انفصلت عن الشمس ما كان يستطيع ولا يمكن أن يعيش على سطحها اذ ذاك اىّ كائن حىّ فاذاً لاحيوان ولا نبات ولا ميكروب حتى اذا بردت.

واتبعها كثير من الناس عمياء بدون سؤال:

كيف تحوّلت الارض على مرّ هذه العصور من الغازية الى السيولة الى الصلابة ؟ و كيف ان الارض كانت مطمورة فى مياه المحيطات ؟ و كيف انّ الامواج تعلو وتهبط على القشرة الارضية ؟ و كيف انّ القشرة الارضية قد تكوّنت نتيجة تفاعلات طبيعية كيمياوية؟ و كيف انّ هذا التفاعل مع الزبد قد ادّى الى تكوين سطح الارض التى نعيش عليها ؟ و كيف دارت هذه الارض فى الفضاء فى حركة دقيقة منظمة وفى فصول متتابعة ؟؟؟...

ومن أين إذن جائت هذه الحيوية أوالروح للحيوان والنبات والميكروبات؟ أنّى للصدفة أن تضع معادلات دقيقة وقوانين تربط أجزاء العالم بعضها ببعض ؟ أنّى لها أن تخلق الروح والعقل ؟ ثم كيف وجدت هذة الآجزاء المترتبة ؟...

هل وجدت فى آن واحد ـ وهذا ما لا يوافق عليه العقل لما يشاهد من موجودات جديدة ـ أم وجدت تباعاً ؟

وان المادى تشبث بخرص (لاپلاس) ويقول : انّ الشمس والكواكب التابعة

لها كانت فى البداية قطعة من السديم ثم انتزعت منها هذه الكواكب والى مسافات معينة وصارت تدور حول الشمس بحكم الجاذبية ، وان الارض كانت ابتداء قطعة من نار : (معادن مذابة) .

ويقول : وذلك يظهر لنا إذا تنزل الى باطن الارض مسافة بعيدة فان درجة الحرارة تزيد (٣٠) درجة مئوية لكل كيلومتر عمقاً ، وهكذا تبلغ نحو عمق (٥٠) كيلومتراً من سطح الارض درجة انصهار الصخر وهى تقع ما بين ١٢٠٠ درجة مئوية و ١٨٠٠ . والبراكين وما يخرج منها من صخر منصهر خير دليل على ذلك .

فالكرة الارضية بناء على هذا تتألف من قشرة كروية جامدة ـ سمكها نحو ٥٠ كيلومتراً ، تلتف حول قلب الارض التى هى نار حامية : من صخر مصهور.

فاذا كانت الارض عند انفصالها عن الشمس ناراً حامية فلا يبقى فيها كائن حى ولا أساس للحيوية ، فكيف يقول المادى فى وجود الكائن الحى على وجه الارض ـ وكذا النبات وما فيه من نظم وجمال ؟

وكيف بالتحليل العلمى يمكن إرجاع عقل الانسان الى المادة الاولى الازلية لا سيما بعد الاعتراف بأنّ الارض كانت قطعة نار سيّالة حامية ، ومن أودع فى المادة الاولى هذا العقل الجبّار لتضع دساتير رياضية رصينة فى هذا العالم الوسيع وتتسلسل هذه المادة وتتدرج مراحل تكاد لا تتناهى :

مراحل معقولة حكيمة ، ثم تنظر فى حاجة ما سيوجد فى المستقبل فتهيّئها قبلا ، وهل للمادة الصمّاء غير العاقلة (على ما يقوله المادىّ) أن تفكر فى مستقبل الاشياء وحاجاتها ، وتعيّن مثلا أوقاتاً لخروج السنّ والشعر فى الانسان والحيوان . . . الخ .

حقاً ان التفكير المادى تفكير عامى قحّ ، لا يمت بالاسلوب العلمى بصلة ، قال الله تعالى فيهم : « وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون » الجاثية : ٢٤) .

وقال : « إن يتبعون إلا الظنّ وما تهوى الانفس » النجم : ٢٣) .

يقول روبينية في كتاب (الفلسفة الحسية) :

« ان الفلاسفة الحسيين يريدون الابتعاد عن كل وهم وخيال ، وبناء فلسفتهم على المشاهدة الحسية ، ولكنهم بعيدون عما يدعون كل البعد، وهل من الفلسفة الحسية ان يقال جزافاً بقدم المادة وأبديتها، وهل من الفلسفة الحسية الحكم بعدم وجود عالم أرفع منها ، وهل منها الاعتماد على إفتراضات علمية غير ثابتة ومتزلزلة وبناء مذهب إلحادى عليها ؟

وهل يصدق الحس فيما يعطى من معطيات وما المصحح له ؟ أليس العقل؟ فكيف يجوز الاعتماد على فلسفة حسية أساسها الحواس .

وكيف يجوز الاعتماد على نظريات علمية لا ثبات لها ولا إستقرار ؟

وكيف يجوز أن تبنى فلسفة الحياة الاجتماعية : من إقتصادية وأخلاقية وإدارية على نظريات تتبدل من حين إلى حين ؟

ألم يدرس المادى تأريخ العلوم ؟ ألم يتتبع تغير النظريات وتحولها؟ وهل الفرضيات (Hypothese) دستور رياضى مجرد لا يقبل الشك والارتياب ؟

وهل وجود أتباع كثيرين لنظرية ما يدل على صحتها وقد قال الله تعالى فيهم : « ان يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون » الانعام : ١١٦) .

إن المادى يقول : ان المادة مقودة بنواميس ثابتة غير متزلزلة ، ولا بد من السؤال عنه : من ذا الذى قاد هذه المادة حتى أمست مقودة تبعاً لهذه النواميس؟

هل المادة نفسها فكرت فوضعت هذه النواميس والقوانين ؟ . .

فما بال الانسان وهو ذو عقل لم يعلم لحد الآن إلا شيئاً يسيراً جداً عن حقائق حياة النبات والحيوان والدساتير الرياضية المودعة فى هذا العالم ؟

إذن عقل المادة فى الازل أعظم بكثير من عقل هذا الانسان المتكامل علمياً يوماً بعد يوم ، ومع ذلك يشكو جهلا مريراً لا نهاية له .

ثم ان القوانين والمعادلات الرياضية التى تعمل فى تنظيم هذا الكون وربط الارض بالسماء وربط أجزاء السماء بعضها ببعض بمعادلات لا تعد ولا تحصى (وقد

وجدت تباعاً) كيف كانت موجودة في الازل في المادة ؟ والمادة كانت مشكلة من ماذا ؟ ومن الّذي شكلها ؟

انّ العلم الحديث يقول : بعدم وجود مادة في الازل كما أشبعنا الكلام فيه في تفسير فاتحة الكتاب فراجع .

وانّما طاقات أوجدها الله جل وعلا تكدّست بارادته ، فصارت مواد كما يشاء سبحانه .

وتتلاشى هذه المواد فتكون طاقات ، وهذه بدورها تتلاشى فلا يبقى إلا وجه الله ذو الجلال والاكرام .

ثم كيف قطعت الطاقات هذه المراحل الحكيمة الّتي هي في غاية الاتقان وتمام الدقة وتكاد لا تتناهى ، وذلك لانّ الكون على حد تعبير (آينشتاين) مجموعة دساتير رياضيّة .

وأينَ الدستور والعقل من المادة ؟ وان المادي ينفي العقل عن المادة خشية أن يقال : ان العاقل الفعّال والمسيّر للمادة هو الله تعالى .

وهكذا يستدل الفيلسوف الفرنسي (بر كسون) على وجود الله تعالى ، ثم ليقل المادي : اذا كانت المادة فاقدة العقل فكيف تحدث هذه العوالم المعقولة المتقنة بدساتيرها وخصائصها من مادة بلا عقل ؟ كيف يجوز الاعتماد والاعتناء على ما يظنّه المادي وليس له أساس ولا له أب معين ؟

يكتب دونما تدقيق وتحقيق ، ويدّعي ما هو متفكك العرى والاوصال بعيداً عن المنطق الطبيعي والفطري ، وينسب من عندياته وهذيانه الى العلم ويسمّي مدعياته وهوى نفسه نظريات علميّة ليست هي إلا حمقة وجهالة .

وان المادي كلما عجز عن جواب مسئلة تعرض عليه يقول : « ان كنّا نجهل السبب الآن فان العلم سيكشف لنا ذلك » .

﴿ قطر الارض و حجمها ﴾

جاء في المقام كلام طويل من الباحثين نذكر اجماله :

انّ الارض سيارة ثالثة بعداً عن الشمس ، وهي شبيهة بالكرة مسطحة نحو القطبين ، و قطرها القطبي ٧٨٩٩ ميلا و قطرها عند خط الاستواء ٩٧٢٥ ميلا ومحيطها ٢٥٠٠٠ ميلا .

وفي كلام : قطرها بين القطبين ١٢٧١٤ كيلومتراً = ٧٩٠٠ ميل ويزيد قطرها الاستوائي بنحو ٤٣ كيلومتراً .

أمّا حجمها فلا يزيد على $\frac{١}{٣٣٣٤٠٠}$ فقط من حجم الشمس .

وفي كلام : محيط الارض يبلغ (٤٠) مليون متر .

ونصف قطر خط الاستواء ٦٫٣٧٨٫٤٠٠ متر .

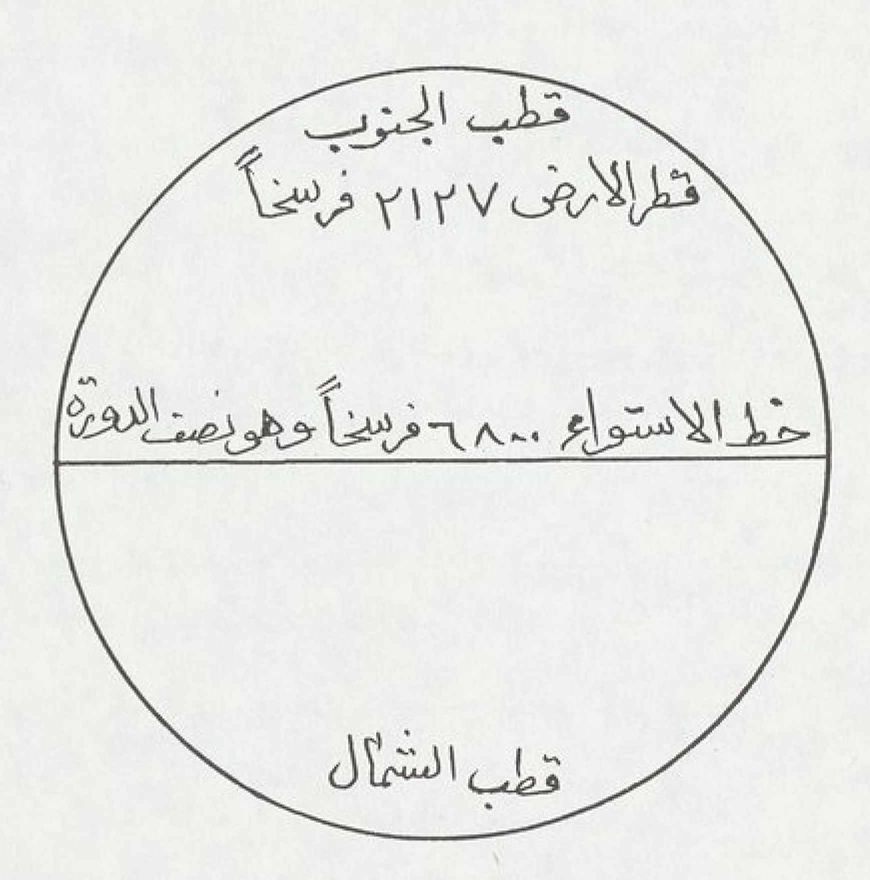
السطح الكلي للارض يبلغ (٥٠٩) مليون كيلومتر مربع .

مياه البحار تشغل منه ٣٨٣٫٠٠٠٫٠٠٠ كيلومتراً مربعاً .

اليابسة من الارض ١٢٦ مليون كيلومتر مربعاً .

حجم الارض يزيد على ألف مليارد كيلومتر مكعب ١٫٠٧٩٫٥٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ أي اكثر من ألف ألف ألف ألف كيلومتر مكعب .

وفي كلام : ما يجيء في الرسم :



وانّ كثافة الارض أكثر من كثافة الماء خمس مرّات ونصف مرة ، للاماكن المختلفة على سطح الارض سرعة تخالف بها أماكن اخرى منها فانّها تتناقص تدريجاً وتزداد كلّما اقتربنا من خط الاستواء حيث هي ١٠٠٠ ميل في كل ساعة، واننّا

لا تحس بهذه الحركة لان الهواء يدور معها .

ولو وقفت الارض فجأة لهلك جميع من عليها من شدة الصدمة ، ولطرنا نحن وبيوتنا والاشجار والصخور والاقيانوسات فى الجو ، وحركتها فى غاية الضبط ، حتّى انّ الارض فـى مدى ٢٠٠٠ سنة لم تتغير فى دورانها جزءاً مـن مـأة جزء من الثانيـة .

الارض تدور فى فلك اهليلجى حول الشمس على بعد ٩١مليون وخمس مأة ألف ميل فى الدائرة المسماة دائرة فلك البروج ، ومحور الارض يكون مع فلكها زاوية تقدر ٢٣ درجة و ٢٨ دقيقة ، وهذه الزاوية تسمى ميل دائرة فلك البروج على خط الاستواء ، وان طول فصول السنة والنسبة بين طول النهار والليل تختلف فـى كل من المنطقتين : الجنوبية والشمالية الاّ فـى الاعتدالين حيث يكون النهـار والليل متساويين .

منذ ما تصل الارض الى المدار الصيفى تكون الشمس عمودية فى الاماكن الواقعة فى عرض ٢٣ درجة و٢٨ دقيقة شمالا ، ولو رسمت اشعتها خطاً لامعاً علـى وجه الارض مدة دورانها لرسمت خط السرطان حيث تصل الشمس إلى معظم ميلها شمالا ، ومعظم ارتفاعها فوق افقنا ، ومكان شروقها وغروبها على بعد ٢٣درجة و٢٨ دقيقة الى شمال نقطتى الشروق والغروب ، وتترأى الشمس كلها ثابتة فى المـدار مدّة يوم أى يومين أى فصل الصيف عندنا والنهار أطول من الليل .

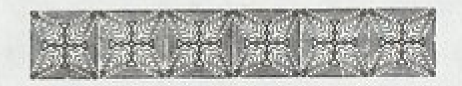
وأما فى المنطقة المعتدلة الجنوبية حيث يكون فصل الشتاء يكون النهار أقصر ما يكون والدائرة التى تفصل النهار عن الليل تفوت على القطب الشمالى ٢٣ درجة و٢٨ دقيقة .

الارض فى فصل الشتاء أقرب إلى الشمس مما هى فى فصل الصيف بـ٣٠٠٠٫٠٠٠ ميل ، ولكن لايحصل منه تأثير فى المنطقة الشمالية بسبب كثرة ميل أشعة الشمس.

الهواء الكروى يحيط بالارض من كل الجهات إلى ارتفاع ٥٠٠ ميل وهـو يكثف كلما قرب الى الارض ويلطف كلما بعد عنها ، وأشعة نور الشمس فى مرورها

على هذه الطبقات المختلفة الكثافة تميل أكثر فأكثر الى الخط العمودى كلما ازدادت الكثافة فتظهر الكواكب السماوية لنا فى مواضعها الحقيقية على حسب انحراف الشعاع الواصل منها الينا .

تبعد الارض عن الشمس بنحو ٩١٥٠٠٠٠٠ ميل ، وبما ان النور يسرى فى الفضاء بسرعة ١٨٣٠٠٠ ميل فى الثانية فلانرى الشمس بعد شروقها الاّ بنحو ثمان دقائق ونصف، ولانراها إلا كما كانت فى موضعها قبل ثمان دقائق ونصف ، لان موقع الاجرام السموية يتغير بواسطة الانكسار، ويحدث أيضاً تغيّر فيه بواسطة سيرالنور وسيرالارض فى فلكها.



﴿ حركة الارض ودورانها ﴾

انّ للارض حركتين : حركة تتمّ فـى أربع وعشرين ساعة وعليها مدار حساب الايام ، وحركة تتمّ فـى سنة وبها يكون اختلاف الفصول وعليها مدار حساب السنة الشمسية .

وانّ الارض تدور على محورها بسرعة ١٦٠٠ كيلومتراً فى الساعة على خط الاستواء على ما جاء فى كلام الباحثين .

وعن بعضهم : انّ سرعة دوران الارض فى الثانية الواحدة ٤٦٥ كم فى خط الاستواء و ٤١٩ كم فى عرض مصر : و ٣٠٥ كم فى باريس ، ولا تزال قـوّة السرعة تقل الى القطبين وما بينهما .

وعن بعضهم : للارض حركتان : حركة فى دورانها حـول الشمس على شكل اهليليجى أوقطع ناقص وحركة اخرى مع الشمس وبقية كواكب المجموعة الشمسيّة بسرعة ٧٠٠٠٠ كيلومتر تقريباً فى الساعة الواحدة على شكل لولبى فى هـذا الفضاء اللانهائى نحو النجمة المسماة بالنسر الواقع كى تبلغ مستقرها كما أخبرنا الله تعالى فى كتابه الكريم بقوله : « والشمس تجرى لمستقرّ لها ذلك تقدير العزيز العليم » يس : ٣٨) .

وقيل : تدور محورها بسرعة ١٠٠٠ ميل فى الساعة وحول الشمس بسرعة ١٨ ميلا فى الثانية ، وعلى أىّ تقدير كانت الحركة يعتبر اكتشاف حركة الارض بدورانها حول نفسها وحول الشمس من أروع ما اكتشفه العلم الحديث ، وقد سبق القرآن الكريم هذا الاكتشاف نحو أربعة عشر قرناً اذ كان ينادى بقوله تعالى : « وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمرّ مرّ السحاب » النمل : ٨٨).

على ان الارض وما عليها من الجبال تتحرك كما يتحرك السحاب ، وتمر كما يمر .

ويقول حجة علماء الفلك : (سيمون) بشأن حركة الارض ضمن المجموعة الشمسية : « ان من أعظم الحقائق التى اكتشفها العقل البشرى فى كافة العصور هى : ان الشمس والكواكب السيارة التى هى فى المجموعة الشمسية (مجموعتنا هذه) وأقمارها تجرى فى الفضاء متجهة نحو برج النسر بسرعة غير معهودة لنا على الارض يكفى لتصورها أننا لو سرنا بسرعة مليون ميل يومياً ، فلن تصل مجموعتنا الشمسية إلى هذا البرج الا بعد مليون ونصف مليون سنة من وقتنا الحاضر وهذه دون مراء إحدى معجزات القرآن العلمية » .

وقد كان يعرف المسلمون حركة الارض قبل أن يكتشفها (غاليلة) فى القرن السابع عشر الميلادى .

فى تفسير روح الجنان لابى الفتوح الرازى وهو كان يعيش فى القرن السادس الهجرى يذكر ما يشير الشاعر الى حركة الارض اذ قال :

بأرض مثل الطود تحسب انهم وقوف لجام والركاب تهملج

ومن الايات الكريمة التى تدل على حركة الارض قوله تعالى : « هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور أمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الارض فاذا هى تمور » الملك : ١٥ - ١٦) .

وقد ذهب قدماء المفسرين فى معنى تذليل الارض للانسان إلى أن الارض مذللة للسير فيها بالقدم وعلى الدابة فى البر وبالفلك التى تمخر البحار فى البحر ومذللة للزرع والجنى والحصاد والحياة فيها بما تحويه من هواء وماء وتربة تصلح للزرع والانباء .

وقال المتأخرون منهم : ان وصف (ذلولا) الذى يطلق عادة على الدابة اطلق على الارض ، أريد به ان هذه الارض التى نراها ثابتة مستقرة ساكنة وهى متحركة نركبها تدور حول نفسها بسرعة ألف ميل فى الساعة ثم تدور مع هذا

حول الشمس بسرعة حوالى خمسة وستين ألف ميل فى الساعة .

ثم تركض هى والشمس والمجموعة الشمسيّة كلّها بمعدل عشرين ألف ميل فى الساعة ، ومع هذا الركض كلّه يبقى الانسان على ظهرها آمناً مستريحاً مطمئناً معافى ، لا تتمزق أوصاله ولا تتناثر أشلاؤه بل لايرتج مخّه ولا يدوخ ولا يقع مرّة عن ظهر هذه الدابة الذلول وهذه الحركات الثلاث لها حكمة وقد عرفنا اثر اثنتين منها فى حياة هذا الانسان بل فى الحياة كلّها على ظهر هذه الارض .

فدورة الارض حول نفسها هى الّتى ينشأ عنها الليل والنهار ولوكان الليل سرمداً لجمدت الحياة كلّها من البرد ، ولوكان النهار سرمداً لاحترقت الحياة كلها من الحرّ .

ودورتها حول الشمس هى التى تنشأ عنها الفصول ، ولو دام فصل واحد على الارض ما قامت الحياة فى شكلها هذا كما أرادها الله تعالى .

أمّا الحركة الثالثة فلم يكشف ستارالغيب عن حكمتها بعد . ولابد انّ لها ارتباطاً بالتناسق الكونى الكبير .

وهذه الدابة الذلول التى تتحرك كل هذه الحركات الهائلة فى وقت واحد ثابتة على وضع واحد فى أثناء الحركة - يحدده ميل محورها بمقدار ٥ر٢٣ه .

لانّ هذا الميل هوالذى تنشأ عنه الفصول الاربعة مع حركة الارض حول الشمس، والذى لواختل فى اثناء الحركة لاختلّت الفصول الّتى تترتب عليهادورة النبات بل دورة الحياة كلها فى هذه الحياة الدنيا .

والله جلّ وعلا جعل هذه الارض ذلولا للبشر بأن جعل لها جاذبية تشدهم اليها فى اثناء حركاتها الكبرى كما جعل لها ضغطاً جوياً يسمح بسهولة الحركة فوقها ولوكان الضغط الجوى أثقل من هذا لتعذر أوتعسّر على الانسان أن يسير ويتنقل-حسب درجةثقل الضغط- فامّا أن يسحقه أويعوقه ولوكان أخف لاضطربت خطى الانسان ، أولانفجرت تجاويفه لزيادة ضغطه الذاتى على ضغط الهواء حوله كما يقع لمن يرتفعون فى طبقات الجو العليا بدون تكييف لضغط الهواء .

والله تعالى جعل الارض ذلولا ببسط سطحها وتكوين هذه التربة اللينة فوق السطح ، التربة الخصبة الصالحة للحياة ، وأنشأ مافيها من النبات والارزاق الّتي يحلبها راكبو هذه الدابة الذلول .

والله جلّ وعلا جعل الارض ذلولا بأن جعل الهواء المحيط بها محتويا للعناصر الّتي تحتاج إليها الحياة البشرية والحيوانية والنباتية بالنسب الدقيقة التي لو اختلت ما قامت الحياة وما عاشت إن قدرلها أن تقوم من الاساس ، فنسبة الاكسيجين فيه هي ٢١٪ تقريباً ونسبة الآزوت أو النتروجين هي ٧٨٪ تقريباً والبقية من ثاني اكسيد الكربون بنسبة ثلاثة أجزاء من عشرة آلاف وعناصر اخرى.

وهذه النسب هي اللازمة بالضبط لقيام الحياة على وجه الارض، والله تعالى جعل الارض ذلولا بآلاف من هذه الموافقات الضرورية لقيام الحياة . .

ومنها حجم الارض ، ومنها حجم الشمس ، ومنها حجم القمر ، و منها بعد الارض عن الشمس والقمر، ومنها درجة حرارة الشمس ، ومنها سمك قشرة الارض ودرجة سرعتها وميل محورها ، ومنها توزيع الماء واليابس فيها ، ومنها كثافة الهواء المحيط بها، ومنها ومنها . .

وهذه الموافقات مجتمعة هي التي جعلت الارض ذلولا بأمر الله تعالى وتدبيره وهي الّتي جعلت فيها رزقاً بارادة الله جلّ وعلا وقدرته ، وهي الّتي سمحت بوجود الحياة وبحياة هذا الانسان على وجه خاص، والنص القرآني يشير إلى هذه الحقائق ليعيها كل فرد و كل جميل بالقدر الّذي يطيق وبالقدر الذي يبلغ اليه علمه وملاحظته ليشعر بيد الله ـ الذي بيده الملك ـ وهي تتولاه وتتولى كل شيء حوله.

وتذلل له الارض وتحفظه وتحفظها ، ولو تراخت لحظة واحدة عن الحفظ لاختل هذا الكون كلّه وتحطم بمن عليه وماعليه .

خاطب الله تعالى البشرية فقال: « أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض فاذا هي تمور » .

الارض الذلول التي تعيشون على ظهرها وتحلبونها فتنالون من رزق الله فيها

نصيبكم ، فهل تعرفون كيف تتحول هذه الارض الى دابة غيرذلول ولاحلوب ؟

إذا أذن الله تعالى لها بأن تضطرب قليـلا فيرتج" كل شيء فوقها أو يتحطم ويمور كل ماعليها ، لا تمسكه قوة ولا حيلة ذلك عند الزلازل والبراكين التي أمسك الله بزمامها فلاتثور الا بقدر فيتحطم فيها كل ماشيد الانسان على ظهرها أو يغوص في جوفها عندما تفتح أحد أفواهها وتخسف كسفة منها . . وهي تمور . .

فلايملك البشر من هذا الامر شيئاً ولايستطيع فالقرآن الكريم يذكر الانسان الذين يخدعهم سكون الدابة وسلامة مقادمتها ويغريهم الامان بنسيان خالقهـا .

يذكرهم بمالايملكون من أمره شيئاً ، وان الارض الثـابتة تحت أقدامهم ترتج" وتمور .

ويذكرهم بأن" ارجاع جميع الاسباب الظاهرة الى السبب الاول ورد" الامر بحاله وكليته الى من بيده الملك وهو على كل شيء قدير ، فالخسف و الحاصب والبراكين و الزلازل و العواصف وسائر القوى الكونية و الظواهر الطبيعية ليس بـأيدى البشر من أمرها شيء انما أمرها الى الله تعالى .

وكل مايذكره البشر عنـها فروض يحاولون بهاتفسير حدوثهـا ولـكنهم لا يتدخلون في أحداثها ولا يحمون أنفسهم منها فأولى لهم أن يتوجهوا في أمرها إلى خالق العالم ومنشىء نواميسه التي تحكم هذه الظواهر فيتذكروا الله الذى بيده الملك وهوعلى كل شيء قدير .

وعن الباحثين : إن أبرد محل" يسكن فيه الانسان شمالي سيبريا الشرقي ، وأشد الاماكن حراً على الارض صحراء افريقيا حيث تصل درجة الحرارة إلى ١٢٢ وفيه عدد سكان الدنيا مليارد ونصف ، ويموت منهم كل سنة ٣٢ مليونا تقريباً : مأة الف كل يوم وأكثر من أربعة آلاف كل ساعة .

ولكن كل ٦٧ شخصاً تموت في كل دقيقة يولد بدلها سبعون طفلا .

﴿ الكنيسة وحركة الارض ﴾

قدأجمع علماء اليونان قبل الميلاد على أنّ الارض ثابتة لاحراك لها وانّ الشمس والانجم تدور حولها وكانت الكنيسة تعتقد بهذه النظرية وتحميها حتىّ كان القرن السابع عشر الميلادى وجاء (غاليلة) بمرقبه وثبت لدى العلماء الكونيين :

انّ الارض تتحرك حول الشمس وحصل من جراء هذه العقيدة شجارعنيف بين الكنيسة المعتقدة بسكون الارض والعلماء الكونيين الذين يقولون بحركتها فأعدم نتيجة هذا التصادم فى الرأى كثير منهم .

حقّاً كانت القرون الوسطى فى أوروبا قروناً مملوءة بالظلام والجهل والضلال و كانت الكنيسة تقوم بانواع الظلم و التنكيل بشأن من لايوافقها فى معتقداتها ومزاعمها السخيفة الباطلة فتقتل وتحرق وتعذب وتسجن من لايوافقها فى الرأى بالنسبة إلى العلوم الكونية الّتى تستند على التجربة و المشاهدة و الاستقراء و الاستنتاج .

و قد ألفت الكنيسة كتاباً فى علم الجغرافية كله أباطيل و خرافات أسمته الجغرافية المسيحية : (Christion Geography) .

وفى هذا الكتاب : انّ الارض مركز العالم وهى ثابتة لاحراك لها وتؤكد على ما دوّنه (بطلميوس) اليونانى فى علم الهيأة والفلك ومن خالف فهو كافر بنظر الكنيسة ولكن المنجم اللهستانى (كوپرنيك) قام برصد الكواكب ثلاثين سنة و علم علم اليقين :

انّ هيأة بطلميوس هيأة باطلة لاأساس لها إلاّ الخرص والتخمين وانّ الكواكب

ومن جملتها الارض تدورحول الشمس وليست الارض بمركز للعالم وانّما هي كاحدالكواكب التي تدور حول الشمس ، وبما انّ الحقائق التي لمسها (كوپرنيك) في كشفياته كانت تخالف أباطيل الكنيسة دوّن رسالته في الفلك باللغة الاتينية مع شيىء من الابهام والتورية لايطلع على مقصوده الا من اشتغل بعلم الهيئة ولكن (جردانو برونو) العالم الايطالي الجرىء صار يصرح بما قاله (كوپرنيك) فحكم عليه من قبل كنيسة روما : ان يحرق حياً وقد أحرق ولكن بعد ٣٠٠ سنة نصبوا له في الساحة التي أعدم فيها تمثالا تخليداً لذكراه .

حتى جاء (غاليلة) بمرقبه الذي كان يقرب البعيد ويسهل للراصد مشاهدة مسافات بعيدة فوجه تلسكوبه لاول مرّة نحو السماء وإذا به يشاهد لاول مرة ان للمشترى اربع توابع : أقمار وتدور كلها حوله وشاهد جبالا شاهقة في قمرناهذا وتمكن من قياس ارتفاع تلك الجبال استناداً على مالها من ظلال .

انا كتشافات (غاليلة) كانت ضربة قاضية على هيأة بطلميوس الخاطئة وأيدت نظريات (كوپرنيك) الهيئي اللهستاني ففندت نظريات بطلميوس وارسطو !

فقامت قيامة الكنيسة والمخالفين ضدّ (غاليلة) وقالوا : انّ تلسكوبه انما هو جهاز شيطاني و هو من قبيل السحر فانعقدت نتيجة هذه المخالفات محكمة تفتيش العقائد في روم بشأن (غاليلة) فاضطر غاليلة أن يتنازل عن عقيدته التي تؤيدها الايات القرآنية والتجارب وأن يتوب من رأيه ونظره في شأن الارض والسماء أمام (الپاپ) فخضع في توبته للپاپ وركع وانحنى بكل خضوع ومع ذلك ارسل الى بيته ومنع من ان يلاقيه احد وان محاكم التفتيش صارت تراقبه مراقبة شديدة طوال حياته .

وقد اعدمت الكنيسة رجالا كثيرين من علماء العلوم الطبيعيّة والكونيّة لانّ تجاربهم العلمية كانت تعطى من النتائج ما يتنافى مع معتقدات الكنيسة الخرافية فحصل شجار بين الكنيسة والعلم الحديث فقال علماء أوروبا المحدثون : ان هناك تنافياً بين الدين والعلم والعلم لا يوافق الدين : (الكنيسة) في شيىء .

وقد تفاقم هذا العداء بين الدين والعلم فى اوروبا حتى قالوا : لا حاجة لنا الى الدين فى تسيير امورنا الاجتماعية والاقتصادية والقضائية وانّ علم البشر كاف لسن القوانين وتنظيم الانظمة فى شتّى المجالات ! ! ؟

ونبذ هؤلاء الكنيسة لظلمها الفاحش ومخالفتها للعلم المادى الصريح الذى تؤيّده التجارب والمختبرات وبنبذ الكنيسة نبذ الدين من أصله وظهر قوم يرون ان العلوم البشرية كافية لتسيير شؤون البشر فى جميع الحقول . وحدثت نظرية فلسفة جديدة سميت بـ (Lcicisme) أى الطريقة المادية أو الجسمانية أوالطريقة الدنيوية البحتة و (Laïque) باللغة الفرنسية أى ما هو غير منسوب الى الرهبانية والرهبنة و (Laicite) أى عدم الانتساب الى طريقة الرهبنة أوالرهبان. وقد ترجمت هذه الطريقة البشرية التى تعتمد على العلم البشرى غير المستمد من السماء بالطريقة « العلمانية » أى تلك الطريقة التى تعتمد على ما يضعه البشر من نظم وقوانين فى شتى الحقول: فى حقل القضاء والعقوبات والقصاص والسياسة الى ما هنا لك دون استناد الى ما جاء فى الدين .

ولقد ترشحت هذه الفكرة : « العلمانية » من الغرب الى الشرق نتيجة قياس مغلوط ومقايسة نظريات الكنيسة المغلوطة بحقائق الاسلام الناصعة التى فيها حياة البشر فى الدنيا والاخرة فصار يقول قسم من ابناء الطبقة المثقفة : ان الدين لا حق له فى التدخل فى شؤون الحياة السياسية .

وبما ان لفظ « العلمانية » يقترن فى اذهان الناس بـ (التقدم) فان كل اقتراح لتنظيم الشؤون السياسية وتخطيط المناهج الاقتصادية والاجتماعية على أساس الدين ينظر اليه على انّه حركة رجعية . أو على أحسن الفروض نظرية مثالية بعيدة عن مجال التطبيق العملى .

انّ هناك أسباباً خاصة بالغرب وحده جعلت أهله على غير وفاق مع الدين ـ دينهم ـ ومثل هذا الخلاف تنعكس آثاره على الاضطراب الاخلاقى والاجتماعى والسياسى الذى يسود اليوم أجزاء واسعة من العالم .

وبدلا من ان يخضع الغربيون سلوكهم وأفعالهم لمعايير القانون الاخلاقى الذىهو ـ على أيّة حال ـ الغاية القصوى لجميع الاديان أصبحت « المصلحة » فى اعتبار القوم هى القانون الوحيد المهيمن الذى يجب أن تعالج على ضوئه كافة الشؤون العامة ، وحيث ان وجهات النظر فيما تنطبق عليه صفة « المصلحة » تختلف عادة من جماعة الى جماعة ومن امة لاخرى .

فان النتيجة الطبيعية لذلك هىما نراه اليوم من إصطدام مروع بين المصالح المختلفة فى الحقل السياسى وهذا أمر طبيعى ، فان ما يبدو من الناحية العملية البحتة مقيداً لطائفة من الناس ، أو امّة من الامم لايجب أن يكون ـ وفى الاغلب لايكون ـ مفيداً لطائفة أو امّة اخرى .

وعلى هذا فانّه ما لم يخضع البشر تصرّفاتهم فى هذه الحياة الدنيا لتوجيه غاية من الغايات الادبيّة ، أو لاعتبار خلقى معين فان مصالهم الخاصة لابد أن تتصادم فى نقطة أواخرى ، وكلّما إحتدم النضال بينهم تباعدت مصالحهم أكثرفأكثر واختلط عليهم الامر فى معرفة الخير والشر فى معاملة بعضهم بعضاً .

وإذا كانت المصالح لاترتبط إلى مبدأ واحد تصادمت ونشأت مذاهب شتّى : الاشتراكية والرأسمالية وغيرهما من الانظمة ، فلو رجع البشر كلهم إلى دستور أخلاقى وأحكام يعينها الله تعالى من فوق عرشه وهوأعلم بمصالح البشروما يصلحهم فى الدنيا ويسعدهم فىالاخرة لم يحدث أى خلاف أواختلاف ولعاش البشر بهناء .

وانّ الدين الذى لم تمسّهاليد البشرية المحرّفةبسوء هو دين الاسلام .

قال تعالى : « انا نحن نزلنا الذكروانا له لحافظون » الحجر : ٩) .

وانّ المذهب الذى لا إنحراف فيه هومذهب الشيعة الامامية الاثنى عشرية على ما أشار اليه الله تعالى بمواضع كثيرة فى كتابه الكريم منها بقوله تعالى :

« اولئك هم خير البريّة» البيّنة : ٧) .

وردت فيه روايات كثيرة بأسانيد عديدة عن طريق العامة أوردناها فى هذا التفسير بمواضعها .

ولعمرى لايسعد البشر فى شرق الارض وغربها إلاّ بالتمسك بدين الاسلام الذى لن يبتعد عن المنطق الصحيح بحال : منطق لم تلوثه الشهوات والنزوات . . .

فنجاة العالم انما هى باعتناق الدين الاسلامى وجعله ديناً عالمياً ، ونبذ العصبية العمياء والحميّة الجاهلية والانانية المهلكة وحب الرئاسة الى ما هنالك من شهوات نفسانية لاتدع للعقل مجالا للحكم الصحيح ، وإختيار ما هوأصلح لدنياً موقتة وآخرة دائمية أبدية .

قال الله تعالى : « فبشّر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اولئك الذين هداهم الله وأولئك هم اولوا الالباب » الزمر : ١٨) .



﴿ التوحيد والتدبر فی الارض ﴾

ولعمری من تدبّر فی الارض وما عليها وما فی بطنها وما يحيط بها من الجو المكفوف وما بنی عليها من السماء يقرّ بوحدانية خالقها ويعترف بكمال حكمة صانعها، ويذعن بغاية علم بارئها ولا يكذّب بما جاءبه النبی الكريم صلّی الله عليه وآله ولا يجعل نفسه فی زمرة الذين هم فی غمرة ساهون، ولا يترك ما أمره الله تعالی به ولا يرتكب ما نهاه عنه رب العالمين.

فی العيون: باسناده عن الامام علی بن الحسين عليهما السلام فی قوله عزوجل: «الذی جعل لكم الارض فراشاً والسماء بناء».

قال: جعلها ملائمة لطبائعكم موافقة لاجسادكم ولم يجعلها شديدة الحمی والحرارة فتحرقكم، ولا شديدة البرودة فتجمدكم، ولا شديدة طيّب الريح فتصدّع هاماتكم، ولا شديدة النتن فتعطبكم ولا شديدة اللين كالماء فتغرقكم، ولا شديدة الصلابة فتمتنع عليكم فی دوركم وأبنيتكم ودفن موتاكم، ولكنه عزوجل جعل فيها من المتانة ما تنتفعون به وتتماسك عليها أبدانكم وبنيانكم.

وجعل فيها من اللين ما تنقاد به لحرثكم وقبوركم وكثير من منافعكم فذلك «جعل الارض فراشاً» ثم قال: «والسماء بناء» يعنی سقفاً محفوظاً من فوقكم يدير فيها شمسها وقمرها ونجومها لمنافعكم.

ثم قال عزّوجلّ: «وأنزل من السماء ماء» يعنی المطر ينزله من علو ليبلغ قلل جبالكم وتلالكم وهضابكم وأوهادكم، ثم فرّقه رذاذاً ووابلاً وهطلاً وطلّاً لتنشفه أرضوكم.

ولم يجعل ذلك المطر نازلا عليكم قطعة واحدة فيفسد أرضكم وأشجاركم

وزروعكم وثمار كم .

ثم قال عزّوجلّ : «فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم» يعني مما يخرجه من الارض رزقاً لكم «فلا تجعلوا لله انداداً» أي أشباهاً وأمثالا من الاصنام الّتي لاتعقل ولاتسمع ولاتبصرولا تقدرعلى شيء «وأنتم تعلمون» انّها لاتقدرعلى شيء من هذه النعم الجليلة الّتي أنعمها عليكم ربكم تبارك وتعالى .

وفي نهج البلاغة : قال الامام مولى الموحدين على المرتضى عليه السلام :

« اللّهم ربّ السقف المرفوع ، والجوّ المكفوف الذى جعلته مغيضاً لليل والنهار ومجرى للشمس والقمرومختلفاً للنّجوم السيّارة وجعلت سكّانه سبطاً من ملائكتك لا يسأمون من عبادتك ، وربّ هذه الارض الّتي جعلتها قراراً للانام ، ومدرجاً للهوامّ والانعام ومالايحصى ممايرى ومما لا يرى، وربّ الجبال الرواسى التى جعلتها للارض أوتاداً وللخلق إعتماداً » .

أقول : «السقف المرفوع » : السماء و «الجوّ المكفوف» أىالهواء المحيط بالارض و « مغيضاً » أي مغيباً وذلك لان الهواءسبب لغيبوبة الليل والنهار بواسطة غروبالشمس وطلوعها أوأن بالهواء ينقص الليل مرة والنهار اخرى و«لايسأمون» أي لا يملّون .

ان كرة الارض بجملتها وأجزائها وعمقهاوظاهرها وباطنها وطبقاتها وجبالها وصخورهاواحجارها المتلونة واقسام رملها وإختلاف طينهاآيات لمن يعقلويتفكر .

قالالله تعالى: «ألم ترّ انّ الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانهاو من الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن النّاس والدوابّ والانعام مختلف ألوانه » فاطر: ٢٧ ـ ٢٨) .

وقال : «وهو الذى مدّ الارض وجعل فيها رواسي وانهاراً ومن كل الثمرات جعلفيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار انفي ذلك لايات لقوم يتفكّرون وفي الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغيرصنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل انّ في ذلك لايات لقوم يعقلون »

الرعد : ٣ ـ ٤) .

وان ّ في كيفيّة صورة الارض ودورانها في محورها وتسخيرها وماعليها وما فيها للانسان وبدء أجسامنا منها ونشوئنا ونموّنا بها ومنها وفيها وعودنا اليها آيات لقوم يعقلون لقوم يؤمنون ولقوم يشكرون .

قال الله تعالى : « ومن آياته ان تقوم السماء والارض بأمره ـ كذلك نفصّل الآيات لقوم يعقلون» الروم : ٢٥ ـ ٢٨) .

وقال : «قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ـ انّ في ذلك لآيات لقوم يؤمنون» العنكبوت : ٢٠ـ٢٤) .

وقال: «ألم تروا انّ الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ـ ألم تر أنّ الفلك تجري في البحر بنعمت الله ليريكم من آياته انّ في ذلك لايات لكل صبّار شكور » لقمان : ٢٠ ـ ٣١) .

وقال : « والله أنبتكم من الارض نباتاً ثم يعيد كم فيها ويخرجكم إخراجاً والله جعل لكم الارض بساطاً لتسلكوا منها سبلا فجاجاً » نوح : ١٧ ـ ٢٠) .

وقال : « ألم نجعل الارض كفاتاً أحياء وأمواتاً وجعلنا فيها رواسي شامخات وأسقينا كم ماء فراتاً » المرسلات : ٢٥ ـ ٢٧) .

وفي بحارها و براريها و جزائرها ، وأنواع مياهها ، عذبها ومالحها ، وفي عيونها و أنهارها ، و في مغاراتها و كهوفها و براكينها وأملاحها و معادنها ، وفي اختلاف ترابها ومناطقها آيات لقوم يتفكرون ولاولي الالباب .

قال الله تعالى: «وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحماً طرياً وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون» فاطر : ١٢) .

وقال : «ألم تر انّ الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض ثم يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه ثم يهيج فتراه مصفرّاً ثم يجعله حطاماً انّ في ذلك لذكرى لاولي الالباب» الزمر : ٢١) .

وقال : « أمّن جعل الارض قراراً و جعل خلالها أنهاراً و جعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزاً » النمل : ٦١) .

وفى إحيائها بعد إماتتها وفى سباعها ووحوشها وفى تمهيدها للعيش الهنيىء عليها للانسان ، وفى مالها من الزينة والاخضرار ، وفى أقسام نباتها من كونها داء ودواء وغذاء للحيوان وطعاماً للانسان آيات لقوم يوقنون .

قال الله تعالى : « فانظر إلى آثار رحمت الله كيف يحيى الارض بعد موتها » الروم : ٥٠) .

وقال : «وآية لهم الارض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبّاً فمنه يأكلون وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجّرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون سبحان الذى خلق الازواج كلها ممّا تنبت الارض ومن أنفسهم ومما لايعلمون» يس : ٣٣ـ٣٦) .

وقال : « أولم يروا انّا نسوق الماء إلى الارض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون » السجدة : ٢٧) .

وقال: «ألم ترأنالله أنزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة » الحج:٦٢).

وقال: «الذى جعل لكم الارض مهداً وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتىّ كلوا وارعوا أنعامكم انّ فى ذلك لآيات لاولى النهى» طه : ٥٣ ـ ٥٤) .

قال الله تعالى : «وفى الارض آيات للموقنين» الذاريات : ٢٠) .

﴿ حقيقة الرزق الحلال والحرام منه ﴾

قال الله تعالى : «وفي السماء رزقكم وما توعدون - ان الله هو الرزّاق ذو القوة المتين» الذاريات : ٢٢ - ٥٨) .

يدور البحث حول الرزق على أمور :

منها : في حقيقة الرزق ، وذكر الكلام و التحقيق في الحلال و الحرام من الرزق .

الرزق : هو إسم لما يعطيه الله تعالى وينتفع به على وجه الصحيح شرعاً .

قال الشيخ رضوان الله تعالى عليه في تفسير التبيان : أصل الرزق : الحظ ، فما جعله حظاً لهم فهو رزقهم .

واختلف في كون الحرام رزقاً فذهبت المعتزلة إلى انّ الرزق هو كلّ ما صحّ انتفاع الحيوان به بالتغذى وليس الحرام رزقاً .

مستدلين بقول النبي الكريم صلى الله عليه وآله : «انّ الله تعالى قسّم الارزاق بين خلقه حلالا ولم يقسمها حراماً » .

وذهبت الاشاعرة : إلى أنّ الرزق هو كل ماينتفع به الانسان و الحيوان حلالا كان أم حراماً .

مستدلين بقول عمر بن قرّة حيث قال: «يارسول الله انّ الله كتب عليّ الشقوة فلا أرادني ارزق إلا من دفّي بكفّي ، أتأذن لي في الغناء؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله بعد كلام :أي عدوّ الله انّ الله قد رزقك طيّباً فاخترت ما حرّم الله عليك من رزقه مكان ما أحل الله لك من حلاله » .

أقول : إن الرواية لوصحّت لا تدل على المدعى فتدبّر.

وذهبت القدرية منهم إلى انّ الارزاق منقسمة ، فمنها ما رزقه الله للعبد فهو الحلال ومنها مارزقه العبد لنفسه فهوالحرام .

وقال الفخر في تفسيره : «تعلق أصحابنا بهذهالاية: « ومامن دابة في الارض إلا علىالله رزقها» هود:٦) فيإثبات ان الرزق قديكون حراماً قالوا: لانّه ثبتان إيصال الرزق إلى كل حيوان واجب علىالله تعالى بحسب الوعد وبحسب الاستحقاق والله تعالى لايخل بالواجب ، ثمقد نرى إنساناً لايأكل من الحلال طول عمره فلو لميكنالحرام رزقاً لكانالله تعالى ما أوصل رزقهإليه فيكونتعالى قدأخلّ بالواجب وذلك محال ، فعلمنا أنّ الحرام قديكون رزقاً » .

وأما الشيعة الامامية الاثنيعشرية فذهبوا إلى أنّ الرزق هو ما للحيّ الانتفاع بهعلى وجه لايكون لاحدمنعه منه وهذا لايطلق الاّفيما هوحلال ، وأما الحرام فلايكون رزقاً لانّه منهيعنه ولصاحبه أيضاًمنعه منه .

وذلك لانّ الله تعالى مدح المنفق بالانفاق ممارزقه اذقال : «الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون اولئك همالمؤمنون حقّاً » الانفال : ٣ـ ٤) .

والمغصوبوالحرام يستحق الذم على الانفاق بهما، فكيف يكون رزقاً وهما ممنوعان من التصرف فيهما والانفاق منهما بالاتفاق .

ويستفاد من تقديم الظرففي قوله : «مما رزقناهم» الحصر وهو يقتضي كون المال المنفق على ضربين : مارزقه الله تعالى ومالم يرزقه ،وانّ المدح انماهوعلى الانفاق ممارزقهم وهوالحلال لامما سوّلت لهمأنفسهم من الحرام ولو كان كل ما ينفقونه رزقاً منالله سبحانه لميستقم الحصر .

وقال بعض المحققين : انّ الله تعالىقدّرلكل انسان رزقاً وجعل لنيلهبه طريقين : طريق مرضي وطريق مغضوب منهيعنه ليتم فرض الاختيار للانسان فهو مختار فيالنيل بما قدّر لهمن أحد الطريقين .

فيتفسير العياشي باسناده عن الامام علي عليه‌السلام قال: قال رسولالله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم في

قوله تعالى : «واسئلوا الله من فضله» .

«ان ّ الله تعالى خلق خلقه وقسّم لهم أرزاقهم من حلّها وعرض لهم بالحرام فمن انتهك حراماً نقص له من الحلال بقدرما انتهك من الحرام وحوسب به» .

قوله ﷺ : «انتهك» أى تناول بمالايحل .

وقال السيد الطباطبائي في الميزان : « لامنافاة بين عدم كون نفع محرم رزقاً بحسب التشريع و كونه رزقاً بحسب التكوين إذ لاتكليف فيالتكوين حتى يستتبع ذلك قبحاً ومابيّنه القرآن من عموم الرزق في قوله تعالى : « ترزق من تشاء بغير حساب » آل عمران : ٢٧) .

انّما هو بحسب حالالتكوين ـ الى أن قال ـ : على أنّ الايات تنسبالملك الذىلاَمثال نمرود وفرعون والاموال والزخارف التي بيد أمثال قارون الى إيتاء الله تعالى فليس الاّ ان ذلك كله باذن الله تعالى أتاهم ذلك امتحاناً واتماماً للحجّة وخذلاناً واستدراجاً ونحو ذلك ، وهذا كلّه نسب تشريعيّة واذا صحت النسبة التشريعية من غير محذور لزوم القبح فصحّة النسبة التكوينيّةالتي لامجال للحسن والقبح العقلائيين فيها أوضح » .

وفي تفسير العياشي : باسناده عن أبي البلاد عن أبي جعفر عليه السلام انّه قال : ليس من نفس الاّ وقد فرض الله لها رزقها حلالا يأتيها في عافية ، وعرض لها بالحرام من وجه آخر، فان هي تناولت منالحرامشيئاً قاصّها به من الحلال الّذى فرض الله لها وعندالله سواهما فضل كبير .

وفي الكافي: باسناده عن محمد بن مرازم عن أبيه أو عمّه قال : شهدت أبا عبدالله عليه السلام وهو يحاسب وكيلا له والوكيل يكثر أن يقول : والله ما خنت والله ما خنت ، فقال له أبو عبدالله عليه السلام : يا هذا خيانتك وتضييعك عليّ مالي سواء، لانّ الخيانة شرّها عليك ، ثم قال:

قال رسول الله ﷺ : لو انأحدكم هرب منرزقه لتبعهحتى يدركه ، كما انّه،إن هرب منأجله تبعهحتىيدركه، من خان خيانة حسبتعليهمنرزقهو كتبعليهوزرها.

وفى تفسير ابن كثير : عن عبدالله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « انّ الله قسّم بينكم أخلاقكم كما قسّم بينكم أرزاقكم ، وانّ الله يعطى الدنيا من يحبّ ومن لا يحبّ ولا يعطى الدين الاّ من أحب ، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبّه ، والّذى نفسى بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه ، قال : قلنا : وما بوائقه يا نبى الله ؟ .

قال : غشّه وظلمه ، ولا يكسب عبد مالا حراماً فينفق منه فيبارك له فيه ، ولا يتصدّق فيقبل منه ، ولا يتركه خلف ظهره إلاّ كان زاده إلى النار ، انّ الله لا يمحو السيّء بالسيّء ولكن يمحو السيىء بالحسن، انّ الخبيث لا يمحو الخبيث.

وفى أمالى الصدوق رحمة الله تعالى عليه : باسناده عن مرازم بن حكيم عن أبى عبدالله عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : انّ الروح الامين جبرئيل أخبرنى عن ربّى تبارك وتعالى انّه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها ، فاتقوا الله واجملوا فى الطلب ، واعلموا انّ الرزق رزقان : فرزق تطلبونه ورزق يطلبكم ، فاطلبوا أرزاقكم من حلال فانكم آكلوها حلالا ان طلبتموها من وجوهها وإن لم تطلبوها من وجوهها أكلتموها حراماً ، وهى أرزاقكم لابدّ لكم من أكلها .

وذلك انّ الانسان لما تعلّق التكليف ببعض أفعاله المتعلقة بالارزاق كالاكل و الشرب و النكاح و اللباس والمسكن وما اليها ، و الرزق مما يضطر إليه تكويناً كان لازم ذلك أن لا يتعلّق الحرمة والمنع الاّ بماله مندوحة و الاّ كان تكليفاً بما لا يطاق ، قال الله تعالى : «وما جعل عليكم فى الدين من حرج » الحج : ٧٨).

وقال: « ان الله لا يأمر بالفحشاء » الاعراف : ٢٨) .

وكان لازم ذلك انّ فى موارد المحرمات أرزاقاً إلهيّة محللة هى المندوحة للعبد، وهى الارزاق المنسوبة الى الله تعالى بحسب النظر التشريعى دون المحرمات فتحصل، ان الرزق زرقان : رزق تكوينى وهو كل ما يستمد به موجود فى بقائه كيف كان ، ورزق تشريعى و هو الحلال الذى يستمد به الانسان فى الحياة دون الحرام فانه ليس برزق منه تعالى .

﴿ اقسام الرزق ﴾

انّ الرزق في الاصل على مامرّ : الحظ مطلقاً ، إذيقال : اللهم ارزقني ولداً صالحاً وزوجة صالحة ، وارزقني علماً نافعاً وعقلا أعيش به سعيداً، وارزقني زيارة بيتك الحرام وقبر نبيك وأهل بيته المعصومين ، و ارزقني توفيقاً لطاعتك و بعداً عن معصيتك ومعرفة لحرمتك . . .

فلا يقصر الرزق فيما يتغذى به الانسان ، بل للروح والعقل الانساني أرزاق لابد منهاوالاهتمام بها، وغذاء العقل إدراك المعارف والعلوم وغذاء الروح المعرفة والعمل الصالح ، اذبها تكمل وتزيد وتنمو، وبفقدها تنقص وتموت وتهلك .

قال الطبرسي قدس سره في المجمع : الارزاق نوعان : ظاهرة للابدان كالاقوات ، وباطنة للقلوب كالمعارف والعلوم .

وان الرزق باعتبار آخر على قسمين : رزق لابد أن يطلبه الانسان فيرزق ، ورزق يطلب صاحبه حتى يجده ويعبّر عن الاخير برزق من حيث لا يحتسب ، ولايكون هذا الاّ للمتقين .

و في رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا أراد الله لاهل بيت خيراً رزقهم الرفق في المعيشة وحسن الخلق .

وفي نهج البلاغة : قال الامام علي عليه السلام : الرزق رزقان : رزق تطلبه ورزق يطلبك ، فان لم تأته أتاك ، فلا تحمل همّ سنتك على هم يومك ، كفاك كل يوم مافيه فان تكن السنة من عمرك فان الله تعالى جدّه سيؤتيك في كل غد جديد ما قسّم لك وان لم تكن السنة من عمرك فما تصنع بالهمّ لما ليس لك ولن يسبقك الى

رزقك طالب ولن يغلبك عليه غالب ولن يبطىء عنك ما قد قدّر لك ؟ » .

وفيه : فى موضع آخر أشار الى الاخير إذ قال عليه السلام : من لم يعط قاعداً لم يعط قائماً » .

وقد جاء فى حديث انّ رسول الله صلى الله عليه وآله ناول أعرابيّاً تمرة وقال له : « خذها فلو لم تأتها لأتتك » .

فى شرح الحديد : وروى انّ رجلا لازم باب عمر فضجر منه قال له : ياهذا هاجرت الى الله تعالى أم الى باب عمر ؟ اذهب فتعلّم القرآن فانه سيغنيك عن باب عمر فذهب وغاب مدّة حتى افتقده عمر فاذا هو معتزل مشتغل بالعبادة ، فأتاه عمر فقال له : انّى اشتقت اليك فما الذى شغلك عنا !

قال انّى قرأت القرآن فأغنانى عن عمر وآل عمر ، فقال : رحمك الله فما وجدت فيه ؟ قال : وجدت فيه « وفى السماء رزقكم وما توعدون » فقلت : رزقى فى السماء وأنا أطلبه فى الارض ، انّى لبئس الرجل فبكى عمر وقال : صدقت .

وفى النهج قال الامام على عليه السلام : « الرزق رزقان : طالب و مطلوب فمن طلب الدنيا طلبه الموت حتى يخرجه عنها ، ومن طلب الاخرة طلبته الدنيا حتى يستوفى منها رزقه » .

أقول : هذا تحريض على طلب الاخرة ووعد لمن طلبها بأنه سيكفى طلب الدنيا ، وان الدنيا ستطلبه حتى يستوفى رزقه منها .

قال الله تعالى : « وماكان لنفس أن تموت الاّ باذن الله كتاباً مؤجّلا ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الاخرة نؤته منها وسنجزى الشاكرين - فأتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة » آل عمران : ١٤٥ - ١٤٨) .

وفى الكافى باسناده عن الوليد بن صبيح قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : من الناس من رزقه فى التجارة ، و منهم من رزقه فى السيف ، و منهم من رزقه فى لسانه .

و فى النهج : قال الامام على عليه السلام : « و اعلم يا بنىّ أنّ **الرزق رزقان :**

رزق تطلبه ورزق يطلبك ، فان أنت لم تأته أتاك .

ما أقبح الخضوع عند الحاجة والجفاء عند الغناء ! انّما لك من دنياك ما أصلحت به مثواك وان كنت جازعاً على ما تفلّت من يديك فاجزع على كلّ ما لم يصل اليك » .

وفى البحار : عن أبى سعيد الخدرى قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول عند منصرفه من احد والناس محدقون به وقد أسند ظهره الى طلحة ـ واحدة الطلح وهو شجر عظام من شجر الغطاة ـ هناك : أيّها الناس اقبلوا على ما كلّفتموه من إصلاح آخرتكم وأعرضوا عمّا ضمن لكم من دنياكم ولا تستعملوا جوارحاً غذيت بنعمته فى التعرّض لسخطه بمعصيته ، واجعلوا شغلكم فى إلتماس مغفرته .

واصرفوا همّكم بالتقرّب الى طاعته من بدأ بنصيبه من الدنيا فاته نصيبه من الاخرة ولم يدرك منها مايريد ومن بدأ بنصيبه من الاخرة وصل اليه نصيبه من الدنيا وأدرك من الاخرة مايريد .

وقال صلى الله عليه وآله : ان الله يعطى الدنيا بعمل الاخرة ولايعطى الاخرة بعمل الدنيا .

وقال الشاعر :

احبّ الصّالحين ولست منهم لعلّ الله ان يرزقنى صلاحاً



﴿ طلب الرزق والاهتمام به ﴾

وقد وردت روايات كثيرة فى طلب الرزق ممالابدّ منه ولكنّها تنهى عن الاهتمام به،لانّه يوجب الدخول فى الحرام والسعى فيما لاحاجة به واقعاً.

فى الكافى : باسناده عن عبدالاعلى مولى آل سام قال استقبلت أباعبدالله عليه السلام فى بعض طرق المدينة فى يوم صايف شديد الحرّ فقلت: جعلت فداك حالك عندالله عزّوجل وقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وآله أنت تجهد لنفسك فى مثل هذا اليوم؟ فقال : ياعبد الاعلى خرجت فى طلب الرزق لاستغنى عن مثلك.

وفيه: باسناده عن عبدالرحمن بن الحجّاج عن أبى عبدالله عليه السلام قال : ان محمّد بن المنكدر كان يقول : ما كنت أرى انّ على بن الحسين عليه السلام يدع خلفاً أفضل منه حتّى رأيت إبنه محمّد بن على عليه السلام فأردت أن أعظه فوعظنى ، فقال له اصحابه : بأىّ شىء وعظك ؟ قال : خرجت إلى بعض نواحى المدينة فى ساعة حارّة فلقينى أبو جعفر محمّد بن على وكان رجلا بادناً ثقيلا وهو متكىء على غلامين أسودين أوموليين فقلت فى نفسى :

سبحان الله شيخ من أشياخ قريش فى هذه الساعة على هذه الحال فى طلب الدنيا أما لاعظنّه ، فدنوت منه فسلّمت عليه فردّ علىّ السلام بنهر وهو يتصابّ عرقاً فقلت: اصلحك الله شيخ من أشياخ قريش فى هذه الساعة على هذه الحال فى طلب الدنيا ، أرأيت لو جاء أجلك وأنت على هذه الحال ما كنت تصنع ؟

فقال : لو جاءنى الموت وأنا على هذه الحال جاءنى وأنا فى طاعة الله عزّوجل أكفّ بها نفسى وعيالى عنك وعن الناس وانما كنت أخاف انّ لو جاءنى الموت

وأنا على معصية من معاصي الله ، فقلت : صدقت يرحمك الله أردت أن أعظك فوعظتني

وفيه : باسناده عن أبي عمرو الشيباني قال : رأيت أبا عبد الله عليه السلام وبيده مسحاة وعليه إزار غليظ يعمل في حائط له والعرق يتصابّ عن ظهره ، فقلت : جعلت فداك أعطني اكفك ، فقال لي : انّي احب أن يتأذّى الرجل بحرّ الشمس في طلب المعيشة .

وفي التهذيب : باسناده عن سدير قال : قلت لابي عبدالله عليه السلام أيّ شيء على الرجل في طلب الرزق ؟ فقال : إذا فتحت بابك وبسطت بساطك فقد قضيت ماعليك .

وفي أعلام الدين : قال أمير المؤمنين عليه السلام : الدنيا دول فاطلب حظّك منها بأجمل الطلب .

وعن التمحيص : عن أبي عبدالله عليه السلام قال : لو كان العبدُ في جحر لاتاه رزقه فاجملوا في طلب.

وفيه : عن أبي عبد الله عليه السلام أيضاً قال : ليكن طلبك للمعيشة فوق كسب المضيّع ودون طلب الحريص .

قال الله تعالى : « ولا تنس نصيبك من الدنيا » القصص : ٧٧) .

وفي الكافي : باسناده عن أبي بصير قال : سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول : إنّي لأعمل في بعض ضياعي حتى أعرق ، وانّ لي من يكفيني ليعلم الله عز وجلّ انّي أطلب الرزق الحلال .

وفيه : باسناده عن عمر بن يزيد قال : قلت لابي عبدالله عليه السلام : رجل قال : لأقعدنّ في بيتي ولأصلّينّ ولأصومنّ ولأعبدنّ ربّي فامّا رزقي فسيأتيني ، فقال أبو عبدالله عليه السلام : هذا أحد الثلاثة الذين لا يستجاب لهم .

وفيه : باسناده عن أبي خالد الكوفي رفعه إلى أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : العبادة سبعون جزء أفضلها طلب الحلال .

وفيه : باسناده عن محمد بن مروان عن أبي عبدالله عليه السلام قال : انّ في حكمة آل داود : ينبغي للمسلم العاقل أن لا يرى ظاعناً إلاّ في ثلاث :

مرمّة لمعاش ، أو تزوّد لمعاد ، أو لذّة في غير ذات محرم ، وينبغي للمسلم العاقل أن يكون له ساعة يفضي بها إلى عمله فيما بينه وبين الله عزوجل ، وساعة يلاقي إخوانه الذين يفاوضهم ويفاوضونه في أمر آخرته وساعة يخلي بين نفسه ولذاتها في غير محرم فانها عون على تلك الساعتين .

وفيه: باسناده عن فضيل بن يسار عن أبي عبدالله عليه السلام قال : اذا كان الرجل معسراً فيعمل بقدرما يقوت به نفسه وأهله ولا يطلب حراماً فهو كالمجاهد في سبيل الله.

وفي نهج البلاغة : وشكى اليه عليه السلام رجل تعذّر الرزق فقال : مه لاتجاهد الرزق جهاد المغالب ولا تتّكل على القدر إتكال المستسلم فانّ ابتغاء الفضل من السّنة والاجمال في الطلب من العفّة وليست العفّة دافعة رزقاً ولا الحرص جالباً فضلا لانّ الرزق مقسوم وفي شدّة الحرص إكتساب المآثم .

وقال عليه السلام في موضع آخر: من أجمل في الطلب أتاه رزقه من حيث لايحتسب

وفي البحار : عن إبن عمر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : امّتي في الدنيا على ثلاثة أطباق : أمّا الطبق الاوّل : فلايحبون جمع المال وادّخاره ولايسعون في إقتنائه واحتكاره وانّما رضاهم من الدنيا سدجوعة وستر عورة وغناهم منها مابلغ بهم الاخرة فاولئك الآمنون الذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون .

وأمّا الطبق الثاني : فانهم يحبون جمع المال من أطيب وجوهه و أحسن سبله يصلون به أرحامهم ويبرّون به اخوانهم ويواسون به فقراءهم ولعض أحدهم على الرّضف أيسر عليه من أن يكتسب درهما من غير حلّه أويمنعه من حقّه أو يكون له خازناً الى يوم موته فأولئك الذين ان نوقش عنهم عذّبوا وان عفى عنهم سلموا .

وأمّا الطبق الثالث : فانهم يحبّون جمع المال مما حلّ و حرم ومنعه مما افترض ووجب ان أنفقوه أنفقوا اسرافاً وبداراً وان أمسكوه أمسكوا بخلا واحتكاراً اولئك الذين ملكت الدنيا زمام قلوبهم حتى أوردتهم النار بذنوبهم .

قوله صلى الله عليه وآله : « الرضف » : الحديدة المحماة على النّار .

وفي أمالي الصدوق رضوان الله تعالى عليه : باسناده عن أبي حمزة عن الصادق عليه السلام قال: ان كان الله تبارك وتعالى قد تكفّل بالرزق فاهتمامك لماذا ؟ وإن كان الرزق مقسوماً فالحرص لماذا ؟ وان كان الحساب حقاً فالجمع لماذا ؟ وان كان الخلف من الله عزّ وجلّ حقاً فالبخل لماذا ؟ الخبر .

وفي البحار : قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه : كان فيما وعظ لقمان إبنه انّه قال : يابنيّ ليعتبر من قصر يقينه وضعف تعبه في طلب الرزق انّ الله تعالى خلقه في ثلاثة احوال من أمره وأتاه رزقه ولم يكن له في واحدة منها كسب ولا حيلة انّ الله سيرزقه في الحال الرابعة .

أمّا الاوّل فانه كان في رحم امّه يرزقه هناك في قرار مكين حيث لابرد يؤذيه ولاحرّ ثم أخرجه من ذلك و أجرى له من لبن امّه ما يربّيه من غير حول به ولا قوّة ثم فطم من ذلك فأجرى له من كسب أبويه برأفة و رحمة من تلويهما حتى اذا كبر و عقل و اكتسب لنفسه ضاق به أمره فظنّ الظنّون بربّه وجهد الحقوق في ماله وقتّر على نفسه وعياله مخافة الفقر .

و في نهج البلاغة قال الامام علي عليه السلام : « يا ابن آدم لاتحمل همّ يومك الذي لم يأتك على يومك الذي قد أتاك فانّه ان يكن من عمرك يأت الله فيه برزقك».

أقول: انّ الامام عليه السلام نهى في هذا الفصل الناس عن الحرص على الدنيا والاهتمام لها وأعلمهم انّ الله جلّ وعلا قسم الرزق لكل حي من خلقه فلو لم يتكلف فيه الانسان لاتاه رزقه من حيث لايحتسب .

وفي تحف العقول : في وصيّة رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ بن ابيطالب عليه السلام قال: ياعليّ لاتهتم لرزق غد فانّ كل غد يأتي رزقه .

وفي أعلام الدين : عن أبي محمد العسكري عليه السلام قال : ادفع المسئلة ما وجدت التحمل يمكنك فان لكل يوم رزقاً جديداً واعلم انّ الالحاح في المطالب يسلب البهاء ويورث التعب والعناء فاصبر حتى يفتح الله لك باباً يسهل الدخول فيه فما اقرب الصنع من الملهوف والامن من الهارب المخوف فرّ بما كانت الغير

نوعاً من أدب الله

و الحظوظ مراتب فلا تعجل على ثمرة لم تدرك و انّما تنالها فى أوانها و اعلم أنّ المدبّر لك أعلم بالوقت الّذى يصلح حالك فيه فثق بخيرته فى جميع امورك يصلح حالك ، ولا تعجل بحوائجك قبل وقتها فيضيق قلبك و صدرك ويغشاك القنوط .

وفى الدر المنثور : عن عبدالله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ايّها الناس انّه ليس من شيىء يقرّبكم من الجنة ويبعّد كم من النار إلاّ وقد أمرتكم به وانّه ليس شيىء يقرّبكم من النار ويبعدّكم من الجنة إلا و نهيتكم عنه وانّ الروح الامين نفث فى روعى انّه ليس من نفس تموت حتى تستوفى رزقها، فاتقوا الله واجملوا فى الطلب ولايحملنّكم إستبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعاصى الله فانه لا ينال ما عند الله الاّ بطاعته .

اقول : رواه الكلينى فى الكافى باسناده عن أبى حمزة الثمالى عن أبى جعفر عليه السلام قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وآله فى حجة الوداع : الحديث .

وفى رواية : فقال صلى الله عليه وآله : ألا وان لكل امرىء رزقاً هو يأتيه لا محالة فمن رضى به بورك له فيه فوسعه ومن لم يرض به لم تبارك له فيه ولم يسعه ، ان الرزق ليطلب الرجل كما يطلبه اجله .

وقال صلى الله عليه وآله : لو انكم يتوكّلون على الله حق توكّله لرزقهم كما يرزق الطير تغدوا خماصاً وتروح بطاناً .

وفى ثواب الاعمال : باسناده عن إبن أبى يعفور عن ابى عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من اصبح وامسى والاخرة اكبر همّه جعل الله له الغناء فى قلبه وجمع له امره ولم يخرج من الدنيا حتّى يستكمل رزقه، ومن اصبح وامسى والدنيا اكبر همّه جعل الله الفقر بين عينيه وشتّت عليه أمره ولم ينل من الدنيا الاّ ما قسّم له .

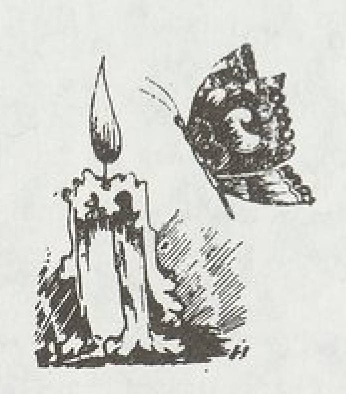
وفى الاختصاص: باسناده عن أبى عبدالله عليه السلام قال : من صحة يقين المرء

المسلم أن لايرضى الناس بسخط الله ولايحمدهم على مارزق الله ولايلومهم على ما لم يؤته الله فان رزق الله لايسوقه حرص حريص ولايرده كره كاره ولوان أحد كم فر من رزقه كما يفر من الموت لآدر كه رزقه قبل موته كما يدر كه الموت .

أقول: ولعمرى إذا نظر الانسان إلى الدودة المكنونة داخل الصخرة كيف ترزق ، علم أن صانع العالم قد تكفل لكل ذى حياة بمادة تقيم حياته إلى إنقضاء عمره .

فى تفسير روح البيان : روى : ان موسى عليه السلام عند نزول الوحى عليه بالذهاب الى فرعون للدعوة إلى الايمان تعلق قلبه بأحوال أهله قائلا : يا رب من يقوم بأمر عيالى؟ فأمره الله تعالى أن يضرب بعصاه صخرة فضربها فانشقت وخرج منها صخرة ثانية ثم ضرب بعصاه عليها فانشقت وخرجت منها صخرة ثالثة ثم ضربها بعصاه فخرجت منها دودة وفى فمها شيىء يجرى مجرى الغذاء لها ورفع الحجاب عن سمع موسى فسمع الدودة تقول: سبحان من يرانى ويسمع كلامى ويعرف مكانى ويذكرنى ولاينسانى .

أقول: رواه أكثر مفسرى العامة وبعض مفسرى الشيعة الامامية الاثنى عشرية.



« الخلق والرزق »

ولاريب انّ الانسان والحيوان وما إليهما لايكفيها أصل الوجود للبقاء بل لابدّ أن تستمدّ في بقائها بأمور اخر خارجة من وجودها وهي الرزق التّي يتوقف عليه بقاء أنواع الحيوان من غير فرق في ذلك بينها أصلا، فالرزق مما لايستغني عنه موجود في بقائه وإذ خلق الله جلّ وعلا هذه الاشياء لبقاءها فقد خلق لها رزقاً فالتلازم بين الخلق والرزق مما لاشك فيه .

وإليه أشار بقوله تعالى : «قل أانكم لتكفرون بالذى خلق الارض في يومين ـ وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدّر فيها اقواتها في أربعة ايام » فصلت: ٩ـ ١٠) فقدّر الاقوات لعباده قبل ان يخلقهم .

وقوله : « وما من دابّة في الارض الاّ على الله رزقها » هود : ٦).

تكفّل بارزاق الخلق .

في أمالي الصدوق رضوان الله تعالى عليه: باسناده عن جابر بن يزيد الجعفي عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قال: ان موسى بن عمران عليه السلام قال: ياربّ رضيت بماقضيت تميت الكبير وتبقي الطفل الصغير، فقال الله جل جلاله ياموسى أما ترضاني لهم رازقاً وكفيلا ، قال بلى ياربّ فنعم الوكيل أنت ونعم الكفيل .

وفي الخصال : باسناده عن حمّاد بن عيسى عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال اميرالمؤمنين عليه السلام : كان فيما وعظ به لقمان ابنه أن قال له : يابنيّ ليعتبر من قصر يقينه وضعفت نيّته في طلب الرزق انّ الله تبارك وتعالى خلقه في ثلاثة أحوال من امره وأتاه رزقه ولم يكن له في واحدة منها كسب ولاحيلة انّ الله تبارك وتعالى سيرزقه

فى الحال الرابعة :

أمّا اول ذلك فانّه كان فى رحم أمّه يرزقه هناك فى قرار مكين حيث لا يؤذيه حرّ ولا برد ثمّ أخرجه من ذلك وأجرى له رزقا من لبن أمّه يكفيه به ويربّيه وينعشه من غير حول به ولا قوّة ثم فطم من ذلك فأجرى له رزقاً من كسب أبويه برأفة ورحمة له من قلوبهما لا يملكان غير ذلك حتّى انّهما يؤثرانه على أنفسهما فى احوال كثيرة حتّى اذا كبر وعقل واكتسب لنفسه ضاق به أمره وظنّ الظنون بربه وجحد الحقوق فى ماله وقتر على نفسه وعياله مخافة إقتار رزق وسوء يقين بالخلف من الله تبارك وتعالى من العاجل والآجل فبئس العبد هذا يابنى».

أقول : قوله عليه السلام : «ينعشه» : يتدارکه من هلكة يجبره بعد فقره و«فطم» اذا فصل عن الرضاع . «بالخلف» : بالبدل والعوض .

وعن سعد السعود للسيد بن طاوس قدس سره : فى مواعظ عيسى عليه السلام للحواريين قال: أقول لكم: لا تهتمّوا لانفسكم ماذا تأكلون ولا ماذا تشربون ولا لاجساد كم ما تلبس أليس النفس افضل من المأكل؟ والجسد افضل من اللباس؟ انظروا الى طيور السماء الّتى لا تزرع ولا تحصد ولا تحزن .

وربكم السماوىّ يقوتها أليس انتم افضل منهم؟ من منكم يهتم فيقدر ان يزيد على قامته ذراعاً واحدة؟ فلماذا تهتمّون به باللباس؟ .

وفى مكارم الاخلاق : فى وصية النبى الكريم صلى الله عليه وآله الى عبدالله بن مسعود: يا ابن مسعود لا تهتمنّ للرزق فان الله تعالى يقول : «وما من دابة فى الارض الّا على الله رزقها» وقال : «وفى السماء رزقكم وما توعدون» وقال : «وان يمسسك الله بضرّ فلا كاشف له إلا هو وإن يمسك بخير فهو على كل شىء قدير» .

وفى رواية : عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : لما جاوزت سدرة المنتهى رأيت بعض أغصانها اثراؤه معلّقة يقطر من بعضها اللبن ومن بعضها العسل ومن بعضها الدهن ويخرج من بعضها مثل دقيق السميد ومن بعضها الثياب ومن بعضها كالنبق فيهوى ذلك كلّه نحو الارض فقلت فى نفسى أين مقرّ هذه الخارجات؟ فأوحى الىّ ربّى :

يامحمد ! هذه انبتّها من هذا المكان الارفع لاغذوبها بنات المؤمنين من امّتك وبنيهم فقل لاباء البنات : لاتضيق صدوركم على بناتكم فانى كما خلقتهن أرزقهن.

وفى تفسير روح البيان: قال هرم لاويس القرنى : أين تأمرنى ان اكون ؟ فأومأ الى الشام فقال الهرم : كيف المعيشة بها ؟ قال اويس : اف لهذه القلوب قد خالطها الشك فما تنفعها العظة .

وفى البحار: من خط الشهيد رحمه الله قيل للصادق عليه‌السلام : على ماذا بنيت امرك ؟ فقال : على اربعة أشياء : علمت أنّ عملى لا يعمله غيرى فاجتهدت ، وعلمت أنّ الله عزّ وجل مطّلع علىّ فأستحييت وعلمت أنّ رزقى لا يأكله غيرى فاطمأننت وعلمت أنّ آخر أمرى الموت فاستعددت .

وفى رواية: قال الله تعالى : « عبادى أنتم خلقى وأناربكم أرزاقكم بيدى لا تتعبوا فيما تكلّفت لكم به فاطلبوا منّى أرزاقكم وإلىّ فارفعوا حوائجكم .

وفى رواية: قال الله تعالى: يا بنى آدم ! فى كل يوم يأتى رزقك وانت تحزن؟ وينقص من عمرك وانت لاتحزن، تطلب ما يطغيك وعندك ما يكفيك .

وقال : يا بنى آدم ! خلقتك من تراب ثم من نطفة ولم أعى بخلقك ايعيينى رغيف اسوقه اليك فى حينه .

وفى شرح الحديد : وجد مكتوباً على صخرة عاديّة ـ أى قديمة نسبة الى قبيلة عاد البائدة ـ : يا بنى آدم لست ببالغ املك ولا سابق اجلك ولا مغلوب على رزقك ولا مرزوق ما ليس لك فعلام تقتل نفسك ! .

وفيه: صلّى معروف الكرخى خلف إمام فلما انفتل سئل ذلك الامام معروفا: من اين تأكل ؟ قال : ؟ إصبر علىّ حتى اعيد ما صلّيته خلفك قال : لان من شك فى الرزق شك فى الرازق .

اقول: والمراد بالامام : امام الجماعة .

وفيه: قيل لعلى عليه‌السلام : لوسدّ على رجل باب بيت وترك فيه من اين كان يأتيه رزقه ؟ قال من حيث كان يأتيه اجله .

وفى النهج قال الامام على عليه السلام: « إعلموا علماً يقيناً أن الله لم يجعل للعبد وإن عظمت حيلته واشتدت طلبته وقويت مكيدته أكثر مما سمّى له فى الذكر الحكيم ولم يحل بين العبد فى ضعفه وقلة حيلته وبين أن يبلغ ما سمّى له فى الذكر الحكيم ، والعارف لهذا العامل به أعظم الناس رحمة فى منفعة ، والتارك له الشاكّ فيه أعظم الناس شغلا فى مضرّة ، ورب منعم عليه مستدرج بالنعمى ، ورب مبتلى مصنوع له بالبلوى ، فزد أيّها المستمع فى شكرك وقصّر من عجلتك وقف عند منتهى رزقك .

وجاء فى الخبر المرفوع : « أجملوا فى الطلب فانه ليس لعبد إلا ما كتب له ، ولن يخرج عبد من الدنيا حتّى يأتيه ما كتب له فى الدنيا وهى راغمة » .

وفى شرح الحديد : لقى هرم بن حيّان اويساً القرنى فقال : السلام عليك يا اويس بن عامر ! فقال :

وعليك السلام يا هرم بن حيّان ، فقال هرم : أمّا انّى عرفتك بالصفة فكيف عرفتنى ؟ قال : إنّ أرواح المؤمنين لتشام كما تشامّ الخيل فيعرف بعضها بعضاً ، قال: أوصنى ، قال: عليك بسيف البحر، قال: فمن أين المعاش؟ قال: افّ لك! خالطت الشكّ الموعظة ، أتفرّ إلى الله بدينك وتتهمه فى رزقك !

وفى البحار : فى مواعظ رسول الله صلى الله عليه وآله لابى ذر رضى الله عنه : يا أبا ذر لو انّ ابن آدم فرّ من رزقه كما يفرّ من الموت لا دركه رزقه كما يدركه الموت .

وفى العيون باسناده عن الرضا عن أبيه موسى بن جعفر عليهم السلام قال : سئل الصادق جعفر بن محمد عليه السلام عن بعض اهل مجلسه فقيل : عليل فقصده عائداً وجلس عند رأسه فوجده دنفاً ، فقال له : أحسن ظنّك بالله ، قال : اما ظنّى بالله فحسن ولكن غمّى لبناتى ما امرضنى غير غمّى بهنّ ، فقال الصادق عليه السلام : الذى ترجوه لتضعيف حسناتك ومحو سيئاتك فارجه لاصلاح حال بناتك .

أما علمت ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال : لمّا جاوزت سدرة المنتهى وبلغت اغصانها

وقضبانها رأيت بعض ثمار قضبانها أثداء معلّقة يقطر من بعضها اللبن ومن بعضها العسل ومن بعضها الدهن ويخرج عن بعضها شبه دقيق السميذ وعن بعضها الثياب وعن بعضها كالنبق فيهوى ذلك كلّه نحو الارض فقلت في نفسي : أين مقرّ هذه الخارجات عن هذه الأثداء ؟ وذلك انه لم يكن معي جبرئيل لانّي كنت جاوزت مرتبته واختزل دوني فناداني ربّي عزّ وجل في سرّي : يا محمد هذه انبتّها من هذا المكان الارفع لاغذو منها بنات المؤمنين من امتك وبنيهم، فقل لاباء البنات : لاتضيقنّ صدوركم على فاقتهنّ فاني كما خلقتهن أرزقهن.

قوله عليه السلام « السميذ » الدقيق الابيض و « كالنبق » : حمل شجر السدر ، و « اختزل » : انفرد واقتطع .

وفي أعلام الدين : عن أبي محمد العسكري عليه السلام قال : المقادير لا تدفع بالمغالبة والارزاق المكتوبة لاتنال بالشرة ولا تدفع بالامساك عنها .

قال الله تعالى : « قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء ـ وترزق من تشاء بغير حساب » آل عمران : ٢٦ ـ ٢٧) أي بغير استحقاق .

﴿ الرزق مقسوم ﴾

وقد جاءت آيات كريمة و روايات شريفة تدل على أن الارزاق مقسومة مقدّرة من عندالله جلّ وعلا ، ولكل نفس ما اقتضته الحكمة الالهيّة .

والدليل على ذلك هو إختلاف أفراد الانسان فيه بالغنى والفقر وما يعدّ من الرزق ، و كل ما يريد أن يقتني من الارزاق مالامزيد عليه ، ولايكاد يتيسّر لاحد منهم جميع ما يتمنّاه ويرتضاه .

فلو كان ذلك بيد الانسان لم يوجد معدم فقير في شيء منها ، بل لم يختلف اثنان فيها ، فاختلافهم فيها أوضح دليل على أنّ الرزق مقسوم بمشيّته تعالى دون الانسان .

وأمّا ارادة الانسان والعمل منه ، فبعض الأسباب الناقصة لحصول المطلوب الذى هو الرزق ليتمّ الاختيار له فى نيله به ، فوراء الارادة والعمل أسباب كونيّة لاتحصى خارجة عن مقدرة الانسان، لايحصل المطلوب الاّ بحصولها جميعاً وإجتماعها عليه وليست إلا بيد الله جلّ وعلا الّذى إليه تنتهى الأسباب .

ومن الايات القرآنية : قوله تعالى: «أهم يقسمون رحمت ربك نحن قسّمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات » الزخرف:٣٢) .

وقوله تعالى : «وفى السماء رزقكم وما توعدون» الذاريات : ٢٢) .

وقوله: «وجعلنالكم فيها معايش ـ وان من شيء الاّ عندنا خزائنه ومانتزّله الاّ بقدر معلوم» الحجر : ٢٠ ـ ٢١) وغيرها من الآيات .

وأما الروايات فمنها :

ما عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : «أيّها الناس انّ الرزق مقسوم لن يعدو امرءاً ما كتب له فاجملوا فى الطلب ، أيّها الناس انّ فى القنوع لسعة وانّ فى الاقتصاد لبلغة ، وانّ فى الزهد لراحة ، ولكل عمل جزاء ، و كلّ ما هو آت قريب» .

وما عن إبن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : يقول الله تعالى : يا ابن آدم تؤتى كل يوم برزقك وأنت تحزن ، وتنقص كل يوم من عمرك وأنت تفرح فيما يكفيك وأنت تطلب ما يطغيك ، لابقليل تقنع ولا من كثير تشبع .

قيل : ثلاثة تدّخر القوت لنفسها : الانسان والنمل والفأرة ، وأمّا سائر الحيوانات من الطيور وغيرها أهليّاً كانت أو وحشيّاً بحرياً كانت ام برّياً فلاتدخر أقواتها وانما تأكل منها بقدر كفايتها يوماً فيوماً مع كثرة القوت لبعضها كما أشار اليه بقوله تعالى : « لاتحمل رزقها » لكثرته ولكن « الله يرزقها » و يرزق « اياكم » العنكبوت : ٦٠) .

و فى رواية : كان مكتوباً على سيف الحسين بن على عليه السلام أربع كلمات: الرزق مقسوم ، والحريص محروم ، والبخيل مذموم ، والحاسد مغموم .

ومن غرر الحكم ودرر الكلم من الامام على عليه السلام : الرزق مقسوم ، الحريص محروم ، البخيل مذموم ، الحسود مغموم ، الظالم ملوم .

وفى أمالى الصدوق رحمه الله تعالى : باسناده عن أبان الاحمر عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام انّه جاء اليه رجل فقال له : بأبى أنت و امى يابن رسول الله علّمنى موعظة ! فقال عليه السلام ان كان الله تبارك و تعالى قد تكفّل بالرزق فاهتمامك لماذا ؟ وان كان الرزق مقسوماً فالحرص لماذا ؟ وان كان الحساب حقاً فالجمع لماذا ؟ وان كان الثواب من الله فالكسل لماذا؟ وان كان الخلف من الله عزوجل حقاً فالبخل لماذا ؟ وان كانت العقوبة من الله عزوجل النار فالمعصية لماذا ؟ وان كان الموت حقّاً فالفرح لماذا ؟ وان كان العرض على الله عزوجل حقاً فالمكروه لماذا ؟

وان كان الشيطان عدواً فالغفلة لماذا؟ وان كان الممر على الصراط حقاً فالعجب لماذا؟ وان كان كل شيء بقضاء وقدر فالحزن لماذا ؟ وان كانت الدنيا فانية فالطمأنينة اليها لماذا ؟

و في تفسير العياشي : عن ابن الهذيل عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ان الله قسّم الارزاق بين عباده وأفضل فضلا كبيراً لم يقسمه بين أحد قال الله : « واسئلوا الله من فضله » .

وفيه : عن الحسين بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال : قلت له : جعلت فداك انهم يقولون : ان النوم بعد الفجر مكروه لان الارزاق تقسم في ذلك الوقت فقال: الارزاق موظوفة مقسومة ولله فضل يقسّمه من طلوع الفجر الى طلوع الشمس وذلك قوله : « واسئلوا الله من فضله » ثم قال : وذكر الله بعد طلوع الفجر أبلغ في طلب الرزق من الضرب في الارض .

وفي أعلام الدين : عن ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ايها الناس ! ان الرزق مقسوم لن يعدو امرؤ ما قسم له فاجملوا في الطلب و ان العمر محدود لن يتجاوز احد ماقدر له فبادروا قبل نفاد الاجل والاعمال محصية .



﴿ الرزق و الاستحقاق ﴾

وقد اختلفت الكلمات والاراء في استحقاق الانسان سعة الرزق وضيقه حيث نرى بعضهم في عيش هنيء برزق وسيع والاخرين في ضيق وتقتير.

و ، ايستفاد من الايات الكريمة والروايات الواردة في المقام انّ السعة ليست دليلا على مكانة ذي السعة عند الله تعالى ولاانّ الضيق دليلا على ضعة ذيه لديه جلّ وعلا ولا السعة دليلا على رضى وقربى ولا الضيق على غضب وبعد.

وانّما هما محكا الامتحان يمتحن بهما الله سبحانه عباده لما تقتضي حكمته تعالى فالبسط والقبض أمران يجريان وفق ارادة الله تعالى.

وليس الاختبار لكشف ما يظهر من المبتلى لله سبحانه بل للناس تارة وللممتحن تارة اخرى لينقطع العذر عنه.

في نهج البلاغة: قال الامام علي عليه السلام: «وقدّر الارزاق فكثّرها وقلّلها وقسّمها على الضيق والسعة فعدل فيها ليبتلي من أراد بميسورها ومعسورها وليختبر بذلك الشكر والصبر من غنيّها وفقيرها ثمّ قرن بسعتها عقابيل فاقتها ويفرج أفراجها غصص أتراحها وخلق الآجال فأطالها وقصّرها وقدّمها وأخّرها، ووصل بالموت أسبابها وجعله خالجاً لاشطانها وقاطعا لمرائر أقرانها».

قوله عليه السلام: «عقابيل»: بقايا المرض واحدها عقبول و «اتراحها»: غمومها و«خالجا» الخلج: الجذب. «لاشطانها» الشطن: الحبل. «لمرائر»: الحبال المفتولة على أكثر من طاق والاقران: الحبال.

وفيه قال عليه السلام: «من الحكمة جعل المال في أيدي الجهال فانه لو خصّ به

العقلاء لمات الجهال جوعاً ولكنه جعل فى أيدى الجهال ثم استنزلهم عنه العقلاء بلطفهم وفطنتهم » .

قال الشاعر :

ومن الدليل على القضاء وحكمه بؤس اللبيب وطيب عيش الاحمق

وفى الكافى: باسناده عن الامام الحسين عن ابيه عليهما السلام قال: و كّل الرزق بالحمق وو كّل الحرمان بالعقل وو كّل البلاء بالصبر .

قوله عليه السلام: «و كّل الرزق بالحمق» أى الاحمق فى غالب أحوال المرزوق موسع عليه والعاقل محروم مقتر عليه .

وفى نهج البلاغة : قال الامام على عليه السلام: « و كّل ثلاث بثلاث: الرزق بالحمق والحرمان بالعقل والبلاء بالمنطق ليعلم ابن آدم ان ليس له من الامر شيء » .

قال الله تعالى : «اهم يقسمون رحمت ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا» الزخرف ٣٢) .

وقال : « والله فضّل بعضكم على بعض فى الرزق فما الذين فضّلوا برادّى رزقهم على ما ملكت ايمانهم فهم فيه سواء» النحل: ٧١).

فلا علاقة بين الضيق فى الرزق وبين الخبث والكفر كما لا ملازمة بين السعة فيه وبين الطيب والايمان ، فالغنى ليس دليلا على الطيب و المنزلة عند الله تعالى للغنى ، ولا الفقر دليلا على الخبث والضعة لديه جل وعلا للفقير ، نعم هناك منطق وقياس للشيطان تبعه فرعون اذ كان يقول : «أليس لى ملك مصر» وتبعه اكثر الناس فى طوال الاعصار ويتبعونه من غير دليل وعلم .

وفى الاحتجاج : سئل زنديق الامام جعفر بن محمد عليه السلام عن حكمة اختلاف الناس فى الرزق : فبماذا استحق الذين أغناهم و أوسع عليهم من رزقه : الغنى والسعة ؟ وبماذا استحق الفقراء التقتير والضيق ؟

قال الامام عليه السلام : اختبر الاغنياء بما اعطاهم لينظر كيف شكرهم؟ والفقراء انما منعهم لينظر كيف صبرهم ؟

ووجه آخر: انه عجّل لقوم في حياتهم ولقوم آخر ليوم حاجتهم اليه .

ووجه آخر : انه علم احتمال كل قوم فاعطاهم على قدر احتمالهم .

ولو كان الخلق كلهم اغنياء لخربت الدنيا وفسد التدبير وصار اهلها الى الفناء ولكن جعل بعضهم لبعض عوناً وجعل اسباب ارزاقهم في ضروب الاعمال وانواع الصناعات وذلك ادوم في البقاء وأصح في التدبير ثم اختبر الاغنياء باستعطاف الفقراء كل ذلك لطف ورحمة من الحكيم الذى لايعاب تدبيره .

ومن الايات التي تدل على أنّ الرزق ليس على أساس الصفة من الكفر والجهل فيضيق على الكافر والجاهل ومن الايمان والعلم فيوسّع على المؤمن والعالم وانّما الرزق على بقاء الوجود سواء كان انساناً ام حيواناً مسلماً أو كافراً عالماً ام جاهلا: قوله تعالى : « ورحمتي وسعت كل شيء » الاعراف : ١٥٦) .

وقوله : « الله الّذى جعل لكم الارض قراراً والسماء بناء وصوّركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين » المؤمن: ٦٤).

وقال : « وما من دابة في الارض إلاّ على الله رزقها » هود : ٦) .

وقال : « ولكم في الارض مستقرّ ومتاع إلى حين» البقرة : ٣٦) .

وقال : « والذين كفروا يتمتّعون ويأكلون كما تأكل الانعام» محمد صلى الله عليه وآله: ١٢) وغيرها من الايات الكريمة .

وذلك لامرية انما نشاهده من الموجودات من الحيوان والانسان وما اليها لا يكفيها أصل الوجود للبقاء بل لابدّ أن تستمدّ في بقائها بأمور اخر خارجة من وجودها إما بضمّها إلى انفسها بالاقتيات والاغتذاء أو بوجه آخر بالايواء واللبس والتناسل ونحوها .

وهذا المعنى في الانسان والحيوان واضح لا ريب فيه وهو الرزق الذى يتوقف عليه بقاء أنواع الحيوان من غير فرق في ذلك بينها أصلا فالرزق مما لا يستغنى عنه موجود في بقائه واذ خلق الله تعالى هذه الاشياء لبقاء ما فقد خلق لها رزقا ، فاستناد البقاء إليه جل وعلا يوجب استناد الرزق اليه من غير شك .

قال الله تعالى : « وفى السماء رزقكم » الذاريات : ٢٢) .

فكون الرزق بهذا المعنى امراً تكوينيا غيرمربوط بعالم التكليف كالشمس فى رائعة النهار فان" الحدوث والبقاء ولوازم كل منهما امور تكوينية بلامراء .

فالفقر والغنى وقلة المال وكثرته ليست بسعى كثير من العبد وان كان السعى سبباً ولكن على نحو العلة الناقصة متممها إرادة الله تعالى ومشيئته إذ كم من ساع يسعى فلا ينال بمال فيموت فقيراً وكم من قليل السعى ينال بمال كثير وليس معنى ذلك أن لا يسعى الانسان فى حياته بل يجب عليه السعى اذ قال الله تعالى: « ليس للانسان الا" ما سعى » النجم : ٣٩) .

ولكن ليس سعيه علة تامة للنيل والوصول .

قال الله عزوجل : « اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء » الروم : ٣٧). وفيها دليل قاطع على كمال القدرة والحكمة لله تعالى حيث يستدل بختامها اهل الايمان : « ان فى ذلك ـ البسط والقبض ـ لايات لقوم يؤمنون » ونعم ما قال الشاعر:

نكداً لاريب وطيب عيش الجاهل قد ارشداك الى حكيم كامل

وقال الاخر :

كم من أريب فهم قلبه مستكمل العقل مقل" عديم

ومن جهول مكثر ماله ذلك تقدير العزيز العليم

فلا يعرف ذلك الا" من آمن بان ذلك تقدير العزيز العلم ومن هنا أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وآله بالانفاق بعد ذكر حديث البسط والقبض تنبيها على ان لا ينبغى للانسان أن يتوقف فى الاحسان اذا بسط له فان الله تعالى اذا بسط الرزق لا ينقص بالانفاق كما اذا قدر وقبض لا يزداد بالامساك اذ قال : « فأت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله واولئك هم المفلحون » الروم : ٣٨) .

وقال الشاعر :

اذاجادت الدنيا عليك فجدبها على الناس طر"اً انها تتقلب

فلاالجود يفنيها اذا هي اقبلت ولاالبخل يبقيها اذا هي تذهب

وفي العلل : باسناده عن عبد الله بن سليمان قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : ان الله عزّوجل أوسع في أرزاق الحمقى لتعتبر العقلاء ويعلموا ان الدنيا لاتنال بالعقل ولا بالحيلة .

وفي شرح الحديد : أوحى الله تعالى إلى بعض انبيائه : أتدري لم رزقت الاحمق ؟ قال : لا قال : ليعلم العاقل ان طلب الرزق ليس بالاحتيال .

وفي نهج البلاغة : قال الامام علي عليه السلام : من زاد عقله نقص حظّه وما جعل الله لاحد عقلا وافرا الاّ احتسب به عليه من رزقه .



﴿ الحكمة واختلاف الناس فى الرزق ﴾

إعلم انّ الله تعالى قدّر لكل فرد من عباده رزقاً غير ما قدره لغيره من أفرادهم لمصالح ترجع إلى كل واحد وإلى المجتمع البشرى .

قال الله عزّ وجل : « ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء انه بعباده خبير بصير » الشورى : ٢٧) .

وذلك لانّ الله سبحانه لو وسّع الرزق على عباده وسوّى بينهم وسواهم فيه لبطروا النعمة وتنافسوا وتغالبوا وكان ذلك يؤدى إلى وقوع الفساد بينهم والقتل وتغلب بعضهم على بعض كما نرى ان المنازعة كثيراً ما بين الثراة والاقوياء والاغنياء لابين الفقير والغنى ولابين القادر والعاجز وهكذا . .

ولكن الله جلّ وعلا دبّرهم على ما علم من مصلحتهم فى غناء قوم وفقر آخرين وإحواج بعضهم إلى بعض وتسخير بعضهم لبعض ولولاذلك لماوقع المجتمع إذ لولا الغنى والفقير والعالم والجاهل والقادر والعاجز وكان الجميع اغنياء علماء اقوياء لما وجد خبّاز ولا نعّال ولا خياط ولا بناء ولا عملة ولا شرطة ولا رئيس ولا مرؤس . . فيخرب العالم وتعطلت المصالح لان كل غنى يميل إلى أجلى العمل وأفضله فى حياته . .

فاغناء الله تعالى طائفة وإحواج الاخرين لم يكن ببخل منه سبحانه على عباده ولا بعجزه عن إغناء الجميع ولانفاد ما فى خزائنه مع كون الانسان متكبراً بالطبع فاذا وجد الغنى والقدرة ليطغى ، قال الله تعالى : « كلاّ انّ الانسان ليطغى أن رآه استغنى » العلق : ٦ ـ ٧) .

فى تفسير القمى : فى قوله تعالى : « ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض » قال الصادق عليه السلام : لوفعل لفعلوا ولكن جعلهم محتاجين بعضهم الى بعض واستعبدهم بذلك ولو جعلهم كلهم اغنياء لبغوا فى الارض : « ولكن ينزّل بقدر ما يشاء » مما يعلم انه يصلحهم فى دينهم ودنياهم .

وفى حديث : عن أبي‌ذر عن النبى صلى الله عليه وآله قال قال‌الله تعالى «انّ من عبادى المؤمنين من‌لايصلح ايمانه الاّ الغنى ولوأفقرته لافسده ذلك وان‌من‌عبادى‌المؤمنين من لا يصلح ايمانه الاّ الفقر ولوأغنيته لافسده ذلك ادبّر عبادى بعلمى انّى بعبادى خبير بصير» .

انّ‌الله تعالى يعلم أنّ عباده لايطيقون الغنى الابقدر وانه تعالى لوبسط لهم فى الارض من‌نوع مايبسط فى الاخرة من‌النعم لبغوا وطغوا ومن ثمّ جعل رزقهم فى‌هذه الارض‌مقداراً محدوداً بقدرما يطيقون واستبقى فيضه المبسوط لمن‌ينجحون فى‌بلاءالارض ويجتازون إمتحانها ويصلون إلى الدار الباقية بسلام ليتلقوا فيض‌الله المذخور لهم‌بلا حدود ولاقيود ولاحساب .

اذ قال: «وان للمتقين لحسن مآب جنات‌عدن مفتّحة لهم الابواب ـ ان هذا لرزقنا ماله من‌نفاد » ص :٤٩ـ٥٤) .

وقال : « ومن‌عمل‌صالحا من‌ذكرأو انثى وهومؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغيرحساب » المؤمن : ٤٠).

ولما فى إختلاف الناس فى‌الرزق من الاعتبار بحال‌الغنى والحاجة وما فيه من‌صحة التكليف على المثوبة كما قال تعالى «نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى‌الحياة الدنيا » الزخرف : ٣٢).

وفى‌الخبر : «لايزال الناس بخيرما تباينوا فاذا تساووا هلكوا» .

وفى‌النهاية : لابن الاثيرعن‌على عليه السلام : «لايزال الناس‌بخير ما تفاضلوا فاذا تساووا هلكوا» .

وذلك لان‌الناس لوكانوا كلهم ملوكاً لم يكن ملك أصلا كما لوكانوا كلهم رعايا

لم تكن رعية أصلا .

وفي نهج البلاغة قال الامام علي عليه السلام : « وقدّر الارزاق فكثّرها وقلّلها وقسّمها على الضيق والسعة فعدّل فيها ليبتلى من أراد بميسورها معسورها وليختبر بذلك الشكر والصبر من غنيّها وفقيرها ثم قرن بسعتها عقابيل فاقتها وبسلامتها طوارق آفاتها وبفرج افراحها غصص أتراحها وخلق الآجال فأطالها وقصّرها وقدّمها وأخّرها ووصل بالموت أسبابها وجعله خالجا لاشطانها وقاطعاً لمرائر اقرانها.

قوله عليه السلام : « عقابيل » : قروح صغار تخرج بالشفة من بقايا المرض وفاقتها فقرها . و«طوارق آفاتها» : متجددات المصائب . و«اتراحها» : غمومها . و«خالجا» : جاذبا . و«لاشطانها» : الاشطان الحبال . و«مرائر»: جمع مرير وهوما لطف وطال من الحبال واشتدّ فتله و«اقرانها» : حبالها .

وفي شرح الحديد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «إن إعطاء هذا المال فتنة وإمساكه فتنة » .

وفي الدر المنثور عن خريم بن فاتك عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: الناس اربعة فموسّع عليه في الدنيا وموسّع عليه في الاخرة وموسع عليه في الدنيا ومقتر عليه في الاخرة ومقتر عليه في الدنيا وموسّع عليه في الاخرة ومقتر عليه في الدني **والاخرة**

وفي قرب الاسناد : باسناده عن إبن صدقة عن الصادق عليه السلام عن أبيه ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال : من عظمت عليه النعمة اشتدت لذلك مؤنة الناس عليه؟ فان هو قام بمؤنتهم اجتلب زيادة النعمة عليه من الله وإن هو لم يفعل فقد عرض النعمة لزوالها .

وفي البحار : بالاسناد عن عبد الرحمن بن الحجّاج عن أبي الحسن موسى صلوات الله عليه قال :كان في بني اسرائيل رجل صالح وكانت له امرأة صالحة فرأت في النوم ان الله تعالى قد وقّت لك من العمر كذا و كذا سنة وجعل نصف عمرك في سعة وجعل النصف الاخر في ضيق فاختر لنفسك إما النصف الاول وإمّا النصف الا خير فقال الرجل :

انّ لي زوجة صالحة وهي شريكتي في المعاش فأشاورها في ذلك وتعود اليّ

فاخبرك فلمااصبح الرّجل قال لزوجته : رأيت في النوم كذا و كذا ؟ فقالت: يافلان إختر النصف الاول وتعجّل العافية لعلّ الله سيرحمنا ويتمّ لنا النعمة فلمّا كان في الليلة الثانية أتى الاتي فقال: ما اخترت ؟ فقال : اخترت النصف الاوّل فقال : ذلك لك فاقبلت الدنيا عليه من كل وجه.

ولماظهرت نعمته قالت له زوجته: قرابتك والمحتاجون فصلهم وبرّهم جارك وأخوك فلان فهبهم فلمّا مضى نصف العمر وجاز حدّ الوقت رأى الرجل الذى رآه أوّلا في النوم فقال له: ان الله تعالى قد شكر لك ذلك ولك تمام عمرك سعة مثل ما مضى.



﴿ الرزق والكفاف والرضا ﴾

وما يوجب الرضا عن الرزق وان قلّ هو ذكر الموت والرضا هو المانع من الحزن على ما يفوت ومن اكتساب الحرام والخوض فى الفجور.

فى نهج البلاغة: قال الامام على عليه السلام ـ : ومن رضى برزق الله لم يحزن على مافاته ـ ومن اكثر من ذكر الموت رضى من الدنيا باليسير.

أقول:

يقال : الحزن على المنافع الدنيويّة سمّ ترياقه الرضا بالقضاء.

ويقال : إذا أحببت ألاّ تحسد أحداً فاكثر ذكر الموت.

وفى تحت العقول : ومن وصية الامام على عليه السلام لابنه الحسن المجتبى عليه السلام انّه قال : من رضى من الدنيا بما يجزيه كان أيسر ما فيه يكفيه ومن لم يرض من الدنيا بما يجزيه لم يكن فيها شيء يكفيه.

وفى الكافى: باسناده عن الهيثم بن واقد عن أبى عبدالله عليه السلام قال : من رضى من الله باليسير من المعاش رضى الله منه باليسير من العمل.

وفيه: باسناده عن عمرو بن أبى المقدام عن أبى عبدالله عليه السلام قال : مكتوب فى التوراة : إبن آدم ! كن كيف شئت كما تدين تدان ، من رضى من الله بالقليل من الرزق قبل الله منه اليسير من العمل ومن رضى باليسير من الحلال خفّت مؤنته وزكت مكسبته وخرج من حدّ الفجور».

وفيه: باسناده عن محمدبن عرفة عن أبى الحسن الرضا عليه السلام قال : من لم يقنعه من الرزق إلاّ الكثير لم يكفه من العمل إلاّ الكثير ومن كفاه من الرزق

القليل فانّه يكفيه من العمل القليل .

وفى نهج البلاغه : قال الامام على عليه السلام فى ذكر خبّاب بن الارت - : يرحم الله خبّاب بن الارتّ ! فلقد أسلم راغباً وهاجر طائعاً وقنع بالكفاف ورضى عن الله وعاش مجاهداً .

طوبى لمن ذكر المعاد وعمل للحساب وقنع بالكفاف ورضى عن الله ! .

أقول : خبّاب بن الارت بن جندلة كان فى الجاهليّة قيناً حدّاداً يعمل السيوف وهو قديم الاسلام ، قيل : انّه كان سادس ستة وشهد بدراً وما بعدها من المشاهد وهو معدود فى المعذّبين فى سبيل الله تعالى ، سئله عمر بن الخطاب أيّام خلافته : ما لقيت من أهل مكة ؟ فقال : انظر إلى ظهرى فنظر فقال : ما رايت كاليوم ظهر رجل ! فقال خبّاب: أوقدوا لى ناراً وسحبت أوسخنت- عليها فما أطفأها إلا ودك ظهرى .

وهو من الذين أصابه سبأ فبيع بمكة فاشترته ام أنمار بنت سباع الخزاعيّة .

ونزل خبّاب إلى الكوفة ومات بها سنة سبع وثلاثين وقيل : تسع وثلاثين بعد أن شهد مع الامام أمير المؤمنين على عليه السلام صفّين ونهروان وصلّى عليه على عليه السلام وكان سنّه يومذاك ثلاثاً وسبعين سنة ودفن بظهر الكوفة وهو أوّل من دفن بظهر الكوفة ، وعبد الله بن خبّاب هو الذى قتلته الخوارج فاحتجّ على عليه السلام به وطلبهم بدمه .

وفى أعلام الدين : عن الصادق عليه السلام قال: إذا أحبّ الله عبداً ألهمه الطاعة والزمه القناعة و فقّهه فى الدين وقوّاه باليقين فاكتفى بالكفاف وإكتسى بالعفاف وإذا أبغض الله عبداً حبّب اليه المال وبسط له وألهمه دنياه ووكّله الى هواه فركب العناد وبسط الفساد وظلم العباد .

وفيه : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : وانّ أفضل الناس عبد أخذ من الدنيا الكفاف وصاحب فيها العفاف وتزوّد للرحيل وتأهب للمسير .

وفى صحيفة السجادية : فى دعاء الامام زين العابدين عليه السلام - : « واجعل

ما صرحت به من عدتك في وحيك واتبعه من قسمك في كتابك قاطعاً لاهتمامنا بالرزق الذى تكفلت به و حسماً للاشتغال بما ضمنت الكفاية له فقلت وقولك الحق الاصدق وأقسمت وقسمك الابر الاوض : « وفي السماء رزقكم وماتوعدون » ثم قلت : « فورب السماء والارض انّه لحق مثل ما انّكم تنطقون » .

أقول : يستفاد من قوله تعالى : « يا أيها النبى قل لازواجك ان كنتنّ تردن الحياة الدنيا » الاحزاب : ٢٨) الآية .

انّ رسول الله صلى الله عليه وآله إختار لنفسه ولاهل بيته معيشة الكفاف لا عجزاً عن حياة المتاع إذ فتحت له الارض و كثرت غنائمها وعمّ فيؤها واغتنى من لم يكن له من قبل مال ولا زاد ومع هذا فقد كان الشهر يمضى ولا توقد في بيوته نار مع جوده بالصدقات والصلات والهبات والهدايا وكان ذلك للاستعلاء على متاع الحياة الدنيا ورغبة خالصة فيما عند الله رغبة الذى يملك ، ولكنّه يعف ويستعلي ويختار ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله مكلفاً من عقيدته ولا في شريعته أن يعيش مثل هذه المعيشة التى أخذ بها نفسه وأهلَ بيته .

فلم تكن الطيّبات محرّمة في عقيدته وشريعته ولم يحرمها على نفسه إذ كانت تقدم إليه عفواً بلا تكلّف وتحصل بين يديه مصادفة واتفاقاً لاجرياً ورائها ولا تشهياً لها ولا إنغماساً فيها ولا إنشغالا بها . .

ولم يكلف امّته كذلك أن تعيش عيشته التى اختارها لنفسه إلا أن يختارها من يريد إستعلاء على اللذائذ والمتاع وانطلاقاً من ثقلتها إلى حيث الحرية التامة من رغبات النفس وميولها وفي ذلك درس ثمين لنا ولازواجنا المسلمين تدرسهن ماقال رسول الله الخاتم صلى الله عليه وآله لازواجه حيث طلبن منه ما تشتهيه الانفس .

﴿ الدعاء ورزق الدنيا والاخرة ﴾

وقد جاءت آيات قرآنية وروايات عديدة تحثّ الانسان في طلب رزق الدنيا والاخرة من الله تعالى بالدعاء ـ وذلك لاينا في ما ورد من تقدير الرزق لكل واحد من افراد الانسان ونيله بما قدّر له في هذه الحياة الدنيا لامحالة قبل أن يموت لما جاء فيها : انّ لله تعالى فضلا ينبغي لكل عبد أن يطلبه منه جل وعلا إذ قال : « واسئلوا الله من فضله » النساء : ٣٢) .

فيدعوه تعالى العبد أن ينال برزق حلال ويحفظه عما يوجب الحرمان منه والارتزاق من الحرام وأن يزيد عليه بفضله ويرزقه رزقاً حسناً في الاخرة بالايمان وصالح العمل في الحياة الدنيا .

ومن الايات الكريمة : قوله تعالى : « انّ الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه و اشكروا له إليه ترجعون » العنكبوت : ١٧) .

وقوله تعالى : «رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلّب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب» النور: ٣٧ ـ ٣٨) .

وفي التهذيب : باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عن آبائه عليهم السلام قال : إذا فرغ أحدكم من الصلاة فليرفع يديه إلى السماء ولينصب في الدعاء ، فقال ابن سبا : يا أمير المؤمنين ! أليس الله في كل مكان ؟ قال : بلى ، قال : فلم يرفع يديه إلى السماء ؟ فقال : أما تقرء « و في السماء رزقكم وما توعدون »

فمن أين يطلب الرزق إلاّ من موضعه، وموضع الرزق ما وعدالله فى السماء.

وفى قرب الاسناد: باسناده عن ابن صدقة عن الصادق عن ابيه عليهما السلام قال: اذا غدوت فى حاجتك بعد أن تصلّى الغداة بعد التشهّد فقل: «اللهمّ انّى غدوت ألتمس من فضلك كما أمرتنى فارزقنى من فضلك رزقاً حلالاً طيّباً وأعطنى فيما ترزقنى العافية» تقول ذلك ثلاث مرّات

و فى مكارم الاخلاق: عن الصادق عليه السلام «اللهمّ ان كان رزقي في السماء فأنزله وان كان فى الارض فأظهره وان كان بعيداً فقرّبه وان كان قريباً فاعطنيه وان كان قد أعطيتنيه فبارك لى فيه وجنبنى عليه المعاصى والرّدى».

وفى البحار: عن الامام على بن الحسين عليه السلام: «اللهم انّه لاعلم لى بموضع رزقى وانّما اطلبه بخطرات تخطر على قلبى فأجول فى طلبه فى البلدان وانا مما احاول طالب كالحيران لأدرى فى سهل أوفى جبل أوفى أرض أوفى سماء أوفى بحر أوفى برّ وعلى يدى من هو؟ ومن قبل مَن؟ وقد علمت أنّ علم ذاك كلّه عندك وأنّ أسبابه بيدك وأنت الّذى تقسمه بلطفك وتسبّبه برحمتك فاجعل رزقك لى واسعاً ومطلبه سهلا ومأخذه قريباً ولا تعنّنى بطلب مالم تقدّر لى فيه رزقاً فانك غنىّ عن عذابى وأنا إلى رحمتك فقير فجد علىّ بفضلك يا مولاى انك ذو فضل عظيم».

أقول: رواه المحدث القمى رضوان الله تعالى عليه فى مفاتيح الجنان من تعقيبات العشاء.

وفى الكافى: عن حفص عن أبى عبدالله عليه السلام قال: قال عيسى عليه السلام: اشتدّت مؤونة الدنيا ومؤونة الاخرة أمّا مؤونة الدنيا فانك لا تمدّ يدك إلى شىء منها إلاّ وجدت فاجراً قد سبقك إليها وأمّا مؤونة الاخرة فانك لاتجد أعواناً يعينونك عليها.

وفى نهج البلاغه: قال الامام على عليه السلام: وا عجباً ممن يعمل للدنيا وهو يرزق فيها بغير عمل ولا يعمل للاخرة وهو لا يرزق فيها الاّ بالعمل.

وفى أمالى ابن الشيخ: بالاسناد عن حفص قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: قال عيسى بن مريم عليه السلام لاصحابه: تعملون للدنيا وأنتم ترزقون فيها بغير

عمل ولا تعملون للاخرة وأنتم لا ترزقون فيها بغير عمل .

قال الله تعالى : « والله يرزق من يشاء بغير حساب » أى لا يرزق الله تعالى المؤمن على قدر ايمانه ولا الكافر على قدر كفره فى الحياة الدنيا ، وأمّا الرزق فى الاخرة فعلى قدر الايمان والعمل ويزيد على من يشاء من فضله فينال رزق الدنيا المؤمن والكافر والبر والفاجر والمطيع والعاصى بسعى وغير سعى كالارث والهبة والوصية وما إليها من طريق جائز وغير جائز كالغش والاحتيال والسرقة والظلم والغصب.. ولن ينال رزق الاخرة الاّ من آمن بالله تعالى ورسوله وما جاء به وعمل عملا صالحاً .

وفى ثواب الاعمال : باسناده عن الصادق عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : انّ لله عزوجلّ فضولا من رزقه ينحله من يشاء من خلقه .

وفى التوحيد : باسناده عن أبى عبدالله عليه السلام فى حديث مع بعض الزنادقة فقال : فما الفرق بين أن ترفعوا أيديكم الى السماء وبين أن تخفضوها نحو الارض.

قال أبو عبدالله عليه السلام : وذلك فى علمه واحاطته وقدرته سواء ولكنه عزوجل أمر اولياءه وعباده برفع ايديهم الى السماء نحو العرش لانّه جعله معدن الرزق .

وفى قرب الاسناد : باسناده عن الباقر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من طلب رزق الله حلالا فاعقل فليستدن على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وآله .

قوله صلى الله عليه وآله : « فاعقل » أى ضيق عليه .

وفى الكافى : باسناده عن معاوية بن عمّار قال : سئلت أباعبد الله عليه السلام أن يعلّمنى دعاءاً للرّزق فعلّمنى دعاءاً مارأيت أجلب للرزق منه ، قال: قل : اللّهمّ ارزقنى من فضلك الواسع الحلال الطيّب رزقاً واسعاً حلالا طيّباً بلاغاً للدنيا والاخرة صبّاً صبّاً هنيئاً مريئاً من غير كدّ ولا منّ من أحد من خلقك الاّ سعة من فضلك الواسع فانك قلت : « واسئلوا الله من فضله » فمن فضلك أسئل ومن عطيّتك أسئل ومن يدك الملاء أسئل .

﴿ الرزق من حيث لايحتسب ﴾

قال الله تعالى : « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لايحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه انّ الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً » الطلاق : ٢ ـ ٣) .

في مكارم الاخلاق : من مواعظ النبي صلى الله عليه وآله لابي ذر الغفاري رضي الله عنه : يا أبا ذر : لو انّ الناس كلهم أخذوا بهذه الاية لكفتهم : « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لايحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه انّ الله بالغ أمره ».

وفي الكافي : باسناده عن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال : أبى الله عزّ وجلّ إلاّ أن يجعل أرزاق المؤمنين من حيث لايحتسبون .

وفيه: عن الامام علي عليه السلام قال : كن لما لاترجو أرجى منك لما ترجو فان موسى بن عمران عليه السلام خرج يقتبس لاهله ناراً فكلّمه الله عزّ وجل ورجع نبيّاً مرسلا وخرجت ملكة سبأ فأسلمت مع سليمان عليه السلام وخرجت سحرة فرعون يطلبون العز لفرعون فرجعوا مؤمنين .

وفيه : باسناده عن علي بن عبد العزيز قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام : ما فعل عمر بن مسلم ؟ قلت : جعلت فداك أقبل على العبادة وترك التجارة فقال : ويحه أما علم انّ تارك الطلب لايستجاب له انّ قوماً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله لما نزلت : « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لايحتسب » .

اغلقوا الابواب وأقبلوا على العبادة وقالوا : قد كفينا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله فأرسل إليهم فقال : ما حملكم على ما صنعتم ؟ قالوا : يا رسول الله تكفّل لنا

بأرزاقنا فاقبلنا على العبادة فقال : انّه من فعل ذلك لم يستجب له عليكم بالطلب .

وفى البحار : عن النبى صلى الله عليه وآله قال : أبى الله أن يرزق عبده الاّ من حيث لايعلم، فان العبد اذا لم يعلم وجه رزقه كثر دعاؤه .

وفى أمالى الصدوق رضوان الله تعالى عليه : باسناده عن على بن السرى قال : سمعت أبا عبدالله الصادق عليه السلام يقول : إنّ الله عزّ وجل جعل أرزاق المؤمنين من حيث لم يحتسبوا وذلك انّ العبد إذا لم يعرف وجه رزقه كثر دعاءه .

فى التوحيد : باسناده عن الامام على بن الحسين عن أبيه عليهما السلام قال : إنّ الله عزّ جل جعل أرزاق المؤمنين من حيث لايحتسبون وذلك انّ العبد إذا لم يعرف وجه رزقه كثر دعاؤه .

وفى أعلام الدين : للديلمى عن النبى صلى الله عليه وآله قال : ما من مؤمن إلاّ وله باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه .

وفى البحار : عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: ما سدّ الله على مؤمن رزقاً يأتيه من وجه إلاّ فتح له من وجه آخر فأتاه وإن لم يكن له فى حسابه.

وفى تحف العقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : انّما تكون الصنيعة إلى ذى دين أو ذى حسب، وجهاد الضعفاء الحج وجهاد المرأة حسن التبعل لزوجها والتودد نصف الدين و ما عاك امرء قط على اقتصاد واستنزلوا الرزق بالصدقة أبى الله أن يجعل رزق عباده المؤمنين من حيث يحتسبون .

وفى أمالى الصدوق رحمة الله تعالى عليه : باسناده عن الصادق عليه السلام قال من اهتمّ لرزقه كتب عليه خطيئة، انّ دانيال كان فى زمن ملك جبّار عات أخذه فطرحه فى جبّ وطرح معه السباع فلم تدنوا منه ولم تجرحه فأوحى الله إلى نبى من أنبيائه أن إئت دانيال بطعام قال : وأين دانيال؟ قال : تخرج من القرية فيستقبلك ضبع فاتبعه فانه يدلّك، فأتت به الضبع إلى ذلك الجب فاذا فيه دانيال فأدلى اليه الطعام ، فقال دانيال : الحمد لله الّذى لاينسى من ذكره الحمد لله الّذى لايخيب من دعاه الحمد لله الذى من توكل عليه كفاه الحمد لله الذى من وثق به لم يكله

الى غيره الحمدلله الذى يجزى بالاحسان احسانا وبالصبر نجاتاً ثم قال الصادق عليه السلام : انّ الله أبى أن يجعل أرزاق المتقين من حيث لا يحتسبون وان لا يقبل لاوليائه شهادة فى دولة الظالمين .

وفى تفسير القمى باسناده عن محمد بن مسلم قال : سئلت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزوجل : « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لايحتسب » قال : فى دنياه .



﴿ ما يزيد في الرزق ﴾

وقد سبق انّ لكل نفس رزقاً مقدّراً عند الله جل وعلا ينال به في الحياة الدنيا كافراً كان أو مؤمناً فاجراً أم برّاً مطيعاً أو عاصياً .

ولكن هناك فضول قد تزيد على الرزق يستطيع العبد أن ينال بها بسبب امور على ما جاءت به الآيات القرآنية والروايات الشريفة الاتية :

١ ـ حسن نيّة العبد بالله تعالى بأنه رازق رحمن رؤف بعباده وانه لا يغير نعمة أنعمها عليهم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

٢ ـ الحمد والشكر .

٣ ـ الاستغفار .

٤ ـ الدعاء وطلب الفضول .

٥ ـ العدل والقسط بين الناس سواء كانوا من أفراد الاسرة أم المجتمع .

٦ ـ الصدق .

٧ ـ أداء الامانة .

٨ ـ كف الاذى عن الناس .

٩ ـ حسن الجوار .

١٠ ـ دعاء المرء لاخيه بظهر الغيب .

١١ ـ صلة الرحم .

١٢ ـ الصدقة والبر في وجوه الخير .

١٣ ـ الاذان واتباع المؤذن في أذانه .

١٤ ـ الوقار والسكينة .

١٥ ـ غسل الاناء و كسح الفناء .

١٦ ـ السفر المباح .

١٧ ـ النكاح والتزويج .

في الكافي باسناده عن أبي الوليد حسن بن زياد الصيقل قال : قال أبو عبدالله عليه السلام من صدق لسانه زكى عمله ومن حسنت نيّته زيد في رزقه ومن حسن برّه بأهل بيته مدّ له في عمره .

وفي كشف الغمة : عن مالك بن أنس قال : قال جعفر بن محمد عليه السلام يوماً لسفيان الثوري : ياسفيان اذا أنعم الله عليك بنعمة فأحببت بقاءها فاكثر من الحمد والشكر على الله ، قال الله عزوجل في كتابه العزيز : « ولئن شكرتم لازيدنكم » واذا استبطأت الرزق فاكثر من الاستغفار فان الله عزّ وجلّ قال في كتابه : « استغفروا ربكم انّه كان غفّاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين » يعني في الدنيا «ويجعل لكم جنات» يعني في الاخرة .

ياسفيان إذا حزنك أمر من سلطان أوغيره فاكثر من قول : «لاحول ولاقوّة الاّ بالله » فانها مفتاح الفرج و كنز من كنوز الجنة .

وفيه : عن ابن أبي حازم قال كنت عند جعفر بن محمد عليه السلام اذا جاء آذنه فقال سفيان الثوري بالباب فقال: إئذن له فدخل فقال له جعفر عليه السلام : ياسفيان انك رجل يطلبك السلطان وانا أتّقي السلطان قم فاخرج غير مطرود فقال سفيان: حدّثني حتى اسمع وأقوم ، فقال جعفر عليه السلام حدّثني أبي عن جدّي ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال : من أنعم الله عليه نعمة فليحمد الله ومن استبطأ الرزق فليستغفر الله ومن حزنه أمر فليقل : لاحول ولاقوّة الاّ بالله .

فلمّا قام سفيان قال جعفر عليه السلام : خذها ياسفيان ثلاثاً وأي ثلاث .

وفي الكافي : باسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تبارك وتعالى : « ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله » .

قال : هو المؤمن يدعو لاخيه بظهر الغيب فيقول له الملك : آمين ، ويقول الله العزيز الجبار : ولك مثلا ما سئلت وقد أعطيت ما سئلت بحبك اياه .

وفيه : باسناده عن عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: دعاء المرء لاخيه بظهر الغيب يدرّ الرزق ويدفع المكروه .

وفيه : باسناده عن ابراهيم بن أبي رجاء عن أبي عبدالله عليه السلام قال: حسن الجوار يزيد في الرزق .

وفيه : باسناده عن الحكم الخياط قال : قال أبوعبدالله عليه السلام : حسن الجوار يعمر الديار ويزيد في الاعمار .

وفي البحار : قال الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام لرجل: أحدث سفراً يحدث الله لك رزقاً وألزم ما عوّدت منه الخير .

وفي أمالي المفيد : قدس سره : باسناده عن محمد بن هلال قال : قال جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : اذا كانت لك حاجة فاغد فيها فانّ الارزاق تقسم قبل طلوع الشمس وانّ الله تعالى بارك لهذه الامّة في بكورها وتصدّق بشيء عند البكور فان البلاء لا يتخطّى الصدقة .

وفي شرح الحديد : قال عمر بن عبد العزيز : الصلاة تبلّغك نصف الطريق والصوم يبلّغك باب الملك ، والصدقة تدخلك عليه .

وفي نهج البلاغه : قال عليه السلام إلهي كيف لا يحسن منّي الظن وقد حسن منك المنّ، إلهي ان عاملتنا بعدلك لم يبق لنا حسنة وان أنلتنا فضلك لم يبق لنا سيّئة.

وفي البحار : عن النبي صلى الله عليه وآله قال : اكثروا الاستغفار فانّه يجلب الرزق وقال صلى الله عليه وآله : من حسنت نيّته زيد في رزقه .

وفي الخصال: عن أبي عبدالله عليه السلام قال: غسل الاناء و كسح الفناء مجلبة الرزق.

وفي التوحيد : باسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال : كف الاذى وقلّة الصخب يزيدان في الرزق .

قوله عليه السلام : الصخب : إختلاط الاصوات والصياح الشديد .

وفيه : باسناده عن داود بن سليمان الفراء عن علي بن موسى الرضا عليه السلام عن أبيه عن آبائه عن علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : التوحيد نصف الدين واستنزل الرزق بالصدقة .

وفي تحف العقول : عن الامام موسى بن جعفر عليه السلام قال : أداء الامانة والصدق يجلبان الرزق ، والخيانة والكذب يجلبان الفقر والنفاق .

وفيه : عن الامام أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام : قال : من صدق لسانه زكى عمله ومن حسنت نيته زيد في رزقه ومن حسن برّه بأهله زيد في عمره .

وفي عدة الداعي : قال الصادق عليه السلام : من سرّه ان يمدّ له في عمره ويبسط له في رزقه فليصل أبويه فانّ صلتهما من طاعة الله .

وفي الكافي : باسناده عن أبي حمزة قال : قال أبو جعفر عليه السلام صلة الارحام تزكّي الاعمال وتنمي الاموال وترفع البلوى وتيسّر الحساب وتنسى في الاجل .

وفيه : باسناده عن أبي حمزة عن أبي عبدالله عليه السلام قال : صلة الارحام تحسّن الخلق وتسمّح الكف وتطيّب النفس وتزيد في الرزق وتنسى في الاجل .

قوله عليه السلام «تسمّح» السماحة : الجود ونسبتها إلى الكفّ مجاز لصدورها منها غالباً . وقوله عليه السلام «تطيّب النفس» أي تجعلها سمحة بالبذل والعفو والاحسان.

وفيه : باسناده عن سليمان بن هلال قال : قلت لابي عبدالله عليه السلام انّ آل فلان يبرّ بعضهم بعضاً ويتواصلون فقال : إذاً تنمي أموالهم وينمون فلا يزالون في ذلك حتى يتقاطعوا فاذا فعلوا ذلك انقشع عنهم ، أي انكشف وزال نموّ الاموال والانفس عنهم .

وفيه: باسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّ القوم ليكونون فجرة ولايكونون بررة فيصلون أرحامهم فتنمي أموالهم وتطول أعمارهم فكيف إذا كانوا أبراراً بررة .

وفي نهج البلاغة: قال الامام علي عليه السلام : من عمل بالعدل فيمن دونه رزق العدل ممّن فوقه .

وفى العلل باسناده عن سليمان بن مقبل قال: قلت لابى الحسن موسى عليه السلام لأىّ علة يستحبّ للانسان اذا سمع الاذان أن يقول كما يقول المؤذّن وإن كان على البول والغائط ؟ قال: إنّ ذلك يزيد فى الرزق .

وفى مكارم الاخلاق فى طلب الرزق عن الرضا عليه السلام قال: شكى رجل الى أبى عبد الله عليه السلام الفقر ، قال : أذّن كلّما سمعت الاذان كما يؤذّن المؤذن .

وغيرها من الروايات . . .

ولا يخفى على القارىء الخبير انّ لكل واحد من الامور أثراً فى ازدياد الرزق لا بد من البحث فيه تركناه للاختصار .



﴿ ما ينقص به الرزق ﴾

وقدجاءت آيات كريمة و روايات عديدة : انّ أموراً توجب نقص الـرزق المقدر فيصرف وينحي عن الانسان .

أى قد يكون تقتير الرزق بسبب الذنب عقوبة أو لتكفير معصيته .

وليس هذا كليّاً بلهو بالنسبة الى غير المستدرجين فانّ كثيراً من أصحاب الكبائر يوسّع عليهم فى رزقهم اوينقص عنهم الرزق الحلال فيقعون فى الحرام .

ومن جمـلة أسباب افساد المعيشة ترك الصبر وسـوء النيّة والكذب والفحش لنفرة الناس عنه وعن معاملته وما اليها من الامور تجمعها كلمة الذنب والمعصية .

و أوضح دليل على ذلك هو فعل آدم عليه السلام وحواء فى الجنة إذ أكلا فحرما.

فى الكافى : باسناده عن الفضيل بن يسار عن أبى جعفر عليه السلام قال : ان العبد ليذنب الذنب فيزوى عنه الرزق .

وفيه : باسناده عن أحمد بن محمد عن بعض رجاله قال: قال من فحش على أخيه المسلم نزع الله منه بركة رزقه ووكّله الى نفسه وأفسد عليه معيشته .

أقول : المعصوم المروى عنه غير معلوم واحتمل ان يكون احمد بن محمـد هو البزنطى والمروى عنه هو الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام .

وفى عقاب الاعمال : باسناده عن الحسين بن سالم عن أبى عبدالله عليه السلام قال ايّما ناش نشأ فى قومه ثم لم يؤدّب على معصيته فانّ الله اول مـا يعاقبهم به أن ينقص من أرزاقهم .

وفيه : باسناده عن عبدالله بن بكر بن محمد الازدى عن ابى عبدالله عليه السلام قال

انّ المؤمن لينوى الذنب فيحرم رزقه.

وفى العلل: باسناده عن الحسين بن الحسن الكندى عن أبى عبدالله عليه السلام قال: انّ الرجل ليكذب الكذبة فيحرم بها صلاة الليل فاذا حرم صلاة الليل حرم بها الرزق.

وفى الخصال عن الامام أمير المؤمنين عليه السلام قال: اعتياد الكذب يورث الفقر.

وفى الدر المنثور. عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ايّاكم والمعاصى انّ العبد ليذنب الذنب فينسى به الباب من العلم وانّ العبد ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل، وانّ العبد ليذنب الذنب فيحرم به رزقاً قد كان هيّىء له ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فأصبحت كالصريم» قد حرموا خير جنتهم بذنبهم.

وفى تفسير البرهان: عن الفضيل عن أبى جعفر عليه السلام قال: انّ الرجل ليذنب الذنب فيدرأ عنه الرزق وتلا هذه الاية «إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون».

وفى المحاسن: عن بكر بن محمد الازدى عن أبى عبدالله عليه السلام قال: ان المؤمن لينوى الذنب فيحرم الرزق.

وفى الكافى: باسناده عن محمد بن مسلم عن أبى عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: إنّ الذنب يحرم العبد الرزق

وفيه: باسناده عن محمد بن مسلم عن أبى جعفر عليه السلام قال: ان العبد يسئل الله الحاجة فيكون من شأنه قضاؤها الى أجل قريب أو الى وقت بطىء فيذنب العبد ذنباً فيقول الله تبارك وتعالى: للملك لا تقض حاجته واحرمه ايّاها فانّه تعرّض لسخطى واستوجب الحرمان منّى.

وفى شرح الحديد: قال الامام على عليه السلام: انّ العبد ليحرم نفسه الرزق الحلال بترك الصبر ولا يزداد على ما قدّر له.

وفي المحاسن : باسناده عن أبى حمزة عن أبـى جعفر عليه السلام قـال : سمعته يقول : ما من سنة أقلّ مطراً من سنة ولكنّ الله عزّ وجلّ يضعه حيث يشاء ، انّ الله اذا عمل قوم بالمعاصى صرف عنهم ما كان قدّره لهم من المطر فـى تلك السنة الى غيرهم والى الفيافى والبحار والجبال وانّ الله ليعذّب الجعَل فى جحرها بحبس المطر عن الارض الّتى هى بمحلتها لخطايا من بحضرتها وقد جعل الله لـه السبيل الـى مسلك سوى محلة أهـل المعاصى ، قال : ثم قال أبو جعفر عليه السلام فاعتبروا يا اولـى الابصـار .



﴿ الرزق والتوحيد ﴾

ومن أوضح دليل على وحدانية الله تعالى هو اختلاف الناس فى الرزق على أنحاءه ومن غير مرية ، انّ كل انسان يريد أن يقتني من الارزاق ولكنّه لا ينال بما أراد ولايكاد يتيسّر لاحد جميع ما يتمنّاه ويرتضاه ، وكم من مريد كثيراً ما نال بقليل وكم من مقلّ نال بكثير بما ما أراد .

فلو كان الرزق بيد الانسان أو بالصدفة لما وجد معدم فقير فى شيء من الارزاق بل لم يختلف إثنان فيها فاختلافهم فيها دليل قاطع وبرهان واضح على أنّ الرزق بيد خالق العالم وحده وبمشيّته بعد ما دلّ على وجوده وحده .

قال الله تعالى : « أو لم يروا انّ الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انّ فى ذلك لايات لقوم يؤمنون » الروم : ٣٧) .

فكما أنت لا تستطيع أن تزيد فى خلقك ولا فى حياتك كذلك لا تستطيع أن تزيد فى رزقك فلا تتعب نفسك فى طلب الرزق لانّ فى القبض والبسط لايات دالة على وحدانيّة الله تعالى لقوم يستدلون بها على وجوده وكمال قدرته وسعة علمه ونهاية حكمته فى تدبير أمره .

نعم ماقال ابوبكر محمد بن سابق :

فكم قوىّ قوىّ فى تقلبه ... مهذب الرأى عنه الرزق ينحرف
وكم ضعيف ضعيف فى تقلّبه ... كأنّه من خليج البحر يغترف
هذا دليل على أن الاله له ... فى الخلق سر خفى ليس ينكشف

سئل بعض المحققين : ما الدليل على أن للعالم صانعاً واحداً ؟ قال : ثلاثة

أشياء : ذل اللبيب ، وفقر الاديب ، وسقم الطبيب .

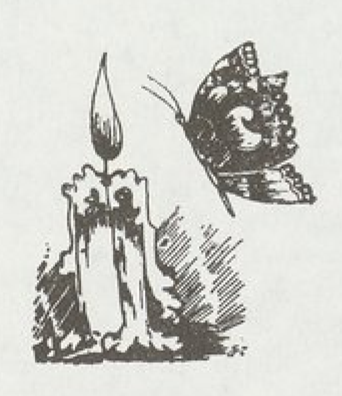
وقال بعض الظرفاء : طلبنا الفقر فاستقبلنا الغنى وطلب الناس الغنى فاستقبلهم الفقر .

فينبغي لكل عاقل أن يسكن قلبه بما أراده الله جل وعلا له من الرزق ورضى ما رضاه قليلا أو كثيراً ولا يطلب ما يطلبه أكثر الناس ولا يترك ما يلزم طلبه .

ومن غيرمراء انّ الرزق الذي ينال به الانسان أو يكتسبه متوقف على آلاف من الاسباب والشرائط وليس الانسان الذي يراه لنفسه إلا احد تلك الاسباب، ولا السبب الذي يركن اليه ويطيب به نفساً إلاّ بعض تلك الاسباب .

وعامّة الاسباب منتهية إلى الله القادر المتعال وهو الذي يعطي و يمنع وهو الذي يبسط ويقدر وهو الذي يوسّع ويضيق .

اللهم ارزقنا حلالك الطيب وجنّبنا عن الحرام بحق محمد وآله الطيبين صلواتك عليهم أجمعين .



« السماء و حقيقتها »

قال الله تعالى: « والسّماء ذات الحبك ـ والسّماء بنيناها بأيدوانّا لموسعون » الذّاريات : ٧ ـ ٤٧) .

السّماء . الفلك الشامل لسائر الاجرام . . .

قال الله تعالى : « ولقد جعلنا فى السماء بروجاً وزيّناها للناظرين » الحجر : ١٦) .

وقال : « تبارك الّذى جعل فى السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً » الفرقان : ٦١) .

وقال : « انّا زيّنا السّماء الدنيا بزينة الكواكب » الصافات : ٦) .

وقال : « وزيّنا السّماء الدنيا بمصابيح وحفظاً » فصلت : ١٢) .

وقال : « أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيّناها » ق : ٦) .

وقال : « والسماء ذات البروج » البروج : ١) .

واختلف بين القدماء والمتأخرين فى حقيقة السماء إختلافاً كثيراً :

فمنهم من يقول : كل شيء كان فوق شيء فهو لما تحته سماء ، ولذلك سمّى السحاب سماء لعلوّه فيما تحته ، فسمّيت السماء سماء لعلوها على الارض وعلوّ مكانها من خالقه .

ومنهم من يقول : السماء : هى الجوّ الواسع يراه الانسان فوقه ، وهو ذو طبقات أو جهات عاوىّ يدخل فيها طبقات الجو ولذلك سمّيت بالسبع .

ومنهم من يقول : السموات إمّا هى مجموع جهة العلو على ما فيها من أجرام النجوم والكواكب والشهاب والهواء المتراكم فوق الارض والسحب والغمام

فانها جميعاً مرفوعة على الارض وإمّا انّها كالسقف للبيت والخان فوقهذه الاجرام والكواكب كلها تحت السموات ، فعلى هذا ما نشاهده من السماء هي السماء الاولى والسماوات الست الاخرى فوقهذه السماء طباقاً لانراها ، وبين كل سماء وسماء الى السماء السابعة خلاء وفيها خلق كثير .

ومنهم من يقول : لا خلاء بينها بل تكون كالسقوف المتعددة بعضها فوق بعض جعلت للاستحكام .

ومنهم من يقول : بين كل سماء الى سماء خلاء وسطح كل خلاء أرض وفوقها سماء وهي سقف الارض وهكذا إلى السماء السابعة وما نرى من الكواكب هي كالقناديل المعلّقة زينت بها سماء الدنيا .

ورسّموا ما تراه :



وقال المجلسي رضوان الله تعالى عليه في البحار : « ماخطر بالبال القاصر وهو ان يكون جميع الافلاك الثمانية التي اثبتوها لجميع الكواكب فلكا واحداً مسمى بالسماء الدنيا وتكون غيرها ست سماوات اخر غير مكوكبة كما انهم يثبتون لكل من الكواكب افلاكاً كثيرة جزئية ويعدّون الكلّ فلكاً واحداً كلياً فلا ينافي من اصولهم وانما يخالف مصطلحهم ولاعبرة بمخالفة الاصطلاح » .

وذهب الفلكيون الاقدمون الى ان السماء جرم محسوس وان الكواكب مثبتة فيه .

وذهب الفلكيون المحدثون الى أن السماء هي الفضاء الذى فوقنا مما لا يحدّه التصور تسبح الكواكب فيها سبحاً بلا ماسك لها إلا قدرة الله تعالى .

أقول : ما جاء في الآيات الكريمة والروايات الشريفة من بناء السماء ورفعها بغير عمد ترونها وإمساكها وقيامها بأمر الله تعالى و كشطها و كونها سقفاً محفوظاً ، و كونها سبع طرائق ، و كونها طباقاً ، و كون السماء الدنيا مزيّنة بزينة الكواكب ، ومن البعد بين سماء وسماء وما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلة المعراج في كل سماء ، ومن انشقاقها وانفطارها وانفراج لها وما اليها كلها تدل على انها فلك محيط علينا وعلى أرضنا شامل لسائر الاجرام من غير تنافي بينه وبين ما رسمّوه .

قال الله تعالى : « الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها » الرعد : ٢) .

وقال : « ويمسك السماء أن تقع على الارض الاّ باذنه » الحج : ٦٥) .

وقال . « ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره » الروم : ٢٥) .

وقال : « وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً » الانبياء : ٣٢) .

وقال : « ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق » المؤمنون : ١٧) .

وقال : « الذى خلق سبع سموات طباقاً » الملك : ٣) .

وقال : « إذا السماء انشقّت » الانشقاق : ١) .

وقال : « إذا السماء انفطرت » الانفطار : ١) .

وقال : « وإذا السماء كشطت » التكوير : ١١) .

وقال : « واذا السماء فرجت » المرسلات : ٩) وغيرها من الآيات .

وما اطلقت السماء على الجو العالى ، ولا العكس فى الكتاب والسنّة على ما توهّم .

قال الله تعالى : « ألم يروا الى الطير مسخّرات فى جو السماء » النحل: ٧٩) .

وقال : « وتصريف الرياح والسّحاب المسخّر بين السماء والارض » البقرة : ١٦٤) .

وراجع إلى ما أوردناه عن تفسير القمّى فى بحث روائى .



﴿ السموات السبع ﴾

إختلفت كلمات المفسرين والهيويين والحكماء وغيرهم قديماً و حديثاً في كون السموات والارض سبعاً إختلافاً شديداً .

فمنهم من ذهب إلىأنّ هذا الكون الرحيب يضمّ سبعة أكوان ، ولكل كون منها كواكب لايحصى عددها ، ومن جملتها كوكب أرضىّ وبين كل كون وآخر ملايين الملايين من السنين الضوئية . . فقد عبّرالله تعالى عن هذه الاكوان السبعة بالسموات السبع .

قال‌الله تعالى : « الله الّذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهـنّ » الطلاق : ١٢) .

على أن قوله تعالى : « ومن الارض مثلهن » يشيرإلى أنّ فى كلّ كون من السبعة كوكباً أرضياً .

ومنهم من‌ذهب إلى أنّ ذكر السّبع لايفيد الحصر بالسبعة وانّما خصّها الوحى بالذكر ، لانّ الذين خوطبوا بالقرآن الكريم آنذاك كانوا يسمعون الافلاك السبعة و كواكبها دون غيرها ، فخاطبهم القرآن بمااعتادوا أن‌يتخاطبوا به فيما بينهم .

واستدلوا بماورد عن‌إبن مسعود إذقال : « ما السموات السبع وما فيهنّ وما بينهنّ والارضون السبع ومافيهنّ ومابينهنّ الا كحلقة ملقاة بأرض فلاة » علىأن السبع ليس محدّداً للسماء والارض .

فى تفسير الطبرى : أنّ إبن عباس سئل عن‌قوله تعالى: « سبع‌سموات ومن

الارض مثلهن» فقال: «لو حدثتكم عن تفسيرها لكفرتم بتكذيبكم بها» وذلك لانّ عقولهم لاتحتمل فيشكّون في صدق القرآن فيكفرون.

ومنهم من ذهب إلى أنّ المراد من السموات السبع وطباقها: الفضايا التي تدور في كل واحدمنها الكواكب والسيارات وبين كل طبقة من الطبقات واسطة ينتقل بهاالنور والحرارة من كواكب إلى سيّارة كالكرات الحارّة على إختلافها فيما بين الارض والشمس.

وهوالمرادمن قوله تعالى: «ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً» نوح١٥).

ومنهم من ذهب إلى انّه مالنا من علم بشيء في ذلك فيجب علينا الايمان فقط.

أقول انّ المستفاد من الايات الكريمة والروايات الواردة مما أوردناه سابقاً وما يأتي هو الّذي أشرنا اليه آنفاً قريباً مما رسموه.

وفي تفسير القمي: عن إبن أبي عمير عمّن حدّثه عن أبي عبدالله عليه السلام في خبر إدريس عليه السلام انه قال ملك الموت: غلظ السماء الرابعة مسيرة خمسمأة عام، ومن السماء الرابعه الى السماء الثالثة مسيرة خمسمأة عام وغلظ السماء الثالثة خمسمأة عام ومن السماء الثالثة الى الثانية مسيرة خمسمأة عام و كل عام وما بينهما كذلك. الخبر..

وفي البحار: عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سئلته عن السّماوات السّبع فقال: سبع سماوات ليس منها سماء الاّ وفيها خلق وبينها وبين الاخرى خلق حتى ينتهي الى السابعة قلت: والارض؟ قال: سبع، منهنّ خمس فيهنّ خلق من خلق الربّ واثنتان هواء ليس فيهما شيء.

قوله عليه السلام: «واثنتان هواء» ان كان المراد بالهواء الجسم اللطيف المعروف كان المراد بالارضين الاجسام المنخفضة بالنسبة الى السماوات سواء كانت كثيفة كالتراب أو لطيفة كالهواء وان كان المراد به الشيء الخالي كما انه من معانيه وربّما يؤيده قوله عليه السلام بعده: «ليس فيهما شيء» فيمكن أخذ الارض بمعناها المعروف.

وفي الدر المنثور: نقلا عن سبعة من كتب العامّة عن إبن مسعود قال: ما بين السماء والارض مسيره خمسمأة عام وما بين كل سمائين خمسمأة عام، وغلظ

كل سماء وأرض مسيرة خمسمأة عام وما بين السماء السابعة إلى الكرسى مسيرة خمسمأة عام وما بين الكرسى" والماء مسيرة خمسمأة عام والعرش على الماء .

قال الله تعالى : « وهو الّذى خلق السموات والارض فى ستّة ايام وكان عرشه على الماء » هود : ٧) .

وفيه: عن إبن عباس قال : سيّد السموات السماء التى فيها العرش وسيّد الارضين الارض التى أنتم عليها .

وفيه: عن على عليه السلام قال : « السقف المرفوع : السماء ، والبحر المسجور بحر فى السماء تحت العرش » .

وفيه: عن إبن عباس فى قوله تعالى : « فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » المعارج : ٤) .

قال : منتهى أمره من أسفل الارضين الى منتهى أمره من فوق سبع سموات مقداره خمسين ألف سنة ويوم كان مقداره ألف سنة يعنى بذلك نزول الامر من السماء الى الارض ومن الارض الى السماء فى يوم واحد فذلك مقداره ألف سنة لان ما بين السماء والارض مسيرة خمسمأة عام .



« السموات و أهلها »

ان كثيراً من الايات القرآنية والروايات الشريفة تدل على أنّ في السموات خلائق وسكاناً ودابة يسبّحون بحمد ربهم ويذكرون الله جلّ وعلا ، وأما حقيقتهم وكونهم انساناً ولهم صورة كصورتنا فليس لنا دليل نقطع به، قال الله تعالى : « ومن آياته خلق السموات والارض وما بثّ فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير » الشورى : ٢٩) .

وقال : « وله من في السموات والارض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون » الانبياء : ١٩) .

وقال : « ويوم ينفخ في الصّور ففزع من في السموات ومن في الارض إلاّ من شاء الله و كل أتوه داخرين » النمل : ٨٧) .

وقال : « ان كل من في السموات والارض إلا آتي الرحمن عبداً لقد أحصاهم وعدّهم عدّاً وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً » مريم : ٩٣ ـ ٩٥) .

وقال: « يسئله من في السموات والارض كل يوم هو في شأن » الرحمن:٢٩).

وغيرها من الايات الكريمة . . .

في تفسير الفخر : روى الزّهري عن علي بن الحسين بن علي بن ابيطالب عليهم السلام عن ابن عباس قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وآله جالساً في نفر من أصحابه اذ رمي بنجم فاستنار فقال : ما كنتم تقولون في الجاهلية اذا حدث مثل هذا ؟ قالوا : كنا نقول : يولد عظيم أو يموت عظيم ، قال النبي صلى الله عليه وآله : فانها لا ترمى لموت أحد ولا لحياته .

ولكن ربنا تعالى اذا قضى الامر في السماء سبّحت حملة العرش ثمّ سبّح أهل السماء ويسبّح أهل كل سماء حتى ينتهى التسبيح الى هذه السماء ويستخبر أهل السماء حملة العرش : ماذا قال ربكم ؟ فيخبرونهم ولا يزال ينتهى ذلك الخبر من سماء الى سماء الى أن ينتهى الخبر الى هذه السماء ويتخطف الجنّ فيرمون فما جاؤوا به فهو حق ولكنهم يزيدون فيه .



﴿ زوجية ما سوى الله تعالى ﴾

قال الله تعالى: «ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلّكم تذكّرون» الذاريات: ٤٩) لا بدّ من البحث إجمالا في حقيقة الوحدة والزواج لنتذكّر بما تحثّنا اليه الاية الكريمة.

قال فيثاغورث - وهو رجل حكيم موحّد وكان شديد العناية بالنظر في علم العدد وكيفيّة نشوءه وخواصّه ومراتبه ونظامه - : إنّ في معرفة العدد وكيفيّة نشوءه من الواحد الّذي قبل الاثنين معرفة وحدانية الله تعالى وفي معرفة خواصّ الاعداد وكيفيّة ترتيبها ونظامها معرفة مخلوقات الباري جلّ وعلا وكيفيّة نظامها وترتيبها.

وقال: مراتب الموجودات ونظامها مطابقة لمراتب الاعداد المفردات المتتاليات عن الواحد وانّ الكل محتاج إلى واحد.

وقال بعض الحكماء: إنّ الواحد ومابعده محتاج إلى غيره وهو العادّ.

وقال: انّ الله تعالى لمّا أبدع المخلوقات نظّمها ورتبها في الوجود كمراتب الاعداد عن الواحد لتكون كثرتها دالة على وحدانيته وترتيبها ونظامها دالّين على إتقان حكمته في صنعها، ولتكون أيضاً نسبتها إلى الّذي هو خالقها كنسبة الاعداد إلى الواحد الّذي قبل الاثنين الذي هو أصلها ومبدؤها ومنشوؤها.

وذلك إنّ الله سبحانه لما كان واحداً بالحقيقة من جميع الوجوه والمعاني لم يجز أن يكون المخلوق واحداً بالحقيقة، بل وجب أن يكون واحداً متكثّراً مزدوجاً.

وذلك انّه تعالى أول مابدأ بفعل واحد مفعولا واحداً متحداً بفعله الذى هو علّة العلل فلم يكن واحداً بالحقيقة بل فيه إزدواج ، ولذلك قالوا : إنه أوجد أشياء مزدوجة ، وجعلها قوانين الموجودات وأصول الكائنات . . .

فمن ذلك ما قالت الحكماء والفلاسفة :

الهيولى والصورة ، ومنهم من قال: النور والظلمة ، ومنهم من قال الجوهر والعرض ، ومنهم من قال : الخير والشر ، ومنهم من قال : اللوح والقلم ، ومنهم من قال : العقل والفيض ، ومنهم من قال : الموت والحياة ، ومنهم من قال : الاثبات والنفى ، ومنهم من قال : الايجاب والسلب ، ومنهم من قال : الروحانى والجسمانى ومنهم من قال : الحركه والسكون ، ومنهم من قال : الوجود والعدم ، ومنهم من قال : الكون والفساد ، ومنهم من قال : الدنيا والاخرة ، ومنهم من قال : العلّة والمعلول ، ومنهم من قال : المبدأ والمعاد ، ومنهم من قال : القبض والبسط .

وعلى هذا القياس توجد أشياء كثيرة طبيعيّة مزدوجة أو متضادّة كالمتحرّك والساكن والظاهر والباطن والعالى والسافل والخارج والداخل واللطيف والكثيف والحارّ والبارد والرطب واليابس والزائد والناقص والجماد و النامى والناطق والصامت والذكر والانثى من كل زوجين اثنين .

وهكذا توجد تصاريف أحوال الموجودات من الحيوان والنبات كالحياة والممات ، والنوم واليقظة ، والمرض والصحة ، والالم واللذة ، والبؤس والنعمة ، والسرور والغمّ والحزن والفرح ، والصلاح والفساد ، والضرّ والنفع ، والخير والشر والادبار والاقبال ، والكفر والايمان ، والفجور والتقوى .

قال الله تعالى: « ونفس وماسواها فألهمها فجورها وتقواها » الشمس ٧ـ٨).

وقال : «إنّا هديناه السبيل إمّا شاكراً وإمّا كفوراً» الانسان: ٣) .

وقال : « وهديناه النجدين » البلد: ١٠) .

وهكذا توجد أحكام الامور الوضعيّة و الشرعيّة : كالامر والنهى والوعد

والوعيد والترغيب والترهيب والطاعة والمعصية والمدح والذم والثواب والعقاب والحلال والحرام والحدود والاحكام والصواب والخطاء والحسن والقبيح والصدق والكذب والحق والباطل . .

قالوا : إنّ الله تعالى هو الواحد قبل كل الاعداد ، وهو موجدها وبه نشؤها، وهو الذى ذاته بذاته .

ففى قوله تعالى « ومن كل شىء خلقنا زوجين » حقيقة عجيبة تكشف عن قاعدة الخلق ، وهى قاعدة الزوجية فى الاحياء وغيرها ، وفى الذوات وفى غيرها لكلمة « كل شىء » ، وانّ الاشياء مخلوقة كالاحياء على أساس الزوجيّة ، وهذا النص جاء منذ أربعة عشر قرناً لايعرف فكرة البشر عموم الزوجيّة حتى فى الاحياء فضلا عن عموم الزوجيّة فى كل شىء ، و البحوث العلميّة الحديثة تسير فى طريق الوصول إلى حقيقة : وهى انّ بناء الكون كله يرجع الى الذرة مؤلفة :

من زوجين : الكهرباء الموجبة والكهرباء السالبة ، خالقهما من هو « فرد واحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد » .

وما كان البشر يعلم أنّ الزوجيّة متحكمة بأمر الله جلّ وعلا فى كلّ شىء ومنه الجماد حتّى إذا اكتشف بطن الذرة وعلم أنّ ذرة كلّ عنصر من العناصر من هيدروجين وهليوم وكالسيوم واورانيوم . . . الخ ، تتألف من الكترون : كهربائية سالبة ، وپروتون : كهربائية موجبة ، ونيوترون كهربائيّة متعادلة .

وانّ الكترون يدور بسرعة فائقة حول الپروتون، فالاكترون بمثابة الانثى والپروتون بمثابة الذكر .

اكتشف العلم الحديث . انّ الزوجية متأصّلة فى الاشياء كلها نطق به القرآن الكريم: « ومن كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون » أى لعلنا نتذكر انّ الوحدانية لله تعالى لا يشاركه فيها أحد .

وقال فى آية اخرى : « سبحان الذى خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون » يس : ٣٦) .

فالوحدانيّة له جل وعلا والزوجيّة متجلّية فى الذرة (الكترون والپروتون) وفى السماء والارض وفى النبات والحيوان ، فالله الذى جاء بهذا الكمال العالمى لايريد بهذا الانسان إلا الكمال والتكامل .

علمه انّ هذه الزوجيّة فى الجماد أو العناصر أى الذرّات كلّها و كذلك بالنسبة إلى تشكل الامطار فى قوله تعالى: «ألم تر انّ الله يزجى سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً » النور : ٤٣) .

والتأليف هو الكهربائية التى تلعب دوراً هاماً فى هطول الامطار على حد قوله تعالى: « وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء وما أنتم له بخازنين » .

وهذا التلقيح هو التلقيح الكهربائى بين سحابة وسحابة ، أو بين ذرات بخار الماء لقوله تعالى : « فأنزلنا من السماء ماء » بعد قوله : « أرسلنا الرياح » ، فنزول الماء من السماء متوقّف على هذا التلقيح الكهربائى ، وهذا من مكتشفات القرن العشرين .

فالكون كلّه قوى كهربائيّة موجبة وسالبة : ذكر وأنثى ، فالزوجيّة سارية بأطنابها فى هذا العالم الرحيب مع وحدة الصنع لتقصر الوحدانيّة فى الله جلّ وعلا الذى جلّت آلاؤه وتناهت ألطافه .

فى نهج البلاغة : قال الامام على عليه السلام فى صفات الله تعالى ـ : « الاَحد بلا تأويل عدد » أى انه ليس بمعنى العدد كما يقوله الناس : اوّل العدد أحد وواحد بل المراد بأحديّته كونه لا يقبل التجزّى ، وباعتبار آخر كونه لا ثانى له فى الربوبية وغيرها من الصفات العليا .

﴿ زوجية الاشياء وتوحيد خالقها ﴾

ورد في الخبر: انّ الله تعالى انمّا خلق الضدّ ليعرف انّ لا ضدّ له ، ولو انّه جلّ وعلا ما خلق تلك الحقائق الطيّبة والذوات الحسنة وأضدادها لما عرف الصانع الكامل تعالى بالكمال .

فخلق الزوجين وجعل الشيء مركباً منهما « ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكّرون » .

لان العلّة الغائيّة من إيجاد الاشياء المعرفة الكاملة وهي لا تتحقق الاّ باثبات الصفات الكماليّة وسلب النقائص الخلقية الممكنة ، وهي أيضاً لا تتحقق الاّ بمعرفتها ولا يعرف شيء شيئاً لم يخلقه الله عزوجل ، فخلق العلم وضدّه الجهل ، وخلق القدرة وضدّه العجز ، وخلق الموت وضده الحياة ، وخلق العزة وضدها الذلة ..

ليستدل الانسان بقدرته على قدرة الله تعالى وبعجزه على انه سبحانه ليس بعاجز وإلا لكان ممكناً مثله ، وليستدل بعلمه على علم الله تعالى وبجهله على انه سبحانه ليس بجاهل والا لكان ممكناً مثله ، وليستدل بحياته بأنه تعالى حي ، وبموته على انّه جل وعلا لا يموت وإلا لكان ممكناً مثله ...

في التوحيد: باسناده عن هشام بن سالم قال : « دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فقال لي : أتنعت الله ؟ قلت : نعم ، قال : هات ، فقلت : هو السميع البصير قال : هذه صفة يشترك فيها المخلوقون قلت : فكيف ننعته ؟ فقال هو نور لاظلمة فيه ، وحياة لا موت فيه ، وعلم لا جهل فيه ، وحقّ لا باطل فيه ، فخرجت من عنده وأنا أعلم الناس بالتوحيد » .

قال الصدوق رضوان الله تعالى عليه : إذا وصفنا الله تبارك وتعالى بصفات الذات فانّما ننفي عنه بكلّ صفة منها ضدّها ، فمتى قلنا : انه حيّ نفينا عنه ضدّ الحياة وهو الموت ، ومتى قلنا : عليم نفينا عنه ضدّ العلم وهو الجهل ، ومتى قلنا: سميع نفينا عنه ضدّ السمع وهو الصمم ، ومتى قلنا : بصير نفينا عنه ضدّ البصر وهو العمى ، ومتى قلنا : عزيز نفينا عنه ضدّ العزة وهو الذلة ، ومتى قلنا : حكيم نفينا عنه ضد الحكمة وهو الخطأ ، ومتى قلنا : غنيّ نفينا عنه ضد الغنى وهو الفقر ، ومتى قلنا : عدل نفينا عنه الجور وهو الظلم ، ومتى قلنا : حليم نفينا عنه العجلة ، ومتى قلنا : قادر نفينا عنه العجز .

ولو لم نفعل ذلك أثبتنا معه أشياء لم تزل معه ، ومتى قلنا : لم يزل حيّاً سميعاً بصيراً عزيزاً حكيماً غنياً ملكاً حليماً عدلا كريماً ، فلمّا جعلنا معنى كل صفة من هذه الصفات الّتي هي صفات ذاته نفي ضدّها أثبتنا انّ الله لم يزل واحداً لا شيء معه إنتهى كلامه .

ثم انظر : كيف يتمّ الله تعالى الحجّة على عباده ويأتي بدليل قاطع على وجوده وتوحيد ربوبيته بقوله : « ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة انّ في ذلك لايات لقوم يتفكرون » الروم : ٢٠) .

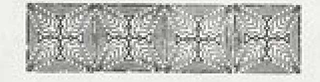
أنّى للذكر أن يخلق لنفسه انثى ؟ ومن أين جائت هذه الحاجة ؟ و كيف فكّر هذا الذكر أن يجعل الانثى بشكل يؤدى الى استدامة النسل مع تعقد المراحل في تشكل الجنين ؟ ! .

هذا مايقوله الفيلسوف (مونتني) : «حقّاً انّ انكار الله تعالى ضرب من الجنون فهؤلاء المنكرون هم مجانين جنوا على أنفسهم وعلى من هم على شاكلتهم ببغيهم وظلمهم وفسقهم فذهبت عقولهم» .

و من هنا يحصر جل و علا التذكر بالايات الكونية و ما أودع من حالات مختلفة تضبط بقوانين رياضيّة متقنة بالعقلاء دون غيرهم ، أى انّ العقلاء وهم

المؤمنون يعترفون بعظمة الخالق و يتدبرون فى أحوال الكون وحوادث العالم اذ خاطبهم بقوله: « لعلكم تذكّرون » .

فلا بصيرة ولا تذكّر ولا لبّ لغير المؤمنين ، فانّ الاستبصار والتوجه الى مقامات القدس لايتم الاّ فى نفس زكية طاهرة ، فالمؤمنون هم اولوالالباب حقّاً لخروجهم من حضيض المادّة الى تفهم ماوراء الطبيعة والعروج الى حيث الطمأنينة والخلود الى ما لا عين رأت أو الاذن سمعت أو خطر على قلب بشر .



﴿ الخلق والحكمة ﴾

قال الله تعالى: « وما خلقت الجنّ والانس إلا ليعبدون » الذاريات : ٥٦).

في العلل: باسناده عن جعفر بن محمد بن عمارة عن أبيه قال : سئلت الصادق جعفر بن محمد عليه السلام فقلت لـه : لم خلق الله الخلق ؟ فقال : ان الله تبارك وتعالى لم يخلق خلقه عبثاً ولم يتركهم سدى ، بل خلقهم لاظهار قدرته وليكلّفهم طاعته فيستوجبوا بذلك رضوانه ، وما خلقهم ليجلب منهم منفعة ولا ليدفع بهم مضرّة ، بل خلقهم لينفعهم ويوصلهم الى نعيم الابد .

وفيه: باسناده عن عبدالله بن سلام مولى رسول الله صلى الله عليه وآله قال : في صحف موسى بن عمران عليه السلام : يا عبادي انيّ لم أخلق الخلق لاستكثر بهم من قلّة ، ولا لآنس بهم من وحشة ، ولا لاستعين بهم على شيء عجزت عنه ، ولا لجرّ منفعة ، ولا لدفع مضرّة ، ولو ان جميع خلقي من أهل السماوات والارض اجتمعوا على طاعتي وعبادتي لايفترون عن ذلك ليلا ولا نهاراً ما زاد ذلك في ملكي شيئاً ، سبحاني وتعاليت عن ذلك .

وفيه: باسناده عن أبي بصير قال : سئلت أبا عبدالله عليه السلام عن قوله عزوجل: « وما خلقت الجن والانس الاّ ليعبدون » قال : خلقهم ليأمرهم بالعبادة .

قال : وسئلته عن قوله عزوجل : « ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربّك ولذلك خلقهم » قال : خلقهم ليفعلوا ما يستوجبون به رحمته فيرحمهم .

وفي الاحتجاج : وروى انه اتصل بأميرالمؤمنين عليه السلام ان قوماً من أصحابه خاضوا في التعديل والتجريح ، فخرج حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ،

ثم قال : أيتها الناس ! ان الله تبارك وتعالى لما خلق خلقه أراد أن يكونوا على آداب رفيعة وأخلاق شريفة فعلم أنهم لم يكونوا كذلك الا بأن يعرفهم ما لهم وما عليهم والتعريف لا يكون الا بالامر والنهى، والامر والنهى لايجتمعان الابالوعد والوعيد والوعد لايكون إلا بالترغيب ، والوعيد لايكون الا بالترهيب، والترغيب لا يكون الا بما تشتهيه أنفسهم وتلذه أعينهم والترهيب لا يكون الا بضد ذلك ، ثم خلقهم فى داره وأراهم طرفاً من اللذات ليستدلوا به على ماوراءهم من اللذات الخالصة التى لا يشوبها ألم ألا وهى الجنة، وأراهم طرفاً من الالام ليستدلوا به على ماوراءهم من الالام الخالصة التى لا يشوبها لذة ألا وهى النار ، فمن أجل ذلك ترون نعيم الدنيا مخلوطاً بمحنها ، وسرورها ممزوجاً بكدرها وغمومها .

أقول : قوله عليه السلام : «طرفاً» طائفة من الشىء و قوله عليه السلام : «من اللذات الخاصة» يشير إلى نحوقوله تعالى: «فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً جنات عدن التى وعدالرحمن عباده بالغيب انه كان وعده مأتياً لا يسمعون فيهالغواً الا سلاماً ولهم رزقهم فيها بكرة وعشياً تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقياً » مريم: ٦٠ ـ ٦٣) .

وقوله عليه السلام : «من الالام الخالصة» يشير الى نحوقوله تعالى : «ويل لكل افاك أثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبراً كأن لم يسمعهافبشره بعذاب أليم واذا علم من آياتنا شيئاً إتخذها هزواً اولئك لهم عذاب مهين من ورائهم جهنم ولا يغنى عنهم ما كسبوا شيئاً ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء و لهم عذاب عظيم » الجاثية : ٧ ـ ١٠).

وفى الاحتجاج : روى هشام بن الحكم انه سئل الزنديق ، أباعبدالله عليه السلام: لاى علة خلق الخلق وهوغير محتاج إليهم ولا مضطر إلى خلقهم ولايليق به العبث بنا؟ قال: خلقهم لاظهار حكمته وإنفاذ علمه وإمضاء تدبيره قال: و كيف لايقتصر على هذه الدار فيجعلها دار ثوابه ومحبس عقابه ؟ قال: إن هذه دار بلاء ومنجز الثواب ومكتسب الرحمة ، ملئت آفات وطبقت شهوات ليختبر فيها عباده بالطاعة ، فلا

يكون دارعمل دارجزاء . الحديث .

وفى نهج البلاغة: قال الامام على عليه السلام ألا انّ الله تعالى قد كشف الخلق كشفة، لاانّه جهل ما أخفوه من مصون أسرارهم ومكنون ضمائرهم ولكن ليبلوهم أيّهم أحسن عملا فيكون الثواب جزاء والعقاب بواء .

أقول : انّ فائدة الابتلاء هي ايصال النفع الى المبتلى . وقوله عليه السلام : بواء أى مكافاة .

وفيه : ومن كتاب له عليه السلام الى معاوية بن أبى سفيان عليهما الهاوية :

أمّا بعد فانّ الله سبحانه جعل الدنيا لما بعدها ، وابتلى فيها أهلها ليعلم ايّهم أحسن عملا ، ولسنا للدنيا خلقنا، ولا بالسعى فيها امرنا ، وانّما وضعنا فيها لنبتلى بها،وقد ابتلانى الله بك وابتلاك بى،فجعل أحدنا حجة على الاخر ـ الى آخر كتابه عليه السلام . . .

قوله عليه السلام : « فان الله سبحانه جعل الدنيا لما بعدها » أى جعلها طريقاً الى الاخرة ، وورد فى الخبر : «الدنيا قنطرة فاعبروها ولاتعمروها » وقوله عليه السلام : «وابتلى فيها أهلها» أى اختبرهم ليعلم ايّهم أحسن عملا و «ولا بالسعى فيها امرنا» أى لم نؤمر بالسعى فيها لها بل امرنا بالسعي فيها لغيرها .

ثم ذكر انّ كل واحد منه عليه السلام ومن معاوية عليه الهاوية مبتلى بآخر وذلك كابتلاء آدم عليه السلام بابليس وابليس بآدم عليه السلام .

وفيه : قال عليه السلام : أيّها الناس انمّا الدنيا دار مجاز والاخرة دار قرار فخذوا من ممرّكم لمقرّكم ولاتهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم واخرجوا من الدنيا قلوبكم من قبل أن تخرج منها أبدانكم ، ففيها اختبرتم ولغيرها خلقتم .

﴿ لماذا خلقنا ﴾

وقد كان الانسان سائلا منذ خلق عن علّة وجوده في هذه الحياة الدنيا واستمر السؤال وهكذا . .

وكان يجيب عنه المسئول - سواء كان المسؤول نفس السائل أم غيره - بقدر وسعه .

فمن كان متوغّلا في المادة الصماء منهمكاً في النزوات والشهوات وزخارف الدنيا ومتاعها ، فيقول : انما وجدنا للغناء والتزوّد من الملاذ الدنيوية الى أقصى حدّ ممكن، وليس وراء ذلك شيء من غير علم لهم في ذلك .

يقولون : وجدنا لنأكل ونشرب ونتلذّذ في هذه الحياة الدنيا ونفنى ولذلك كانوا يسعون ليأكلوا لذيذاً ويشربوا مريئاً ويناموا هنيئاً ، ولست لهم غاية سوى الاكل والشرب والنوم وما اليها . . .

قال الله تعالى فيهم: « وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدّهر وما لهم بذلك من علم ان هم الاّ يظنّون » الجاثية : ٢٤) .

وقال : « والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم » محمد صلى الله عليه وآله : ١٢) .

ومن الناس : من يقول : خلقنا لنخدم الغير فلابدلنا من خدمة الاخرين .

ومنهم من يقول : خلقنا للشقاء وانما الحياة كلها شقاء .

ومنهم من يقول : خلق بعضنا للرحمة والسعادة ، وبعضنا الاخرون للشقاء والعذاب . وهم أكثر أهل السنة من الاشاعرة من غير دليل صحيح وأساس محكم .

ومن الناس : من صفت نفسه وحسنت سريرته وصلحت أعماله فيقول : انّما خلقنا لنتكامل فنزداد معرفة بالله تعالى لنذهب من هذه الحياة الدنيا المؤقتة دار العمل والامتحان الى حياة دائمة خالدة ، الى روح وريحان الى جنة عرضها كعرض السماء والارض اعدّت لمن عرف الله تعالى وعبده واتّقى .

خلقنا من رحمة ونشأنا برحمة ، وبالعبادة نرجع الى رحمة الله تعالى .

وهذا مذهب الشيعة الامامية الاثنى عشرية المؤيد بآيات قرآنية وروايات واردة عن طريق أئمة أهل بيت الوحى المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين .

وفى المقام كلام عن بعض باحثى الاجتماع ينبغى النظر فيه :

« وانا لنتساءل هل خلق الانسان من أجل القانون ، أو انّ القانون هو الذى خلق من أجل الانسان ؟

وقد يجاب عن ذلك تارة بالرأى الاول وتارة بالرأى الثانى ، و فى رأينا انّ كلا الرأيين يعبّر عن جانب من الحقيقة ونحن نصادف هذه القولة أو تلك فى القرآن فالله سبحانه يعلن من ناحية :

« وما خلقت الجن والانس الاّ ليعبدون » .

ويؤكّد من ناحية أخرى : « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهّركم وليتمّ نعمته عليكم لعلكم تشكرون » « من اهتدى فانما يهتدى لنفسه » « ومن جاهد فانّما يجاهد لنفسه » « ومن تزكّى فانما يتزكّى لنفسه ».

فلنقرب ما بين هذين القولين بحقيقتهما النسبيّة ولسوف نحصل على الحقيقة المطلقة ، فالانسان وجد من أجل تنفيذ الشرع (الذى هو عبادة الله) ولمّا كان الشرع قد وجد من أجل الانسان إذن فالانسان قد وجد من أجل نفسه ، والشرع غاية ولكنّه ليس الغاية الاخيرة انّه ليس سوى حدّ وسط بين الانسان كما هو ناشئاً يتطلع الى الحياة الاخلاقية و مصارعاً من أجل كماله و بين الانسان كما ينبغى أن يكون فى قبضة الفضيلة الكاملة أى : انّه حد وسط بين الانسان العادى والقديس ، بين الجندى والبطل » .

وقال : والشرع أشبه بقنطرة بين شاطئين نحن نقطة بدايته ونقطة نهايته ، أو هو أشبه بسلّم ، درجاته مستقرة على الارض ولكن يعد من يريدون تسلّقه أن يرفعهم الى السماء ، ولنقبس من القرآن صورته الديناميكية فهذا أفضل من تلك الصّور الساكنة والميكانيكية، فالقرآن في رمزين مشهورين يشبّه الحق والباطل بشجرتين فيقول :

« ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيّبة كشجرة طيّبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي اكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلّهم يتذكرون ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثّت من فوق الارض ما لها من قرار » .

هذا التشبيه ينطبق على الصدق والكذب العمليين كما ينطبق عليهما نظريين.

« فالفضيلة المؤثرة خصبة نافعة تنمي قيمتنا و ترفعنا من عال إلى أعلى ، والرذيلة قبيحة ، وبلا غد تجعلنا سطحيين مبتذلين بل انها تنزعنا من الانسانية » .



نظرية الحكماء والفلاسفة والمتكلمين

فى حكمة الخلق

إختلف المتكلّمون والفلاسفة والحكماء فى العلة من خلق العالم عامة ، وخلق الجن والانس خاصّة .

فقال الاوّلون : إنّ التكليف هو وجه الحكمة الذى لاجله حسن من الله تعالى خلق العالم بما فيه من إنسان وحيوان ونبات وجماد .

وقالوا : إنّ العالم نوعان : حيوان وغير حيوان .

والحيوان نوعان : مكلّف خلقه الله جلّ وعلا لمنفعة هى التفضل عليه بالتكليف، وغير مكلّف خلقه الله سبحانه لامرين : أحدهما نفع نفسه والاخر نفع غيره من المكلّفين ، ونفع غير المكلّف للمكلفين إما أن يكون دنيوياً كاستخدام الانسان للبهائم، أو أن يكون دينيّاً كاعتبار الانسان بخلق هذه المخلوقات. فالتكليف هو العلة فى خلق العالم .

وتكليف الله جل وعلا للمكلف نعمة من الله تعالى على المكلف و ذلك لانّ النعمة هى المنفعة الحسنة الّتى يوصلها المنعم إلى الغير بقصد الاحسان ، فعلى هذا انّ المنافع كلها من فعله تعالى إما مباشرة أو بالواسطة .

و كون الله جلّ وعلا منعماً على الانسان بتكليفه يتحقق فى أنه خلقه ، وخلق له العقل والشهوة فصار الانسان بهما مختاراً فى أفعاله ، فكلّفه الله تعالى بها لينال بنعمه إذا إئتمر بأوامره وانتهى بنواهيه .

و قالوا : انّ الله تعالى متفضّل على الناس بتكليفهم ، وانّ النعم على انواع ثلاثة :

أحدها _ : التفضّل وهو النفع الذى يخيّر فاعله بين أن يوصله الى الغير أو لا يوصله لانه لا يقوم على أساس الاستحقاق .

ثانيها _ : العوض ، و هو النفع الذى يستحق ولكن لاعلى سبيل التعظيم والاجلال ، وهو يستحق على الله ويصل للمكلف وغيره كعوض على ايلامهم .

ثالثها _ : الثواب و هو النفع المستحق على الله تعالى على سبيل التعظيم والاجلال ، ولا يكون الاّ للمكلفين كثمرة للتكليف حسب استحقاقهم .

وقالوا إلاّ قليل منهم : انّ بدء التكليف تفضل من الله تعالى له ان يفعله أو لا يفعله .

فالكائنات كلها خلقت لمنفعة الانسان ، وقد خلقه الله بقصد نفعه ، وخالفتهم الطائفتان الاخيرتان فى بعض ما ذهب اليه الاوّلون ، وما رأيت لذكر الخلاف فائدة وللاختصار .

فالتكليف هو العلة من خلق الانسان وبالتالى من خلق العالم كله بما فيه من حيوان وجماد _ ولانعنى بالعلة ، العة الموجبة بمعنى انها توجب الفعل على الفاعل لامحالة بل نعنى بها وجه الحكمة الذى حسن له الفعل أوالخلق ، وهوهنا قصد النفع للاحياء عموماً ، و التعريف للثواب للمكلفين خاصة _ لانّ خلق الله للانسان على هذه الصورة كان بقصد تكليفه ، ولما كان قصد التكليف لا يتحقق الاّ بخلق العالم . فقد خلقه الله لذلك .

وخالف فى ذلك الاشاعرة : فقالت : انّ القول بالعلة أوالغرضية فى أفعاله تعالى نوع من التقييد لسلطته ، فما دام الله عالماً بعلم قديم فليس من حاجة لاشتراط العلة فى أفعاله وإنما تشترط العلة بالغرضية فى فعل الانسان الذى لا يبلغ حد الكمال المطلق ، فلا مجال للبحث عن الغرض والعلة من خلق الانسان أو العالم .

فقال بعضهم : خلق الله الخلق لانّ الامر أمره والملك ملكه لا لينفعهم ولا

ليضرّهم ولا لوجه يخرج به عن كونه عبثاً .

وقال منهم : خلقه لاظهار قوته وقدرته ، ولذلك فقد خلق بعض الخلق للنار وبعضهم للجنة .

وذهب بعض فلاسفة الاسلام إلى أنّ الخلق لا لغرض أعلى من صدوره لغرض لما فيه من إحتمال النقص .

وأنكر بعض الحكماء والمتكلمين: قول من زعم : انّ الله سبحانه خلق العالم لا لحكمة أو علّة أو من ظنّ ، انّ الخلق بلا غرض أعلى وأسمى من الخلق لغرض ، فقالوا : إنّ العكس هو الصحيح فانّ الخلق بلا غرض هو الذى يدلّ على النقص ، وقد خلق الله تعالى العالم لعلّة ليست هى مجرّد خلقه له كما يقول متقدّموا الاشاعرة وإنّما خلقه بقصد النفع .

فالله تعالى حكيم لا يصح عليه العبث ، وخلقه للعالم دون حكمة أو علّة نوع من العبث ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

ولا بدّ لنا فى المقام من البحث فى امور :

١ ـ حقيقة التكليف أو ماهيته .

٢ ـ حقيقة المكلف الحكيم وصفته .

٣ ـ صفة المكلّف والشروط الّتى يحسن معها تكليفه .

٤ ـ ما يتناوله التكليف من أنواع الفعل والترك أو موضوع التكليف .

٥ ـ ثمرة التكليف أو ما يراد لاجله .

أما الاول : فالتكليف لغة هو البحث على ما يشق من فعل أو ترك ، واصطلاحاً هو اعلام الغير فى ان له فى أن يفعل أولا يفعل أو لا يفعل نفعاً أو دفع ضرر مع مشقة تلحقه فى ذلك على شكل لا يبلغ حد الالجاء والحرج .

فيقترب المعنى اللغوى من المعنى الاصطلاحى ، فالله تعالى بمقتضى هذا المعنى يبعث على ما قدر فى العقل من الواجبات والمندوبات وترك المقبحات ، وفى الشرع يبعث على ما طلبه من الافعال أو الاخلال بها .

وأما الثاني : فان الله جل وعلا وحده هو الذى يصح منه التكليف وذلك لان عناصر التكليف التى تتألف من الاعلام والتمكين والاقدار لا تكون إلا من الله الذى يستطيع أن يخلق الانسان قادراً حياً متمكناً من فعل ما كلف به ، كما يقدر على أن يجازيه على فعل ما كلفه بما يستحقه فيحسن منه التكليف ، لانه يعرّض المكلف لمنافع عظيمة وثواب كبير لا يتاح له الا بالتكليف .

قال الله تعالى : « لا يكلف الله نفساً الا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسراً » الطلاق : ٧) .

ومن صفة المكلف الحكيم أن يكون عالماً بحصول شروط التكليف فى المكلف وأن يكون مريداً للثواب والجزاء وأن يكون عالماً بأنه سيوفره على المستحق وقادراً على أن يجزيه به ، وأن يعلم المكلف بما كلفه به بنصب الادلة

قال الله تعالى : « انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده ـ رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » النساء : ١٦٣ ـ ١٦٥) .

وأما الثالث: فأصناف المكلفين تشمل الملائكة والانس والجن .

قال الله تعالى: « يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون » النحل: ٥٠)

وقال : « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » الذاريات : ٥٦)

والشروط التى يحسن معها التكليف امور تجمعها القدرة على فعل ما كلف به ، او تركه مع زوال الموانع المعتبرة شرعاً عن المكلف وعلمه بما كلف به

وأما الرابع: فالتكليف عقلى وشرعى وقيل : ان التكليف العقلى سابق على التكليف الشرعى فالشرع يقوم على العقل والنظر هو الذى يؤدى الى معرفة الله تعالى وعدله وتوحيده ، ومن ثم نعلم صحة التكاليف الشرعية ويترتب الواجب علينا بفعلها .

واعلم : أن تصرفات الانسان فى ضوء التكليف تنقسم إلى قسمين :

أحدهما ـ ما يدخل منها تحت التكليف من الفعل والترك وهو نوعان : فعل

وترك . والفعل نوعان: علم وعمل.

ثانيهما ـ : ما لا يدخل تحت التكليف .

أمّا ما كلفناه من علوم فانّ اقلّه أن يعرف المكلف الله تعالى بعدله وتوحيده وأن يعرف إستحقاق الثواب لانّ هذه المعرفة تساعده على فعل الطاعة وترك المعصية.

وقد استقرّ التكليف بالعلوم على الاقسام التالية: ١ـ العلم بالمكلف وتوحيده ٢ـ العلم بعدله وحكمته. ٣ـ العلم بالثواب والعقاب ووجوبهما. ٤ـ العلم بالافعال التى كلّفها المرء فعلا أو تركاً لانها هى المطلوب بالتكليف .

وانّ العلوم الثلاثة الاولى فى الحقيقة مقدّمة للقسم الاخير الذى هو الغاية من التكليف وترتيب هذه العلوم فى المعرفة يعتمد على أساس حاجة كلّ علم منها إلى الاخر فيكون العلم بالمكلف أوّلا ويقوم عليه العلم بعدله ثم يكون العلم بالثواب والعقاب ووجوبهما ، وأخيراً العلم بالافعال وصفاتها ووجوبها عقلا ونقلا .

وأما الخامس : فانّ الغرض بالتكليف هو التعريض للثواب و إستحقاق المكلف له على فعله .



﴿ الخلق و المعرفة ﴾

وقد ورد انّ نبياً من أنبياء الله تعالى قال في مناجاته مع ربّه : «يارب لم خلقت الخلق بعد أن لم تكن خلقته ؟ فقال له ربّه على سبيل الرمز : كنت كنزاً مخفياً من الخيرات والفضائل ولما كن أعرف فأردت أن أعرف » .

معناه لو لم أخلق الخلق لخفيت هذه الخيرات والفضائل الّتي أفضتها وأظهرتها من عجائب خلقي و مصنوعاتي المحكمات التي كلّت الالسن عن البلوغ إلى كنه صفاتها وحارت العقول عن كنه معرفتها بحقائقها فضلا عن معرفة كنه خالقها وصانعها.

وقد سبق آنفاً انّ ما كلفناه من علوم فأقلّه أن يعرف المكلف الله تعالى بعدله وتوحيده ليعبده وحده ، ومن هنا فسّر أكثر المفسرين العبادة في قوله تعالى «ليعبدون» بالمعرفة من إطلاق السبب على المسبب ، وانّ الله تعالى ماخلق الخلق إلا ليعرفوه فاذا عرفوه عبدوه فالعبادة موقوفة على المعرفة إجمالا ، فانّ العبادة هي نصب العبد نفسه في مقام الذلّة والعبودية للمعبود فلابدّ من معرفته قبلها وإن كانت المعرفة حصيلة العبادة تفصيلا إذ قال تعالى : « واعبد ربّك حتى يأتيك اليقين » الحجر : ٩٩) .

في تحف العقول: عن الامام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال : لايقبل عمل إلا بمعرفة ، ولامعرفة إلاّ بعمل، ومن عرف دلّته معرفته على العمل ومن لم يعرف فلا عمل له .

واختلف بين المسلمين في المعرفة بالله تعالى هل هي إكتسابيّة أو ضرورية إلجائيّة فذهب إلى كل طائفة وذهب الشيعة الامامية الاثنى عشرية إلى ما هو المتعيّن

من الآيات القرآنية و الروايات الواردة عن طريق أهل بيت الوحى صلوات الله عليهم أجمعين .

وفى التوحيد : باسناده عن عبدالرحيم القصير قال : كتبت على يدى عبدالملك بن أعين فسئلته عن المعرفة والجحود أهما مخلوقتان ؟ فكتب عليه السلام : سئلت عن المعرفة ماهى؟ فاعلم رحمك الله انّ المعرفة من صنع الله عزوجل فى القلب مخلوقة والجحود صنع الله فى القلب مخلوق وليس للعباد فيهما من صنع ولهم فيهما الاختيار من الاكتساب فبشهوتهم الايمان اختاروا المعرفة فكانوا بذلك مؤمنين عارفين ، وبشهوتهم الكفر إختاروا الجحود فكانوا بذلك كافرين جاحدين ضلّالا ، وذلك بتوفيق الله لهم وخذلان من خذله الله ، فبالاختبار والاكتساب عاقبهم الله وأثابهم .

أقول: إنّ الرواية فى معنى قوله تعالى: « ونفس وماسوّاها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكّيها وقد خاب من دسّيها » الشمس : ٧ ـ ١٠) .

وقوله سبحانه : « وهديناه النجدين » البلد : ١٠) .

وقوله جل وعلا : « إنّا هديناه السبيل إمّا شاكراً وإمّا كفوراً » الانسان: ٢).

ولامرية انّ الطريق إلى معرفة شيء لابدّ من أحد امور تالية :

أحدها ـ : العلم الضرورى الذى يحصل للنفس بأدنى التفات الى الشيء فيضطر الى معرفته بحيث لا تستطيع دفعه ، كالعلم بزوجيّة الاربع ، والعلم بأن الواحد نصف الاثنين وانّ الجسم الواحد لايمكن أن يكون فى آن واحد وحال واحدة فى مكانين ، وانّ الشيء لا يخلو من أن يكون ثابتاً أو منفياً ، وما اليها مما يعرف بالبداهة لكونه مركوزاً فى أوائل العقول .

ثانيها ـ : العلم بشيء من ناحية الادراك بعد حصول شرائطه وارتفاع اللبس والمانع ، كالمدركات بالحواس الخمس .

ثالثها ـ : العلم بشيء بسبب الاخبار المفيدة لليقين ، كالعلم بالبلدان وأخبار الملوك والامم السالفة وما إليها من الامور الغائبة عنّا والمعلومة لنا بسبب تلك الاخبار .

رابعها ـ : العلم الحاصل بالنظر والاستدلال وترتيب المفدمات الموصلة الى

النتائج فى سبيل تعرف الاشياء المجهولة .

والمعرفة بالله تعالى لا تحصل من طريق الاوّل ، لانّ ما سبيله الضرورة والبداهة لا يختلف فيه العقلاء لما نراهم غير مختلفين فى البديهيات ونراهم مختلفين فى معرفة الله جلّ وعلا من كل امّة فى كل عصر وفى كل وقت ، وهى غير حاصلة من طريق الثانى أيضاً ، لانها غير ممكنة الادراك من طريق الحواس المعروفة .

وليس الخبر أيضاً طريقاً الى المعرفة ، لانّ الّذى يفيد القطع من الاخبار ما هو ينتهى بالاخرة الى الادراك والمشاهدة ، وما سوى ذلك لا يفيد العلم لسامعيه كما لا يحصل العلم بحقيقة الديانة الاسلامية وبصدق نبوّة محمد رسول الله ﷺ لغير المسلمين مع أنّ جميع المسلمين يخبرونهم بذلك .

وكذلك جميع الموحدين من أهل الديانات يخبرون أهل الزندقة والالحاد بوحدانية الله تعالى وبحدوث العالم ، وبغير ذلك ولا يحصل لهم العلم بمجرد اخبارهم .

فاذا لم يمكن تحصيل المعرفة بالامور الثلاثة الاولى فلايبقى إلاّ أن تكون من طريق الاكتساب وسبيل النظر والاستدلال ، ولهذا قال محققوا المتكلّمين : إنّ النظر أوّل الواجبات على المكلّفين .

وإنّ الايات الكريمة تحثّ الانسان على النظر والتعقل والتفكّر والاستدلال فى المعرفة بالله تعالى وتوحيده وكمال قدرته وعلمه وغاية حكمته .

قال الله تعالى : « أولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيىء » الاعراف : ١٨٥) .

وقال : « أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيّنّاها وما لها من فروج والارض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب » ق : ٦ ـ ٨) .

وقال : « قل سيروا فى الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشىء النشأة الاخرة إنّ الله على كلّ شىء قدير » العنكبوت : ٢٠) .

وقال : « الله الّذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش

وسخّر الشمس والقمر كلّ يجرى لاجل مسمّى يدبّر الامر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون وهو الّذى مدّ الارض وجعل فيها رواسى و أنهاراً و من كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار انّ فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون وفى الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد و نفضّل بعضها على بعض فى الاكل انّ فى ذلك لآيات لقوم يعقلون » الرعد : ٢ـ٤) .

وقال: « وما ذرأ لكم فى الارض مختلفاً ألوانه ان فى ذلك لآية لقوم يذّكرون» النحل : ١٣) .

وقال : « وانّ لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث و دم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً انّ فى ذلك لآية لقوم يعقلون وأوحى ربك الى النحل أن اتّخذى من الجبال بيوتاً ومن الشّجر ومما يعرشون ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس انّ فى ذلك لآية لقوم يتفكّرون » النحل : ٦٦ ــ ٦٩) .

وقال: « الله يتوفّى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت و يرسل الاخرى الى أجل مسمّى انّ فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » الزمر: ٤٢) .

وقال : « الله الذى سخّر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وسخّر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعاً منه انّ فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » الجاثية : ١٢ـ١٣) .

وقال : « أولم يروا انّ الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انّ فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون » الروم : ٣٨) .

وقال : « أولم يروا انّ الله الذى خلق السموات والارض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلا لاريب فيه » الاسراء : ٩٩) .

وغيرها من الآيات القرآنية ، فتدبر واغتنم جداً .

وفي التوحيد : سئل عمران الصابي على الرضا عليه السلام اذ قال : فبأي شيء عرفناه ؟

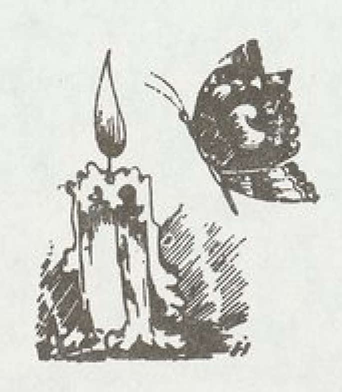
قال الامام عليه السلام : بغيره قال عمران : فأي شيء غيره ؟ قال عليه السلام : مشيته واسمه وصفته وما أشبه ذلك وكل ذلك محدث مخلوق مدبر . الخبر . .

أقول : قوله عليه السلام « مشيته » الحادثة حين خلق الخلق ويخلق .

« واسمه » أي آيته في الافاق والانفس وهذا معنى قوله عليه السلام : «بك عرفتك وأنت دللتني عليك ودعوتني اليك ولو لا أنت لم أدر ما أنت » ، « وصفته » الفعلية كالخلق والرزق .

وفي الحديث القدسي : قال الله تعالى : « خلقت الاشياء لاجلك وخلقتك لأجلي » .

فان الله تعالى لم يخلقنا الا لاجل أن نعرفه ونزداد معرفة به يوماً بعد يوم .



« الخلق والحاجة »

فى أمالى الشيخ الطوسى قدس سره : باسناده عن إسحق بن اسمعيل النيسابورى عن الصادق عن آبائه عليهم السلام عن الحسن بن على عليه السلام قال : انّ الله عزوجل بمنّه ورحمته لمّا فرض عليكم الفرائض لم يفرض ذلك عليكم لحاجة منه اليه بل رحمة منه ، لا اله الا هو ليميز الخبيث من الطيّب وليبتلى ما فى صدوركم وليمحّص ما فى قلوبكم ولتتسابقوا الى رحمته ولتتفاضل منازلكم فى جنّته . الخبر . .

وفى نهج البلاغة : قال الامام علىّ عليه السلام : « يقول الله تعالى : يابن آدم لم أخلقك لاربح عليك انما خلقتك لتربح علىّ ، فاتخذنى بدلا من كل شيء فانى ناصر لك من كل شيء » .

وفيه : فى موضع آخر قال عليه السلام : « لم يخلق الخلق باحتيال ولا استعان بهم لكلال » ، أى لم يخلقهم بحيلة توصل بها الى ايجادهم ، بل أوجدهم حسب علمه تعالى بالمصلحة خلقاً مخترعاً ، ولا استعان بهم لاعياء ، أى لم يأمر المكلفين بالجهاد لحاجته فى قهر أعداءه وجاحدى نعمته اليهم ، فليس بكالّ ولاعاجز ولكن الحكمة اقتضت ذلك .

قال الله تعالى : « ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض » **البقرة : ٢٥١)**

وقال : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدّمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرنّ الله من ينصره انّ الله لقوى عزيز »

الحج: ٤٠) وذلك لحكمة التكليف وإلا لبطل.

وفي التوحيد: في إحتجاج الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام على أرباب الملل المختلفة والاديان المتشتة بمجاس مأمون ومنهم عمران الصابي ـ قال عليه السلام :

واعلم ياعمران ! انّه لو كان خلق ماخلق لحاجة لم يخلق إلامن يستعين به على حاجته ولكان ينبغي أن يخلق أضعاف ماخلق لانّ الاعوان كلّما كثروا كان صاحبهم أقوى والحاجة ياعمران لايسعها لانّه لم يحدث من الخلق شيئاً إلاّ حدثت فيه حاجة اخرى ولذلك أقول : لم يخلق الخلق لحاجة ولكن نقل بالخلق الحوائج بعضهم إلى بعض وفضّل بعضهم على بعض بلاحاجة منه إلى من فضّل ، ولا نقمة منه على من أذلّ . فلهذا خلق . الخبر . .

ومن غير خفيّ على القارىء الخبير انّ الغاية التي خلق الله تعالى لها الانسان لتتناسب مع الخالق جلّ وعلا ، فهي غاية رفيعة سامية ، غاية يريدبها تكميل النفوس وتقريبها إلى الله سبحانه ، غاية يريدبها إختبار المكلفين في هذه الفترة الزمنيّة في هذه الحياة الدنيا .

ومن المكلفين هو هذا الانسان يخاطب الله جل وعلا لهم في قوله: «الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيّكم أحسن عملا » الملك : ٢) .

وقوله: « كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون» الانبياء : ٣٥) .

ويشير اليهم بقوله تعالى: «إنّا جعلنا ماعلى الارض لها لنبلوهم أيّهم أحسن عملا » الكهف ٧) .:

انّ الله تعالى قد وصف في كثير من الآيات الكريمة بالرحمة إذ قال : « كتب ربكم على نفسه الرحمة ـ وربك الغنيّ ذو الرّحمة » الانعام : ٥٤ ـ ١٣٣) .

وقال : « فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الارض بعد موتها » الروم: ٥٠).

وقال: « ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله » القصص : ٧٣) .

وقال : «ورحمتى وسعت كل شيء» الاعراف : ١٥٦) .

وقال : « ولذلك خلقهم » هود ١١٩) أى للرحمة .

ولعمرى لوعلم الانسان مايبلغ اليه من مراتب رفيعة وقدسيّة فائقة ومقامات تفوق مقام الملائكة المقربين بالعبادة والائتمار بأوامر الله تعالى والانتهاء عن نواهيه ليعلم انّ الله تعالى برحمته خلق الانسان ولايصال رحمته الى الانسان كلّفهم ، من غير حاجة منه سبحانه فى خلق الانسان ولا فى تكليفه .

فقد خلقنا للعبادة و كلّفنا للطاعة وذلك لانّه بالعبادة تخشع النفس وتتطّهر مما ألمّ بها من دنس ورجس فتكون قمينة بأن تحلّ فيها معرفة الله تعالى .

وذلك لانّ معرفة الله جل وعلا لاتكون من نصيب النفوس التى مائت جوراً ونفاقاً ملئت رجساً ودنساً، معرفة الله تعالى بحاجة الى صقع زكى نقى لا كدر فيه ولا فساد .

فالعبادة تأخذ بهذه النفس فتصقلها وتذهب بمابها من إدران وعندئذ تتجلى فيها المعارف الالهيّة .

وما ارسال الرسل إلا لتحقيق هذه المعرفة معرفة الله تعالى وتركيز الحبّ الالهى فى النفوس .

قال الله تعالى : « ولقد بعثنا فى كل امّة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت » النحل : ٣٦) .

وقال: « وما أرسلنا من قبلك من رسول الاّ نوحى اليه انه لااله الاّ أنا فاعبدون» الانبياء : ٢٥) .

وانّ المعرفة الحقيقية والعلم اليقين والمعارف الالهيّة لاتحصل الاّ نتيجة العبادة والطاعة لله تعالى، قال: «واعبد ربك حتّى يأتيك اليقين » الحجر : ٩٩) .

وانّ العبادة بكل خشوع لها آثارها فى النفوس وفى المجتمع البشرى وابلاغها أسمى مراتب الكمال ، وبدرجة هذا الكمال تتجلّى المعارف الالهيّة فى النفوس والمجتمع وتتحقّق سرّ الخلق وتظهر علة وجودنا فى هذه الحياة الدنيا .

فعلى الانسان أن يتقدّم فى معرفة الله تعالى وأن يعمل فى تقوية هذه المعرفة والبلوغ إلى الغاية الّتى خلق لاجلها .

وفى الحديث القدسى قال الله تعالى : « كنت كنزاً مخفيّاً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكى اعرف » ، وانّ معرفة الله تعالى تجرّ بالفرد الى جنة عرضها السموات والارض .

قال تعالى: « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنّة عرضها السموات والارض اعدّت للمتقين » آل عمران : ١٣٣) .

وقال : « سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنّة عرضها كعرض السماء والارض اعدّت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم» الحديد : ٢١) .

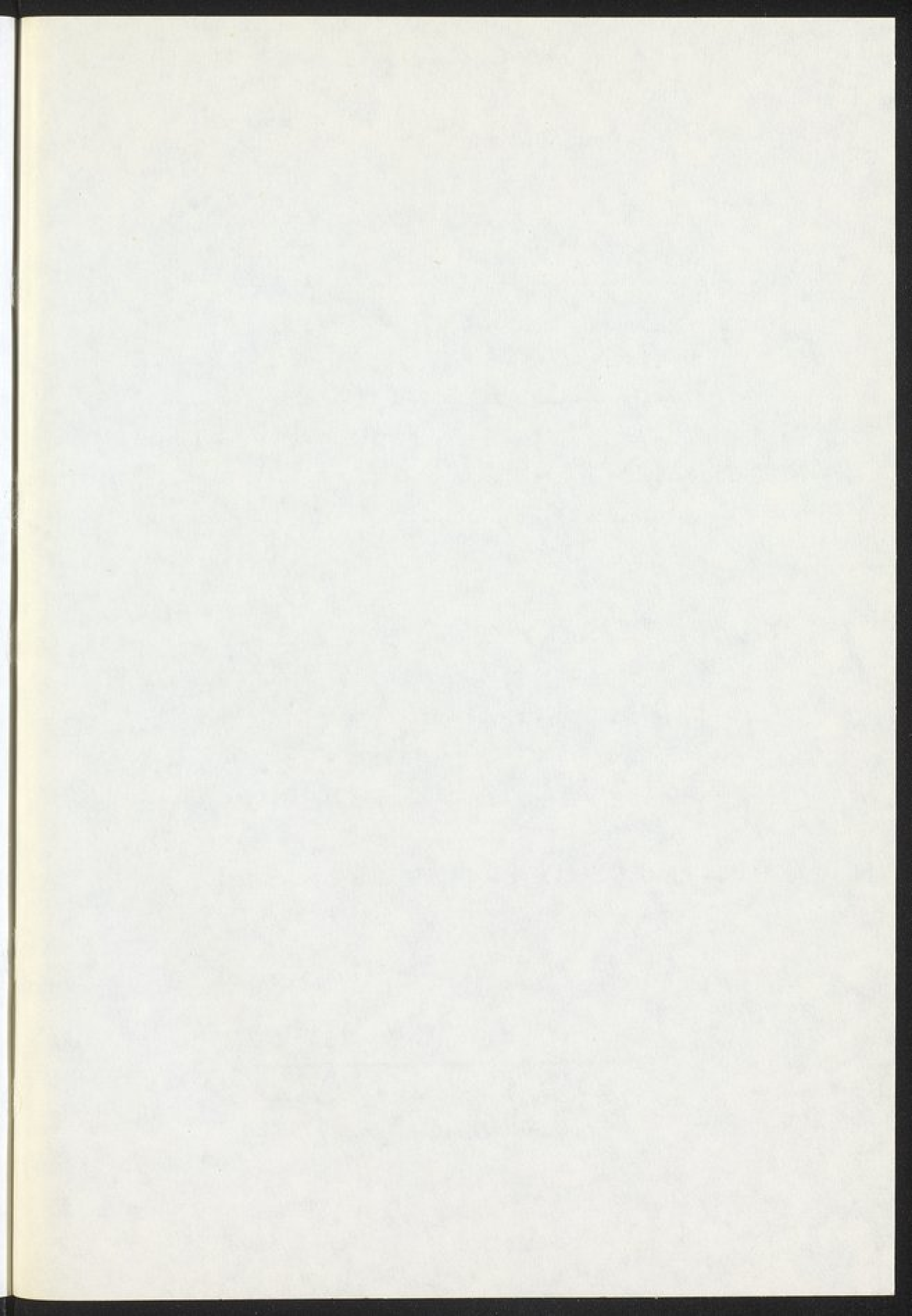
فى نهج البلاغة : قال الامام على عليه السلام : « فاتقوا الله عباد الله جهة ما خلقكم له واحذروا منه كنه ما حذّركم من نفسه واستحقّوا منه ما أعدّ لكم بالتنجّز لصدق ميعاده والحذر من هول معاده » .

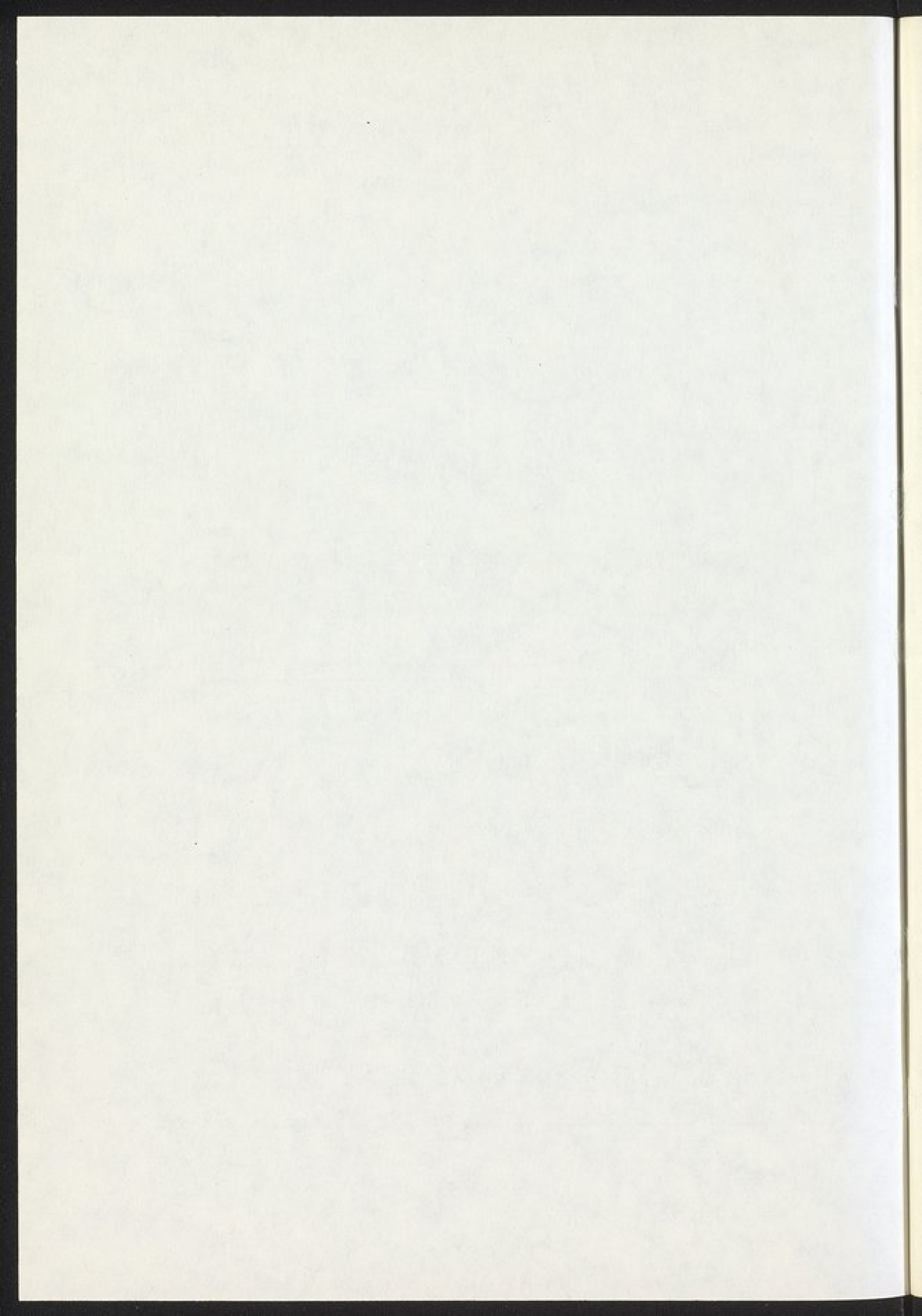
أقول : «قوله عليه السلام : «جهة» منصوب بفعل مقدرأى واقصدوا جهة ما خلقكم لاجله وهي العبادة . وقوله عليه السلام : « كنه» : غاية ونهاية . وقوله عليه السلام : « واستحقوا منه ما اعدّ لكم» أى اجعلوا أنفسكم مستحقين لثوابه الذى اعدّه لكم إن أطعتم . «بالتنجز» : بالمواظبة على فعل الواجب وتجنّب القبيح .

وبالجملة وجدنا من رحمته ونشأنا برحمته وبالعبادة نرجع الى رحمته .

تمت سورة الذاريات والحمد لله رب العالمين

وصلى الله على محمد وآله المعصومين







سورة الطور مكية وآياتها تسع وأربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والطور ① وكتاب مسطور ② في رق منشور ③ والبيت المعمور ④ والسقف المرفوع ⑤
والبحر المسجور ⑥ إن عذاب ربك لواقع ⑦ ما له من دافع ⑧ يوم تمور السماء مورا ⑨ وتسير
الجبال سيرا ⑩ فويل يومئذ للمكذبين ⑪ الذين هم في خوض يلعبون ⑫ يوم يدعون إلى
نار جهنم دعا ⑬ هذه النار التي كنتم بها تكذبون ⑭ أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون ⑮
اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم إنما تجزون ما كنتم تعملون ⑯ إن المتقين في جنات
ونعيم ⑰ فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم ⑱ كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم
تعملون ⑲ متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين ⑳ والذين آمنوا واتبعتهم

ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ
٢١ وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ٢٢ يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ٢٣
وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ٢٤ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ٢٥ قَالُوا إِنَّا
كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ٢٦ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ٢٧ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ
الْبَرُّ الرَّحِيمُ ٢٨ فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ٢٩ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ
الْمَنُونِ ٣٠ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ٣١ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ٣٢
أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ٣٣ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ٣٤ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ
شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ٣٥ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ٣٦ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ
الْمُصَيْطِرُونَ ٣٧ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ٣٨ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ
وَلَكُمُ الْبَنُونَ ٣٩ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ٤٠ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ٤١ أَمْ
يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ٤٢ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ
٤٣ وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ٤٤ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ
يُصْعَقُونَ ٤٥ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ٤٦ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا
دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٤٧ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ
بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ٤٨ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ٤٩

« فضلها وخواصها »

روى الصدوق قدس سره في ثواب الاعمال : باسناده عن محمد بن مسلم عن أبي عبدالله وأبي جعفر عليهما السلام قالا : من قرأ سورة « الطّور » جمع الله له خير الدّنيا والاخرة .

أقول: رواه البحراني في البرهان والحويزي في نور الثقلين والمجلسي في البحار.

وفي المجمع : وروى محمد بن هشام عن أبي جعفر عليه السلام قال : من قرأ سورة « الطور » جمع الله له خير الدّنيا والاخرة .

أقول: وذلك لانّ من قرأها متدبّراً فيها وعلم مصائر الكفار المجرمين ومصائر الابرار المتقين يوم القيامة جزاء بماكانوا يعملون في الحياة الدنيا فاتقى وأصلح فقد وعده الله تعالى في كتابه بخير الدنيا والاخرة .

إذ قال : « فمن اتّقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ـ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ـ فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة وهم بآياتنا يؤمنون » الاعراف : ٣٥ ـ ٩٦ ـ ١٥٦) .

وفي المجمع: ابيّ بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال : من قرأ سورة «الطور» كان حقاً على الله أن يؤمنه من عذابه وأن ينعمه في جنّته .

أقول: انّ الرواية مردودة عند الشيعة الاماميّة الاثنى عشرية سنداً لمكان أبيّ ثبت خلافه ولكنها مقبولة دلالة لمساسها بما تحتويه السورة .

وفيه: عن جبير بن مطعم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقرأ بالطور في المغرب.

وفي رواية : كان سماعه هذه الاية من جملة ما حمله على الدخول في الاسلام.

وفي البرهان : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من أدمن قرائتها وهو مسجون أو مقيّد سهّل الله عليه خروجه .

أقول: ومن غير بعيد أن يكون من خواصّ السّورة ما جاء في هذه الرواية والله تعالى هو أعلم .

﴿ الغرض ﴾

غرض السّورة تأكيد لما يوعد به المكذّبون من الجزاء والعذاب لا يستطيع أحد أن يدفعه عنهم بطريق أقسام ربّانية ببعض الاشياء العظيمة والمشاهد المباركة والاماكن الجليلة .

مع التقرير لزمن وقوع الجزاء على سبيل الانذار ، وإثارة الخوف في المكذبين وحملهم على الارعواء .

والبيان لمصائر الكفار المكذبين وموقف الابرار المتقين يوم القيامة جزاء بما كانوا يعملون في الحياة الدنيا .

تفريعاً عليها بمهمة الرسالة وإستمرار الرسول صلى الله عليه وآله فيها وتقديسه صلى الله عليه وآله عن الكهانة والجنون والشعر على سبيل الحكاية لما كان يقول الكفار في النبي الكريم صلى الله عليه وآله وبأسئلة استنكاريّة مكرّرة عن موقفهم وأقوالهم وتحدّ لهم شديداً بعقائدهم وإعتدادهم وتهكّم بهم .

وتقرير لعجزهم وإفكهم و كذبهم وتصوير لشدّة عنادهم وبخاصّة زعمائهم .

وفي ختامها أمر للنبي صلى الله عليه وآله بأن لا يغتمّ بموقفهم ، وانه صلى الله عليه وآله في حماية الله جل وعلا وحثّه على الصبر والثبات على ما هو صلى الله عليه وآله عليه من مهمته ومن الحمد والتسبيح لله تعالى في جميع أوقاته وحركاته وظروفه ليلا ونهاراً صباحاً ومساء .

﴿ النزول ﴾

سورة الطور مكيّة ، نزلت بعد سورة السجدة وقبل سورة الملك ، وهي السورة السادسة والسبعون نزولا والثانية والخمسون مصحفاً .

وتشتمل على تسع وأربعين آية سبقت عليها ٤١٤٣ آية نزولا و ٤٧٣٥ آية مصحفاً على التحقيق .

ومشتملة على ١٥٠٠ حرفاً و ٣١٢ كلمة على ما في بعض التفاسير .

في شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي باسناده عن إبن عباس في قوله تعالى : « والذين آمنوا واتبعتهم ذرّيتهم » الاية ، قال : نزلت في النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام .

وفي الرياض النضرة للطبري : أخرج علي بن نعيم البصري قال : قال ابن عمر : عليّ من أهل البيت لايقاس بهم أحد ، عليّ مع رسول الله صلى الله عليه وآله في درجته ، انّ الله عزّ وجل يقول : « والذين آمنوا واتبعتهم ذرّيتهم بايمان ألحقنا بهم ذرّيتهم » فاطمة مع رسول الله صلى الله عليه وآله في درجته وعليّ مع فاطمة .

وفي أمالي الصدوق رحمة الله تعالى عليه : باسناده عن محمد بن مسلم قال : سمعت أباجعفر وجعفر بن محمد عليهما السلام يقولان : إنّ الله تعالى عوّض الحسين عليه السلام من قتله أن جعل الامامة في ذرّيّته والشّفاء في تربته واجابة الدعاء عند قبره ولاتعدّ أيّام زائريه جائياً وراجعاً من عمره .

قال محمد بن مسلم : فقلت لابي عبدالله عليه السلام : هذه الخلال تنال بالحسين عليه السلام فماله من نفسه ؟ قال : انّ الله تعالى ألحقه بالنبيّ فكان معه في درجته ومنزلته

ثم تلا أبو عبدالله عليه السلام: «والذين آمنوا واتبعتهم ذرّيتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم» الاية.

وفي رواية : إنّ قريشاً اجتمعت في دار الندوة وذهبت مذاهب شتى في صدّ دعوته صلى الله عليه وآله ومقابلة هذا الخطر الداهم عليهم ، ومـاذا يفعلون في الخلاص منه ، فقال قائل من بني عبد الدار : تربّصوا به ريب المنون فانه شاعر وسيهلك كما هلك زهير والنابغة والاعشى ، ثـم افترقوا على هذه المقـالة فنزل قوله تعالى : «أم يقولون شاعر نتربّص به ريب المنون» .

وخلاصة هذا ـ انا نبتعد عن ايذائه ونتّقي لسانه مخافة أن يغلبنا بقوة شعره وانما سبيلنا معه أن نصبر عليه ونتربّص موته كما مات الشعراء من قبله .

﴿ القراءة ﴾

قرء أبو عمرو «واتبعناهم» بالنون والالف ، وقطع الهمزة من باب الافعـال و «ذرّيّاتهم» علـى الجمع منصوباً ، والباقون «اتبعتهم» مـن باب الافتعال بتاء التأنيث للغيبة ، وقرء أبو جعفر ونافع «ذرياتهم» على الجمع برفع الاولى ونصب الثانية ، وقرء إبن عامر «ذريتهم» الاول بالافراد مرفوعاً والثاني منصوباً بالجمع وقرء الباقون على التوحيد فيهما برفع الاول ونصب الثاني .

وقرء إبن كثير «ألتناهم» بكسر اللام ثلاثيـاً والباقون بفتحها ، وقرء أبـو جعفر ونافع «انّه هو البر الرحيم» بفتح الهمزة على تقدير لانّه والباقون بكسرها على الاستيناف وقطع الكلام عما قبله .

وقرء إبن كثير وإبن عامر «المسيطرون» بالسين والباقون بالصـاد ، وقرء عاصم وابن عامر «يصعقون» مبنـيّاً للمفعول والباقون مبنـيّاً للفاعل .

﴿ الوقف والوصل ﴾

« والطور لاـ المسجور لا » لجواب القسم « لواقع لا » للحال أو الصفة الآتية « دافع » لظرف الوقوع « مورا لا » للعطف « سيرا ط » « للمكذّبين لا » للصفة الآتية « يلعبون م » « دعّا ط » على تقدير يقال لهم : هذه النار « نعيم لا » للحال « ربهم ج» لاحتمال العطف واتّضاح وجه الحال أى وقد وقاهم « تعلمون لا »للحال « مصفوفة ج » لاحتمال العطف والاستيناف « ندعوه ط » لمن قرأ « انه هو البر الرحيم » بالكسر « مجنون ط » لانّ أم إبتداء استفهام وتوبيخ « المتربصين ط » لماتقدم« طاغون ج »لاحتمال ابتداءالاستفهام والجواب بقوله : « بل لايؤمنون ج» للاية مع الفاء « صادقين ط» لما سبق « الخالقون ط» كذلك « والارض ج» لانّ بل للاضراب مع العطف « لايوقنون ط » لما تقدم « المصيطرون ط » كذلك « فيه ج » لتناهى الاستفهام مع فاءالتعقيب « مبين ط » « البنون ط » « مثقلون ط » « يكتبون ط » كل ذلك لما سبق « كيدا ط » لتمام الكلام « غير الله ط » لتمام الكلام « يصعقون لا » لظرف الوقوع على طريق البدل « ينصرون ط » لتمام الكلام « تقوم لا » للعطف .

﴿ اللغة ﴾

٣٢ - الطور - ٩٤٩

طار يطور طوراً وطوراناً - من باب نصر - : حام وقرب .

يقال : أنا لا اطور بفلان ، أى لا احوم حوله ولا أدنو منه .

وفى حديث : قال الامام على عليه السلام : « والله لا أطور به ما سمر سمير » أى لا أقرب منه أبداً .

الطور : الحدّ بين الشيئين ، يقال: بلغ فلان فى العلم أطوريه أى حدّيه : أوّله وآخره .

و من المادّة : الامتداد فى كل شيء من مكان أو زمان و إليه ترد معانى المادّة المختلفة .

وتعدى طوره أى جاوز الحدّ أصله من طوار الدار الذى يمتدّ معها من فنائها مساوياً لها ، ومنه أخذت مجاوزة الحد فى غير المادى ، ويقال : جاوز طوره، أى حوله التى يليق به .

الطوار : - بالكسر و الفتح - : ماكان على حد الشيء ، يقال : رأيت حبلا بطوار هذا الحائط أى بطوله ، وفى حديث النبيذ : « تعدّى طوره » أى جاوز حده وحاله الذى يخصّه ويحلّ فيه شربه .

الطور : التّارة والهيئة والحالة ، والجمع : الاطوار وهى الاحوال .

قال الله تعالى : « وقد خلقكم أطواراً » نوح : ١٤) أى أحوالا ، حالا بعد

حال ، أو خلقاً مختلفة .

قيل : تشير الآية إلى قوله تعالى: « خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة » غافر : ٦٧) .

وإلى قوله تعالى : « واختلاف ألسنتكم وألوانكم » الروم ٢٢) أي مختلفين في الخلق و الخلق .

يقال : أتيته طوراً بعد طور ، أي تارة بعد تارة ، يقال : الناس أطوار أي على حالات شتّى .

الطور : جبل بالشام قرب أيلة، وهو جبل كلّم الله تعالى عليه موسى عليه السلام في الارض المقدسة بمدين يضاف إلى سيناء وسنين ، قيل : الطور : الجبل معربة ليست عربية .

والذي في القرآن الكريم من المادة من الاعلام كطور سيناء و طور سنين والطور ان اريد به الجبل المعين وهي في مواضعها من معجم اعلام القرآن قال الله تعالى : « والطور » الطور : ١) .

وقال : « وشجرة تخرج من طورسيناء » المؤمنون: ٢٠) .

وقال : « وطورسنين » التين: ٢) .

وفي معاني الاخبار : معنى طور سيناء انه كان عليه شجرة الزيتون و كل جبل لايكون عليه شجرة الزيتون أو ما ينتفع به الناس من النبات أو الاشجار من الجبال فانه يسمّى جبلا وطوراً ولايقال : طورسيناء ولاطور سنين .

وفي المفردات : طوار الدار وأطواره ما امتد منها من البناء ، والطور اسم جبل مخصوص ، وقيل : اسم لكل جبل وقيل : هو جبل محيط بالارض .

٤٣ - السطر - ٧٠٢

سطر يسطر سطراً - من باب نصر - : خطّ وكتب ، والسطر : الصف من **الكتابة والشجر** ومن **القوم الوقوف** وغير ذلك .

وسطّر الشيء - من باب التفعيل - : صفّه وألّف الاساطير .

واسم المفعول - من الثلاثي - : مسطور .

قال الله تعالى : « و كتاب مسطور » الطور ٢) أى مكتوب أو مثبت محفوظ **وقال : « ن والقلم وما يسطرون »** القلم : ١) أى يكتبون . وقال : « و كل صغير **و كبير مستطر »** القمر : ٥٣) ، أى كلما هو كائن من الاجال والارزاق وغيرها **مكتوب** فى لوح المحفوظ .

الأساطير : جمع اسطار وإسطير واسطيرة وإسطورة وأسطور : وهى **الاحاديث** لا نظام لها ، أو الاباطيل أو هى جمع أسطر فهى جمع الجمع ، وهى ما سطره الاوّلون ، ويقال : سطّر فلان علينا أى جاء بأحاديث تشبه الباطل وزخرف لنا الاقاويل .

قال الله تعالى : « يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الاولين » الانعام : ٢٥).

اسطر فلان : أخطأ فى قرائته . السّطرة - بالضم - : الامنية يقال : « راجعت فلاناً ولم يساعد سطرتى » أى امنيتى .

المسطر - بالكسر - ما يخط به الكتاب ويسطر به .

سيطر على الشيء : تسلّط عليه ليتعهد أحواله ويشرف عليه فهو مسيطر .

وفى حديث الحسن : « سئله الاشعث عن شيء من القرآن فقال له : انك والله ما تسطّر علىّ شيء » أى ما تسلّط علىّ بشيء فيه .

وصيطر : هى سيطر بابدال السين صاداً لاجل التاء بعدها فهومصيطر وهم مصيطرون ، قال تعالى: « أم عندهم خزائن ربك أم هم المصيطرون » الطور: ٣٧).

وتسيطر وسوطر : راقب وتعهّد ، يقال : مالك سيطرت علينا وتسيطرت وما هذه السيطرة والمسيطر والمتسيطر : الرقيب الحافظ والمسلط على الشيء ليشرف عليه ويتعهد أحواله ويكتب عمله .

٥٧ - الرق - ٥٨٥

رقّ يرقّ رقّاً ورقّة فهو رقيق ورقاق - من باب ضرب - : لطف ضد غلظ وثخن وقوّى وشد ، ومنه : « كبرت سنّى ورقّ عظمى » .

الجلد الرقيق : ما يكتب فيه .

قال الله تعالى « فى رق منشور » الطور : ٣) .

رقّ الرجل : ساءت حاله وقلّ ماله ، ورق وجه الرجل : استحيى ، ورقّ للرجل : رحمه ، رق الشيء لطف ورقق الكلام : حسّنه وترقيق الكلام تحسينه .

الرق - بالكسر - مصدر وإسم من الاسترقاق للعبودية ومنه الرقة : الرحمة والاستحياء والدقة ورقّة العيش : سعته ونعمتد ورقة الجانب : كناية عن الضعف ، والرّق : الملك

الرقيق : المملوك للواحد ، والجمع يقال : عبد رقيق وعبيد رقيق والرق : جمع رقوق بالضم ، ورقاق بالكسر.

٧٠ - المور - ١٤٦٨

مار الشيء يمور موراً - من باب نصر - : تحرّك وذهب وجاء وتردّد في عرض كالداعضة في الركبة ، ويقال : البعير يمور عضداه إذا تردد في عرض جنبه .

ويقال : مارّ : تحرك بسرعة ، وتقول : مارت السحابة وجاء في الكتاب مور السماء والارض يوم القيامة وهو تحركهما ودورانهما وخروجهما عن الثبات والاستقرار .

قال الله تعالى : « يوم تمور السماء موراً » الطور : ٩).

ناقة موّارة اليد أي سهلة السير سريعة ، ومار الدم يمور موراً إذا جرى على وجه الارض ، والتموّر : المجيء والذهاب والتردد ، والتموّر أن يذهب الشعر يمنة ويسرة فلا يبقى .

في نهج البلاغة : قال الإمام علي عليه السلام : « كبس الارض على مور أمواج مستفحلة » .

في المفردات : المور : الجريان السريع ، ومار الدم على وجهه والمور التراب : المتردد به الريح .

وفي اللسان : المور - بالضم - : الغبار بالريح ، والمور : الغبار المتردد ، وقيل : التراب تثيره الرياح وقد مار موراً وامارته الريح ، **وريح موّارة** .

٦٢ ـ الخوض ـ ٤٥٠

خاض فى الماء يخوض خوضاً وخياضاً ـ من باب نصر ـ : مشى ودخل فيه و خاض الجواد فى الميدان : مرح .

وفى حديث الوضوء : « يخوض الرجل برجليه الماء خوضاً » أى يدخلهما فى الماء ماشياً ، وخاضوا فى الحديث : « تفاوضوا فيه » .

ومن المجاز فلان يخوض فى الكلام : اذا تكلّم : فيه على غير هدى فهو خائض وهم خائضون .

وما جاء فى القرآن الكريم من هذه المادة عدا آيتين هو من المجاز المراد به التكلّم على غير هدى .

قال الله تعالى : « فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره » النساء:١٤٠) أى يتفاوضوا .

وقال « الذين هم فى خوض يلعبون » الطور : ١٢) .

والخوض من الكلام : ما فيه باطل ولغو وقد خاض فيه ، وأخاض القوم خيلهم الماء اذا خاضوا بها الماء .

فى المفردات : الخوض : هو الشروع فى الماء والمرور فيه ، ويستعار فى الامور وأكثر ما ورد فى القرآن ورد فيما يذمّ الشروع فيه .

وفى النهاية: أصل الخوض: المشى فى الماء وتحريكه ثم استعمل فى التلبس **بالامر والتصرف فيه : أى ربّ متصرّف فى مال الله تعالى بما لا يرضاه الله جل وعلا.**

٢٧ - اللعب - ١٣٤٦

لعب يلعب لعباً ولعباً - من باب علم ومنع -: أتى ما يتسلّى به وتطرب اليه نفسه.

قال الله تعالى: « أرسله معنا غداً يرتع ويلعب » يوسف : ١٢) أى يتسلّ ويفعل ما تطرب اليه نفسه ، اللعب : ضدّ الجد .

وقال تعالى : « الذين هم فى خوض يلعبون » الطور : ١٢) أى يهزلون غير جادين فى طريقنا .

لعب فى الامر: هزل ولم يسلك فيه مسلكاً جدّياً نافعاً .

ولعب فى الدين : استخفّ به ، ولعب بكذا : إتخذه لعبة ، ولعبت الرياح بالديار : تسلّطت عليها .

اللعب : العبث الّذى لا يجدى ، واللعب : تناول الامور فى عبث وعدم إهتمام ولعب الصبىّ : سال لعابه من فمه .

اللعبة - بالضم - : الشطرنج والنرد و كل ملعوب به فهو لعبة .

ومنه الحديث : « نساؤكم بمنزلة اللعب » .

ورجل تلعابة : كثير المزاح والمداعبة ، والملعبة : الاحمق الذى يسخر به .

فى المفردات: أصل الكلمة : اللعاب وهو البزاق السائل ، ولعب فلان إذا كان فعله غير قاصد به مقصداً صحيحاً يلعب لعباً ، قال : « وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب » .

٤٧ - الألت - ٤٧

ألتّه ماله وحقّه ، يألته ألتاً - من باب ضرب - : نقصه ، متعدّ ولازم ، يقال: ألت الشيء : إذا نقص .

قال الله تعالى : « وما ألتناهم من عملهم من شيء » الطور : ٢١) .

أى مانقصناهم من ثواب عملهم من شيء .

الألت : القسم ، يقال : اذا لم يعطك حقك فقيّده بالالت .

آلته يميناً : حلّفه وشدّد عليه أوطلب منه حلفاً أوشهادة يقوم له بها وحبسه عن وجهه وصرفه .

والألت : الظلم والبهتان ، والألتة - بالضمّ - : العطيّة القليلة .

٧٨ - الرهن - ٦٠٦

رهن يرهن رهناً - من باب منع - : حبس .

الرّهن : ما وضع وثيقة لدين المرتهن . وإطلاق الرّهن على المرهون من قبيل تسمية المفعول باسم المصدر كالخلق على المخلوق .

يقال : رهنته المتاع بالدّين: حبسته عنده لينوب مناب الدّين ، ورهنت الشيء عنده فهو مرهون ورهين .

قال الله تعالى : « كلّ امرىء بما كسب رهين » الطور ٢١) أى كل انسان

مرهون عند الله بكسبه ، كأن الكسب بمنزلة الدين ونفس العبد بمنزلة الرهن ولا ينفك الرهن ما لم يؤدّ الدّين بصالح العمل مع الايمان .

والرهينة : ما يرهن ، وهو في الاصل وصف غلبت عليه الاسميّة كالنطيحة والذبيحة ، قال تعالى : « كل نفس بما كسبت رهينة » المدثر : ٣٨) .

والتاء للمبالغة أو باعتبار كلمة النفس ، وفي الحديث : « وأنفسكم مرهونة بأعمالكم» وفي الدعاء : «وفكّ رهاني» أي تخليصه أراد بالرهان نفس الانسان مرهونة بعملها ، وجمع الرهن : رهان ورهون ورهن قال تعالى : «وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً فرهان مقبوضة » البقرة : ٢٨٣) .

إرتهن الشيء منه : أخذه رهناً ، المرتهن: آخذ الرهن ، والراهن: آتي الرهن وارتهن الشيء بالامر: أي تقيّد به ، استرهنه الشيء : طلبه منه رهناً .

رهن بالمكان : ثبت وأقام ودام وهزل ، الراهن : المعدّ والمهزول يقال: طعام راهن: دائم ، ومنه نعمة راهنة ، خيل الرهان: الّتي يراهن على سباقها بمال أوغيره يستحقه صاحب السابق منها .

وفي المثل : هما كفرسي رهان، يضرب للمتساويين و المتقاربين في الفضل وغيره ، وللمتسابقين في المجاراة .

في القاموس : الراهون : جبل بالهند من سرنديب وهو الذي هبط عليه آدم عليه السلام يرى من بعد وعليه آثار أقدامه الشريفة ، وهو صعب الطلوع ، وبه الياقوت الجيّد .



٢ ـ اللؤلؤ ـ ١٣٣٩

لألأ النجم والبرق يلألأ لؤلؤة ـ من باب دحرج ـ لمع واضطرب بريقه وأضاء، اللالاء : الفرح التام وضوء السراج ، وتلالا الشيء تلالؤاً : لمع لمعان اللؤلؤ ، وفى وصف النبى ﷺ : «يتلالأ وجهه تلالا القمر» أى يشرق ويستنير مأخوذ من اللؤلؤ.

اللؤلؤ : الدّر وهو أجسام مستديرة بيضاء لمّاعة تتكوّن من الاصداف من رواسب بعض الحيوانات المائية الدنيا .

قال الله تعالى : «ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون » الطور: ٢٤).

واحدة اللؤلؤ : لؤلؤة والجمع لآلىء واللئآلة · حرفة اللآل، ولالات النار توقّدت ، وتلالات : اضطربت، ولالا الثور بذنبه : حرّكه .

فى القاموس : أبو لؤلؤة : غلام المغيرة بن شعبة قاتل عمر بن الخطاب .

٣٢ ـ الشفقة ـ ٨٠٠

شفق الناصح عليه يشفق شفقاً ـ من باب علم ـ : حرص على إصلاحه فهو شفيق .

الشفقة : الخوف والحذر والرحمة والرأفة والحنوّ والانعطاف ، أشفق من الشيء : خشى أن يناله منه مكروه ، وأشفق على الشيء : خاف أن ينزل به مكروه وأشفق فى شيء : عطف عليه عناية به .

قال الله تعالى : « ومايدريك لعلّ السّاعة قريب ـ والذين آمنوا مشفقون منها » الشورى : ١٧ ـ ١٨) .

وقال : « أأشفقتم أن تقدّموا بين يدى نجواكم صدقات » المجادلة : ١٣) أى أخفتم على أن ينزل عليكم الفقر لتقديمكم الصدقات .

وقال : « قالوا إنّا كنّا قبل فى أهلنا مشفقين » الطور : ٢٦) .

وأشفق الشىء : قلّله ، وشفّق الملحفة : جعلها شفقاً فى النسج ، وشفّق الثوب : نسجه نسجاً رديّاً .

الشّفق : بقيّة ضوء الشّمس وحمرتها فى أوّل الليل أو الحمرة فى غروب الشّمس ، قال تعالى : « فلا اقسم بالشفق » الانشقاق : ١٦) .

فى المفردات: الشفق : إختلاف ضوء النهار بسواد الليل عند غروب الشمس والاشفاق عناية مختلطة بخوف ، لانّ المشفق يحبّ المشفق عليه ويخاف ما يلحقه فاذا عدّى بمن فمعنى الخوف فيه أظهر وإذا عدّى بفى فمنى العناية فيه أظهر.

وفى النهاية: الشفق من الاضداد يقع على الحمرة الّتى ترى فى المغرب بعد مغيب الشمس وبه اخذ الشافعى وعلى البياض الباقى فى الافق الغربى بعدالحمرة المذكورة وبه أخذ أبو حنيفة .

٥٢ ـ الكهانة ـ ١٣٢٥

كهن الرجل لاخر يكهن كهانة ـ من باب منع ونصر ـ : أخبره بالغيب على سبيل الظنّ فهو كاهن ـ ومن باب كرم ـ : إذا صار كاهناً أو صارت الكهانة له طبيعة وغريزة .

قال الله تعالى : « فذكّر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون » الطور : ٢٩) وقد شاعت الكهانة في الجاهليّة بين العرب واتّخذها بعضهم حرفة لهم وكان الكفّار يتقوّلون على الرّسول صلى الله عليه وآله ويرمونه بالكهانة ويقولون : إنّ القرآن قول كاهن فعاب الله تعالى عليهم ذلك .

الكاهن أيضاً : من يقوم بأمر الرجل ويسعى فى حاجته .

الكهانة ـ بالكسر ـ : حرفة الكاهن ، الكهنوت : وظيفة الكاهن .

فى المفردات : الكاهن هو الذى يخبر بالاخبار الماضية الخفيّة بضرب من الظّن ، والعرّاف الذى يخبر بالاخبار المستقبلة على نحو ذلك ، ولكون هاتين الصناعتين مبنيّتين على الظن الذى يخطىء ويصيب ، قال ﷺ : «من أتى عرّافاً أو كاهناً فصدّقه بما قال فقد كفر بما انزل على أبى القاسم » .

ويقال : كهن ـ من باب كرم ـ فلان كهانة : اذا تعاطى ذلك و كهن ـ من باب منع ـ إذا تخصّص بذلك وتكهّن : تكلّف ذلك .

وفى الصحاح : الكاهن : السّاحر .

٦ ـ الرّبص ـ ٥٣٤

ربص بفلان يربص ربصاً ـ من باب ضرب ـ : إنتظر به خيراً أوشراً يحل به .

قال الله تعالى: « قل هل تربّصون بنا إلا إحدى الحسنيين ونحن نتربّص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربّصوا انا معكم متربّصون » التوبة : ٥٢) إحدى الحسنيين : إما الظفر وإما الشهادة . وتربّص به تربصاً : مكث وانتظر قال تعالى : « تربّص أربعة أشهر » البقرة : ٢٢٦) أى تمكث ، وتربّص به أمراً : انتظره يتوقعه له وإسم الفاعل متربّص وهم متربّصون .

قال تعالى : « قل تربّصوا فانى معكم من المتربصين » الطور : ٣١) ، والمتربّص المحتكر .

فى المفردات : التربّص: الانتظار بالشيء سلعة كانت يقصد بها غلاء أورخصاً أو أمراً ينتظر زواله أو حصوله .

١١ - الغرم - ١٠٨٠

غرم الرجل الدّية والدّين وغير ذلك يغرم غرماً - بالفتح والضم - وغرامة - من باب علم - : ما لزم الانسان فى ماله من غير جناية .

والغرم: مصدر وضع موضع الاسم، وغرم فلان فى التجارة : خسر تدور المادة على معنى الملازمة والملاصقة ، ومنه الغرام أى الولوع بالنساء .

والمغرم بالشىء : من لايصبر عنه ، والغرام : اللازم من العذاب والشر الدائم والبلاء ومالا يستطاع التفصّى منه .

الغرم : أداء شيء يلزم كالدين ، والغارم : من عليه دين .

الغريم: الذى له الدين فهو الدائن والذى عليه الدين فهو المديون فهو من الاضداد ، وجمعه غرّام وغرماء .

وغرّم وأغرمه الدين والدّية وغيرذلك: ألزمه بأدائها ، اغرم بالشىء - مبنيّاً للمفعول - : أولع به .

وورد من المادّة معنى اللزوم والدوام : غراماً قوله تعالى: «انّ عذابها كان غراما » الفرقان : ٦٥) أى هلاكاً لازماً .

وفى معنى الغرم المالى والغارم والمغرم : الذى أغرمه غيره ، قوله تعالى: « فهم من مغرم مثقلون » الطور : ٤٠) .

وقوله : « إنّا لمغرمون » الواقعة : ٦٦) أى لمعذبون وهالكون . وقوله : « والغارمين » التوبة : ٦٠) أى الذين هم علاهم الدين ولايجدون القضاء .

وقوله : « من يتّخذ ماينفق مغرماً » التوبة : ٩٨).

تغرّم الرجل : تكلّف الغرامة وتحمّلها ، إغترم الرجل : أوجب الغرامة على نفسه .

الغرام - بالفتح - : الولوع والشرّ الدائم والهلاك والعذاب والحبّ المعذّب المقلب .

الغرامة - بالفتح - : المشقّة والضرر . وفى الحديث : « أعوذ بك من المآثم والمغرم » اريد به مغرم الذنوب والمعاصى . وفى الدعاء : « اللّهمّ تكشف المغرم والمآثم » .

فى المفردات : الغرم - بالضمّ - :ماينوب الانسان فى ماله من ضرر لغير جناية منه أو خيانة يقال : غرم كذا .

والغريم : يقال لمن له الدين ولمن عليه الدين .

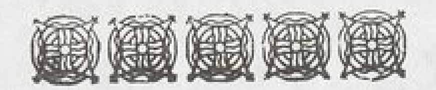
وفى النهاية : الغارم : الّذى يلتزم ماضمنه وتكفّل به ويؤدّيه ، والغرم : أداء شيىء لازم . ومنه الحديث : « الرهن لمن رهنه له غنمه وعليه غرمه » ، أى عليه أداء ما يفكّه به .

وفى اللسان : الغرام : اللازم من العذاب والشر الدائم ، والبلاء والحب والعشق ، وما لا يستطاع أن يتفصّى منه .

وفى حديث معاذ : « ضربهم الله بذلّ مغرم » أى لازم دائم .

وفى القاموس وشرحه : الغرمى باللام : المرأة الثقيلة .

الغريم : الدائن ، والغريم أيضاً المديون فهو ضدّ .



٢٣ - الكسف - ١٢٩٦

كسف الثوب يكسفه كسفاً و كسوفاً - من باب ضرب - : قطّعه قطعاً .

الكسفة : القطعة من السحاب أو القطن و كل شيء قطعته فقد كسفته .

قال الله تعالى : « وإن يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحاب مركوم » الطور : ٤٤) أى قطعة من السّحاب ، أى ولو نزّلنا عليهم كسفاً من السّماء كما يطلبون لقالوا من فرط طغيانهم وعنادهم : ما هذا إلا سحاب متراكم ملقى بعضه فوق بعض .

وجمع الكسفة : كِسَف كقربة وقرب ، أو كسف كسدرة وسدر ، كسف الله الشمس : حجبها فاحتجبت واسودّت بذهاب ضوؤها ، و كسف بصره : خفضه ونكسه ، و كسف أمله فهو كاسف : إذا إنقطع رجاؤه مما كان يأمل ولم ينبسط أو ضاق عليه أمله ، و كسف حاله : سائت ، ووجهه : تغيّر وعبس ، يقال : فلان كاسف البال أى سيّىء الحال ، وكاسف الوجه أى عابس ، ورجل كاسف مهموم لما حدّثته نفسه بالشر قد تغيّر لونه وهزل من الحزن ، ويوم كاسف أى عظيم الهول شديد الشر .

فى المفردات : كسوف الشّمس والقمر : إستتارهما بعارض مخصوص ، وبه شبّه كسوف الوجه والحال فقيل كاسف الوجه وكاسف الحال .

والكسفة : قطعة من السّحاب والقطن ونحو ذلك من الاجسام المتخلخلة الحائلة . . .

وفى اللسان : كسفت الشمس : ذهب ضوؤها واسودّت ، و كسف القمر : ذهب نوره وتغيّر إلى السّواد .

٦٦ ـ الرّكم ـ ٥٩٤

ركم الشيء يركمه ركماً ـ من باب نصر ـ : ألقى بعضه على بعض فجمعه وهو مركوم ، وجمع الركم : ركام .

قال الله تعالى : « سحاب مركوم » الطور : ٤٤) .

وقال : « ألم تر أنّ الله يزجى سحاباً ثم يؤلّف بينه ثم يجعله ركاماً » النور : ٤٣) .

وقال : « ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعله فى جهنم اولئك هم الخاسرون » الانفال : ٣٧) .

تراكم الشيء وارتكم : إجتمع مع إزدحام وكثرة .

والركام يوصف به الرمل والجيش ، ومرتكم الطريق : جادّته التى فيها ركمة ، أى أثر متراكم .

وفى حديث الاستسقاء : « حتّى رأيت ركاماً » أى سحاباً متراكباً بعضه فوق بعض .

ومنه الحديث : « فجاء بعود وجاء ببعرة حتى ركموا فصار سواداً » .

الرّكمة : الطين والتراب المجموع .

وتراكم لحم الناقة : سمنت ، وناقة مركومة : سمينة ، وتراكمت الاشغال وارتكمت : كثرت واجتمعت .

﴿ النحو ﴾

١ - (والطور)

الواو للقسم « الطور » مجرور بها متعلق بمحذوف أى أقسم بالطور .

٢ - (وكتاب مسطور)

الواو للعطف ، « كتاب » عطف على « الطور » و « مسطور » نعت من « كتاب ».

٣ - (فى رق منشور)

الجار والمجرور متعلق بمسطور ، وقيل ؛ متعلق بمحذوف وهو نعت ثان من « كتاب » و « منشور » صفة للرّق .

٤ - (والبيت المعمور)

الواو للعطف « البيت » عطف على « الطور » و « المعمور » نعت من «البيت».

٥-٦ (والسقف المرفوع والبحر المسجور)

إعرابهما ظاهر مما سبق .

٧ - (ان عذاب ربك لواقع)

« انّ » حرف تأكيد، « عذاب ربك » إسمهما ، « لواقع » اللام للتوكيد، ومدخولها خبرها .

٨ - (ماله من دافع)

الجمله صفة لواقع ، أى واقع غير مدفوع

٩ ـ (يوم تمور السماء موراً)

« يوم » ظرف لواقع ، أى يقع عذاب ربك فى ذلك اليوم ، وقيل : ظرف لمادلّ عليه ، « فويل » و« تمور » فعل مضارع ، و « السماء » فاعله ، و« موراً » مفعول مطلق.

١٠ ـ (وتسير الجبال سيراً)

الواو للعطف ، والجملة عطف على ما قبلها .

١١ ـ (فويل يومئذ للمكذبين)

الفاء للجزاء ، لانّ الكلام متضمن لمعنى الشرط على تقدير إذا كان الامر كذلك، و « ويل » مبتدأ والابتداء بالنكرة لمعنى الدعاء ، و « للمكذبين » خبره والجملة جواب الشرط المقدّر .

١٢ ـ (الذين هم فى خوض يلعبون)

« الذين » فى موضع جرّ صفة للمكذبين ، و « هم » مبتدأ ، و « فى خوض » متعلق بقوله : « يلعبون » وهو خبره على حذف الصفة ، أى فى خوض عجيب ، والجملة صلة الموصول ، وقيل : الجار و المجرور متعلّق بمحذوف على تقدير : الذين هم مستمرّون في خوض عجيب يلعبون بالمجادلة فى آيات الله جلّ وعلا .

١٣ ـ (يوم يدعون الى نار جهنم دعا)

« يوم » بدل من « يومئذ » ، وقيل : ظرف لقول مقدر ، أى يقال لهم : هذه وقيل : بدل من « يوم تمور » ، و « يدعّون » فعل مضارع مبنىّ للمفعول وفاعله الواو الّتى نابت مناب الضمير الراجع الى « المكذبين » ، و « الى نار جهنم » متعلّق بقوله : « يدعّون » ، و « دعّا » مفعول مطلق .

١٤ ـ (هذه النار التى كنتم بها تكذبون)

« هذه » مبتدأ ، و « النار » خبره ، و الموصول و صلته صفة من النار ،

والجملة بتمامها مقولة لقول محذوف ، أى يقال لهم : هذه ـ الخ .

١٥ ـ (أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون)

الهمزة للاستفهام ، والفاء للتفريع على قوله: « هذه النار ـ الخ » : و« سحر » خبر مقدّم ، و « هذا » مبتدأ مؤخر ، و « أم » للاتصال والقول بكونها منقطعة ، فبعيد جدّاً لايساعد الغرض ، و « أنتم » مبتدأ ، و « لا تبصرون » خبره على حذف المفعول به .

١٦ ـ (اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون)

« إصلوها » فعل أمر خطاب للمكذبين وضمير التأنيث فى موضع نصب على المفعول به راجع الى النار ، والفاء للتفريع ومدخولها فعل أمر ، و « أو » للترديد ومدخولها منهى ، و« سواء» خبر لمحذوف أى صبر كم ، وتر كه سواء ، و« عليكم» متعلق بسواء لكونه مصدراً فى الاصل ، و « إنّما » للحصر ، و « تجزون » فعل مضارع مبنىّ للمفعول ، و « ما » موصولة فى موضع نصب على المفعول به ، و « كنتم تعملون » صلتها على حذف العائد ، أى به .

١٧ ـ (ان المتقين فى جنات ونعيم)

« انّ » حرف تأكيد وكسرها لوقوعها إبتداء الكلام ، و « المتقين » إسمها و«فى جنات» جمع جنّة متعلقة بمحذوف وهو خبرها « ونعيم» عطف على «جنات».

١٨ ـ (فاكهين بما آتاهم ربهم و وقاهم ربهم عذاب الجحيم)

« فاكهين » حال من المتقين ، و « ما » موصولة مجرورة بالباء متعلق بفاكهين ، و « آتاهم » الفعل للماضى من باب الافعال والضمير فى موضع نصب على المفعول به راجع الى المتقين ، و « ربهم » فاعل الفعل والجملة صلة الموصول على حذف العائد أى به ، « و وقاهم » عطف على « آتاهم » والضمير فى موضع نصب على المفعول به ، و « عذاب الجحيم » منصوب بنزع الخافض أى عن عذاب الجحيم.

١٩ ـ (كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون)

«كلوا» فعل أمر خطاب للمتّقين ، « واشربوا عطف على «كلوا» و « هنيئاً » حال من ضمير « كلوا » ، وقيل : وصف قائم مقام مفعول مطلق أو مفعول به ، أى كلوا واشربوا أكلا وشرباً هنيئاً أو طعاماً وشراباً هنيئاً ، و « بما » متعلّق بقوله : «كلوا» وقيل بقوله : « هنيئاً » و« كنتم تعملون » صلةالموصول على حذف العائد .

٢٠ ـ (متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين)

« متّكئين » حال ثانية من المتّقين ، و « على سرر » جمع سرير متعلّق بمتّكئين ، و « مصفوفة » نعت من « سرر » ، و « زوّجناهم » الفعل للتكلم مع الغير من الماضى من باب التفعيل والضمير فى موضع نصب على المفعول به راجع إلى المتّقين ، قيل : « بحور عين » الباء بمعنى مع فمدخولها مفعول معه ، و « عين » نعت من « حور » ، وقيل : المراد من التزويج ههنا : القرن دون النكاح بالعقد لتعديته بالباء ، فالمعنى : قرنّاهم بحور عين .

وأما التزويج بمعنى النكاح بالعقد فمتعدّ بنفسها لقوله تعالى : «زوّجناكها» الاحزاب : ٣٧) .

٢١ ـ (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرىء بما كسب رهين)

الواو للاستيناف ، و« الذين » موصولة فى موضع رفع على الابتداء و« آمنوا» صلتها ، و « اتبعتهم » الفعل للماضى من باب الافتعال والضمير فى موضع نصب على المفعول به راجع إلى الموصول ، و « ذريّتهم » فاعل الفعل ، « بايمان » متعلّق بفعل الاتباع .

وقيل : ان جعلت الذريّة للصغار فقط كان قوله : « بايمان » فى موضع الحال من المفعولين والتقدير بايمان من الاباء ، وإن جعلت للكبار فقوله : « بايمان » حال من الفاعلين ، و « الحقنا » فى موضع رفع خبره والفعل للتكلم مع الغير من الماضى من باب الافعال ، « بهم » متعلّق بفعل الالحاق و« ذريّتهم »

مفعول به ، و « ما » للنافيّة ، و « ألتنا » للتكلم مع الغير من الماضى ، و « من عملهم » متعلّق بالتنا ، وقيل : حال من « شيء » ، و « من » الثانيّة زائدة ، و « كل إمرىء » مبتدأ و « ما » موصولة مجرورة بالباء متعلقة بقوله : « كسب » وهو صلة الموصول على حدف العائد ، و « رهين » خبره .

٢٢ - (وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون)

الواو للعطف ، و « أمددناهم » الفعل الماضى للتكلّم مع الغير والضمير فى موضع نصب على المفعول به ، « بفاكهة » متعلّقة بفعل الامداد ، و « يشتهون » صلة الموصول على حذف العائد .

٢٣ - (يتنازعون فيها كأساً لا لغو فيها ولا تأثيم)

« يتنازعون » فعل مضارع من باب التفاعل فى موضع نصب على الحال من المتقين ، « فيها » متعلق بفعل التنازع والضمير راجع إلى الجنات ، و « كأساً » مفعول به على حذف المضاف إليه أى كأس الخمر ، و « لالغو فيها » نعت للكأس ، « ولا تأثيم » عطف على ما قبله .

٢٤ - (ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون)

الواو للحال ، و « يطوف عليهم غلمان » فى موضع نصب على الحال من المتقين، و « لهم » متعلق بمحذوف نعت من « غلمان » وهوجمع غلام ، و « كأنّهم لؤلؤ » نعت ثان من غلمان ، وقيل : حال و « مكنون » نعت من « لؤلؤ » .

٢٥ - (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون)

الواو للعطف ، و « أقبل » فعل ماض من باب الافعال ، و « بعضهم » فاعل الفعل وضمير الجمع راجع إلى المتّقين ومن ألحق بهم ، و « على بعض » متعلق بفعل الاقبال ، و « يتساءلون » فى موضع نصب على الحال ، وقيل : على النعت .

٢٦ ـ (قالوا اناكنا قبل فى أهلنا مشفقين)

« قبل » مبنى لنيّة المضاف اليه أى من قبل ذلك ، و « فى أهلنا » متعلق بقوله : « مشفقين » .

٢٧ ـ (فمن الله علينا و وقانا عذاب السموم)

الفاء للتفريع ومدخولها فعل ماض ، و « الله » فاعل الفعل ، و « علينا » متعلق بفعل المنّ ، « و وقانا » الفعل للماضى وفاعله الضمير المستتر فيه الراجع إلى الله ، و « نا » ضمير تكلم مع الغير فى موضع نصب على المفعول به ، و « عذاب السموم » منصوب بنزع الحافض أى من عذاب السموم .

٢٧ ـ (اناكنا من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم)

« انا » حرف تأكيد وضمير التّكلم مع الغير راجع إلى المتسائلين ، و « من قبل » مبنىّ لنيّة المضاف اليه أى من قبل ذلك ، و « هو » ضمير فصل، و «الرحيم» صفة البرّ أو خبر بعد خبر .

٢٩ ـ (فذكر فما أنت بنعمت ربك بكاهن ولا مجنون)

الفاءان للتفريع ، ومدخولها الاولى فعل أمر خطاب للنبى ﷺ ومدخولها الثانية حرف نفى تشبه بليس ، و « أنت » اسمها و « بنعمت ربك » فى موضع حال متعلق بكاهن ، و « بكاهن » خبرها على زيادة الباء ، والتقدير : ما أنت كاهناً ولا مجنوناً متلبّساً بنعمة ربك ، ومن المحتمل أن تكون « لا » حرف عطف .

٣٠ ـ (أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون)

« أم » منقطعة بمعنى « بل » ومدخولها فعل مضارع لجمع الغيبة والقائلون هم المشركون ، و« شاعر » خبر لمحذوف أى هو محمد ﷺ شاعر و « نتربص» فعل تكلم مع الغير من المضارع من باب التفعّل صفة للشاعر ، و « به » متعلق بفعل التربّص ، و « ريب المنون » مفعول به .

٣١ - (قل تربصوا فانى معكم من المتربصين)

«تربّصوا» فعل أمر لجمع الخطاب للمشركين، «فانّى» الفاء للجزاء على تقدير الشرط، أى إن كنتم متربّصين بى ريب المنون فانّى متربّص بكم الهلاك و وقوع العذاب عليكم.

٣٢ - (أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون)

«أم» منقطعة بمعنى «بل والهمزة»، و«تامرهم» الفعل للمضارع والضمير فى موضع نصب على المفعول به راجع الى المشركين، و«أحلامهم» جمع الحلم فاعل الفعل، و «بهذا» إشارة الى مقالة المشركين فى النبى ﷺ، و«هم» مبتدأ، و«قوم» خبره، و «طاغون» نعت من قوم.

٣٣ - (أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون)

«تقوّله» الفعل للماضى من باب التفعل نسبه المشركون إلى النبى الكريم ﷺ والضمير راجع إلى ما جاء به الرسول ﷺ، و«بل» للاضراب.

ولا يخفى انّ الاضراب على قسمين: إبطال لما سبق كقوله تعالى حكاية: «وقالوا إتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون» الانبياء: ٢٦).

وإنتقال من غرض إلى آخر.

ثم إن تقدّمها أمر أو إيجاب نحو: اضرب زيداً بل عمراً، وقام زيد بل عمرو، فهى تجعل ما قبلها كالمسكوت عنه فلا يحكم عليه بشيء وإثبات الحكم لما بعدها وان تقدّمها نفى أو نهى فهى لتقرير ما قبلها على حالته وجعل ضده لما بعدها.

٣٤ - (فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين)

الفاء للجواب على تقدير: لو كان ما جاء به النبى ﷺ كلاماً من تلقاء نفسه لكان كلاماً بشرياً مماثلا لسائر الكلام ويماثله سائر الكلام فكان يمكنهم أن يأتوا بحديث مثله فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين فى دعواهم التقوّل.

٣٥ ـ (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون)

« أم » منقطعة ، « خلقوا » فعل ماض لجمع الغيبة مبنى للمفعول و فاعله النيابى هو الواو الّتى نابت مناب ضمير« هم » راجع إلى المشركين ، و«غير شيء» موصوف على حذف الصفة أى من غير شيء خلق منه غيرهم من البشر ، و « هم » مبتدأ ، و « الخالقون » خبره .

٣٦ ـ (أم خلقوا السموات والارض بل لايوقنون)

« لايوقنون » خبر لمبتدأ محذوف أى هم لايوقنون ، وقيل : على تقدير هم قوم لايوقنون .

٣٧ ـ (أم عندهم خزائن ربك أم هم المصيطرون)

« عندهم » خبر مقدم ، و « خزائن ربك » مبتدأ مؤخّر ، و « هم » مبتدأ ، و « المصيطرون » خبره .

٣٨ ـ (أم لهم سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبين)

« لهم » متعلق بمحذوف خبرمقدم ، و « سلّم » مبتدأ مؤخّر ، و«يستمعون» من باب الافتعال حال من ضمير الجمع ، وقيل : نعت ، منه ، « فيه » الضمير راجع إلى السلّم وقيل : فى معنى على ، والفاء للتفريع ، ويحتمل الجزاء لشرط مقدّر ومدخولها فعل أمر للغيبة ، و « مستمعهم » فاعل الفعل، و « بسلطان » متعلق بقوله « فليأت » ، و « مبين » نعت من « سلطان » .

٣٩ ـ (أم لهم البنات ولكم البنون)

« له » متعلق بمحذوف و هو خبر مقدم و الضمير راجع الى الله سبحانه ، و « البنات » مبتدأ مؤخّر وهكذا ، « ولكم البنون » .

٤٠ ـ (أم تسئلهم أجراً فهم من مغرم مثقلون)

« تسئلهم » خطاب للنبى صلّى الله عليه وآله والضميرفى موضع نصب على المفعول به الاوّل راجع الى المشركين ، و « أجراً » مفعول به الثانى ، و « فهم » الفاء للتفريع

ومدخولها مبتدأ و « من مغرم » متعلّق بقوله : « مثقلون » وهو خبره .

٤١ ـ (أم عندهم الغيب فهم يكتبون)

« عندهم » متعلّق بمحذوف خبر مقدم ، و « الغيب » مبتدأ مؤخّر و الفاء للتفريع و مدخولها مبتدأ ، و « يكتبون » خبره على حذف المفعول به ، أو المجرور ، أى منه .

٤٢ ـ (أم يريدون كيداً فالذين كفروا هم المكيدون)

« المكيدون » جمع مكيد نحو مبيع وهو اسم مفعول من كاد يكيد .

٤٣ ـ (أم لهم اله غير الله سبحان الله عما يشركون)

« لهم » متعلّق بمحذوف خبر مقدم ، و « إله » مبتدأ مؤخّر ، و « غير الله » نعت من « إله » وما في قوله تعالى : « عما » مصدريّة أى سبحانه عن شركهم .

٤٤ ـ (وان يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحاب مركوم)

« إن » حرف شرط وقيل بمعنى « لو » ، و « يروا » فعل الشرط ، و « كسفاً » مفعول به ، و « من السماء » متعلّق بقوله : « ساقطاً » و هو نعت من « كسفاً » ، وقيل : حال منه ، و « يقولوا » جواب الشرط ، و « سحاب » خبر لمحذوف أى هذا و « مركوم » نعت من « سحاب » و الجملة مقولة القول .

٤٥ ـ (فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون)

الفاء للتفريع ، ومدخولها فعل أمر خطاب للنبى الكريم صلى الله عليه وآله والفعل لم يستعمل فى تصريفاته إلاّ المستقبل والامر ، والضمير فى موضع نصب على المفعول به راجع الى المشركين .

و « حتى » حرف الغاية ، و « يلاقوا » فعل مضارع من باب المفاعلة منصوب بأن مقدّرة لوقوع الفعل بعد « حتّى » وأصله يلاقيوا فحذفت الياء لثقل الضمّة عليها فنقلت الى القاف بعد حذف حركتها ، و « يومهم » مفعول به ، و « الذى »

نعت من « يومهم » ، و « فيه » متعلّق بقوله : « يصعقون » مبنيّاً للمفعول و هـو صلة الموصول .

٤٦ ـ (يوم لايغنى عنهم كيدهم شيئاً ولاهم ينصرون)

« يوم » بدل من « يومهم » ، و « لايغنى » فعل مضارع من باب الافعال منفى بحرف النفى ، و « عنهم » متعلّق به ، و « كيدهم » فاعله ، و « شيئاً » مفعول به والجملة صفة من « يوم » ، « ولاهم ينصرون » الجملة عطف على ما قبلها .

٤٧ ـ (وان للذين ظلموا عذاباً دون ذلك ولكن أكثرهم لايعلمون)

« انّ » حرف تأكيد ، و « للذين ظلموا » الجملة فى موضع الرفع خبرها ، و « عذاباً » إسمها ، و « دون ذلك » نعت من « عذاباً » وقيل : حال منه ، و« لكنّ » حرف إستدراك ، و « أكثرهم » إسمها ، و « لايعلمون » فى موضع رفع خبرها .

٤٨ ـ (واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم)

الواو للعطف ، و« إصبر » عطف على « فذرهم » فعل أمر خطاب للنبى صلّى الله عليه وآله و « لحكم ربك » متعلّق بمحذوف و اللام للعاقبة وقيل : بقوله : « اصبر » و الفاء للتفريع ومدخولها حرف تأكيد وكاف الخطاب فى موضع نصب إسمها ، و« بأعيننا» جمع عين اضيف إلى ضمير التكلم مع الغير متعلّق بمحذوف و هو خبرها ، و « حين تقوم » مفعول فيه للتسبيح .

٤٩ ـ (ومن الليل فسبحه وادبار النجوم)

الواو للعطف ، و « من » للتبعيض مع مجرورها متعلّق بما بعدها و الفاء للتفريع و مدخولها فعل أمر خطاب للنبى الكريم صلّى الله عليه وآله و الضمير فى موضع نصب على المفعول به و « إدبار » على تقدير وقت إدبار النجوم فحذف المضاف و أقيم المضاف اليه مقامه ، و هو مصدر من باب الافعال وأضيف إلى « النجوم » و هى جمع النجم .

﴿ البيان ﴾

٦-١ (والطور وكتاب مسطور في رق منشور والبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور)

إحتوت الايات الكريمة أقساماً ربّانية ببعض الاماكن الشريفة والمشاهد المباركة والاشياء العظيمة الدالّة على كمال قدرة خالقها وعلمه و حكمته وتدبيره وبديع صنعه بأنّ عذاب الله الموعود واقع لا محالة على مستحقيه لن يستطيع أحد دفعه ولا منعه عن نفسه المستحقة ولا عن غيره كذلك.

قال تعالى: « يوم لايغني عنهم كيدهم شيئاً ولاهم ينصرون » الطور: ٤٦).

وفي تنكير الكتاب إيماء إلى استغنائه عن التّعريف فهو تنكير يفيد التّعريف فكأنّه قيل: كتاب لايخفى على أحد معرفته و هو ما جاء به محمد رسول الله الخاتم صلى الله عليه وآله أو موسى عليه السلام والرق: الجلد الذي يكتب فيه استعير لما يكتب فيه الكتاب من الصحيفة، والتنكير للتفخيم و« السقف المرفوع » كناية عن السماء.

٧- (ان عذاب ربك لواقع)

جواب، للقسم إخبار بوقوع العذاب الّذي كان ينكره المشركون، وفي إضافة العذاب إلى الرب دون أن يقال: عذاب الله دلالة على أنّ الوعيد بالعذاب من شئون التربية، وفي اضافة الرب إلى ضمير الخطاب للنبي الكريم صلى الله عليه وآله تأييد له صلى الله عليه وآله على مكذّبي دعوته وتطييب لنفسه ان ربه لايخزيه يومئذ، وبأن العذاب هو من القضاء المحتوم الّذي لا محيص عن وقوعه.

٨ ـ (ماله من دافع)

إخبار بأنّ العذاب ليس على ما يستطيع أحد أن يدفعه ، وفيه من الوعيد والتهديد المفحم بالكفار ما لا يخفى .

٩ ـ (يوم تمور السماء موراً)

ظرف لواقع مبيّن لكيفية الوقوع منبىء عن كمال هوله وفظاعته وتصوير لهول ذلك اليوم وشدّته ، لما يقع فيه من حوادث تتغير بها عوالم الوجود من إنطواء العالم السماوى ، وتبدّل الارض والسموات : « يوم نطوى السماء كطىّ السجل للكتب » الانبياء : ١٠٤) و « يوم تبدّل الارض غير الارض والسموات » ابراهيم : ٤٨) .

١٠ ـ (وتسير الجبال سيراً)

إشارة إلى تغير العالم الارضى من تبدل الارض غير الارض وإعلام وإنذار بأنّ لارجوع ولاعودة لهم يومئذ إلى الحياة الدنيا لخرابها وتبدلها ، وفى الايتين إثارة الخوف فىمنكرى البعث والجزاء وحملهم على الارعواء .

١١ ـ (فويل يومئذ للمكذبين)

تفريع ودعاء وتقرير لمن سيقع عليه العذاب المحتوم المخبر على سبيل تعليق الحكم على الوصف ، فسبب الدعاء عليهم بالويل هو التكذيب : تكذيب البعث تكذيب الجزاء وتكذيب الرسالة ، كما انّ التكذيب هو سبب العذاب ، وفى الاية تهديد وتنديد بالمكذبين .

١٢ ـ (الذين هم فىخوض يلعبون)

توصيف للمكذّبين بالدناءة لما كانوا عليه من خوض فى الباطل ولايذكرون حساباً ولايخافون عقاباً ، وتنوين التنكير فى « خوض » يدل على صفة محذوفة أى فى خوض عجيب .

١٣ - (يوم يدعون الى نار جهنم دعاً)

بيان لقوله تعالى : « يؤمئذ » وتقرير لمصير المكذّبين وموقفهم فيه .

١٤ - (هذه النار التى كنتم بها تكذبون)

بيان لمآل أمر المكذبين على سبيل الالتفات من الغيبة إلى الخطاب لتشديد التوبيخ والتنديد بهم وعلى طريق تعليق الحكم على الوصف بتقدير القول ، أى يقال لهم : إنّ تكذيبكم فى الدنيا جرّكم إلى هذه النار التّى ترونها اليوم .

قال الله تعالى : « وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مردّ من سبيل وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذّل ينظرون من طرف خفى » الشورى : ٤٤ _ ٤٥) .

١٥ - (أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون)

تفريع على طريق الاستفهام الانكارى توبيخاً وتقريعاً لهم حيث كانوا يسمّونه سحراً كأنّه قيل لهم : كنتم تقولون للقرآن الناطق بوقوع العذاب : انّ هذا القرآن أو مايخبر به سحر ، فاذاً فانظروا هل هو حق وهل هو الّذى كنتم تنبّئون به فى الحياة الدنيا ، أو هو خيال وسحر كما كنتم تزعمون .

وفى تقديم الخبر « سحر » على المبتدأ « هذا » دلالة على أنّ الخبر محطّ الانكار ، ومدار التوبيخ والتهكّم بهم .

وانّ هذا اسلوب من أساليب العقاب بأن يوقف المجرم على جسم جريمته وأن يواجه بها ، وأن يذكر بها حالا بعد حال .

كما إذا أنكر السّارق السّرقة فتؤخذ من يده بعد ، فيقال : أكنت منكراً لها وهى بيدك ، وفى قوله تعالى : « أم أنتم لاتبصرون » زيادة فى إيلامهم بأن ينظروا فى العذاب الّذى كانوا يكذبونه ، وأن يملأوا عيونهم به قبل أن يذوقوه بأجسامهم ، وأن يلبسوه ثياباً تقطّع لهم من تلك النار الموقدة أمام أعينهم .

١٦ ـ (اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون)

دعوة إلى مقاساة حرارة نار جهنم والنزول بساحتها ، وتفريع على الامر بالمقاساة والترديد بين الامر والنهى كناية عن مساواة الفعل والترك وبيان لعدم خلاصهم من العذاب ونفى مناص لهم ، ولذلك اتبعه بقوله : « سواء عليكم » أى هذه المقاساة اللازمة لكم لا تفارقكم سواء صبرتم أو لم تصبروا .

وقوله تعالى : « إنّما تجزون ما كنتم تعملون » تعليل لاستواء الصبر وعدمه على ما يلازمهم العذاب ، فلا تسلب نسبة العمل عن عامله كما تفيده كلمة الحصر « إنّما » .

١٧ ـ (ان المتقين فى جنات ونعيم)

تنويه بمصائر المتّقين وموقفهم يوم القيامة مقابلة لذكر مصائر المكذّبين وموقفهم جرياً على الاسلوب القرآنى ، وتنكير « جنّات ونعيم » تفخيم لهما ، ويحتمل التكثير وتصوير لصور النعيم والتّنعّم التى حرّمت على المكذّبين ، وفى الآية من تعليق الحكم على الوصف ما لا يخفى على القارىء الخبير .

١٨ ـ (فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم)

تقرير لحال المتّقين فى الجنّة وتنعّمهم بما آتاهم وأمنهم من عذاب النار فهم لابسوا النعم وجانبوا النقم وهو الفوز العظيم والنعيم المقيم .

وفى قوله تعالى : « فاكهين » إشارة إلى أنّ قلوبهم لا يشغلها همّ ولا نصب بل هم فى لذّة وسرور وفرح وحبور لا تتبعها كدرة وحزن وغم وإنقطاع .

وفى إيثار كلمة الرب دون أن يقال : آتاهم الله أو خالقهم دلالة على أنّ الوعد والتطمين من شئون التربية وفى إضافتها إلى ضمير المتقين إعتناء بشأنهم .

وفى إظهار الرب وتكراره فى قوله تعالى : « و وقاهم ربهم » موقع الاضمار مضافاً إلى ضمير المتّقين تشريف لهم وتعليل للوقاية بأنّ التقوى سبب الوقاية ومبالغة فى المنّة والفضل عليهم وإظهار لعنايته تعالى بهم لما صاروا له من مظهر

فضل الله تعالى وعنايته جزاء خوفهم منه وإتجاههم إليه وحده.

واسلوب الاية شائق مغر، من شأنه بعث الابتهاج والطمأنينة في المتقين والتنويه بأعمالهم الصالحة المرضيّة، وحث عليها وتشويق غيرهم لها، وفيها أحسن صور المتع للتقريب والتمثيل.

١٩ - (كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون)

فى الاية إلتفات من الغيبة إلى الخطاب تشريفاً لهم ودعوة للمتقين إلى ما أعدّ لهم من نعيم الجنة جزاء بما كانوا يعملون على تقدير القول أى يقال لهم: مقابلة لدعوة مزلزلة تعبة للمكذبين إلى ما أعدّ لهم من النار ولهيبها وإشتعل عليهم سعيرها إذ قال: « إصلوها ».

وفي قوله تعالى: « هنيئاً » إشارة إلى خلوّ المآكل والمشارب مما ينغصهما فان الآكل اذا خاف المرض أو النفاد أو الاتعاب في تحصيله فلا يهنأ له الطعام ولا يكون شيء من ذلك في الاخرة.

وفى قوله: « بما كنتم تعملون » إيماء إلى أنّ هذا إنجاز لما وعدهم ربهم به فى الحياة الدنيا فلا منّ عليهم فيه، بل كان المنّ عليهم فى الدنيا بهدايتهم للايمان وتوفيقهم لصالح الاعمال، قال الله تعالى: « يمنّون عليك أن أسلموا قل لاتمنّوا عليّ إسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان » الحجرات: ١٧).

٢٠ - (متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين)

تقرير لهيئة جلوسهم وما يتمتعون به من الفرش والازواج وفى قوله تعالى « وزوّجناهم » اظهار غاية اللطف بالمتقين حيث نسب تزويجهم بفعل نفسه تعالى وانّه هو المتصدّى لذلك.

٢١ - (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرىء بما كسب رهين)

مستأنف سيق لبيان حال طائفة من أهل الجنة إثر بيان حال الكلّ، وهم الذين شاركتهم ذرّيّتهم فى الايمان وفى إعتبار قيد الايمان إيذان بأنّ موجب

الالحاق هو التبعيّة في الايمان ، وفي تنكير « بايمان » دلالة على كون الايمان أيّ درجة كان ولايشترط التساوى فتنوينه للتنكير لا للتعظيم كما قيل .

و قوله : « كل امرىء بما كسب رهين » تعليل لقوله تعالى : « و ما ألتناهم من عملهم من شيء » .

٢٢ - (وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون)

بيان لبعض تنعّماتهم وتمتّعاتهم في الجنة اشير إليها اجمالا فيقوله تعالى: « كلوا واشربوا هنيئاً » سابقاً وذكر الفاكهة واللحم دون أنواع الطعام الاخرى لانّهما طعام المترفين فيالحياة الدنيا وفي ايثار الماضي أولا والمضارع ثانياً دلالة على استمرار الامداد على تنويع الاشتهاء من الانسان .

٢٣ - (يتنازعون فيها كأساً لا لغو فيها ولا تأثيم)

تسمية ما في الكأس بالكأس من تسمية الحال بمحلّها و القرينة على ذلك هي نفياللغو والتأثيم عنه، فالمراد من الكأس ما فيه وهو الخمر ، وفي الآيةدلالة على أنّعلة حرمة الخمر هي إسكارها يتبعه اللغو والتأثيم غالباً ، وفيقولهتعالى: « لا لغو فيها ولا تأثيم » وصف للكأس .

٢٤ - (ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون)

في تنكير « غلمان » ايماء إلى انهم غيرالغلمان الذين كانوا يخدمونهم في الحياة الدنيا ، كما انّ قوله : « يطوف عليهم » يؤمى الى أنّ هؤلاء الغلمان منقادون لسادتهم فليس هنا إباق، وقوله : « لهم » يؤمى إلى أنّ لكلمن أصحاب الجنّة غلماناً تخصه ، وفي وصف الغلمان من تمام النعمة فانّ الصورة الّتيبقدّم عليها الطعام أو الشراب من آنيه توضع فيها وأدوات تستعمل في تناولها و خدم يقومون بتقديمها ونحو ذلك يجعل للطعام طعماً يزيد على طعمه الذاتي حسناً أو قبحاً حسب حسن أو قبح هذه الملحقات به . .

ومن هنا نجد الصحاف الّتي يقدم فيها الطعام لاهلالجنة صحافاً من ذهب ،

والاكواب الّتى يقدم فيها الشراب قوارير من فضّة . .

٢٥ - (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون)

بيان لما يتذاكر المتقون فى الجنة بعضهم مع بعض من أحوالهم فى الحياة الدنيا ومن مآل أمرهم فى الاخرة

إن تسئل : انّ الاية تنافى ما جاء فى قوله تعالى : « فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يؤمئذ ولا يتساءلون » المؤمنون : ١٠١) .

وفى قوله تعالى : « ولايسئل حميم حميماً » المعارج : ١٠) .

تجيب عنه : انّ عدم التساؤل انّما هو يوم نفخ الصور وقيام الساعة وعرض الناس للحساب لانّ لكل امرىء يومئذ شأناً يغنيه ، وأما التساؤل انّما هو فى الجنة وبعد الفراغ من الحساب فيتساءلون ويتعارفون اذا دخلوا الجنة فلا منافاة .

٢٦ - (قالوا اناكنا قبل فى أهلنا مشفقين)

تقرير لما يجيب به بعضهم بعضاً وبيان لبعض أحوالهم فى الحياة الدنيا ،

٢٧ - (فمن الله علينا و وقانا عذاب السموم)

تفريع على الاشفاق الحاصل بتوفيق ومنّة من الله تعالى ، فهذا الاشفاق هو سبب النّجاة من عذاب السّموم وبيان لاجمال أحوالهم يوم القيامة .

٢٨ - (اناكنا من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم)

تعليل لاستحقاقهم لتلك الكرامة فى الاخرة ، قيل : تعليل لقوله : « فمن الله علينا » وقيل: لقوله : « ووقانا عذاب السموم » وقوله : « انه هو البرّ الرحيم » تعليل ثان .

فى الآية دلالة على أنّ المناصب والانساب والاموال لاشأن لها الاّ اذا صارت وسيلة للخير والصالح العام .

٢٩ ـ (فذكر فما أنت بنعمت ربك بكاهن ولا مجنون)

تفريع على ما مرّ من الاخبار المؤكّد بوقوع العذاب الالهى يوم القيامة ومن مصائر المكذّبين وموقفهم ومصائر المتقين وموقفهم فيه ومن تصوير المشاهد الّتى شهدوها من النار وعذابها، ومن الجنة ونعيمها .

ومن غير ريب ان مواجهة الناس هنا بالدعوة الاسلاميّة ستلقيهم على حال غير حال كانوا عليها من قبل .

وتقييد النفى بقوله تعالى : « بنعمة ربّك » يفيد معنى الامتنان على النبى الكريم ﷺ خاصّة ، وليس هذا الامتنان الخاص من جهة مجرد إنتفاء الكهانة والجنون، فان أكثر الناس على هذه الصفة ، بل من جهة تلبّسه ﷺ بالنعمة الخاصة به ﷺ المانع من عروض هذه الصفات عليه ﷺ من الكهانة أو الجنون وما إليها من الصفات غير اللائقة بشؤون الرسالة .

فعلى النبى ﷺ أن يستمر فى تذكيره ودعوته ، وأن لا يبالى بأقوالهم فقد شملته نعمة الله تعالى وعنايته وليس هو ﷺ كما يقولون كاهناً ولا مجنوناً .

٣٠ ـ (أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون)

إضراب عن مقولات المشركين فى النبى الكريم ﷺ بأنّه كاهن أو مجنون وترقّ فى الانكار عليه ، وإنتقال الى مقولة اخرى يقولونها فيه ﷺ وهو قولهم : « شاعر» وهم يلقون بهذه الاباطيل من غير أن يقوم عندهم دليل عليها وإنّما هى رميات طائشة عمياء يلقون بها بلا حساب أو تقدير

شأن من يحارب عدواً متوهّماً فيرى بكل ما يقع ليده الى كل اتجاه فراراً من هذا الخطر المتوهّم سواء أصابت هذه الرميات عدوّاً أم صديقاً .

وقوله تعالى حكاية عنهم : « نتربّص به ريب المنون » امنيّة من تلك الامانى التى يعيش بها المشركون مع رسول الله ﷺ وتعلّة يتعللون بها وهى أن ينتظروا به موتاً يختطفه من بينهم ويريحهم منه . . فذلك امنيّة يتمنّونها ويعلّقون آمالها بها .

وهذا دأب كل طاغ في كل عصر وفي كل وقت .

٣١ _ (قل تربصوا فاني معكم من المتربصين)

تهديد وتهكّم وردّ على ما ينتظرون في النبي صلى الله عليه وآله من موت يريحهم منه وفي الاية من الامر السياسى ما لا يخفى على من كان أهله .

٣٢ _ (أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون)

في الاية إستعارة أي كانوا هم عقلاء على ما يدّعون فكيف تحملهم أحلامهم على أن يرموا رسول الله صلى الله عليه وآله بالسحر والجنون والشعر والكهانة وقد علموا بعده صلى الله عليه وآله عنها ومباينته لها وهذا القول منهم سفه و كذب جدّاً ، وهاتان الصفتان متناقضان لاوصاف العقلاء .

فخرج قوله تعالى : « أم تأمرهم أحلامهم بهذا » مخرج التبكيت لهم ، والازدراء عليهم ، فأريد بالاستفهام تسفيه عقولهم لقولهم ما لا يقبله عقل ولا ينطق به عاقل وهو التربّص والانتظار للموت الذي يتمنّونه للنبي الكريم صلى الله عليه وآله ، وفي التعبير عن معطيات عقولهم بالامر وبأنّ احلامهم تأمرهم به إشارة إلى إنفصالهم عن العقول وأنّ ما يطرقهم هو أوهام و وساوس دون أن يكون لهم سلطان عليها .

وقوله تعالى : « أم هم قوم طاغون » إضراب عليهم وعلى عقولهم جميعاً وهو السبب الوحيد لما كانوا يقولون وهو فقدان حسن النية ، والرغبة في الايمان وتعمّد الطغيان والعدوان والانكار .

٣٣ _ (أم يقولون تقوله بل لايؤمنون)

إستفهام آخر يكشف عن جريمة اخرى من جرائمهم ويواجههم بضلالة من ضلالاتهم وهي قولهم في رسول الله صلى الله عليه وآله : انّه افترى هذا القول الذي يحدّثهم به ويقول لهم عنه انّه كلام الله تعالى !! .

وقوله تعالى : « بل لايؤمنون » حكم عليهم بأنّهم لن ينتفعوا بهذا القرآن ولا يهتدون به وهذا حكم واقع على اولئك الذين أدركهم الاسلام من المشركين

وماتوا على شركهم محادّين لله ورسوله ﷺ .. وهذا من أنباء الغيب التى حملت آيات الله كثيراً منها .

٣٤ ـ (فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين)

تفريع وردّ متحد ـ على طريق أمر تعجيزى ـ لهؤلاء المشركين الذين كانوا يتّهمون النبى الكريم ﷺ بالتقوّل على الله سبحانه « أم يقولون تقوّله » بأنّه لو كان ما جاء به محمد ﷺ كلاماً من تلقاء نفسه لكان كلاماً بشريّاً مماثلا لسائر الكلام ، فاذا كان كذلك فليأتوا بحديث مثله مفترى إن كانوا صادقين فى دعواهم تلك . . . وهذا هو مقطع القول بينهم وبين النبى ﷺ .

٣٥ ـ (أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون)

إستفهام انكارى آخر تنديداً بعقائد الكفار ومواقفهم واعتدادهم وتهكّم بهم وتحد لهم أى أبلغ فيهم الاعتداد والتناقض والطغيان الى انهم كادوا يظنون انه لم يخلقهم أحد ، فخلقوا صدفة، وانتقال آخر الى ميدان آخر من ميادين المحاجّة : بل أهم أوجدوا أنفسهم فليسوا بمخلوقين لله تعالى فلا جواب لهم الاّ الصمت لكونه بيّن البطلان .

٣٦ ـ (أم خلقوا السموات والارض بل لايوقنون)

انتقال آخر الى أصعب موقفهم وأبعده وأغربه ، أى أم أخلقواهم هذا العالم الشاسع فيكونوا أرباباً آلهة ، وقوله : « بل لا يوقنون » استدراك على سئوال يرد على قوله : « أم خلقوا السموات والارض » وهذا السئوال هو : أكان المشركون ينكرون ان الله تعالى هو الذى خلق السموات والارض ؟ كيف وقد قال الله تعالى : « ولئن سئلتهم من خلق السموات والارض ليقولنّ الله » لقمان : ٢٥) .

فكيف يسئلون هنا هذا السئوال الذى فيه إتهام لهم بالقول بأن للسموات والارض خالقاً غير الله ؟ فكان قوله تعالى : « بل لايوقنون » دافعاً لهذا الذى يقع فى الوهم من تعارض بين سئوالهم سئوال المتّهم فى قوله تعالى : « أم خلقوا السموات

والارض » وبين اقرارهم بما يدفع هذه التهمة عنهم في قوله : « ولئن سئلتهم من خلق السموات والارض ليقولن ّ الله » .

فقوله تعالى : « بل لايوقنون » يكشف عن حقيقة اقرارهم بأن ّ الله هو الذى خلق السموات والارض . . فهو اقرار لايقوم على استدلال وبحث ونظر ، فلا يقين لهم فيه ، فلا يكون اقرارهم بذلك الا ّ عن اضطرار ، اذ لم يجدوا بد ّاً من التسليم بأن ّ الله هو الذى خلق السموات والارض ، أمّا هذا الخالق وعلمه وحكمته وقدرته وسلطانه . . فلم يكن له مفهوم واضح يقوم على ادراك سليم عندهم . .

ولو كان هذا الاقرار قائماً على ادراك صحيح وفهم سليم لكانوا مؤمنين به مصد ّقين لرسوله صلى الله عليه وآله ، مؤمنين بالبعث والحساب والجزاء ، ومصد ّقين لآيات الله تعالى الّتى بين يديه . .

وهكذا كل قول لايقوم على علم لايبعث في صاحبه يقيناً بمفهوم هذا القول ولا يحدث في نفسه أثراً يثير وجدانه ويحر ّك مشاعره ويؤثر في منازعه . . .

٣٧ - (أم عندهم خزائن ربك أم هم المصيطرون)

رجوع في الاسئلة الانكارية الآتية عن العالى إلى الدانى ، وعن الصعب إلى السهل، عكس الاسئلة الاستنكارية المتقدمة فتدبر ّ واغتنم جد ّاً .

٣٨ - (أم لهم سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبين)

سؤال آخر و تفريع وأمر تعجيزى تكشف فيها ضلالة المشركين و تسد ّ عليهم أبواب الاد ّعاء المحتملة الكاذبة .

٣٩ - (أم لهم البنات ولكم البنون)

في الاية تسفيه لهم وتركيك لعقولهم وإيذان بأن ّ من كان هذا رأيه لايكاد يعد ّ من العقلاءِ فضلا عن الارتقاءِ إلى عالم الملكوت والتطلع عن الاسرار الغيبيّة والالتفات من الغيبة إلى الخطاب لتشديد ما في « أم » المنقطعة من الانكار والتوبيخ .

٤٠ - (أم تسئلهم أجراً فهم من مغرم مثقلون)

سؤال يدفع به ما يمكن أن يتهموا به النبي الكريم ﷺ بأنه ﷺ طالبهم اجراً في رسالته فهم لا يستطيعون على الاجابة فأعرضوا عن دعوته إلى الحق والهدى ووجه الالتفات من الخطاب الى الغيبة ما لايخفى على من له ذوق التفسير فتدبّر.

٤١ - (أم عندهم الغيب فهم يكتبون)

تقرير لموقفهم العلمي فانّ الاية تسلب عنهم العلم بما كانوا يقولون : إن ما جاء به محمد رسول الله ﷺ سحر وانّه كاهن أو مجنون وشاعر، فليس لهم بذلك من علم .

٤٢ - (أم يريدون كيداً فالذين كفروا هم المكيدون)

تقرير لحقيقة أمرهم وموقفهم منه ﷺ و النكاية به ، و تفريع على طريق التعميم بعد التخصيص بأن كل من سلك سبيل الكفر فهو مكيد ووباله إلى نفسه، ويحتمل أن يكون وضع الموصول موضع ضميرهم تسجيل عليهم بمافي حيّز الصلة من الكفر وتعليل الحكم به .

٤٣ - (أم لهم اله غير الله سبحان الله عما يشركون)

إنكار شديد على المشركين في أنحاء الشرك وفي عبادتهم للاصنام و الانداد مع الله سبحانه ، فلا بدّ لهم من إله منزّهاً أن يكون له شريك .

وقد جاءت هذه الأسئلة الاستنكارية الاخيرة قويّة لاذعة منطوية على تقرير عجزهم وموقف علمهم ودفع إفكهم و كذبهم واتهامهم عن النبي الكريم ﷺ وفيها في الوقت نفسه تصوير لشدّة عنادهم ومكابرتهم وموقفهم منه ﷺ .

٤٤ - (وان يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحاب مركوم)

تقرير لشدّة عنادهم واستهانتهم بما ينذرون من عذاب الله تعالى بأنّهم قد بلغوا حدّاً في العناد واللجاج حتى أصبحوا يكابرون في المحسوسات فضلا عن المعقولات ، فانهم لو رأوا قطعة ساقطة من السماء عليهم لقالوا : انّها ليست إلاّ

سحاباً متراكماً بعضه فوق بعض ، وفي الاية في الوقت نفسه تهديد لهم ببلاء ينزل عليهم من السماء .

٤٥ - (فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون)

تفريع على ما مرّ من العناد واللجاج وإصرارهم على الباطل بحيث لوعاينوا أوضح آية للحق أوّلوه ، وردّوه وأمر للنبى الكريم ﷺ بعدم اغتمامه بموقفهم وإيكال أمرهم من العناد والضلال الى الله تعالى ، وتهديد كنائى بشمول العذاب لهم وحالهم هذه .

٤٦ - (يوم لايغنى عنهم كيدهم شيئاً ولاهم ينصرون)

بيان لأهوال اليوم الّذى كانواهم ينكرونه بانقطاع الاسباب بابن آدم فلا تنفع الناس الاّ أعمالهم ، وفيها من الوعيد والتهديد للمشركين ما لايخفى .

٤٧ - (وان للذين ظلموا عذاباً دون ذلك ولكن أكثرهم لايعلمون)

فى وضع الموصول موضع الضمير تسجيل عليهم بما فى حيّز الصلة من الظلم أوّلا وتعليل الحكم به ثانياً ، وقوله تعالى : « ولكنّ أكثرهم لايعلمون » مشعر بأنّ فيهم من يعلم ذلك لكنّه يصرّ على الكفر الانكار عناداً .

٤٨ - (واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم)

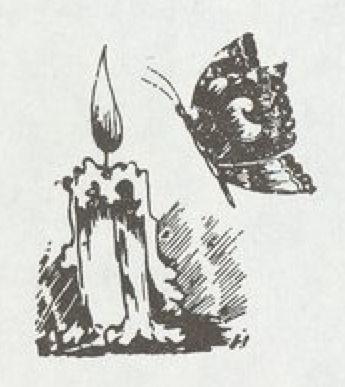
حثّ للنبى الكريم ﷺ على الصبر والثبات انتظاراً لامر الله تعالى وحكمه وتطمين له بأنه موضع عناية الله ونظره وحمايته ولن يصيبه من كيدهم شيء وعليه أن يستمرّ على حمد الله جل وعلا وتسبيحه والتمسك بحبله والاعتماد عليه فى جميع أوقاته وحركاته وظروفه وحينما يقوم من مجلسه أو منامه .

قوله تعالى : « فانك بأعيننا » تفريع على الصبر والجمع واضافته الى ضمير المتكلم مع الغير تفخيم وتعظيم وايذان بغاية الاعتناء بالحفظ ، أى انّك يا رسول الله ﷺ بحيث نراك ونحفظك فى كل وقت وظرف كقوله تعالى: « تجرى بأعيننا » .

و أمر له ﷺ بتنزيه ربّه عما لايليق به مصاحباً للحمد حين القيام من المجلس وفي ايثار كلمة الرب وتكرارها واضافتها الى كاف الخطاب للنبى ﷺ دون أن يقال : لحكم الله وبحمده ايذان بأنّ الصبر والتسبيح من شئون التربية .

٤٩ ـ (ومن الليل فسبحه وادبار النجوم)

فى الاية استعارة لوصف النجوم بالادبار بعد الاقبال ، والمراد بذلك : الافول بعد الطلوع ، والهبوط بعد الصعود .



﴿ الاعجاز ﴾

ومن وجوه إعجاز هذه السورة هو الاخبار والانطباع :

فانها حينما تحكى عما يقول المشركون فى النبى الكريم صلى الله عليه وآله من كونه ساحراً وكاهناً ومجنوناً وشاعراً تخبر بما انطبعوا عليه من الكفر والطغيان والكيد وتصممهم على البقاء عليها فتقول : « هم قوم طاغون ـ بل لايؤمنون ـ يريدون كيداً ـ فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون » الطور : ٣٢ ـ ٤٥) تواجههم وخاصّة زعماءهم كأبى جهل والوليد بن المغيرة وأبى لهب وأضرابهم بذلك . .

فلو انّ الذين دمغتهم بالكفر وخلّدتهم فى الاشقياء ذكرهم ووعّدتهم بأليم العذاب فى آيات تتلى على الدهر دخلوا فى الاسلام لانطفأت دعوة محمد رسول الله الاعظم صلى الله عليه وآله ولقامت الحجة على القرآن بأنه كذب وافتراء ورجم بالغيب، وانه قول البشر.

ولكنها قد أخبرت بما الاخلاف فيه وتحدّيهم به فتقول : « فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين » : ٣٤) فلا تملك وسيلة اخرى من الوسائل التى زاولها البشر فى تاريخهم كله أن تنشئها بهذا العمق ، بهذا الشمول ، بهذه الدقّة ، بهذا الوضوح ، بهذه الطريقة ، بهذا الاسلوب وبهذا الأداء الاّ الخالق العليم الحكيم المدبّر القادر المتعال .

وما جاء من الباحثين حول الاعجاز فى هذه السورة فى قوله تعالى : « وكتاب مسطور فى رقّ منشور » : انّ نشر الصحف على قسمين :

أحدهما ـ : بانتشار التعليم والتربية ، وهو التعليم العام الّذى أخذ ينتشر انتشاراً سريعاً فى الوقت الحاضر .

ثانيهما ـ : بظهور المجلات والجرائد المنشورة فى مكان ، ومن هذا الباب عموم (التيلفون والتلغراف البرقى وما اليهما) ، وهذان القسمان من الصحف المنشورة لم يكن لهما وجود قبل نزول القرآن الكريم حتى بعد سنين ...

إذ لم يكن فى الارض امّة قط تعلم تعليماً عاماً بدء الرسالة وأيامها ولم يكن فى دولة الرومان تعليم إلاّ لابناء الاشراف ، ولا فى دولة الفرس الذين يجعلون التعليم لطبقة خاصّة ، فجاء القرآن الكريم : « إقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق ـ الذى علّم بالقلم علّم الانسان ما لم يعلم » العلق : ١ ـ ٥).

وقال: « الرحمن علّم القرآن خلق الانسان علّمه البيان » الرحمن: ٤١).

وعمّم العلم وقال : «فى رقّ منشور» لغرضين ! تعميم التعليم والاخبار عما يحصل فى الوقت من نشر التعليم ونشر الصحف ونشر المدنيّة والحضارة ونشر الكتب وما اليها . . .

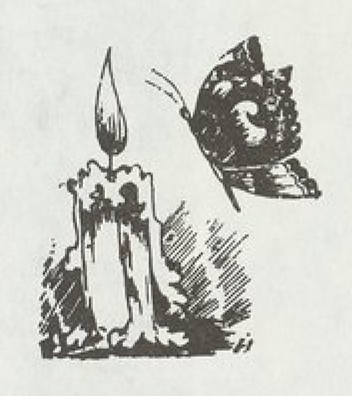
وفى قوله تعالى : « والبحر المسجور » ان المراد بالبحر المسجور باطن الارض المحرقة النائرة التى لم تعرفه الامم يومئذ حتى ثبت اليوم بعد قرون فى علم الجيلوجيا : انّ الارض كلها كبطّيخة وقشرتها كقشرة البطّيخة بأنّ نسبة قشرة الارض الى النار التّى فى باطنها كنسبة قشرة البطّيخة الى باطنها الذى يؤكل.

فنحن الآن فوق نار عظيمة ، أى فوق بحر مملو ناراً ، وهذا البحر مغطّى من جميع جهاته بالقشرة الارضيّة المحكمة السدّ عليه من ذلك البحر تظهر نار بصورة الزلازل والبراكين . انتهى كلامه فتدبّر .

ومن المحتمل أن يكون المراد من البحر المسجور : الفضاء والكرات المحرقة النائرة فتحيط بنا .

وفى فتح البيان فى مقاصد القرآن لابى طيب صديق بن حسن بخارى هندى فى قوله تعالى : « أم يريدون كيداً فالذين كفروا هم المكيدون » ، قال : « والظاهر انه من الاخبار بالغيب فان السورة مكّية وذلك الكيد كان وقوعه ليلة

الهجرة ثم أهلكهم الله تعالى ببدر عند إنتهاء سنين عدتها عدة ما هنا من كلمة(أم) وهى خمس عشرة ، فان بدراً كانت فى الثانية من الهجرة وهى الخامسة عشرة من النبوة ، وأذلّهم فى غير موطن ومكر سبحانه بهم « ومكروا و مكر الله والله خير الماكرين ».



﴿ التكرار ﴾

تكرّر كلمة (أم) فى هذه سورة ستّ عشرة مرّة حسب الاقتضاء ، كلّها إلزامات ليس للمخاطبين بها عنها جواب .

نشير فى المقام إلى صيغ خمس عشرة لغة ـ أوردنا معانيها اللغويّة على سبيل الاستقصاء فى بحث اللغة ـ الصيغ التى جاءت فى هذه السورة وفى غيرها من السّور القرآنية :

١ـ جاءت كلمة (الطّور) بصيغها فى القرآن الكريم نحو ١١ مرّة :

٢ـ » » (السّطر) » » » » » ١٦ مرّة :

٣ـ » » (الرّقّ) » » » » » مرّة واحدة :

الطّور : ٣) .

٤ـ » » (المور) » » » » » ثلاث مرّات :

١ ـ ٢ الطّور : ٩) ٣ ـ الملك : ١٦) .

٥ـ » » (الخوض) » » » » » ١٢ مرّة :

٦ـ » » (اللعب) » » » » » عشرين مرّة :

٧ـ « » (الآلت) بصيغة واحدة : الطّور : ٢١) .

٨ـ « » (الرهن) » » » » » ثلاث مرّات :

١ـ الطور : ٢١) ٢ـ المدثر : ٣٨) ٣ـ البقرة : ٢٨٣) .

٩ـ « » (اللؤلؤ) » » » » » ست مرّات :

١ـ الانسان : ١٩) ٢ـ الرحمن : ٢٢) ٣ـ الواقعة : ٢٣) ٤ـ الحج : ٢٣) ٥ـ الطّور : ٢٤) ٦ـ فاطر : ٣٣) .

١٠ـ جاءت كلمة (الشفقة) على صيغها فى القرآن الكريم نحو ١١ مرّة :

١١ـ » » (الكهانة) » » » » مرّتين :

الطّور: ٢٩) والحاقّة: ٤٢)

١٢ـ » » (الربص) » » » » ١٧مرّة :

١٣ـ » » (الغرم) » » » » ست مرّات :

١ـ الطور : ٤٠) ٢ـ القلم : ٤٦) ٣ـ التوبة : ٦٠) ٤ـ الفرقان : ٦٥) ٥ـ الواقعة: ٦٦) ٦ـ التوبة : ٩٨).

١٤ـ » » (الكسف) » » » » خمس مرّات :

١ـ سبأ: ٩) ٢ـ الطور: ٤٤) ٣ـ الروم: ٤٨) ٤ـ الاسراء: ٩٢) ٥ـ الشعراء: ١٨٧).

١٥ـ » » (الرّكم) » » » » ثلاث مرّات :

١ـ الانفال : ٣٧) ٢ـ النّور : ٤٣) ٣ـ الطّور : ٤٤).



« التناسب »

انّ البحث في المقام على جهات ثلاث :

أحدها ـ : التّناسب بين هذه السورة وما قبلها نزولا .

ثانيها ـ : التّناسب بينها وسابقتها مصحفاً .

ثالثها ـ : التّناسب بين آيات هذه السورة نفسها .

أما الاولى : فانّ هذه السورة نزلت بعد سورة السّجدة ، ففيها توكيد بصلة القرآن الكريم بالوحي الالهى ، وردّ على الكفارعلى نسبتهم إفتراءه للنبى ﷺ وتنويه بقدرة الله تعالى فى مشاهد الكون ونواميس الخلق للبرهنه على إستحقاقه وحده للعبادة والخضوع من قوله تعالى : «تنزيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين ـ إلى قوله جل وعلا ـ قليلا ما تشكرون » السجدة : ٢ ـ ٩) .

وحكاية لشكوك الكفار بالبعث والحساب وحملة شديدة عليهم ، ومقايسة بين مصيرهم ومصير المؤمنين من قوله تعالى : « وقالوا ءإذا ضللنا فى الارض ءإنّا لفى خلق جديد ـ الى قوله تعالى ـ انّا من المجرمين منتقمون » السجدة : ١٠ـ٢٢).

وإشارة الى رسالة موسى عليه السلام وفضل الله تعالى، على بنى اسرائيل حينما صبروا واتبعوا آيات الله سبحانه وتثبيت وتطمين للنبى الكريم ﷺ من قوله تعالى : « ولقدأرسلنا موسى الكتاب فلاتكن فى مرية من لقائه ـ الى قوله عزوجل ـ فأعرض عنهم وانتظر انهم منتظرون » السجدة : ٢٣ ـ ٣٠) .

وجاءت هذه السورة مؤ كّدة لوقوع ماكان يستعجل به المكذبون من الجزاء لايستطيع أحد أن يدفعه عنهم مع التقرير لزمن الوقوع على سبيل الانذار وإثارة الخوف فيهم ، وحملهم على الارعواء والبيان لمصائرهم ، ومواقف المتقين ، وردّهم

على ما كانوا يتّهمون به النبي صلى الله عليه وآله وما كانوا ينكرون له ويشر كون بالله سبحانه على طريق الا سئلة الاستنكارية ، وذكر العلّة في ذلك كله وهي الطغيان .

وفي ختامها حثّ رسوله صلى الله عليه وآله على الصبر والثبات على ما هو صلى الله عليه وآله عليه من مهمته ذاكراً لله تعالى في جميع أوقاته ومستعيناً به جلّ وعلا في كل ظروفه.

وأما الثانية: فمناسبة هذه السورة لما قبلها مصحفاً فبوجوه:

أحدها ـ : انّ بدء كل واحد منهما بقسم بآيات كونية وأماكن مباركة ومشاهد عظيمة تتعلّق بالمعاش من جهة وبالمعاد من جهة اخرى .

ففي سورة الذاريات أقسم بما ينفع الانسان في معاشهم ، وفي هذه السورة بما ينفعهم في معادهم .

ثانيها : انّ في أوائل كل منهما تقريراً لمصائر المكذّبين وموقفهم ومصائر المتقين وموقفهم يوم القيامة على سبيل الاجمال والتفصيل بحيث لايوجب التكرار.

ثالثها : تضمّنت الاولى الحجاج على التوحيد والبعث ، والثانية الحجاج على نفي الشرك وتنزيهه تعالى عما لا يليق بساحة قدسه وعلى الجزاء يوم البعث .

رابعها ـ : في كل منهما أمر النبي الكريم صلى الله عليه وآله بالتذكير ، والثبات والاستمرار على مهمته ، والاعراض عن مقالة المكذبين وذبذبتهم وإختلافهم . .

خامسها ـ : في نهاية كل منهما وعيد للكافرين وتنديد بهم .

فالسورتان تتلاقيان بدءاً وختاماً ، فتدبّر واغتنم جداً .

وأما الثالثة : فمناسبة إفتتاح السورة بأقسام ربّانية فقد عرفتها في بحث التناسب في سورة الذاريات فراجع لما فيه من فوائد جمّة . .

وأمّا وجه مناسبة إفتتاحها بالطور و كتاب مسطور ورقّ منشور وفي إثرها بالبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور ـ قرن الكتاب بالطور ـ وقرن السقف المرفوع بالبيت المعمور ـ فليعلم عظمة شأن محمد رسول الله الاعظم صلى الله عليه وآله إذكان ينزل كتاب على موسى عليه السلام وهو بالطور ، وتكلم محمد صلى الله عليه وآله مع الله جل وعلا وهو بالبيت المعمور بعد ماطرّق الفضاء النائرة وصعد السماء ، فشتان بين

المكانين والمكينين ..

والفرق هو الفرق بين قوله تعالى لنبيّه الكريم ﷺ : « ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك » ـ الخ ، الانشراح: ١ ـ ٤) وبين قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام : « ربّ اشرح لى صدرى ويسّر لى أمرى » ـ الخ ، طه : ٢٥ ـ ٣٥) .

اقسم تعالى بتلك الاشياء العظيمة الدالّة على كمال قدرته وبديع صنعه على انّ عذاب النار الذى لا دافع له نازل على الذين يكذّبونه ويخوضون فى الباطل ويتّخذون الدّين هزواً ولعباً ، ثم أخذ بذكر أهوال يوم القيامة وتبدّل الارض والسماء وأحوال المكذّبيه ، وموقفهم ومصيرهم إلى ما كانوا ينكرون به وما يواجهون به فيه . . جزاء بما كانوا يعملون .

ثم أخذ بذكر أحوال المتّقين ومصائرهم وموقفهم يوم القيامة وما يتنعّمون من نعيم الجنات ومصونيّتهم من عذاب الجحيم مقابلة لذكر مصائر المكذبين جرياً على الاسلوب القرآنى . .

فيذكر ما يتمتع به المتّقون من أنواع اللذّات فى المآكل و المشارب و الازواج و إلحاق ذريّتهم المؤمنين فى المنازل و الدرجات وما لهم من خدم فى الجنّة وذكر أوصافهم بما يزيد الشوق اليها ، وتساؤل بعضهم ببعض وتذاكرهم ما أوجب الاستحقاق بتلك الكرامة والفضيلة ، لاتقابلها نعمة و كرامة وفضيلة دنيويّة مهما بلغت . . .

وهم يذكرون أحوالهم الدنيوية وما أوجب دخولهم فى الجنة ووقاهم من عذاب النار ولايشغل قلوبهم نصب ولا همّ وإنّما هم فى لذّة وسرور وفرح وحبور خالدة . من قوله تعالى : « انّ المتقين ـ إلى ـ انه هو البرّ الرحيم » : ١٧ ـ ٢٨) .

هذه سنّة من سنن القرآن الكريم يذكر الثواب بعد العقاب ليتمّ أمر الترغيب بعد الترهيب وأمر الرجاء بعد الخوف لاغنى للمرء عنهما ليكمل صلاحه ويرعوى عن غيّه ولايقنط من رحمة ربّه .

انّ الله تعالى لما أشار فى الآيات السابقة إلى مشاهد القيامة ، وما يلقى

المكذّبون الضالّون هناك ، من عذاب وهوان ، وما يتلقى المتقون من رضوان ، و جنات و نعيم . . .

أمر رسوله صلى الله عليه وآله ليواجه الناس جميعاً بالدعوة الاسلاميّة ويستمرّ في تذكيره ودعوته ، ولا يبالي بأقوال المخالفين ، إذ شملته صلى الله عليه وآله نعمة الله تعالى وعنايته ورحمته .

ويرفع شبهاتهم باقامة البراهين القاطعة بالآيات الآفاقية والانفسية على سبيل الاسئلة الاستنكارية على طريقي الصعود والنزول ، والتحدّي في دحض ما قالوا في النبي صلى الله عليه وآله وسدّ المسالك عليهم وردهم على ما كانوا عليه من المواقف والاعتداد والمكابرة والعناد واللجاج ليتمّ عليهم الحجّة ، فلا عذر لهم بعد ذلك على أنحاء الاعذار المتصوّرة لهم . وتثبيت لرسالة محمد صلى الله عليه وآله .

ومن غير مرية ان مواجهة الناس هنا بالدعوة الاسلامية بعد هذه المشاهد التي شهدوها يوم القيامة ستلقى الناس على حال غير حال كانوا عليها من قبل وقد رأوا النار وسعيرها والجنة ونعيمها .

من قوله تعالى : « فذكّر فما أنت بنعمت ربك بكاهن و لامجنون ـ إلى ـ يقولوا سحاب مركوم » : ٢٩ ـ ٤٤) .

ولما بيّن سبحانه ما انطبع عليه المكذّبون من الكفر والطغيان بسوء إختيارهم ولم ينتفعوا بما جاءهم الرسول صلى الله عليه وآله ولم يهتدوا ، وذكر انهم في الاصرار على الباطل والتصميم على البقاء على التكذيب والانكار بحيث لو عاينوا أوضح آية للحق أوّلوه وردّوه أمر نبيه صلى الله عليه وآله أن يتركهم وشأنهم ولا يتعرّض لحالهم ، وفي خلالها إيعاد وتقريع عليهم ، وأن يصبر لحكم ربه ويسبّح بحمده .

من قوله جل وعز : « فذرهم ـ إلى ـ وإدبار النجوم » : ٤٥ ـ ٤٩) فتدبّر واغتنم جدّاً .

« الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه »

قيل: إنّ قوله تعالى : « قل تربّصوا فانّي معكم من المتربصين » الطور ٣٠).
منسوخ بآية السيف ، وهي قوله تعالى : «فاذا إنسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم و احصروهم واقعدوا لهم كلّ مرصد فان تابوا وأقاموا الصّلاة وآتوا الزّكاة فخلّوا سبيلهم انّ الله غفور رحيم » التوبة: ٥).

اقول: لايخفى على القارىء الخبير: ان آية الطور بصدد التهديد بالمشركين فلا بدّ منه قبل الحكم بالسيف فكيف النسخ .

وفي تفسير الجامع لاحكام القرآن قال: قوله تعالى: « فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون » منسوخ بآية السيف .

اقول: انّ الدعة ولقاء المنكرين تبعة إنكارهم بالبعث والجزاء يوم القيامة لا تنافي الحكم بالسيف جزاء بما كانوا يعملون على أنّ لاصحاب الكفر خزيين : خزى في الحياة الدنيا بالسيف وما إليه ، وخزى في الاخرة من عذاب النار .

وفيه: قال : قوله تعالى « واصبر لحكم ربك » منسوخ بآية السيف .

اقول: ومن غير خفيّ انّ الصبر أداة التبليغ الناجحة من غير تناف للحكم بالسيف أصلا فلا نسخ .

وفيه: في قوله تعالى: «ومن الليل فسبّحه وإدبار النجوم » قال: فحمل بعض العلماء الآية على هذا القول (يعني المراد بقوله : وإدبار النجوم ركعتي الفجر) على الندب وجعلها منسوخة بالصلوات الخمس .

اقول: إنّ القول والحمل مردودان بروايات صحيحة آتية على أنّ المراد بادبار النجوم ركعتا الصلاة قبل صلاة الصبح .

وأما المتشابه فلم أجد كلاماً يدل على أن في السورة آية متشابهة والله تعالى هو أعلم.

﴿ تحقيق في الاقوال ﴾

١- (والطور)

في الطور أقوال :

١- عن مجاهد والكلبي والجبائي : الطور : مطلق الجبل ، ثم غلب إستعماله في الجبل الّذي كلّم الله تعالى عليه موسى عليه السلام ، وأقسم به لما أودع فيه من أنواع نعمه .

٢- عن مجاهد أيضاً والسدي : الطور : هو بالسريانيّة الجبل ، و المراد به طور سيناء .

٣- عن مقاتل بن حيان: الطور طوران : يقال لاحدهما طورسيناء ، وللآخر طور زيتا ، لانّهما ينبتان التين و الزيتون .

٤- الطور : جبل بمدين إسمه زبير ، ومدين بالارض المقدسة ، و هي قرية شعيب عليه السلام .

٥- عن إبن عباس : الطور كل جبل أنبت وما لا ينبت فليس بطور .

٦- قيل : هو طور سنين .

أقول: جمهور المفسرين على ان المراد بالطور هوجبل موسى عليه السلام

٢- (وكتاب مسطور)

في الكتاب أقوال :

١- عن مجاهد : أي الصحف ، و هي الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء ، وكان كل كتاب في رقّ ينشره أهله لقراءته .

٢ـ قيل: هو القرآن الذى يكتبه المؤمنون فى رقاق ويقرؤنه من المصاحف وتقرؤه الملائكة من اللوح المحفوظ لقوله تعالى: « انّه لقرآن كريم فى كتاب مكنون »، ونكّر لانّه كتاب مخصوص من بين جنس الكتب السماوية .

٣ـ عن الكلبى: هو ما كتب الله تعالى لموسى بيده من التوراة، وموسى يسمع صرير القلم .

٤ـ قيل: انّه الكتاب الذى كتبه الله تعالى لملائكته فى السماء يقرؤن فيه ما كان وما يكون .

٥ـ عن الفرّاء : هو صحائف الاعمال ، فمن أخذ كتابه بيمينه ومن أخذ كتابه بشماله ، كقوله تعالى: « ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً » .

٦ـ قيل : هو ما كتب الله فى قلوب الاولياء من المؤمنين .

٧ـ قيل : هو التوراة ، وكانت تكتب فى الرّق وتنشر للقراءة .

أقول: هو التوراة ظاهراً ، لانّه المناسب للطور .

٤ ـ (والبيت المعمور)

فى البيت المعمور أقوال :

١ـ عن إبن عباس و مجاهد : هو بيت فى السماء حيال الكعبة يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك يعمرونه بالعبادة ، ثم يخرجون منه فلا يعودون اليه أبداً ، حرمته فى السماء كحرمة الكعبة فى الارض .

٢ـ عن ابن عباس أيضاً : هو بيت بحذاء العرش ، تعمره الملائكة ، يصلّى فيه كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة ، ثم لايعودون اليه .

٣ـ قيل : هو بيت فى السماء الدنيا بحذاء الكعبة المشرّفة .

٤ـ قيل : هو بيت فى السماء الرابعة .

٥ـ قيل : هو بيت فى السماء السادسة يقال له : الضراح .

٦ـ قيل : هو بيت فى السماء السابعة .

٧ـ عن الحسن: هو الكعبة المشرّفة ، سميت معموراً لانّ الله تعالى يعمرها

كل سنة بستمأة ألف نفر من النـاس ، و ان عجزوا عـن ذلـك أتمّه الله تعالـى بالملائكة ، وهى أوّل بيت وضعه الله تعالى للعبادة فى الارض ، ولـم يـزل معموراً منذ وضع الى يومنا هذا لقوله تعالى : « انّ أوّل بيت وضع للناس للّذى ببكّة مباركاً وهدى للعالمين » آل عمران : ٩٦) .

فيهرعون اليها كل عام من أرجاء المعمورة وينسلون اليها من كل حدب .

٨ـ عن الربيع بن أنس : انّ البيت المعمور كان فى الارض موضع الكعبة فى زمـن آدم عليه السلام ، فلمّا كان زمان نوح عليه السلام أمرهم أن يحجّوا فأبوا عليه وعصوه فلما طغى الماء رفع فجعل بحذائه فى السماء الدنيا فيعمره كل يوم سبعون ألف ملك ، ثم لايرجعون اليه حتى ينفخ فى الصور فبوّأ الله تعالى لابراهيم عليه السلام مكان البيت حيث كان قال : « وإذ بوّأنا لابراهيم مكان البيت أن لا تشرك بى شيئاً وطهّر بيتى للطائفين والقائمين والرُّكّع السّجود » .

أقول: و الاوّل هو المؤيّد بروايات عديدة عن طريق ائمة أهل البيت عليهم السلام .

٥ ـ (والسقف المرفوع)

فيه أقول :

١ ـ عن مجاهد وقتادة و ابن زيد: هو السّماء سمّاها سقفاً ، لانّها للارض كالسقف للبيت .

٢ ـ عن ابن عباس : هو العرش وهو سقف الجنّة .

٣ ـ قيل : هو العالم العلوى ، و ما حـوى من شموس و أقمار و كواكب ثابتة وسيارات وما فيه من العرش و الكرسى والملائكة الذين لا يعصون الله تعالى ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون .

أقول: والأول هو المروىّ .

٦ ـ (والبحر المسجور)

فيه أقوال :

١ ـ عن مجاهد و الضحاك و ابن زيد و الاخفش : البحر المسجور : الموقد المحمى بمنزلة التنور المسجور إذا أوقد وهو يوم القيامة .

٢ ـ عن قتادة : أى البحر المملوء إذا ملئت البحار ، أى جمع ماؤها بعضها فى بعض .

٣ ـ عن إبن عباس وأبى العالية : المسجور: الذى ذهب ماؤه فيفجر، الحوض المسجور : خال عن الماء ، والمسجور : المفجور .

٤ ـ عن عكرمة وعبد الله بن عمر وأبى صالح : انّه بحر دون العرش .

٥ ـ عن ابن عباس أيضا : أى البحر المحبوس من أن يفيض فيغرق جميع ما على الارض ولا يبقى ولايذر من حيوان و نبات فيفسد نظام العالم و تعدم الحكمة التى لآجلها خلق .

فالبحر المسجور هو البحر المحيط بهذا العالم الارضى المحبوس عن مفارقة الارض و الانفلات منها ، و هو كائن مائع لا تمسكه إلا قدرة القادر المتعال .

٦ ـ قيل : أى البحر الموقد فى باطن الارض بمنزلة التنور المحمى ، و هو الذى دلّ عليه الكشف الحديث ولم تعرفه الامم سابقاً .

أقول: والرابع هو المروى ، وانه المناسب للبيت المعمور والسقف المرفوع اللذين هما من العوالم العلويّة من غير تناف بينه وبين بعض الاقوال الاخر إذا اريد به الاطلاق ، وخاصة الاول منها .

٩ ـ (يوم تمور السماء موراً)

فى الاية أقوال :

١ ـ عن قتادة: أى تتحرك السماء تحرّكا وتستدير بما فيها.

٢ ـ عن مجاهد : أى تدور السماء دوراً .

٣ ـ قيل : أى ترتجّ السمآء .

٤ ـ عن الضحاك : أى يموج بعضها فى بعض .

٥ ـ عن ابن عباس : أى تشقّق السماء شقاً .

٦ـ عن ابن عباس أيضاً وابن بحر: أى يضطرب نظمها ، ويختلف مسيرها .

اقول: والاخير هو الانسب لمعنى المور لغة .

١٠ ـ (و تسير الجبال سيراً)

فى الاية قولان :

أحدهما ـ : عن مقاتل : أى تسير عن أماكنها حتى تستوى بالارض .

ثانيهما ـ قيل : أى تسير كسيرالسحاب فى الدنيا ، بيانه **قوله تعالى:** « ترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمرّ مرّ السحاب » .

أقول: إن الاية تشير الى زلزال الارض و تبدّلها غير الارض يوم الساعة .

١٢ ـ (الذين هم فى خوض يلعبون)

فى الاية أقوال :

١ ـ قيل : أى فى تردد فى الباطل وهو خوضهم فى أمر محمّد صلى الله عليه وآله بالتكذيب.

٢ ـ قيل : أى هم الذين يستمرّون فى خوض عجيب يلعبون بالمجادلة فى آيات الله تعالى وإنكارها والاستهزاء بها .

٣ ـ قيل : أى فى خوض أى فى أسباب الدنيا يلعبون و يندفعون، لاهين لا يذكرون حساباً ولا يخافون جزاء .

اقول: ظاهر السياق بصدد بيان انكارهم الجزاء وإستهزاءهم به وهذا هو الغرض الاصيل فى السورة .

١٥ ـ (أفسحر هذا أم أنتم لاتبصرون)

فى الاية قولان :

أحدهما ـ قيل : معناها : يقال لهم أفسحر هذا الذى ترون الآن بأعينكم أم أنتم لا تبصرونه اليوم ، فأم للاتصال .

ثانيهما ـ : قيل : أى بل كنتم لا تبصرون فى الحياة الدنيا ولا تعقلون على أن « أم » للانقطاع .

اقول: و على الاول جمهور المفسّرين .

١٨ ـ (فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم)

فى الاية أقوال : ١ ـ قيل : الفاكهة : مطلق الثمرة .

٢ ـ قيل : الفاكهة هى الثمرة غير العنب والرّمّان .

٣ ـ عن أبن عباس والزجاج والفرّاء : معنى الاية : ناعمين معجبين بما أعطاهم ربّهم .

٤ ـ قيل : معناها : يتحدّثون بما آتاهم ربّهم من النعيم ، ويتفكّهون بما فيها من طيّبات تملاء نفوسهم رضاً وحبوراً ، فلا يشغل قلوبهم همّ ولا نصب، بل هم فى لذّة وسرور وفرح .

٥ ـ قيل : معناها : يتناولون الفواكه والثمار الّتى آتاهم ربّهم .

٦ ـ قيل : معناها : يتلذّذون باحسان ربّهم .

أقول : ظاهر السياق يؤيّد الثالث وخاصة ما فى قوله تعالى : « بما كنتم تعملون » من التعليل المؤمى إلى الاعجاب .

١٩ ـ (كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون)

فى « هنيئا » أقوال :

١ ـ قيل : الهنىء : ما لا تنغيص فيه ولا نكد ولا كدر .

٢ ـ عن الزجاج : أى ليهنئكم ما صرتم اليه .

٣ ـ قيل : أى متنعّم بنعيم الجنّة امتاعاً هنيئاً .

٤ ـ قيل : أى كلوا واشربوا هنئتم هنيئاً فهو صفة فى موضع المصدر .

٥ ـ قيل : « هنيئاً » أى حلالا .

٦ ـ قيل : أى لا أذى فيه ولا غائلة . وقيل : أى لا تموتون فانّ ما لايبقى أو لا يبقى الانسان معه منغص غير هنىء .

أقول : والاوّل هو الانسب بمعناه اللغوى ، طعام هنيىء : سائغ ، ويقال : هنأنى طعام فلان : أى كان هنيئاً بغير تعب ولامشقّة وكان مطبوعاً بالطبع لا نكد فيه.

٢١ - (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرىء بما كسب رهين)

فى قوله تعالى : « والذين آمنوا - الى - ألحقنابهم ذريتهم » أقوال :

١ - عن ابن عباس وابن زيد : انّ الله تعالى ليرفع ذرّية المؤمنين معهم فى درجتهم فى الجنة وان كانوا لم يبلغوها بعملهم درجة آباءهم فى الايمان والعمل لتقرّ بهم أعينهم وتكرمة لهم سواء كانت الابناء صغاراً أم كباراً .

٢ - عن ابن عباس أيضاً والضحاك : انّ الله تعالى ليلحق بالمؤمنين ذريتهم الصغار الّذين لم يبلغوا الايمان ، فالذرية أولاد الصغار فقط ، والمراد من الايمان هو الايمان الحكمى .

٣ - عن ابن عباس أيضاً: أنّ المراد من الذين آمنوا : المهاجرون والانصار والذرّية : التابعون .

٤ - عن ابن عباس أيضاً : ان كان الآباء أرفع درجة رفع الله الابناء الى الاباء ، وان كان الابناء أرفع درجة رفع الله الاباء الى الابناء فالآباء داخلون فى اسم الذرّية كقوله تعالى : « وآية لهم انّا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون » .

٥ - عن ابن عباس أيضاً : اذا دخل أهل الجنة الجنة سئل أحدهم عن أبويه وعن زوجته و ولده ، فيقال لهم : انّهم لم يدركوا ما أدركت ، فيقول : يا ربّ! إنّى عملت لى ولهم فيؤمر بالحاقهم به .

٦ - قيل : الذريّة أولاد الكبار الذين اتبعوا آباءهم فى الايمان بعد بلوغهم لمكان لفظ الاتباع ، ولا يكون الاتباع الاّ بعد البلوغ والتكليف فلا تشمل الاية الصغار الذين ماتوا قبل البلوغ وإن كانوا محكومين بايمان شرعاً .

٧ - قيل اريد بالايمان : الرفقة والصحبة على أنّ قوله تعالى : « والّذين آمنوا » عطف على « حورعين » فالمعنى : وزوّجنا المتقين الذين يتمتعون من الحور العين بالنكاح وبالذين آمنوا بالرفاقة والصحبة والمجالسة .

٨ - قيل : انّ أساس الالحاق هو الايمان وإلاّ فلايلحق ولد بوالده لقوله

تعالى : « يا أيّها الناس اتّقوا ربّكم واخشوا يوماً لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً » لقمان : ٣٣) .

فسبب الالحاق هو الايمان ولو فى مرتبة دانية ، فيستفاد من الاية انّ لكل مؤمن رتبة مخصوصة بقدر درجة إيمانه ، فلا يلحق الدانى بالعالى ، ولا يساوى بينهما فى الجنّة ، ولكن بين الابناء والآباء يساوى لا بنقص عمل العالى أو ايمانه بل بزيادة رتبة الدانى إلى رتبة العالى فيلحق بالعالى وذلك لرضا العالى بذلك ، وليس ذلك في غيرهم لعدم رضاهم بذلك .

اقول: عموم تنكير الايمان وإطلاق الذريّة على الصغار والكبار و إضافتها إلى ضمير آباءهم المؤمنين ، ومقام الامتنان تؤيّد الاوّل وإن كان إطلاق الاتباع فى الايمان منصرفاً الى إتباع من يصحّ منه فى نفسه الايمان ببلوغه حداً يكلف به.

وفى قوله تعالى : « وما ألتناهم من عملهم من شيء » أقوال :

١ـ عن إبن عباس ومجاهد : أى وما أنقصنا آباءهم المؤمنين من اجور عمّا لهم فى شيء .

٢ـ عن سعيد بن جبير وقتادة والضحاك وإبن زيد : أى وماظلمناهم من عملهم.

٣ـ قيل: أى مانقصنا الابناء من ثواب أعمالهم لقصر أعمارهم ، وما نقصنا الآباء من ثواب أعمالهم شيئاً بالحاق الذرّية بهم .

اقول: انّ الروايات الآتية تؤيّد الاول .

وفى قوله تعالى: « كل امرىء بما كسب رهين » أقوال :

١ـ عن مقاتل : أى كل كافر مرتهن فى النار بما كسب من الشرك والذنب . فالجملة راجعة الى المكذبين الكفار .

٢ـ عن إبن عباس : أى إرتهن أهل جهنّم بأعمالهم وصار أهل الجنّة إلى نعيمهم ، ولهذا قال تعالى « كل نفس بما كسبت رهينة إلاّ أصحاب اليمين » .

٣ـ قيل هو عام لكل إنسان مرتهن بعمله فلا ينقص أحد من ثواب عمله ، فأمّا الزيادة على ثواب العمل فهى تفضّل منه تعالى .

٤ـ قيل : يحتمل أن يكون هذا في الذرّية الذين لم يؤمنوا فلا يلحقون آباءهم المؤمنين بل يكونون مرتهنين بكفرهم .

٥ـ قيل: اريد بالرهن الحبس والحفظ ، أى كل امرىء محفوظ عمله عندالله تعالى من خير أو شر .

اقول: والثالث هوالانسب بظاهر السياق وباتصال جمل الآية .

٢٣ـ (يتنازعون فيها كأساً لالغوفيها ولا تأثيم)

في قوله تعالى : « لا لغو فيها ولا تأثيم » أقوال .

١ـ عن قتادة : لاباطل في خمر الكأس ولا يجرى بين شاربيها لغو ولا فيها ذنب ومعصية .

٢ ـ عن ابن عباس والضحّاك : لا لغو في الجنة ولا فيها كذب فلا يكذب بعضهم بعضاً .

وعن ابن عطاء : أىّ لغو يكون في مجلس محلّه جنّة عدن ، وسقاتهم الملائكة ، وشربهم على ذكر الله تعالى ، وريحانهم وتحيّتهم من عند الله تعالى والمتقون ضيف الله جلّ وعلا .

٣ ـ عن مجاهد: لا يتسابّون على الخمر، ولا يؤثّم بعضهم بعضاً .

اقول: وعلى الاوّل جمهور المفسّرين .

٢٤ ـ (ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون)

في الغلمان اقوال : ١ـ قيل: هم أولاد المتّقين الذين سبقوهم بالموت ودخول الجنة ، فأقرّ الله تعالى بهم أعينهم .

٢ ـ قيل : هم الفتيان الامرد من صغار الكافرين فأخدمهم الله تعالى للمتقين.

٣ ـ قيل : هم خدّام للمتّقين من الملائكة ، الّذين خلقهم الله تعالى في الجنة لذلك .

أقول: وعلى الاخير أكثر المحققين .

٢٥ ـ (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون)

في الاية قولان:

أحدهما ـ: عن ابن عباس: إذا بعث المتقون من قبورهم يوم البعث سئل بعضهم بعضاً عن حاله في الدنيا.

ثانيهما ـ: قيل يقول بعض المتّقين في الجنة: بمَ صرت في هذه المنزلة الرفيعة؟ وما الذي ساقك إلى الجنّة والنعيم؟.

اقول: والاخير هو ظاهر السياق.

٢٦ ـ (قالوا انا كنا قبل في أهلنا مشفقين)

في الاية قولان:

أحدهما ـ ذهب طائفة من المفسرين الى أنّ معناها: إنّا كنّا في الحياة الدنيا ونحن بين أهلنا خائفين من الله وجلين من عقابه.

فالغرض هو إثبات خوفهم في سائر الاوقات والاحوال بطريق الاولى، فانّ وجودهم بين أهلهم مظنّة الامن، فاذا خافوا في تلك الحال فكانوا هم خائفين في غيرها بالاولى.

ثانيهما ـ: ذهب الآخرون منهم الى أنّ المعنى: إنّا كنا في الحياة الدنيا ذوي اشفاق في أهلنا نعتني بسعادتهم ونسعى في نجاتهم من مهلكة الضلال والشقاء فنعاشرهم بجميل المعاشرة ونسير فيهم ببثّ النصيحة، والدعوة الى صراط مستقيم.

اقول: ولكل وجه وجيه من غير تناف بينهما بل وانّهما من خصال المتقين.

٢٧ ـ (فمن الله علينا و وقانا عذاب السموم)

في الاية أقوال:

١ ـ قيل: هذا من كلام الآباء يقولون عند الحاق ذرّيتهم بهم، بأن الالحاق منّة منه تعالى.

٢ ـ قيل: هذا مقالة الذرية حين لحقوا بآبائهم بأنّهم لهم يكونوا على درجات

الاباء، ولكن الله تعالى منّهم فألحقهم بآبائهم.

٣ ـ قيل: المنّ راجع الى الجنة ونعيمها، والمغفرة لهم على ما ترك منهم، فالمعنى: فمنّ الله تعالى علينا بالجنّة ونعيمها والمغفرة لنا على ما ترك منا ونجانا من عذاب النار.

٤ ـ قيل: المنّ راجع إلى الهداية والتوفيق، وإلاّ فتلك النعم جزاء لهم بما عملوا من الصالحات في الحياة الدنيا كما قال الله تعالى: «يمنّون عليك أن أسلموا قل لا تمنّوا عليّ إسلامكم بل الله يمنّ عليكم أن هداكم للايمان» الحجرات: ١٧).

٥ ـ عن الحسن: السموم: اسم من أسماء النار، وطبقة من طبقات جهنم.

٦ ـ عن ابن زيد: السموم: النار كما تقول جهنم أي من عذاب النار.

٧ ـ عن الزجاج: السموم: الريح الحارّة.

اقول: ظاهر السياق يؤيّد الثالث، وخاصّة قوله تعالى حكاية عنهم: «انّه هو البرّ الرحيم»، وان كان الرابع غير بعيد، لانّه من مقالات أصحاب الجنة فيها. قال الله تعالى: «وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لو لا أن هدانا الله» الاعراف: ٤٣).

٢٨ ـ (انا كنا من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم)

في الاية أقوال:

١ ـ قيل: أي انّا كنا في الدنيا بأن يمنّ الله تعالى علينا بالمغفرة عن تقصيرنا، ونطلب منه النجاة من شرّ هذا اليوم، ومن العذاب الواقع بأهل الشقاء فيه، وأن يدخلنا في الجنة، فاستجاب لنا بفضله، لانّه البارّ بعباده المؤمنين والواسع الرحمة لمن يطلبون رحمته ويبتغون فضله.

٢ ـ قيل: أي انّا كنّا في الحياة الدنيا نوحّد الله جل وعلا ونعبده وحده ونأتمر بأوامره وننتهي عن نواهيه، وكنّا مشفقين في أهلنا نقرّبهم من الحقّ، ونجنّبهم عن الباطل، فكان هذا سبباً لمنّ الله تعالى علينا بالجنّة والمغفرة لنا،

ونجاتنا من عذاب النار ، انّما كان ذلك سبباً لذلك ، لانّه تعالى برّ رحيم فيحسن لمن دعاه ويرحمه .

٣ - قيل : أى انّا كنّا فى الدنيا ندعوه بأن يلحق بنا اولادنا .

وعن ابن عباس قال : البرّ : اللطيف والرحيم بخلقه ان يعذّبهم بعد توبتهم .

وعنه أيضاً ، وابن جريج أى : انّه تعالى صادق فيما وعد .

أقول: والعموم غير بعيد .

٢٩ - (فذكر فما أنت بنعمت ربك بكاهن ولا مجنون)

فى الاية أقوال :

١ - قيل : معناها : فذكّر يا محمّد صلّى الله عليه وآله النّاس بالقرآن الكريم ، فما أنت برسالة ربك تبتدع القول وتخبر بما فى غد من غير وحى ، ولا تكترث بما يقولون مما لاخير فيه من الاباطيل ، وقد انتفت عنك الكهانة و الجنون بسبب نعمة الله تعالى عليك .

والمراد بذلك: الرد على القائلين بذلك وإبطاله فانما اوتيه من رجاحة العقل وعلوّ الهمّة و كرم الفعال وصدق النبوّة لكاف جدّ الكفاية فى دحض هذا وأشباهه.

وممن قال انه ساحر شيبة بن ربيعة لما يرى من تأثير كلامه فى الناس فقال : إنّه من قبيل التخييل لا الاعجاز .

وممن قال انه مجنون عقبة بن أبى معيط حيث لايسمع منه صلّى الله عليه وآله ما يوافق هواه ويطابق مغزاه .

وقال غيرهما : انّه صلّى الله عليه وآله كاهن نظراً إلى اخباره بالمغيبات .

٢ - قيل أى و بنعمة الله ما أنت بكاهن ولا مجنون على طريق القسم .

٣ - قيل : أى ما أنت بحمد الله تعالى بجاهل أى قد برأك الله عن ذلك .

أقول: وعلى الاوّل جمهور المفسّرين .

٣٠ - (أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون)

فى الاية أقوال :

١ـ عن قتادة وإبن عباس: أي قال قوم من الكفّار تربّصوا بمحمد ﷺ الموت يكفيكموه كما كفى شاعر بني فلان .

٢ ـ عن الضحّاك والاخفش : أي هؤلاء بنو عبد الدار نسبوه إلى أنّه شاعر أي يهلك عن قريب كما هلك من قبل من الشعراء ، وأن أباه مات شاباً فربّما يموت كما مات أبوه .

٣ ـ عن ابن عباس أيضاً ومجاهد والاصمعي : ريب المنون أي حوادث الامور وأحداث الدهر

٤ ـ عن الاصمعي أيضاً : المنون: الليل والنهار وسمّيا بذلك لانّهما ينقصان الاعمار ويقطعان الآجال .

٥ ـ قيل : ريب المنون : ريب الدنيا ومكرها .

اقول: وعلى الاوّل والثاني ـ لتقاربهما ـ جمهور المفسّرين .

٣٢ ـ (أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون)

في الاية أقوال :

١ ـ قيل : أي أتأمرهم عقولهم بهذا الكذب والافتراء عليك ، بل هم طغوا بغير عقول .

٢ـ قيل : أي بل أتامرهم قوة تخيّلهم بهذا التربّص والانتظار للموت الذي يتمنّونه للنبي ﷺ بل حملهم طغيانهم بهذا .

٣ـ قيل: أي بهذا التناقض في القول بأنك ساحر تارة وكاهن تارة و مجنون ثالثة.

اقول: والثاني هو الانسب بظاهر السّياق .

٣٣ ـ (فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين)

فيها قولان :

احدهما ـ : قيل: اي إن كانوا صادقين في انّ محمداً ﷺ كاهن او مجنون أو شاعر أو متقوّل .

ثانيهما - : قيل أى إن كانوا صادقين فى أنّ ما جاء به النبى ﷺ هو من تلقاء نفسه إفتراه على الله تعالى .

اقول: والاخير هو الاظهر .

٣٥ - (أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون)

فى الاية اقوال :

١ - عن إبن عباس : أى من غير رب خلقهم وقدّرهم

٢ - قيل : أى من غير اب وام فهم كالنبات والجماد لا يعقلون ولا تقوم لله تعالى عليهم حجّة ، فلا تكليف لهم فى هذه الحياة الدنيا .

٣ - عن إبن عطاء : أى أليس قد خلقوا من تراب وماء ونطفة وعلقة ومضغة على ان الاستفهام للاثبات كقوله تعالى : « ام نخلقكم من ماء مهين » .

٤ - عن إبن كيسان والزجاج : أى ام خلقوا لا لشىء ولا لاعادة ، فلا علّة ولا غاية ولاثواب ولا عقاب وتركوا سدى كقوله تعالى : « افحسبتم انّما خلقناكم عبثاً » فهم لذلك لا يسمعون كلام الله ولا يؤمنون باليوم الآخر فلا يحاسبون .

٥ - قيل : اى ام خلقوا من غير شىء مذكور .

٦ - قيل : اى احدثوا وقدّروا هذا التقدير البديع من غير مقدّر ولاخالق فلا حاجة لهم إلى خالق .

اقول: والاول هو الظاهر ، وعليه اكثر المفسرين .

٣٦ - (أم خلقوا السموات والارض بل لايوقنون)

فى متعلق اليقين أقوال :

١ - قيل : أى لايوقنون بالبعث والحساب والجزاء إذ لو أيقنوا بذلك لما أنكروها ، فعدم اليقين يحثّهم على التكذيب والانكار .

٢ - أى لايوقنون بما يقولون من إنكار الخالق ، فانهم اذا سئلوا عن خلقهم

وعن خلق السموات والارض فقالوا الله تعالى هو خالقهم وخالقها ، فلو أيقنوا بمقالتهم فلا يقولون بذلك .

٣ ـ قيل : أى لا يوقنون بأن لهم إلهاً واحداً يستحق هو وحده العبادة ، وانّك نبىّ من جانبه .

٤ ـ قيل : أى لايوقنون برسالة محمد صلى الله عليه وآله وما جاء به من القرآن الكريم .

اقول : والاوّل هو الانسب بظاهر السياق ويعقبه الاخير من الاقوال .

٣٧ ـ (أم عندهم خزائن ربك أم هم المصيطرون)

فى قوله تعالى : « أم عندهم خزائن ربّك » أقوال :

١ ـ عن إبن عباس والكلبى : أى خزائن ربك ومفاتيح الرحمة من الرزق والمطر أم هم المنزلون ، فيستغنوا عن الله تعالى ويعرضوا عن أمره .

٢ ـ عن عكرمة ومقاتل والجبائى : أى أفبأيديهم مفاتيح ربّك من النبوّة والرسالة يضعونها حيث شاؤا ويمسكونها عمّن شاؤا .

وضرب المثل بالخزائن ، لانّ الخزانة بيت يهيّأ لجمع أنواع مختلفة من الذخائر ومقدورات الرّب ، كالخزائن الّتى فيها من كل الاجناس فلا نهاية لها .

٣ ـ قيل : معنى الاية : أو ملكوا خزائن الله تعالى وسيطروا على ملكه حتى لم يعودوا يخشون نقمته .

٤ ـ قيل : أى خزائن الغيب .

٥ ـ أى الاسرار الالهيّة الخفيّة عن الاعيان .

٦ ـ قيل : أى خزائن المخلوقات الّتى لم يرها الانسان ولم يسمع بها .

اقول : وعلى الثانى أكثر المفسرين .

وفى قوله تعالى : « أم هم المصيطرون » أقوال :

١ ـ عن ابن عباس : أى المسلّطون الجبّارون على الله سبحانه .

٢ ـ قيل : المسلّطون على الناس .

٣ ـ عن ابن عباس أيضاً والضحاك : أى المبطلون .

٤ ـ عن ابن عباس أيضاً : أى أم هم المتولّون .

٥ ـ عن عطاء والجبائى : أى أم هم أرباب قاهرون على الله سبحانه حتى يسلبوا عنك ما رزقك من النبوة والرسالة .

٦ ـ عن عطاء أيضا وأبى عبيدة : يقال : تسيطرت علىّ أى إتخذتنى خولا لك.

٧ ـ عن ابن بحر: «المصيطرون»: هم الحفظة مما كتبه الله فى اللوح المحفوظ.

اقول : وعلى الرابع أكثر المفسرين، ولكن الاول والخامس هما الاظهران.

٤١ ـ (أم عندهم الغيب فهم يكتبون)

فى الاية أقوال :

١ ـ عن ابن عباس : أى أم عندهم اللوح المحفوظ ، فهم يكتبون ما فيه ويخبرون الناس بما فيه من أحوال المبدء والنبوّة والمعاد .

٢ ـ قيل : أى أم عندهم علم ما غاب عن الناس حتى يثبتوا ما علموا أنّ ما أخبرهم به الرسول صلى الله عليه وآله من أمر القيامة والجنة والنار باطل فيجب على الناس طاعتهم فيما أثبتوا .

٣ ـ عن القتبى : يكتبون أى يحكمون على الناس بما لهم من علم الغيب فهم يقرّرون مصائر الناس ويقضون فيها .

٤ـ قيل : أى أم عندهم الغيب فهم يكتبون للناس ما أرادوا من علم الغيوب وينبؤونهم بما شاؤا .

٥ـ عن قتادة : لماقالوا : نتربّص به ريب المنون ، قال الله تعالى: « أم عندهم الغيب » حتى علموا متى يموت محمد صلى الله عليه وآله أو إلى ما يؤول إليه أمره .

٦ـ عن الحسن : انّه جواب لقولهم: إن كان أمر الاخرة حقّاً كما تدّعون فلنا الجنة ومثله « ولئن رجعت إلى ربّى انّ لى عنده للحسنى » .

اقول: وعلى الاوّل أكثر المفسّرين والتقارب بين بعض الاقوال غير خفى على القارىء الخبير

٤٢ ـ (أم يريدون كيداً فالذين كفروا هم المكيدون)

فى الآية أقوال :

١ـ قيل : أى بل أيريدون كيداً فى مقالاتهم فى النبى ﷺ لاطفاء نوره وإبطال دعوته وابتعاد الناس عنه وهذا كيد منهم إذحرّموا من السعادة وقطع التوفيق منهم وطبع على قلوبهم .

٢ـ قيل : أى بل هم يريدون كيداً بالنبى ﷺ فى دار الندوة ، و الّذين كفروا هم أصحاب دار الندوة فقلب الله تعالى كيدهم إلى أنفسهم فقتلهم يوم بدر ، فالكلام على هذا من الاخبار بالغيب لنزول السورة قبل ذلك بسنين .

٣ـ قيل: هو كيدهم لرسول الله ﷺ فى دار الندوة و فى غيرها .

اقول: وعلى الثانى أكثر المفسرين ولكن الانسب بظاهر السياق هو الاول وإن كان الاخير غير بعيد .

٤٥ ـ (فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون)

فى اليوم أقوال :

١ـ عن البقاعى : اريد باليوم يوم بدر .

٢ـ عن قتادة : اريد باليوم يوم الموت .

٣ـ قيل :يوم النفخة الاولى .

٤ـ قيل : يوم القيامة يأتيهم فيه من العذاب ما يزيل عقولهم .

٥ـ قيل : اريد باليوم يوم الخزى لهم ، ففى الحياة الدنيا يوم بدر وفى الاخرة يوم يدعّون الى نار جهنم دعّاً .

اقول: والاخير هو الانسب بالسياق أمّا خزى الدنيا فما يستفاد من قوله تعالى «قل تربّصوا فانّى معكم من المتربصين ـ ومن قوله تعالى ـ : أم يريدون كيداً فالذين كفروا هم المكيدون » : ٣١ ـ ٤٢)

وأمّا خزى الاخرة فمؤيّد بغرض السورة وتهديداتها .

وفى قوله تعالى : « يصعقون » أقوال :

١ـ قيل: أي يصعقون هم وغيرهم من المؤمنين وأهل السموات جميعاً عند نفخ الصور ، إذ قال تعالى : « ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض » الزمر : ٦٨) .

٢ـ قيل: أي يصعق أحياء المنكرين الذين لم يموتوا بعد وهم في الدنيا.

٣ـ قيل: أي يصعق الاحياء في الدنيا والاموات في البرزخ .

٤ـ قيل: أي يصعقون هم يوم الخزي في الحياة الدنـيا وهو يوم بدر ، وفي الاخرة يوم يدعّون الى نار جهنم دعّاً .

أقول: والاخير هو المؤيّد بقوله تعالى : « وانّ للذين ظلموا عـذاباً دون ذلك » : ٤٧) .

وأمّا القول بأنّ إنتفاء اغناء الكيد والنصر من خواصّ يوم القيامة الذي يسقط فيه عامّة الاسباب والامر يومئذ لله فمردود بقوله تعالى : « وما كيد الكافرين إلاّ في ضلال » غافر: ٢٥) .

وبقوله تعالى : « وان الله موهن كيد الكافرين » الانفال ١٨).

٤٧ ـ (وان للذين ظلموا عذاباً دون ذلك ولكن أكثرهم لايعلمون)

في قوله تعالى : « عذاباً دون ذلك » أقوال :

١ ـ عن ابن عباس : أي عذاباً غيرعذاب الاخرة قبل موتهم في الحياة الدنيا وهو القتل يوم بدر.

٢ـ عن ابن زيد : أي مصائب الدنيا من الاوجاع والاسقام و البلايا وذهـاب الاولاد ونقص الاموال .

٣ـ عن مجاهد هوالجوع والجهد سبع سنين قبل يوم بدر، لانّه كان في السنة الثانية للهجرة ، والقحط وقع عليهم قبلها .

٤ـ قيل : أي عذاباً بعد الرجعة .

٥ ـ قيل : أي عذاباً يوم القيامة بالاهوال والفزع يومها ، وهذا أخفّ من عذاب النار .

٦ ـ عن إبن عباس أيضاً والبراء بن عازب : هو عذاب القبر قبل عذاب الاخرة قال إبن عباس : إنّكم لتجدون عذاب القبر فى كتاب الله : « وانّ للذين ظلموا عذاباً دون ذلك » .

اقول: وعلى الاول أكثر المحققين .

٤٨ ـ (واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم)

فى قوله تعالى : « واصبر لحكم ربّك فانك بأعيننا » أقوال :

١ ـ قيل : أى إصبر لبلائه فيما إبتلاك به من قومك .

٢ ـ قيل : أى إصبر لقضاء ربك فيما حملك من رسالته ومن الامهال والاملاء والطبع على قلوبهم .

٣ ـ قيل : أى إصبر إلى أن يقع بهم العذاب الّذى حكمنا عليهم به ، فاللام للعاقبة .

أقول : وعلى الاخير أكثر المفسرين .

وفى قوله تعالى : « وسبّح بحمد ربّك حين تقوم » أقوال :

١ ـ عن حسان بن عطيّة والكلبى وأبى الاحوص : أى حين قمت من نومك فقل : « سبحان الله وبحمده » ليكون مفتتحاً لعمله بذكر الله تعالى .

٢ ـ عن الضحاك والربيع وزيد بن أسلم وابن زيد والكلبى أيضاً : أى إذا قمت إلى الصلوات المفروضة فقل : « سبحانك الّلهم وبحمدك وتبارك إسمه ولا إله غيرك » الى أن تدخل فى الصلاة .

٣ ـ قيل : أى اذا قمت الى كل صلاة : فرضها ونفلها فاذكر الله الى أن تدخل فيها .

٤ ـ عن ابن مسعود وسعيد بن جبير : أى اذا أردت القيام بعد جلستك فى الصلاة وغيرها فاذكر الله تعالى لانّ الذكر عند القيام مستحبّ

٥ ـ عن زيد بن أسلم أيضاً : أى اذا أردت القيام من القائلة لصلاة الظهر فاذكر الله تعالى .

٦ـ عن ابن عباس والحسن : أى اذا أردت القيام الى الركعتين قبل فريضة الصبح فاذكر الله تعالى .

٧ ـ عن إبن زيد ايضاً : أى اذا أردت القيام من المجلس فسبّح بحمد ربك .

أقول : والرابع هو الانسب بالاطلاق « حين تقوم » ، والتخصيص فى الاية التالية لا ينافى الاطلاق باعتبار ذكر أفضل الاوقات .

٤٩ ـ (ومن الليل فسبحه وادبار النجوم)

فى قوله تعالى : « ومن الليل فسبحه » أقوال: ١ ـ قيل المراد به صلاة الليل.

٢ ـ عن مقاتل : المراد به صلاتا المغرب والعشاء .

٣ ـ عن ابن زيد : صلاة العشاء .

اقول: وعلى الاوّل اكثر المفسّرين .

وفى قوله تعالى : « وإدبار النجوم » اقوال :

١ـ عن إبن عباس وجابر وقتادة : المراد به وقت إدبار النجوم وهو إختفاءها بضوء الصبح وهو الركعتان قبل فريضة الصبح .

٢ ـ عن الضحاك وإبن زيد : المراد به فريضة الصبح .

٣ ـ قيل : المراد به التسبيح لله تعالى صباحاً ومساء من غير غفلة عن ذكره.

٤ ـ عن إبن عباس ايضاً : انّه التسبيح فى آخر الصلوات .

٥ ـ عن إبن زيد ايضاً : حين تدبّر النجوم للافول عند إقبال النهار .

٦ ـ عن إبن عباس ايضاً : السجدتان قبل صلاة الغداة .

أقول: والاوّل هو المرويّ عن طريق ائمّة أهل البيت صلوات الله عليهم اجمعين .

« التفسير والتأويل »

١ ـ (والطور)

الطور : إسم الجبل الّذى كلّم الله تعالى عليه موسى عليه السلام ، وأنزل عليه التوراة أقسم الله تعالى به تشريفاً له وتكريماً وتذكيراً لما فيه من الآيات وما قدّسه وبارك فيه ، كما أقسم به فى قوله تعالى : « وطور سنين » التين : ٢) .

وقال : « وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوّة واذكروا ما فيه لعلكم تتّقون » البقرة : ٦٣) .

وقال : « وناديناه من جانب الطور الايمن وقرّبناه نجيّاً » مريم : ٥٢)

وقال : « يا بنى اسرائيل قد أنجيناكم من عدوّكم وواعدناكم جانب الطور الايمن ونزّلنا عليكم المنّ والسلوى » طه : ٨٠) .

وقال : « فلما قضى موسى الاجل وسار بأهله آنس من جانب الطور ناراً قال لاهله امكثوا إنّى آنست ناراً لعلّى آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلّكم تصطلون فلما آتاها نودى من شاطىء الواد الايمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن ياموسى إنّى أنا الله رب العالمين ـ انّهم كانوا قوماً فاسقين» القصص ٢٩ ـ ٣٢) .

وقال : « انّى أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى » طه: ١٢) .

وقال : « وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوماً ما آتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكّرون » القصص : ٤٦) .

٢ ـ (وكتاب مسطور)

الكتاب المسطور هو التوراة المكتوبة النازلة على موسى عليه السلام أقسم الله

تعالى به لما كان فيه من الهدى والموعظة والتفصيل لكل شيء ولكن بني اسرائيل اشربوا في قلوبهم العجل و كفروا بما جاءهم موسى عليه السلام و دسّوا مادسّوا ، كما هو دأبهم في طوال الاعصار .

قال الله تعالى : «ولقد آتينا موسى الكتاب ـ وجعلناه هدى لبني اسرائيل » السجدة : ٢٣) .

وقال: « قال ياموسى إنّي اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين و كتبنا له في الالواح من كل شيء وموعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوّة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها ـ وإن يروا كل آية لايؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لايتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغيّ يتخذوه سبيلا ذلك بأنّهم كذّبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين » الاعراف : ١٤٤ ـ ١٤٦) .

وقال: « وإذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل لاتعبدون إلاالله ـ واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم » البقرة : ٨٣ ـ ٩٣) .

٣ـ (في رق منشور)

الرّق : هو قطعة الجلد الاملس المعد للكتابة ، وأكثر ما كان يتخذ من جلد الغزال ، ثم اطلق على كل ما يكتب فيه فينشر للقراءة والاخذ بما فيه من الاحكام والآداب والاخلاق فيسهل على كل أحد أن يطلع على ما فيه .

والمنشور : المعدّ للكتابة والقراءة ، أو المبسوط خلاف المطوى ، كقوله تعالى : « ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً » الاسراء ١٣) .

وما يأتي في الآيتين من الرواية فمن باب الاطلاق ، كما انّ قول أصحاب التأويل : انّ الطور هو الدماغ الانساني الذي هو مظهر العقل، والكتاب ماينطبع فيه ، والرق المنشور هو النطق و البيان ـ أقسم الله تعالى بها لشرافتها و كرامتها ولكونها مظهر الامر الالهي ومحل القضاء الربوبي ـ فمن الجري والانطباق .

وذلك لانّ الجبل الّذي كلّم الله تعالى عليه موسى عليه السلام كان كذلك . .

٤ - (**والبيت المعمور**)

هو بيت في السماء بحذاء الكعبة المشرّفة تزوره الملائكة وتطوفه طواف البشر بالكعبة أقسم الله تعالى به لشرفه ومنزلته وحرمته عنده جل وعلا وجعله مثابة وأمناً للملائكة .

٥ - (**والسقف المرفوع**)

هو السّماء التي رفعها الله تعالى بغير عمد ترونها سمّاها سقفاً ، لانّها للارض بمثابة السقف للبيت .

قال الله تعالى : « وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً وهم عن آياتها معرضون » الانبياء : ٣٢) .

وقال: «الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس و القمر كل يجري لاجل مسمى يدبّر الامر يفصّل الايات لعلّكم بلقاء ربكم توقنون » الرعد : ٢) .

أقسم الله تعالى بالسماء لما فيها من الايات الدالّة على كمال قدرته وغاية علمه وحكمته وبديع صنعه وتدبيره .

قال الله تعالى: « أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيّنّاها » ق: ٦).

وقال : « ولقد جعلنا في السماء بروجاً وزيّنّاها للناظرين » الحجر: ١٦).

٦ - (**والبحر المسجور**)

أي تحمى البحار يوم القيامة فتجعل نيراناً ، ثم يفجر بعضها في بعض ، ثم تفجر إلى النار ، قال الله تعالى : « وإذا البحار سجّرت » التكوير : ٦).

وقد جاء في الخبر انه بحر في السماء تحت العرش .

٧ - (**ان عذاب ربك لواقع**)

أي ان عذاب ربك لواقع يوم القيامة ، فيحيط بالكافرين المكذّبين بالعذاب لا محالة .

قال الله تعالى : « وانّهم آتيهم عذاب غير مردود » هود : ٧٦) .

وقال : « وان جهنم لمحيطة بالكافرين يوم يغشيهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم » العنكبوت : ٥٤ ـ ٥٥) .

٨ ـ (ماله من دافع)

أى ليس لهذا العذاب دافع يدفعه عن المكذبين ، ولا مهرب لهم منه ، ولا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون .

قال الله تعالى : « سئل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع » المعارج : ١ ـ ٢) .

وقال : « انّ الّذين كفروا وماتوا وهم كفّار فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهباً ولو افتدى به اولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين » آل عمران : ٩١) .

و قال : « فلا يخفّف عنهم العذاب ولا هم ينصرون » البقرة : ٨٦) .

٩ ـ (يوم تمور السماء موراً)

أى يقع بهم العذاب يوم يضطرب نظم السماء ويختلف سيرها ، والمراد تبدّل السماوات وتغيّر معالم الوجود .

قال الله تعالى : « يوم تبدّل الارض والسموات و برزوا لله الواحد القهّار وترى المجرمين يومئذ مقرّنين فى الاصفاد سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار » ابراهيم : ٤٨ ـ ٥٠) .

١٠ ـ (وتسير الجبال سيراً)

أى تزول الجبال يوم القيامة من أماكنها وتسير عن مواضعها وتبسّ بسّاً ، فتكون سراباً وهباء منبثّا .

قال الله تعالى : « ويوم نسيّر الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً » الكهف : ٤٧) .

و قال : « إذا وقعت الواقعة ـ و بسّت الجبال بسّاً فكانت هباء منبثّاً » الواقعة : ١ ـ ٦) .

وقال : « وسيّرت الجبال فكانت سراباً إنّ جهنم كانت مرصاداً للطاغين مآباً » النبأ : ٢٠ ـ ٢٢) .

١١ ـ (فويل يومئذ للمكذبين)

أى فويل لمن يقع عليه عذاب ربك يوم القيامة بما كان يكذّب به فى الحياة الدنيا.

قال الله تعالى : « ويل يومئذ للمكذّبين إنطلقوا الى ما كنتم به تكذّبون انطلقوا الى ظلّ ذى ثلاث شعب لا ظليل ولا يغنى من اللهب انها ترمى بشرر كالقصر كأنّه جمالت صفر » المرسلات : ٢٨ ـ ٣٣) .

١٢ ـ (الذين هم فى خوض يلعبون)

أى المكذبون هم فى خوض عجيب، وهو حديث الجزاء الذى كانوا يخوضون فى انكاره ويلهون بذكره .

قال الله تعالى : « وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا فسيأتيهم أنباؤا ما كانوا به يستهزؤن » الشعراء : ٥ ـ ٦) .

١٣ ـ (يوم يدعون الى نار جهنم دعا)

أى يوم يدفع هؤلاء المكذّبون ويساقون الى نار جهنم بشدة وعنف ، حتى يردوا النار التى كانوا بها مكذّبين .

قال الله تعالى : « وسيق الذين كفروا إلى جهنّم زمراً حتى إذا جاؤها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربّكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقّت كلمة العذاب على الكافرين » الزمر: ٧١).

١٤ ـ (هذه النار التى كنتم بها تكذبون)

أى فاذا دنى هؤلاء المكذّبون من النار قال لهم خزنتها هذه النار التى تشاهدونها هى الّتى كنتم بها تكذّبون فى الحياة الدنيا وكان تكذيبكم بها موجباً لتكذيبكم الرسول ﷺ الذى جاء بخبرها وللوحى الناطق بها .

قال الله تعالى : « وقيل لهم ذوقوا عذاب النّار الّذى كنتم به تكذّبون »

السجدة : ٢٠) .

١٥ ـ (أفسحر هذا أم أنتم لاتبصرون)

أى يقال لهؤلاء المكذّبين يوم يعرضون على النّار : أفسحر هذا الّذى ترونه الآن بالعيان وتساقون إليه للعذاب والخلود فيه كما كنتم ترمون الاخبار به انّه سحر يسحر كم به محمد ﷺ ـ فانظروا هل هى خيال وسحر وأمر موهوم خرافىّ كما كنتم تزعمون ، أم هى حقيقة ـ أم انتم لا تبصرونه .

قال الله تعالى : « ويوم يعرض الّذين كفروا على النار أليس هذا بحق » الاحقاف : ٣٤) .

وقال : « وعرضنا جهنّم يومئذ للكافرين عرضاً ـ إنّا اعتدنا جهنّم للكافرين نزولا » الكهف ١٠٠ ـ ١٠٢) .

١٦ ـ (اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون)

تقول لهؤلاء المكذبين بالجزاء خزنة النار : إذا لم تستطيعوا بانكار هذه النار وتحقق انّ الاخبار بها ليس بسحر ولا خلل فى أبصاركم ، ذوقوا حرّها بالدخول فيها والتزموها سواء كان لكم فيها صبر أو لم يكن ، فلا الصبر يرفع عنكم العذاب أو يخفّفه ، ولا الجزع ينفعكم شيئاً .

قال الله تعالى : « وبرزوا لله جميعاً فقال الضعفاء للذين استكبروا إنّا كنّا لكم تبعاً فهل انتم مغنون عنّا من عذاب الله من شىء قالوا ـ سواء علينا اجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص » ابراهيم : ٢١) .

وذلك لانّ من لا يصبر على شىء يحاول دفعه عنه ، إمّا بابعاده عنه وإمّا بمحقه وإزالته ، ولا شىء من ذلك بحاصل يوم القيامة مع أنّ عذاب الاخرة ليس كعذاب الدنيا ، فانّ المعذّب فيها إن صبرَ إنتفع بصبره إمّا بالجزاء فى الاخرة وإما بالحمد فى الدنيا فيقال فيه : ما أشجعه وما اقوى قلبه ، وإن جزع ذمّ وقيل فيه : يجزع كالصبيان والنساء ، واما فى الاخرة فلا ثواب على الصبر ولامدح فيه .

إنّما يلازمكم هذا الجزاء ولا يفارقكم لاستحقاقكم بذلك لانكم تجزون بأعمالكم التى كنتم تعملونها فى الحياة الدنيا ، فاذا كان الجزاء واقعاً لا محالة كان الصبر وعدمه سواء ، قال تعالى: « كل امرىء بما كسب رهين » الطور: ٢١).

١٧ - (ان المتقين فى جنات ونعيم)

وهم الّذين يؤمنون بالله ورسوله ﷺ وباليوم الآخر ، ويعبدونه وحده ويؤدّون فرائضه ، ويخافون ربّهم سرّاً وعلانية ويتحلّون بآداب دينه ، وينتهون عن معاصيه ، ولا يدنسون أنفسهم بالآثام، ولا يدسّونها بالفجور ، و هم فى بساتين تجنّها الاشجار يتنعّمون فيها بنعم كثيرة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

قال الله تعالى: « ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون » البقرة: ٢-٤).

وقال: « ينزّل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده انانذروا انه لا إله إلاّ أنا فاتقون » النحل : ٢).

وقال : « الّذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عندالله وأولئك هم الفائزون يبشّرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبداً انّ الله عنده أجرعظيم » التوبة : ٢٠-٢٢).

١٨ - (فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم)

أى ناعمين معجبين بما أعطاهم ربّهم من الجنّات والنعيم ، و قد نجاهم من عذاب النار ، فلم يمسسهم لظاها و لم يحسّوا بأذاها ، فهم لابسوا النعم ، و جانبوا النقم ، وذلك هو الفوز العظيم ، والنعيم المقيم .

قال الله تعالى: « انّ أصحاب الجنّة اليوم فى شغل فا كهون هم وأزواجهم فى ظلال على الارائك متكئون لهم فيها فا كهة ولهم ما يدّعون سلام قولا من ربّ رحيم » يس : ٥٥ - ٥٨).

١٩ ـ (كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون)

يقول لهؤلاء المتقين خزنة الجنة ـ إذدخلوا الجنة ورأوا ما فيها من النعيم وأعجبوا بما اعطاهم ربهم ـ : كلوا أكلا واشربوا شرباً هنياً بسبب ما كنتم تعملون فى الحياة الدنيا .

قال الله تعالى : « وسيق الذين اتقوا ربّهم الى الجنة زمراً حتى إذا جاؤها و فتحت أبوابها و قال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين و قالوا الحمد لله الّذى صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبّوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين » الزمر : ٧٣ ـ ٧٤) .

وقال : « كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم فى الايام الخالية » الحاقة : ٢٤).

٢٠ ـ (متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين)

أى حال كونهم متكئين على الوسائد والنمارق جالسين على سرر مصطفّة متقابلة جلسة المتّكىء الذى لا كلفة عليه ولاتكلف لديه ، وجعلنا لهم قرينات صالحات وزوجات حساناً واسعات الاعين ، قال الله تعالى : « انّ المتقين فى جنات وعيون ادخلوها بسلام آمنين ونزعنا ما فى صدورهم من غلّ إخواناً على سرر متقابلين لايمسهم فيها نصب و ما هم منها بمخرجين » الحجر: ٤٥ ـ ٤٨) .

وقال: « يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين كذلك وزوّجناهم بحور عين » الدخان : ٥٣ ـ ٥٤) .

وقال: « على سرر متقابلين ـ وعندهم قاصرات الطرف عين » الصافات: ٤٤ـ٤٩).

٢١ ـ (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شىء كل امرىء بما كسب رهين)

أى انّ المؤمنين إذا اتبعتهم ذرّيتهم فى ايمان ما ـ فعلياً كان أو حكمياً ـ يلحقهم ربّهم بآبائهم فى المنزلة والدرجة فى الجنة فضلا من الله تعالى وإن لم يبلغوا بالايمان منزلتهم لتقرّ بهم أعينهم و يكمل بهم فرحهم وحبورهم لكونهم بينهم

وبذلك يجتمع شملهم في الجنة وما انقصنا مثوبات الآباء ولا حططنا درجاتهم بل رفعنا منزلة الابناء تفضّلا منّا وإحساناً.

إذ كل امرىء مرهون بعمله عند الله تعالى وصالح العمل والايمان يفكّه وطالح العمل والكفر يوبقه، فلا يفكّ رهنه إلاّ المؤمنون بالايمان والعمل الصالح.

قال الله تعالى: «كلّ نفس بما كسبت رهينة إلاّ أصحاب اليمين» المدّثر: ٣٨ - ٣٩).

وأما الحاق الآباء بالابناء اذا كانوا أنزل درجة من أبناءهم فانّ الآباء أبناء لآباءهم وهكذا فيتبع الابناء آباءهم في سلسلة ممتدة من بدء الخلقة الى نهايتها، وهكذا يبدو اهل الجنة وكأنهم جميعاً اسرة واحدة.

و اما ماورد من اختلاف الدرجات في الجنة ومنازل أصحابها فهو الاختلاف في درجة التقبل للنعيم، وفي مدى القدرة على التناول من تلك النعيم التي لا تنفد أبداً، فالجنة عالم واحد وهناك نفوس كبيرة ونفوس صغيرة تلتذ ويتنعم كل بحسبه.

قال الله تعالى: «الذين يوفون بعهدالله ولاينقضون الميثاق والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل ويخشون ربهم و يخافون سوء الحساب والّذين صبروا ابتغاء وجه ربهم واقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرّاً وعلانية ويدرؤن بالحسنة السيّئة اولئك لهم عقبى الدار جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وازواجهم و ذرّياتهم و الملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار» الرعد: ٢٠ - ٢٤).

٢٢ - (وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون)

أى انّا نرزقهم بفواكه الجنة على ألوانها و بلحمها على أنواعها فيها مما يشتهون رزقاً بعد رزق جزاء بما كانوا يعملون، ونزيد على ذلك من غير انقطاع تفضلا منّا.

قال الله تعالى: «انّ المتقين في جنات وعيون وفواكه ممايشتهون - انّا كذلك نجزى المحسنين» المرسلات: ٤١ - ٤٤).

وقال : « فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفّيهم اجورهم ويزيدهم من فضله » النساء : ١٧٣) .

وقال : « ان الذين يتلون كتاب الله واقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله » فاطر: ٢٩-٣٠).

وقال: « وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد هذا ما توعدون لكلّ أوّاب حفيظ من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد » ق : ٣١ - ٣٥) .

٢٣ - (يتنازعون فيها كأساً لا لغو فيها ولا تأثيم)

اى يتعاطون هم وقرناؤهم في الجنة ويتجاذبون كأساً فيه خمر ويتداولونها بينهم تجاذب ملاعبة لا تجاذب منازعة ، وفيه نوع لذّة - كما بين الزوجين في اوائل الازدواج في طعامهما وشرابهما المباح لهما في الحياة الدّنيا ، وكما يفعل الندامى فيما بينهم لشدّة سرورهم - من غير عربدة ، ولا زوال العقل فيها ولا ما يصدر من شاربي الخمر في الدنيا ولا تجعل شاربيها ذا إثم كما هو من آثار خمر الدنيا .

قال الله تعالى : « بأكواب و أباريق و كأس من معين لا يصدّعون عنها ولا ينزفون » الواقعة : ١٨ - ١٩) .

٢٤ - (ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون)

أى ويطوف على المتقين غلمان لهم بالفواكه والتحف والطعام والشراب من غير تعب ولا مشقّة في خدمة أهل الجنة ، بل لهم في ذلك لذّة وسرور كأنهم لؤلؤ في الحسن والصفاء والبياض والصباحة مصون من كدر أو مخزون في الصدف أو الكنّ والدّرج .

قال الله تعالى : « يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذّ الاعين » الزخرف : ٧١) .

٢٥ - (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون)

أى وأقبل بعض المتقين على بعض منهم في الجنّة يتذاكرون ويتحادثون

بما كانوا فيه من التعب والخوف من العاقبة فى الحياة الدنيا .

فيحمدون الله تعالى فيما هم فيه من نعيم الجنّة وحصانتهم من عذاب الجحيم

٣٦ - (قالوا انا كنا قبل فى أهلنا مشفقين)

أى قال كل مسئول من المتقين لسائله : انا كنّا فى الحياة الدنيا ونحن بين أهلنا خائفين من الله تعالى و وجلين من عقابه فضلا عن سائر الاوقات والاحوال ، و كنّا ذوى عناية بأهلنا فنخوفهم من عذاب الله تعالى فنطلب سعادتهم ونسعى فى نجاتهم من مهلكة الشقاء والضلال ، وننصحهم ونعظهم بما فيه عزّتهم فى الدارين ، فنحثّهم إلى الحق والايمان وصالح العمل .

قال الله تعالى فى وصف المتّقين: « والّذين هم من عذاب ربهم مشفقون » المعارج : ٢٧) .

وقال : « وذكراً للمتّقين الذين يخشون ربّهم بالغيب و هم من السّاعة مشفقون » الانبياء : ٤٨ - ٤٩) .

وقال : « يا أيّها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » التحريم : ٦) .

٣٧ - (فمن الله علينا و وقانا عذاب السموم)

أى فمنّ الله تعالى علينا بالهداية ودين الحق والتوفيق لصالح العمل ، وغفر لنا بعض ما تركناه أمراً ونهياً وبالجنة ونعيمها ونجانا من عذاب النار .

قال الله تعالى : « الذين يحملون العرش ومن حوله يسبّحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتّبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرّياتهم إنك أنت العزيز الحكيم وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم» المؤمن:٧-٩).

٢٨ ـ (اناكنا من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم)

أى إنا كنا في الحياة الدنيا نوحّد الله جل وعلا ونعبده وحده ، وكنا نأتمر بأوامره وننتهى عن نواهيه ، وندعوه أن يمنّ علينا بالمغفرة عن تقصيرنا ، ونطلب منه النجاة من عذاب الجحيم ، وأن يدخلنا في الجنة ، وكنا نعتنى بأهلنا فنقرّبهم من الحق بالدعوة اليه ، ونجنّبهم عن الباطل بالتخويف على تبعته ، فاستجاب لنا بمنّه وفضله ، لانه البارّ بعباده المؤمنين ، والواسع الرحمة لمن يطلبون رحمته ويبتغون بفضله .

قال الله تعالى : « ومن أحسن قولاممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال انني من المسلمين » فصّلت : ٣٣) .

وقال : « واصبر نفسك مع الّذين يدعون ربّهم بالغدوة والعشىّ يريدون وجهه » الكهف : ٢٨) .

وقال : « انّهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين » الانبياء : ٩٠) .

وقال : « اولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربّهم الوسيلة أيّهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه » الاسراء : ٥٧).

٢٩ ـ (فذكر فما أنت بنعمت ربك بكاهن ولا مجنون)

أى إذا كان ما أخبرناهم بـه من الجزاء الواقع ومصائر المكذبين وموقفهم ومصائر المتّقين وموقفهم يوم القيامة والمشاهد فيه حقّاً ، فذكّر يا أيّها الرسول الناس فاثبت على ما كنت عليه من التذكير والدعوة العامّة ، واستمرّ فانك تذكّرهم وتنذرهم بالحق ولست كما يرمونك كاهناً ولا مجنوناً لانك بأعيننا وهذه هى نعمة خاصة تمنع من عروض صفتى الكهانة والجنون وما إليهما من الصفات غير اللائقة بمقام النبوة عليك .

قال الله تعالى : « فذكّر إنّما أنت مذكّر » الغاشية : ٢١) .

وقال : « أو لم يتفكّروا ما بصاحبهم من جنّة إن هو إلاّ نذير مبين »

الاعراف : ١٨٤) .

وقال : لمّا سمعوا الذكر ويقولون انه لمجنون وما هو إلاّ ذكر للعالمين » القلم : ٥١ ـ ٥٢) .

٣٠ ـ (أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون)

أى بل يقول هؤلاء المكذّبون: إن محمداً ﷺ هو شاعر تنتظر به حوادث الدهر ونكباته ، من موت ، أو حادثة متلفة ، فيخمد ذكره ، و ينسى رسمه ، فنستريح منه .

كقوله تعالى حكاية عن قوم نوح عليه السلام اذ قالوا فيه : «إن هو إلاّ رجل به جنّة فتربّصوا به حتّى حين » المؤمنون : ٢٥) .

٣١ ـ (قل تربصوا فانى معكم من المتربصين)

أى قل يامحمّد ﷺ لهم: إنتظروا وتمهّلوا فى ريب المنون فانّى معكم منتظر لقضاء الله تعالى وأمره فيكم ، فستعلمون لمن يكون حسن العاقبة و الظفر فى الدنيا والآخرة ، فعذّبوا يوم بدر بالسيف أو يوم الفتح .

قال الله تعالى: « قل يوم الفتح لاينفع الذين كفروا ايمانهم ولاهم ينظرون فأعرض عنهم وانتظر انهم منتظرون » السجدة : ٢٩ ـ ٣٠) .

وقال : « قل كلّ متربّص فتربّصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوى ومن اهتدى » طه : ١٣٥) .

٣٢ ـ (أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون)

أى بل أتأمرهم قوّة تخيّلهم وأوهامهم ووساوسهم بماتقدم ذكره من مقالتهم فى النبىّ الكريم ﷺ وتربّصهم بهريب المنون، وهذا غيرما يفعل العقلاء الذين يتدبّرون بهأمرهم بينهم ،فان العقل لايأمر صاحبه بذلك أبداً ، بل الحق ان الذى حملهم على أن يقولوا ماقالوا وتربّصوا ما تربصوا هو طغيانهم و عنادهم و ضلالهم عن الحق ، وهم بذلك صاروا بمثابة الانعام بل هم أضلّ سبيلا .

قال الله تعالى: « فان لم يستجيبوا لك فاعلم إنما يتبّعون أهواءهم ومن أضلّ

ممن اتبّع هواه بغير هدى من الله » القصص : ٥٠) .

وقال: « أم تحسب انّ أكثرهم يسمعون أويعقلون إن هم إلاّ كالانعام بلهم أضلّ سبيلا » الفرقان : ٤٤) .

وقال: «لهم قلوب لايفقهون بهاولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها اولئك كالانعام بل هم أضلّ اولئك هم الغافلون » الاعراف : ١٧٩) .

٣٣ ـ (أم يقولون تقوله بل لايؤمنون)

أى بل أيقول هؤلاء المكذّبون أفترى محمد ﷺ ماجاء به يعنى القرآن واختلقه من تلقاء نفسه بلهم لايؤمنون به عناداً ولجاجاً وطغياناً وهذه حملتهم على هذه المطاعن وزيّن لهم أن يقولوا ماقالوا فحينئذ ردّهم الله تعالى جميع ماازعموا وتحدّاهم فى دحض ما قالوا بقوله :

٣٤ ـ (فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين)

أى لو كان ماجاء به محمد ﷺ من تلقاء نفسه فليأتوا بحديث مثله ـ يشبهه فى النظم والاسلوب والفصاحة وحسن البيان والبراعة ـ من تلقاء أنفسهم إن كانوا صادقين فى انّ محمداً ﷺ إفتراه على الله سبحانه .

٣٥ ـ (أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون)

أى أم خلق هؤلاء المكذّبون المنكرون صدفة من غير خالق ولاموجد والعقل يشهد وينادى بأنّ كل شىء يوجد بموجده، أم هم خلقوا أنفسهم وأوجدوها فليسوا بمخلوقين لله تعالى حتى يربّيهم ويدبّر أمرهم بالامر والنهى.

والعقل يكذب أن يخلق الانسان نفسه للزوم تقدّم وجوده على وجوده ،فهم باعتبار انهم خالقون مقدّمون على أنفسهم فى الوجود ، وباعتبار انّهم مخلوقون مؤخرون من أنفسهم فى الوجود .

قال الله تعالى : « انّ فى خلق السّموات و الارض واختلاف الليل و النهار لآيات لاولى الالباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكّرون

فى خلق السموات و الارض ربّنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النـار » آل عمران : ١٩٠ - ١٩١) .

٣٦ - (أم خلقوا السموات والارض بل لايوقنون)

أیأم خلق هؤلاء المكذّبون السموات و الارض فيكونوا أرباباً آلهة وليس الامر كذلك فانّهم لم‌يخلقوا شيئاً ولاهم يدّعون ذلك ، بل الحق انّهم **لايوقنون** بوعيد الله تعالى ، وما أعدّ لاهل الكفر به من عذاب الاخرة ، إذ لو أيقنوا بذلك لما أنكروه.

قال الله تعالى: « وإذا قيل‌ان ّ وعد الله حق والساعة لاريب فيها قلتم ماندرى ما السّاعة إن نظنّ إلاّ ظنّا وما نحن بمستيقنين » الجاثية : ٣٢) .

وقال : « كلاّ لو تعلمون علم‌اليقين لترونّ الجحيم ثم لترونّها عين‌اليقين » التكاثر : ٥ - ٧) .

٣٧ - (أم عندهم خزائن ربك أم هم المصيطرون)

أى بل أعند هؤلاء المنكرين بالبعث والجزاء مفاتيح خزائن رحمـة ربك فيقسمونهـا كيفما شاؤا ويعطونها ، وخاصّة النبوة لمن أرادوا ، ويصطفون لها من اختاروا ، بل أهم القاهرون على الله سبحانه والمسلّطون عليه فيبنون الامور على إرادتهم ومشيّتهم ويسلبون عنك ما رزقك الله تعالى من النبوّة والرسالة .

وليس الامر كذلك ، بل الله تعالى هو المتصرّف الفعّال لما يريد .

قال الله تعالى : « أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهّاب أم لهم ملك السّموات والارض وما بينهما فليرتقوا فى الاسباب » ص : ٩ - ١٠) .

وقال : « وقالوا لو لا نزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدّنيا و رفعنا بعضهم فوق بعض درجات » الزخرف : ٣١ - ٣٢) .

٣٨ - (أم لهم سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبين)

أى بل أيدّعون انّ لهم مرتقى إلى السماء و مصعداً وسبباً يستمعـون عليه

الاخبار ويصلون به إلى علم الغيب كما يصل اليه محمد ﷺ بطريق الوحى ، فليأت من يدّعى ذلك منهم بحجّة بيّنة انّ هذا الذى هم عليه حق .

٣٩ - (أم لهم البنات ولكم البنون)

أى بل أتضيفون الى الله سبحانه البنات مع أنفتكم منهن وكراهتكم بهنّ ، وتضيفون الى انفسكم البنين لحبّكم بهم ، تلك إذاً قسمة جائرة غيرعادلة إذ تفوقتم على الله سبحانه حيث جعلتم نصيبكم البنين ونصيبه البنات .

قال الله تعالى : «ألكم الذكر وله الانثى تلك إذاً قسمة ضيزى» النجم: ٢٢) .

٤٠ - (أم تسئلهم أجراً فهم من مغرم مثقلون)

أى بل أتسئل أيها الرسول ﷺ هؤلاء المنكرين على ما تدعوهم إليه من التوحيد والطاعة لله تعالى وحده أجراً تأخذه من أموالهم فهم من ثقل ما حملتهم من الاجر لايقدرون على إجابتك الى ماتدعوهم الى صراط مستقيم فأعرضوا عن الدعوة لذلك.

وليس الامر كذلك إذ لا أجر لك فى تبليغ رسالتك الاّ على رب العالمين اذ لا يوازن الرسالة متاع الدنيا حتى يجعل اجرها من متاعها ، نعم جعل الله أجرها المودّة بأهل بيته المعصومين عليهم السلام .

قال الله تعالى : « أم تسئلهم خرجاً فخراج ربّك خير و هو خير الرّازقين وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم » المؤمنون : ٧٢ - ٧٣) .

وقال: « قل ما أسئلكم عليه من أجر وما أنا من المتكلّفين ان هو الاّ ذكر للعالمين » ص: ٨٦ - ٨٧) .

وقال : « قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودّة فى القربى » الشورى: ٢٣) .

٤١ - (أم عندهم الغيب فهم يكتبون)

أى بل أعندهم علم الغيب فيخرجون منه تلك المقالات التى يقولونها فى النبى الكريم ﷺ فيردّون به دين الحق الذّى يدعوهم اليه الرسول ﷺ .

و ليس الامر كذلك اذ لايعلم الغيب رسول الله ﷺ الاّ ما جاء به من الوحى فضلا عن هؤلاء المنكرين الجهلاء .

قال الله تعالى : « قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم انّى ملك إن أتّبع إلاّ ما يوحى إلىّ » الانعام : ٥٠) .

وقال : « تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر انّ العاقبة للمتقين » هود : ٤٩) .

٤٢ - (أم يريدون كيداً فالذين كفروا هم المكيدون)

أى بل أيريد هؤلاء المنكرون حيلة فى الحاق الضرر بالنبى الكريم ﷺ فرموه بالكهانة و الجنون والشعر والتقوّل ليعرض عنه الناس ويبتعدوا عنه فتبطل بذلك دعوته وينطفىء نوره ، وما يريدون فى حقّه ﷺ فى دار الندوة ولكنّ الله تعالى أحبط تدبيرهم وأفسد كيدهم ، فأظهر دينه الحق ونصر نبيّه ﷺ عليهم يوم بدر وفى كل وقت وظروف فرجع اليهم وبال كيدهم فخسرواهم فى الدنيا والاخرة.

قال الله تعالى : « وان تصبروا وتتقوا لايضرّكم كيدهم شيئاً انّ الله بما يعملون محيط » آل عمران : ١٢٠) .

وقال : « فذرنى ومن يكذّب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لايعلمون وأملى لهم انّ كيدى متين » القلم : ٤٤ - ٤٥) .

وقال : « وأرادوا به كيداً فجعلناهم الاخسرين » الانبياء : ٧٠) .

وقال : « فأرادوا به كيداً فجعلناهم الاسفلين » الصافات : ٩٨) .

وقال : « وما كيد الكافرين الاّ فى ضلال » غافر : ٢٥) .

وقال : « ذلكم وإنّ الله موهن كيد الكافرين » الانفال : ١٨) .

٤٣ - (أم لهم اله غير الله سبحان الله عما يشركون)

أى إذا انصرف هؤلاء المكذّبون عن دعوة النبى الكريم ﷺ و عبدوا إلهاً غير الله الّذى يدعوهم الرسول ﷺ إلى توحيده والعبادة له وحده ، فأرادوا به ﷺ كيداً فأراد الله تعالى بهم كيداً ، ألهم إله غير الله يمنع منهم خزى الدنيا فيلجأون اليه و يدفع عنهم عذاب الآخرة الذى أوعدوا به ، وأنذرهم به الرسول ﷺ فيحتمون به .

و ليس الامر كذلك فلا ملجأ لهم فى رجوع وبال كيدهم اليهم فى الحياة الدنيا ولا مدفع لهم عن عذاب الله الواقع بهم فى الاخرة ، وان الله جل وعلا منزّه عمّا كانوا هؤلاء المكذبون يشركون به .

٤٤ - (وان يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحاب مركوم)

أى انّ كفر هؤلاء المنكرين و إصرارهم على العناد والمكابرة و الانكار و التكذيب بالدعوة الحقة بلغت الى حيث لو رأوا قطعة من السماء وهى من الآيات التى كانوا يسئلونه ﷺ عنها « فأسقط علينا كسفاً من السماء ان كنت من الصادقين» الشعراء : ١٨٧) .

« وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجّر لنا من الارض ينبوعاً أو تكون لك جنّة من نخيل و عنب فتفجّر الأنهار خلالها تفجيراً أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتى بالله والملائكة قبيلا أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيّك حتى تنزّل علينا كتاباً نقرؤه » الاسراء : ٩٠ -٩٣) .

والغرض انهّم لفرط عنادهم لا يفيدهم شيء من الدلائل حتى لو أسقطنا عليهم قطعة من السماء لقالوا هذه سحاب مركوم بعضه فوق بعض .

كقوله تعالى: « ولوفتحنا عليهم باباً من السماء فظلّوا فيه يعرجون لقالوا انّما سكّرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون » الحجر : ١٤ - ١٥).

٤٥ - (فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون)

أى لما رأيت أيّها الرسول ﷺ العناد واللجاج والاصرار على الانكار والتكذيب بحيث انهم لايؤمنون ، فلا تغتمّ بموقفهم، فكلهم إلى الله جلّ وعلا واتركهم ولا تكترث بهم حتى يأتيهم يوم الخزى فيجزون فيه بسيّئات أعمالهم

قال الله تعالى : « فنذر الّذين لا يرجون لقاءنا فى طغيانهم يعمهون » يونس : ١١) .

وقال : « فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون » المعارج : ٤٢) .

٤٦ ـ (يوم لايغني عنهم كيدهم شيئاً ولاهم ينصرون)

أي يوم لا تنفعهم حيلتهم التي دبّروها لا لحاق الضرر بالنبي ﷺ وإبطال دعوته وإطفاء نوره وإبتعاد الناس عنه ﷺ شيئاً قليلا ، ولا يجدون لهم نصيراً ينصرهم في الخزي ولا معيناً يدفع عنهم العذاب .

٤٧ ـ (وان للذين ظلموا عذاباً دون ذلك ولكن أكثرهم لايعلمون)

أي وإنّ للذين ظلموا عذاباً واقع غيرعذاب النار ولكن أكثرهم **لايعلمون** ما سيصيرون إليه من الخزي في الحياة الدنيا والعذاب في الاخرة ، وانا سنبتليهم بالخزي فيها لعلهم يرجعون وينيبون إلينا ، قال الله تعالى : « ولنذيقنّهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر لعلهم يرجعون » السجدة : ٢١) .

٤٨ ـ (واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم)

أي واصبر أيّها الرسول ﷺ على أذاهم ولا تبال بهم ولا بمقالتهم إلى أن يقع بهم العذاب الذي حكمنا عليهم به بسبب ما كانوا يفعلون ، فامض لأمر الله تعالى ونهيه وبلّغ ما أرسلت به فانك بمرأى ومنظر منّا ، نسمع ما يقال فيك فلا يخفى علينا من حالك ولا نغفل عنك فانك بحفظي وحمايتي وحراستي فلا يصل إليك منهم أذى .

ونزّه ربك عما لا يليق به وعمّا كانوا يشركون ، واذكره في كل وقت وظرف وحين تقوم من مجلسك اطلاقاً .

٤٩ ـ (ومن الليل فسبحه وادبار النجوم)

واذكره دائماً ، وخاصة في صلاة الليل و وقت ادبار النجوم بظهور ضوء النهار ، لانّهما افضل الاوقات .

قال الله تعالى : « **ومن الليل فتهجّد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربّك مقاماً محموداً** » الاسراء : ٧٩) .

﴿ جملة المعانى ﴾

٤٧٣٦ ـ (والطور)

أقسم الله تعالى بالطور تشريفاً وتكريماً له وتذكيراً لما فيه من الايات وبارك فيه.

٤٧٣٧ ـ (وكتاب مسطور)

أقسم تعالى به لما كان فيه من الهدى والموعظة والتفصيل لكل شىء .

٤٧٣٨ ـ (فى رق منشور)

أى فى ورق يكتب فيه فينشر للقراءة والاخذ بما فيه من الاحكام والآداب والاخلاق فيسهل على كل أحد أن يطلع على ما فيه .

٤٧٣٩ ـ (والبيت المعمور)

هو بيت فى السماء يعمره الملائكة بالعبادة فيه وزيارته والطواف حوله .

٤٧٤٠ ـ (والسقف المرفوع)

هو السماء التى قد رفعها الله تعالى بغير عمد ترونها .

٤٧٤١ ـ (والبحر المسجور)

بحار تحمى ويفجر بعضها فى بعض .

٤٧٤٢ ـ (ان عذاب ربك لواقع)

يوم القيامة فيحيط بمن أنكره فى الحياة الدنيا .

٤٧٤٣ ـ (ماله من دافع)

أى ليس لهذا العذاب دافع يدفعه عن منكريه فلا مهرب لهم منه .

٤٧٤٤ - (يوم تمور السماء موراً)

أى هذا العذاب واقع بهم يوم تحرك السماء تحركا يضطرب نظمها و يختلف سيرها.

٤٧٤٥ - (و تسير الجبال سيراً)

أى وتزول الجبال يومئذ من أماكنها فكانت هباء منبثاً .

٤٧٤٦ - (فويل يومئذ للمكذبين)

أى فويل لمن يقع عليه عذاب ربك يوم القيامة بما كان يكذّب به فى الحياة الدنيا.

٤٧٤٧ - (الذين هم فى خوض يلعبون)

أى الذين هم كانوا يخوضون فى إنكار حديث الجزاء ويلهون بذكره .

٤٧٤٨ - (يوم يدعون الى نار جهنم دعا)

أى يوم يساق هؤلاء المكذّبون الى نارجهنم بشدة وعنف حتى يردوها .

٤٧٤٩ - (هذه النار التى كنتم بها تكذبون)

أى فاذا دنى هؤلاء المكذبون من النار قال لهم خزنتها هذه النار التى ترونها هى التى كنتم بها تكذّبون فى الحياة الدنيا .

٤٧٥٠ - (أفسحر هذا أم أنتم لاتبصرون)

أى يقال لهؤلاء المكذبين حينئذ : أفسحر هذا الذى ترونه الآن بالعيان وسقتم اليه كما كنتم ترمون الاخبار به انّه سحر يسحركم به محمد ﷺ .

٤٧٥١ - (اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون)

تقول عندئذ خزنة النار للمكذّبين : اذا لم تقدروا على هذا الجزاء وتحقق انّ الاخبار به ليس بسحر و لاخلل فى أبصاركم ، فالتزموه سواء كان لكم صبر فيه أم لا ، فلا الصبر يرفع عنكم الجزاء ، ولا الجزع ينفعكم شيئاً هذا جزاء عملكم قدّمتموه بأيديكم .

٤٧٥٢ ـ (ان المتقين فى جنات ونعيم)

وهم الذين آمنوا بالله تعالى وأطاعه وأدّوا فرائضه وانتهوا عن نواهيه وآمنوا برسوله وباليوم الاخر وهم فى بساتين تجنّها الاشجار متنعّمين فيها بكثير من نعمه.

٤٧٥٣ ـ (فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم)

حال كونهم ناعمين معجبين بما أعطاهم ربّهم فى الجنّة من النعم وحفظهم من عذاب النار .

٤٧٥٤ ـ (كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون)

لما دخل المتقون الجنّة ورأوا ما فيها من النعيم ، وأعجبوا بما أعطاهم ربهم يقول لهم خزنتها : كلوا أكلا هنيئاً واشربوا شرباً مريئاً جزاء بما كنتم **تعملون** .

٤٧٥٥ ـ (متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين)

حال كونهم متّكئين على الوسائد والنمارق جالسين على سرر مصطفة متقابلة جلسة **المتّكىء** ، وجعلنا لهم قرينات صالحات حساناً واسعة الاعين .

٤٧٥٦ ـ (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شىء كل امرىء بما كسب رهين)

أى ان المؤمنين إذا اتبعتهم ذرّيتهم فى إيمان ما يلحقهم ربهم بآبائهم فى **الجنة بدرجتهم** فضلا من الله تعالى على الآباء لتقرّ بهم أعينهم وعلى الابناء لمزيد **درجتهم** ، **وما** أنقصنا الاباء درجاتهم ومثوباتهم ، إذ كل امرىء مرهون **بعمله عندالله تعالى فرفعهم الله** تعالى درجاتهم بدرجات عملهم ، فلا بدّ منها فـلا نقص لهم منها بسبب **إلحاق** الابناء بهم .

٤٧٥٧ ـ (وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون)

اى ونزيد عليهم بفواكه الجنّة على ألوانها وبلحمها على أنواعها مما يشتهون من غير انقطاع .

٤٧٥٨ ـ (يتنازعون فيها كأساً لالغو فيها ولا تأثيم)

أى يتعاطون هم وقرناؤهم فى الجنة و يتجاذبون كأساً فيه خمر ، **تجاذب** ملاعبة لا تجاذب منازعة ، من غير عربدة ، ولا ما يوجب إثماً .

٤٧٥٩ ـ (ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون)

وحال أن يطوف على المتقين غلمان لهم بالطعام والشراب ، **كأنّ هؤلاء الغلمان لؤلؤ** فى الحسن والصفاء ، مصون من كدر .

٤٧٦٠ ـ (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون)

أى واقبل بعض المتقين على بعض منهم فى الجنّة **فيتذاكرون ويتحادثون** بما كانوا فيه من احوالهم فى الحياة الدّنيا .

٤٧٦١ ـ (قالوا انا كنا قبل فى أهلنا مشفقين)

أى قال كل منهم لسائله : إنّا كنا فى الدنيا خائفين من الله تعالى **و نحن بين أهلنا** فضلا عن سائر الاوقات والاحوال و كنا ذوى عناية خاصّة **بأهلنا فى سعادتهم** .

٤٧٦٢ ـ (فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم)

فمنّ الله تعالى علينا بالهداية ودين الحقّ والتوفيق لصالح العمل ، ونجّانا من عذاب النار .

٤٧٦٣ ـ (انا كنا من قبل ندعوه انه هوالبر الرحيم)

أى إنّا كنا فى الحياة الدنيا ندعو الله تعالى وحده ، ونعبده وحده ، **لانّه** هو البارّ لمن يدعوه ، ويرحم لمن يعبده وحده برحمة خاصّة .

٤٧٦٤ ـ (فذكر فما انت بنعمت ربك بكاهن ولا مجنون)

أى إذا كان ماأخبرناهم به حقّاً ، فذكّر الناس واثبت على التذكير **بهم والدعوة** ولست كما يرمونك كاهناً ولا مجنوناً لاحاطة نعمت ربك **بك تمنع من عروض تلك** الصفات عليك .

٤٧٦٥ ـ (أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون)

أى بل يقول هؤلاء المكذّبون : إنّ محمداً ﷺ هو شاعر ننتظر به الموت أو حادثة متلفة فيخمد ذكره فنستريح منه .

٤٧٦٦ ـ (قل تربصوا فانى معكم من المتربصين)

أى قل يا أيّها الرسول لهؤلاء المكذبين : انتظروا فى ريب المنون فانى معكم من المنتظرين لقضاء الله تعالى وأمره فيكم .

٤٧٦٧ ـ (أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون)

بل أتأمرهم أوهامهم بمقالتهم فى النبى ﷺ وتربّصهم به ريب المنون ، بل هم قوم حملهم طغيانهم على ذلك .

٤٧٦٨ ـ (أم يقولون تقوله بل لايؤمنون)

بل أيقول هؤلاء المكذبون إفترى محمد ﷺ ماجاء به واختلقه من تلقاء نفسه، بل هم لايؤمنون به عناداً .

٤٧٦٩ ـ (فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين)

أى لو كان ماجاء به محمد ﷺ من تلقاء نفسه فليأتوا بخبر يشبه بمايخبر به محمد ﷺ فى النظم والاسلوب والمعنى إن كانوا صادقين فى دعواهم .

٤٧٧٠ ـ (أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون)

أى أم خلق هؤلاء المكذّبون صدفة من غير خالق ، أم هم أوجدوا أنفسهم .

٤٧٧١ ـ (أم خلقوا السموات والارض بل لايوقنون)

أى أخلق هؤلاء المكذّبون السماوات والارض فيكونون لهاخالقين، وليس الامر كذلك بل هم قوم لا يوقنون .

٤٧٧٢ ـ (أم عندهم خزائن ربك أم هم المصيطرون)

أى بل أعندهم مفاتيح خزائن رحمة ربّك فيقسمونها كيفا شاؤا ويعطونها ،

وخاصة النبوّة لمن اصطفوه ، أم هم القاهرون على الله سبحانه و المسلّطون عليه فليس لله فيها إرادة ومشيئة ، أو إرادته مغلوب لارادتهم .

٤٧٧٣ - (أم لهم سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبين)

أى بل أيدّعون انّ لهم مرتقى إلى السماء يستمعون فيه الاخبار الغيبيّة ، فليأت من يدّعى ذلك منهم بحجّة بيّنة ، انّ هذا الذى هم عليه حق .

٤٧٧٤ - (أم لهم البنات ولكم البنون)

بل أتضيفون إلى الله سبحانه البنات مع كراهتكم بهنّ وإلى أنفسكم البنين لحبّكم بهم .

٤٧٧٥ - (أم تسئلهم أجراً فهم من مغرم مثقلون)

أتسئل أيهّا النبى صلى الله عليه وآله هؤلاء المكذّبين فى رسالتك إليهم أجراً تأخذه من أموالهم ، فهم لثقل ذلك لا يقدرون على إجابتك .

٤٧٧٦ - (أم عندهم الغيب فهم يكتبون)

أعندهم علم الغيب فهم يكتبون منه تلك المقالات فى النبى الكريم ﷺ .

٤٧٧٧ - (أم يريدون كيداً فالذين كفروا هم المكيدون)

بل أيريد هؤلاء المنكرون حيلة فى إطفاء نور الله تعالى وإفساد دعوة رسوله صلى الله عليه وآله ، وإن كان كذلك فليعلموا انّ الذين تلبّسوا فى الكفر هم المكيدون ، راجع إليهم وبال كيدهم فى الدنيا والآخرة .

٤٧٧٨ - (أم لهم اله غير الله سبحان الله عما يشركون)

ألهم حينئذ إله غير الله يمنع منهم وبال كيدهم وهو تعالى منزّه عن شريك وندّ .

٤٧٧٩ - (وان يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحاب مركوم)

أى وهم لفرط عنادهم ان يروا قطعة من السماء ، وهى آية كانوا يسئلونه صلى الله عليه وآله عنها أن تسقط عليهم يقولوا هذه سحاب ركم بعضها فوق بعض .

٤٧٨٠ - (فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون)

إذا رأيت يا أيها النبى صلى الله عليه وآله منهم هذا العناد واللجاج وإصرارهم على الكفر بحيث لا يؤمنون فلا تغتمّ بموقفهم واتركهم وشأنهم حتى يأتيهم يوم الخزى فيموتون فيجزون فيه بسيئآت أعمالهم .

٤٧٨١ - (يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيئاً ولاهم ينصرون)

أى يوم لا تنفعهم حيلتهم فى إفساد دعوة النبى صلى الله عليه وآله ولا يجدون لهم نصيراً ينصرهم فى رجوع وبال كيدهم إليهم .

٤٧٨٢ - (وان للذين ظلموا عذاباً دون ذلك ولكن أكثرهم لايعلمون)

أى وانّ للذين تلبّسوا فى الظلم عذاباً فى الدنيا ولكن أكثرهم لايعلمون ذلك.

٤٧٨٣ - (واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم)

أى واصبر أيّها الرسول صلى الله عليه وآله على أذاهم ، ولاتبال بهم، ولابمقالتهم إلى ان يقع بهم العذاب الذى حكمنا عليهم به فانك بمرأى ومسمع منّا وأنت فى حمايتنا لايصل إليك منهم أذى ، ولا يستطيعون على اطفاء نورك ، ونزّه ربك عما لايليق بساحة قدسه ، واذكره دائماً وحين تقوم من مجلسك .

٤٧٨٤ - (ومن الليل فسبحه وادبار النجوم)

واذكره ليلا ونهاراً وخاصّة قبيل الفجر لصلاة الليل ، وحين ادبار النجوم، واقبال النهار .

﴿ بحث روائي ﴾

في تفسير القمي : في قوله تعالى : « والطور و كتاب مسطور » قال : الطور جبل بطور سيناء « و كتاب مسطور » أي مكتوب .

وفي البرهان : عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله عزوجل : « و كتاب مسطور في رقّ منشور » قال : كتاب كتبه الله عزّ وجلّ في ورقة آس ، و وضعه على عرشه قبل خلق الخلق بألفي عام : « يا شيعة آل محمد إنّي أنا الله أجتبكم قبل أن تدعوني ، وأعطيتكم قبل أن تسئلوني وغفرت لكم قبل أن تستغفروني » .

في شرح ابن أبي الحديد : جاء في الخبر الصحيح أنّ في السّماء بيتاً يطوف به الملائكة طواف البشر بهذا البيت إسمه الضّراح ، و انّ هذا البيت تحته على خطّ مستقيم ، وانّه المراد بقوله تعالى . « والبيت المعمور » أقسم سبحانه به لشرفه ومنزلته عنده .

وفي الدر المنثور : عن إبن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : البيت المعمور في السّماء يقال له : « الضّراح » على مثل البيت الحرام لو سقط سقط عليه ، يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك لم يردوه قطّ ، وانّ له في السماء حرمة على قدر حرمة مكّة .

وفي العلل : باسناده عن أبي خديجة عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قلت له : لم سمّي البيت العتيق ؟ قال : إنّ الله عزّوجل أنزل الحجر الاسود لآدم من الجنّة وكان البيت درّة بيضاء فرفعه الله الى السّماء وبقي اسّه فهو بحيال هذا البيت يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لايرجعون إليه أبداً، فأمر الله ابراهيم واسمعيل ببنيان

البيت على القواعد ، وانمّا سمّى البيت العتيق لانّه أعتق من الغرق .

وفى محاسبة النفس: للسيّد بن طاووس رضوان الله تعالى عليه نقلا من كتاب خطب الامام أمير المؤمنين عليه السلام لعبد العزيز الجلودى" باسناده قال : سئل ابن الكوّاء أميرالمؤمنين عليه السلام عن البيت المعمور والسقف المرفوع ؟ قال عليه السلام : ويلك ذلك الضراح بيت فى السماء الرابعة حيال الكعبة من لؤلؤة واحدة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لايعودون اليه الى يوم القيامة ، فيه كتّاب أهل الجنّة عن يمين الباب يكتبون أعمال أهل الجنّة ، وفيه كتّاب أهل النار عن يسارالباب يكتبون أعمال اهل النّار بأقلام سود فاذاكان مقدار العشاء ارتفع الملكان فيسمعون منهما ما عمل الرجل ، فذلك قوله تعالى: « هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق" انّا كنّا نستنسخ ما كنتم تعملون » .

قوله عليه السلام: «فيسمعون» أى الملائكة الذين عن يمين الباب ويساره «منهما» أى من الملكين الكاتبين .

وفى العلل : باسناده عن أبى حمزة الثمالى عن على بن الحسين عليه السلام قال: قلت له : لم صار الطواف سبعة أشواط ؟ قال: لانّ الله تبارك وتعالى قال للملائكة : « إنى جاعل فى الارض خليفة » فردّوا على الله تبارك وتعالى وقالوا : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » قال الله : « انى أعلم ما لاتعلمون » وكان لايحجبهم عن نوره ، فحجبهم عن نوره سبعة آلاف عام فلاذوا بالعرش سبعة آلاف سنة ، فرحمهم و تاب عليهم وجعل لهم البيت المعمور الذى فى السّماء الرابعة فجعله مثابة وأمناً ، و وضع البيت الحرام تحت البيت المعمور فجعله مثابة للناس وأمناً فصار الطواف سبعة أشواط واجباً على العباد لكلّ ألف سنة شوطاً واحداً .

وفى تفسير القمى. فى حديث طويل ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : فقلت : يا جبرئيل من هذا الذى فى السّماء السابعة على باب البيت المعمور فى جوار الله تعالى ؟ فقال : هذا أبوك إبراهيم عليه السلام .

وفى تفسير العياشى: باسناده عن أبى عبدالله عليه السلام فى حديث طويل ـ فى

معراج رسول الله صلى الله عليه وآله - فلمّا فرغ مناجاته ردّ الى البيت المعور وهو في السّماء السابعة بحذاء الكعبة .

وفي الكافي: عن داود بن كثير الرقي قال : قلت لابي عبدالله عليه السلام : ما معنى السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : إن الله تبارك وتعالى لما خلق نبيّه ووصيّه وابنته وابنيه وجميع الائمة ، وخلق شيعتهم أخذ عليهم الميثاق وأن يصبروا ويصابروا ويرابطوا وأن يتّقوا الله ، و وعدهم أن يسلم لهم الارض المباركة و الحرم الامن وأن ينزل لهم البيت المعمور ، ويظهر لهم السقف المرفوع ويريحهم من عدوّهم والارض التي يبدّلها الله من السلام ويسلم ما فيها لهم « لاشية فيها » قال : لا خصومة فيها لعدوّهم .

وان يكون لهم فيها ما يحبّون ، وأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله على جميع الائمة وشيعتهم الميثاق بذلك وإنّما عليه السلام تذكرة نفس الميثاق وتجديد له على الله لعلّه أن يعجله جلّ وعزّ ويعجل السلام لكم بجميع ما فيه .

اقول: ومن المحتمل أن يكون المراد بالارض المباركة أرض عالم الملكوت فانّ البيت المعمور والسّقف المرفوع هنالك ، واشير به إلى رجعتهم عليهم السلام الّتي ثبت عنهم وقوعها ، واشير بقوله : « والارض التي يبدّلها الله » إلى قوله تعالى: « يوم تبدّل الارض غير الارض » .

وهي إمّا عطف على الارض المباركة أو استيناف و« من » في « من السلام » إمّا ابتدائيّة وإمّا بيانيّة ، ويؤيّد الثاني آخر الحديث .

واريد بالسلام ما لا آفة فيه وهو قوله عزوجل : « وليبدّلنهم من بعد خوفهم أمناً » قال : « لاخصومة فيها لعدوّهم » وإنما عليه السلام يعني وإنما السلام منكم عليه تذكرة وتجديد للميثاق وتعجيل للوفاء به .

وفي تفسير الطبري: قال سماك بن حرب : سمعت خالد بن عرعرة قال: سمعت علياً عليه السلام وخرج الى الرحبة فقال له إبن الكواء أو غيره: ما بيت المعمور؟ قال : بيت في السماء السادسة يقال له : الضراح يدخله كل يوم سبعون ألف

ملك لا يعودون فيه أبداً .

اقول: إختلفت الروايات الواردة في البيت المعمور كما قرأتها ، فمنها انه في السماء الدنيا ، ومنها انه في السّماء الرابعة ، ومنها انه في السماء السادسة ومنها انه في السماء السابعة ، ومنها انه في السماء إطلاقاً ، ويمكن لنا الجمع بينها على صحة جميعها القول بتحقق البيت في جميع تلك المواضع ويؤيّد ذلك ما :

في الجامع لاحكام القرآن: عن إبن عباس قال : لله في السموات والارضين خمسة عشر بيتاً : سبعة في السموات وسبعة في الارضين والكعبة ، وكلها مقابلة للكعبة.

اقول: أي حرمتها كحرمة الكعبة .

قال بعض المحققين : إنّ المراد بالبيوت السبعة في الارض هي :

١ ـ بيت المقدس .

٢ ـ مقبرة النبي الكريم صلى الله عليه وآله بالمدينة المشرّفة .

٣ ـ مقبرة الامام مولى الموحدين على بن أبيطالب عليه السلام بالنجف الاشرف .

٤ ـ مقبرة الامام سيد الشهداء الحسين بن على عليه السلام بكربلاء .

٥ ـ مقبرة الامامين الهمامين : موسى بن جعفر ومحمّد بن على الجواد عليهما السلام ببغداد .

٦ ـ مقبرة الامام على بن موسى الرضا عليه السلام بطوس .

٧ ـ مقبرة الامامين الهمامين : على بن محمد النقى وإبنه الحسن العسكرى عليهما السلام بسرّ من رآى .

وفي تفسير القمي : في قوله تعالى : « والسقف المرفوع » قال : السماء ، « والبحر المسجور » قال : تسجر يوم القيامة .

وفي المجمع : « والسقف المرفوع » وهو السماء عن على عليه السلام .

وفيه : « والبحر المسجور » قيل : إنه تحمى البحار يوم القيامة فتجعل نيراناً ، ثم تفجر بعضها في بعض ثم تفجر إلى النار ، ورد به الحديث .

وفي نهج البيان : عن على عليه السلام « المسجور » الموقد .

وفى تفسير المراغى:عن عبدالله بن عمر : « لا يركبن رجل البحر إلاّ غازياً أو معتمراً أو حاجّاً فان تحت البحر ناراً وتحت النار بحراً » .

وفى تفسير الطبرى : عن على عليه‌السلام « والبحر المسجور » قال : بحر فى السماء تحت العرش .

وفى تفسير القمى : فى قوله تعالى : « فى خوض يلعبون » قال : يخوضون فى المعاصى .

وقوله : « يوم يدعّون إلى نار جهنم دعّا » قال : يدفعون فى النار .

وقال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله لما مرّ بعمرو بن العاص وعقبة بن أبن معيط وهما فى حائط يشربان ويغنيان بهذا البيت فى حمزة بن عبد المطلب حين قتل :

كم من حوارى تلوح عظامه   درأ الحروب عنه أن يجر فيقبرا

فقال النبى صلى‌الله‌عليه‌وآله : اللّهمّ العنهما ، وأركسهما فى الفتنة ركساً ، ودعّهما فى النار دعّاً .

٢١ - وفى الكافى : باسناده عن إبن بكير عن أبى عبد الله عليه‌السلام فى قول الله عزّوجل : « والّذين آمنوا واتبعتهم ذرّيتهم بايمان ألحقنا بهم ذرّيتهم » قال : فقال : قصرت الابناء على عمل الآباء (عن عمل الاباء - خ) فالحقوا الابناء بالآباء لتقرّ بذلك أعينهم .

اقول: وفى الفقيه عن أبن بكر الحضرمى عنه عليه‌السلام مثله

وفى الفقيه :باسناده عن الحلبى عن أبى عبد الله عليه‌السلام قال : إنّ الله تبارك وتعالى يدفع الى ابراهيم وسارة أطفال المؤمنين يغذونهم بشجرة فى الجنة لها أخلاف كأخلاف البقر فى قصر من الدّر (من درّة - خ) فاذا كان يوم القيامة ألبسوا واطيبوا واهدوا الى آباءهم ، فهم ملوك فى الجنّة مع آباءهم ، وهو قول الله تعالى : « والذين آمنوا واتبعتهم ذرّيّتهم بايمان ألحقنا بهم ذرّيّتهم » .

وفى كنز الفوائد : باسناده عن على بن زيد قال : قال : عبد الله بن عمر : كنّا نفاضل فنقول : أبو بكر وعمر وعثمان ، ويقول قائلهم فلان وفلان ، فقال له

رجل : يا أبا عبد الرحمن فعلىّ عليه السلام قال : علىّ من أهل بيت لايقاس بهم أحد من الناس على عليه السلام مع النبى صلى الله عليه وآله فى درجته انّ الله عزّ وجل يقول : « والذين آمنوا واتبعتهم ذرّيّاتهم بايمان ألحقنا بهم ذرّيّاتهم » ففاطمة ذرّيّة النبى صلى الله عليه وآله وهى معه فى درجته وعلى عليه السلام مع فاطمة صلّى الله عليهما .

قوله : « نفاضل » : نفاخر من فاضل بين الشيئين : حكم بفضل أحدهما على الآخر .

وفى المجمع : روى زاذان عن على عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إن المؤمنين وأولادهم فى الجنّة ، ثم قرأ هذه الآية .

وفى الدر المنثور : عن إبن عباس رفعه الى النبى صلى الله عليه وآله قال : إن الله يرفع ذريّة المؤمن إليه فى درجته وإن كانوا دونه فى العمل ، ثم قرء : « والذين آمنوا واتبعتهم ذرّياتهم بايمان ألحقنابهم ذرّيّاتهم وما ألتناهم من عملهم من شىء » قال : وما نقصنا الآباء بما أعطينا الآبناء .

وفيه : عن إبن عباس انّ النبى صلى الله عليه وآله قال : إذا دخل الرجل الجنة سئل عن أبويه و ذريّته وولده فيقال : انّهم لم يبلغوا درجتك وعملك ، فيقول : يارب قد عملت لى ولهم ، فيؤمر بالحاقهم به . وقرء ابن عباس : « والذين آمنوا واتبعتهم ذريّتهم بايمان » الاية .

وفى الفقيه: باسناده عن الحلبى عن أبى عبد الله عليه السلام قال : ان الله تبارك وتعالى كفّل (اكفل ـ خ) ابراهيم أطفال المؤمنين يغذونهم بشجرة فى الجنة ، لها أخلاف كأخلاف البقر فى قصر من درّة فاذا كان يوم القيامة ألبسوا وطيّبو واهدوا الى آبائهم، فهم ملوك فى الجنة مع آبائهم ، وهذا قول الله تعالى : «والذين آمنوا واتّبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذرّيّتهم » .

وفى تفسير القمى : من قوله تعالى : « وما ألتناهم من عملهم من شىء » ، أى ما أنقصناهم .

وفى رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « إذا استقرّ أهل الجنّة فى الجنة

إشتاق الاخوان الى الاخوان فيسير سرير هذا الى سرير هذا فيلتقيان ويتحدثان ما كان بينهما فى دار الدنيا فيقول : يا أخى تذكر يوم كذا فى مجلس كذا ، فدعونا الله عزّ وجلّ فغفر لنا .

وفى الكافى : باسناده عن عبد الرحمن بن كثير عن أبى عبدالله عليه السلام قال : قال الله تعالى : « الذين آمنوا و اتبعتهم ذرّيتهم بايمان ألحقنا بهم ذرّيتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء » .

قال : « الذين آمنوا » النبى صلى الله عليه وآله وأمير المومنين عليه السلام وذرّيته الائمة والاوصياء صلوات الله عليهم ألحقابهم ولم ننقص ذرّيتهم الحجّة التى جاء بها محمد صلى الله عليه وآله فى علىّ عليه السلام وحجّتهم واحدة ، وطاعتهم واحدة .

وفى تفسير القمى : باسناده عن أبى بصير عن أبى عبد الله عليه السلام قال : إنّ اطفال شيعتنا من المؤمنين تربّيهم فاطمة عليها السلام وقوله : « الحقنا بهم ذرّيتهم » قال يهدون إلى آبائهم يوم القيامة .

وفى التوحيد : باسناده عن أبى بصير قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : إذا مات الطفل من أطفال المؤمنين نادى مناد فى ملكوت السموات والارض ألا انّ فلان بن فلان قد مات فان كان قد مات والداه أو أحدهما أوبعض أهل بيته من المؤمنين دفع إليه يغذوه ، وإلاّ دفع إلى فاطمة تغذوه حتى يقدم أبواه أو أحدهما أو بعض أهل بيته من المؤمنين فتدفعه اليه .

وفى أمالى الصدوق رضوان الله تعالى عليه : باسناده عن مفضّل بن عمر عن الصادق جعفر بن محمد عن أبيه عن جدّه عليهم السلام قال : سئل الحسين بن على عليهما السلام فقيل له : كيف أصبحت يا بن رسول الله ؟ قال : أصبحت ولى ربّ فوقى ، والنار أمامى ، والموت يطلبنى ، والحساب محدق بى ، وأنا مرتهن بعملى ، لا أجد ما أحبّ ، ولا أدفع ما أكره ، والامور بيد غيرى ، فان شاء عذّبنى ، وان شاء عفى عنّى ، فأىّ فقير أفقر منّى .

٢٣ - وفى تفسير القمى : فى قوله تعالى : « لا لغو ولا تأثيم » قال : ليس فى

الجنّة غناء ولا فحش ، و يشرب المؤمن ولا يأثم « و أقبل بعضهم على بعض يتساءلون » قال : فى الجنة . « قالوا إنّا كنا من قبل فى أهلنا مشفقين » قال: اى خائفين من العذاب « ووقانا عذاب السموم » قال : السموم : الحرّ الشديد .

وفى الكافى : باسناده عن معروف بن خربوذ عن أبى جعفر عليه السلام قال : صلّى أميرالمؤمنين عليه السلام بالناس الصبح بالعراق فلما انصرف وعظهم فبكى وابكاهم من خوف الله عزّوجل ، ثمقال : أما والله لقد عهدت أقواماً علىعهد خليلى رسول الله صلى الله عليه وآله وانّهم ليصبحون ويمسون شعثاء غبراء خمصاء بينأعينهم كر كب المعزاء يبيتون لربّهم سجّداً وقياماً ، يراوحون بين أقدامهم وجباههم يناجون ، ويسئلونه فكاك رقابهم من النّار ، والله لقد رأيتهم مع هذا وهم خائفون مشفقون .

قوله عليه السلام : «شعثاء » الشعث : تفرّق الشعر، وعدم اصلاحه ومشطه وتنظيفه و « غبراء » من الاغبر : المتلطّخ بالغبار ، و « خمصاء » : جمع الاخمص ، أى بطونهم خالية امّا بالصّوم أوبالفقر أو بما كانوا يشبعون كيلا يكسلوا فى العبادة و « المعزاء » المعز : ذوات الشعرمن الغنم ، والمعزاء أيضاً : المكان الكثير الحصى الصلب ، والمعزاء : الصحراء فيها اشراف وغلظ .

وفى المجمع : فى قوله تعالى : « ويطوف عليهم غلمان لهم كأنّهم لؤلؤ مكنون » .

عن الحسن انّه قال : قيل : يا رسول الله صلى الله عليه وآله الخادم كاللؤلؤ فكيف المخدوم ؟ فقال : و الّذى نفسى بيده انّ فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب .

وفى رواية : عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « اذا دخل أهل الجنّة الجنّة اشتاقوا الى الاخوان ، فيجىء سرير هذا حتّى يحاذى سرير هذا فيتحدّثان فيتكىء ذا ويتكىء ذا فيتحدّثان بما كانوا فى الدنيا ، فيقول أحدهما لصاحبه : يا فلان أتدرى أىّ يوم غفرالله لنا ؟ اليوم الذى كنّا فىموضع كذا و كذا فدعونا الله فغفر لنا» .

وفى سعد السعود للسيّد ابن طاووس قدّس سرّه : بالاسناد عن جعفر بن

محمد عن أبيه عن آبائه عن أميرالمؤمنين عليهم السلام عن النبي صلى الله عليه وآله في حديث - يذكر فيه شيعة الامام علي عليه السلام وأحوالهم في الجنّة ودخولهم فيها على النجائب - قال صلى الله عليه وآله :

تقودهم الملائكة فينطلقون صفّاً واحداً معتدلا ، لايفوت منهم شيء شيئاً ، ولا يموت اذن ناقة ناقتها ، ولا بركة ناقة بركتها ، ولايمرّون بشجرة من أشجار الجنّة إلاّ لحقتهم بثمارها ، ورجلت لهم عن طريقهم كراهيّة أن تنثلم طريقهم ، وان يفرق بين الرجل ورفيقه .

فلمّا رفعوا الى الجبّار تبارك وتعالى قالوا : ربنا أنت السلام ومنك السلام ولك بحق الجلال والاكرام ، قال : فقال: أنا السلام ومنّي السلام ولي بحق الجلال والاكرام فمرحباً بعبادي الذين احفظوا وصيّتي في أهل بيت نبيي ، ورعوا حقّي وخافوني بالغيب ، وكانوا منّي على كل حال مشفقين .

وفي تفسير القمي: في قوله تعالى: « ام له البنات ولكم البنون » قال: هوما قالت قريش: إن الملائكة بنات الله .

٤٠ - **وفيه** : في قوله تعالى : « فهم من مغرم مثقلون » ، قال : أي يقع عليهم الغرم الثقيل .

وفيه: في قوله تعالى: « وانّ للذين ظلموا» قال: أي ظلموا آل محمد صلى الله عليه وآله حقهم « عذاباً دون ذلك » قال : عذاب الرجعة بالسيف .

وفي البرهان : بالاسناد عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام في قوله عزّوجل : « وانّ للذين ظلموا» الاية قال : « انّ للذين ظلموا » آل محمد صلى الله عليه وآله حقّهم « عذاباً دون ذلك » .

وفي تفسير القمي : في قوله تعالى: «فانك بأعيننا» قال: أي بحفظنا وحرزنا ونعمتنا وقوله تعالى: « وسبّح بحمد ربك حين تقوم » قال: لصلاة الليل « فسبّحه » قال : صلاة الليل .

وفي المجمع : وروى زرارة وحمران و محمد بن مسلم عن ابي جعفر وأبي

عبد الله عليهما السلام في هذه الاية قالا : ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقوم من الليل ثلاث مرّات فينظر في آفاق السماء ويقرأ الخمس من آل عمران التي آخرها « انّك لاتخلف الميعاد » ثم يفتتح صلاة الليل .

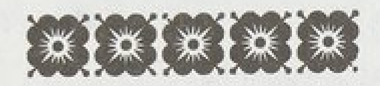
وفيه: في قوله تعالى : « وإدبار النجوم » يعني الركعتين قبل صلاة الفجر عن ابن عباس وقتادة وهو المرويّ عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام وذلك حين تدبر النجوم ، أي تغيب بضوء الصبح

وفي تفسير القمي: باسناده عن إبن أبي نصر عن الرضا عليه السلام قال : إدبار السجود أربع ركعات بعد المغرب وادبار النجوم ركعتين قبل صلاة الصبح .

وفي الكافي: باسناده عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال : قلت له : « وإدبار النجوم » قال : ركعتان قبل الصبح .

أقول: وقد وردت الزوايات من طريق العامّة: انّ النبي صلى الله عليه وآله كان اذا قام من مجلسه سبّح الله وحمده ويقول : انّه كفارة المجلس .

وفي وسائل الشيعة : عن الامام علي عليه السلام قال: « من أحبّ أن يكتال حسناته بالمكيال الاوفى فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه: « سبحان ربّك رب العزّة عمّا يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله ربّ العالمين » .



﴿ بحث فقهي ﴾

إستدلّ بعض الفقهاء على حرمة الخمر الدنياويّة بقوله تعالى: « يتنازعون فيها كأساً لا لغو فيها ولا تأثيم » الطور : ٢٣) .

بأنّ علة الحرمة هي إسكارها ، ومن آثار الاسكار هو اللغو والعربدة والاثم بزوال العقل موقّتة وهذه العلة موجودة في خمر الدنيا بمادتها سواء ظهرت تلك الآثار أم لا للاعتياد بها أو لعمل فيها .

وانّ الاية الكريمة تنفي العلّة عن خمر الآخرة بانتفاء آثارها فيجوز شربها فيها لانتفاء ملاك الحرمة لا لانتفاء آثار الملاك فاذا انتفى الملاك انتفى الآثار لامحالة.

في نهج البلاغة : قال الامام علي عليه السلام : « فرض الله ترك شرب الخمر تحصيناً للعقل » .

وفي الاحتجاج: عن الامام جعفر الصادق عليه السلام: «حرّمها لانّها ام الخبائث وأسّ كل شرّ يأتي على شاربها ساعة يسلب لبّه ولايعرف ربّه ولايترك معصية الاّ ركبها، ولا حرمة الاّ انتهكها ولا رحماً ماسّة الاّ قطعها ولا فاحشة الاّ أتاها ، والسكران زمامه بيد الشيطان إن أمره أن يسجد للاوثان سجد وينقاد حيث ماقاده».

قال الله تعالى : « انّما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » المائدة : ٩٠) .

فعظّم الله تعالى أمر الخمر اذ جعلها رجساً وقرنها بالاصنام والازلام وجعلها من عمل الشيطان فمن تعاطيها فلا يبالي أن يعبد الاصنام .

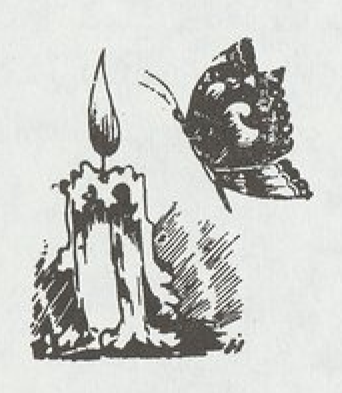
فليس انتفاء الآثار موجباً لجواز شربها كما زعم بعض المذبذبين عليه ماعليه

واستدل بعض الفقهاء على وجوب الذكر عند كل قيام بقوله تعالى : « وسبّح

بحمد ربك حين تقوم » الطور : ٤٨).

وقال : يجب علينا اتباعاً للنبى صلىالله عليهوآله وقال بعضهم : كان الذكر واجباً على النبى الكريم صلى الله عليه وآله ولا يجب علينا .

أقول: والحق ان صيغة الامر حقيقة فى الوجوب للتبادر عند استعمالها بلا قرينة ولكنّ الآية التالية تذكر أفضل الاوقات للذكر فهى قرينة فى المقام على أنّ الامر ليس امراً وجوبيّاً فيحمل على الندب فتدبّر .



﴿ بحث ديني و مذهبي ﴾

يستدلّ على الحشر والجزاء الجسمانيّين طرفي النار والنعيم بقوله تعالى: «يوم يدعّون الى نار جهنّم دعّاً - الى - ووقانا عذاب السّموم » الطور : ١٣ _ ٢٧).

وقوله تعالى : « ام خلقوا من غير شيء - الى - سبحان الله عما يشركون » الطور : ٣٥ _ ٤٣) .

ردّ على منكرى الخالق للعالم وردّ على المشركين بانحاء الشرك : الشرك فى الخلق والايجاد والشرك فى علم الغيب والتدبير والشرك فى الوجود .

وانّ الآيتين الاولين فى تصوير خلق العالم على ثلاثة :

١ _ خلق العالم كله صدفة او خلق الانسان كذلك .

٢ _ خلق الانسان نفسه .

٣ _ خلق الانسان العالم ومنه نفسه .

انّ الماديين زعموا انّ المادّة هي التى تنشىء الحياة والاسماع والابصار و الافئدة . .

ولو كان هذا صحيحاً لكان كل مادّة تبصر وتسمع وتعقل اذ خصائص الشيء ملازمة لذلك الشيء حيث كان ويكون ونحن نرى الحياة في بعض الكائنات دون بعض ، وذلك دليل على انّ هناك قوّة وراء المادّة تهب الحياة لمن تشاء وتمنعها عمن تشاء .

وانّ الدّهريين زعموا انّ خلق الانسان وما على وجه الارض بسبب ما في العناصر من الكيّفيات ولكن عجزوا ان يقولوا : انّ السموات والارض فخلقهما بسبب امتزاج العناصر ، لانّها ليست من العناصر .

العرب الجاهلية والبعث والجزاء والحساب
وشبهاتهم فيها

قال الله تعالى : « فويل يومئذ للمكذّبين ـ يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيئاً ولا هم ينصرون » الطور : ١١ ـ ٤٦) .

للعرب الجاهلية فى البعث والحساب والجزاء آراء مختلفة ولهم فيها شبهات واهيّة لا تبتنى هذه ولا تلك على أساس .

فمنهم : من كانوا منكرى البعث والاعادة وهم يقولون بالطبع هو المحيى والدّهر هو المفنى وهم الدّهريّون منهم أخبر عنهم القرآن الكريم :

« وقالوا ما هى إلاّ حياتنا الدنيا نموت ونحيى » .

إشارة إلى الطبائع المحسوسة فى العالم السفلى وقصر الحياة والموت على تركّبها وتحلّلها فالجامع هو الطبع والمهلك هو الدهر : « وما يهلكنا إلاّ الدّهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلاّ يظنّون » الجاثية : ٢٤) .

وهم الذين كانوا ينكرون المبدأ والمعاد كلاهما .

ومنهم : من كانوا يقرّون بالخالق وإبتداء الخلق والابداع ، وهم ينكرون البعث والاعادة أشار إليهم بقوله تعالى : « ولئن سئلتهم من خلق السموات والارض ليقولنّ الله ـ إنّ وعد الله حق فلا يغرّنكم الحياة الدنيا » لقمان : ٢٥ ـ ٣٣) .

وبقوله : « وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى أنشأها أوّل مرّة » يس : ٧٨ ـ ٧٩) .

ومنهم : من أقرّوا بالخالق وابتداء الخلق ونوع من الاعادة ، وأنكروا الرسل وعبدوا الاصنام وزعموا انّهم شفعاؤهم عند الله فى الدار الآخرة ، وحجّوا

إليها ونحروا لها الهدايا وقربوا القرابين، وتقربوا اليهما بالمناسك والمشاعر و أحلّوا وحرموا وهم الدهماء من العرب إلا شرذمة منهم .

وهم الذين أخبرعنهم القرآن الكريم : « وقالوا أساطير الأوّلين إكتتبها فهي تملى عليه ـ وقالوا مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيراً أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنّة يأكل منها ـ الفرقان : ٥ ـ ٨) « وما نرى معكم شفعاؤكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء لقد تقطّع بينكم وضلّ عنكم ما كنتم تزعمون » الانعام : ٩٤) .

« ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله » يونس : ١٨) .

فاستدلّ عليهم بأنّ المرسلين كلّهم كانوا كذلك فقال : « وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلاّ انّهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق » الفرقان : ٢٠) .

وأما الشبهات من مشككيهم فكانت مقصورة فى الشبهتين :

إحداهما ـ : انكار بعث الاجسام .

ثانيتهما ـ : جحد بعث الرسل .

وعلى الاولى فقالوا : « أئذا متنا وكنّا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون أو آبائنا الاوّلون » الصافات : ١٦ ـ ١٧) .

« وقالوا اءاذا كنا عظاماً ورفاتاً اءانا لمبعوثون خلقاً جديداً » الاسراء : ٤٩ـ٩٨) .

وعبّروا عن ذلك فى اشعارهم فقال بعضهم :

حياة ثم موت ثم نشر حديث خرافة يا أمّ عمرو

ولبعضهم فى مرثية أهل بدر من المشركين :

فماذا بالقليب قليب بدر من الشيزى تكلل بالسنام
يخبّرنا الرسول بأن سنحيا وكيف حياة اصداء وهام

ومن العرب من يعتقد التناسخ فيقول : اذا مات الانسان او قتل اجتمع دم الدّماغ واجزاء بنيته فانتصب طيراً هامة فيرجع الى رأس القبر كل مأة سنة .

وعن هذا أنكر عليهم رسول الله ﷺ فقال: « لا هامة ولا عدوى ولا صفر » .

وأما على الشبهة الثانية فكان انكارهم لبعث الرسول ﷺ في الصورة البشرية أشدّ ، وإصرارهم على ذلك أبلغ فأخبر عنهم بقوله تعالى : « وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلاّ أن قالوا أبعث الله بشراً رسولا » الاسراء : ٩٤) .

وقوله : « ذلك بأنّه كانت تأتيهم رسلهم بالبيّنات فقالوا أبشر يهدوننا » التغابن : ٦) .

فمن كان يعترف بالملائكة كان يريد ان يأتي ملك من السماء « وقالوا لولا انزل عليه ملك » الفرقان : ٧) .

ومن كان لا يعترف بهم كان يقول : الشفيع والوسيلة لنا الى الله تعالى هم الاصنام المنصوبة ، امّا الامر والشريعة من الله الينا فهو المنكر .



معاد و عذاب جسمي و روحي

وقد اختلفت كلمات المتّفقين بالمعاد : هل هو جسميّ أو روحيّ أو هما معاً ؟ ذهب الى كل طائفة . .

والحق أنّ العقل والنقل يلهماننا انّ المعاد مزدوج بالجسم والروح فأمّا يتنعّم كل إنسان من نعيم الجنة فى جانبى الجسم والروح وإمّا يعذّب فى نار جهنم كذلك و للمقابلة التى جائت بهاالسورة بين مقام المكذبين العاصين ومقام المؤمنين الطائعين بالاجمال و التفصيل ، نرد فى البحث بالاجمال للاجمال ، والتفصيل للتفصيل .

ومن الآيات التى يستدلّ بهاعلى أنّ العذاب يوم القيامة على الجانبين فى نار جهنّم قوله تعالى : «يوم يدعّون إلى نار جهنّم دّعا هذه النار التى كنتم بها تكذّبون أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم انّما تجرون ما كنتم تعملون ـ فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيئاً ولا هم ينصرون » الطور ١٣ ـ ٤٦) .

وعلينا أنْ نرى صورة كاملة بقدر الامكان عن مقام الهالكين وسوف يسامون من عذاب .

وبالتدبّر فى الايات الكريمة نجد اهم عقوبات ثلاث :

عقوبة روحية سلبية رصيدة للظالمين وهى فى الاحداث التالية :

١ـ حبوط اعمالهم : « اولئك الّذين حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة » البقرة : ٢١٧) .

٢ـ خيبة أملهم فى الاوثان الّتى اشر كوها مع الله : « ويوم يناديهم أين

شركائى - وضلّ عنهم ما كانوا يدعون من قبل » فصلت : ٤٧-٤٨) .

٣- يأسهم من رحمة الله : « فأولئك يئسوا من رحمتى » العنكبوت : ٢٣) .

٤- يأسهم من مغفرة الله : «انّ الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم » النساء : ١٦٨) .

٥- منعهم من ثواب ربّهم : « كلاّ انّهم عن ربّهم يومئذ لمحجوبون » المطففين : ١٥) .

٦- يأسهم من نظره تعالى اليهم وتزكيته : « ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكّيهم » آل عمران : ٧٧) .

٧- حرمانهم من النور (الذى يبحثون عنه لدى المؤمنين بلا جدوى) : « قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً فضرب بينهم بسور » الحديد : ١٣) .

٨- حرمانهم من السّمع والبصر والكلام (لحظة البعث) : « ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصمّاً » الاسراء : ٩٧) .

٩- حرمانهم من كل إشتهاءاتهم: «وحيل بينهم وبين مايشتهون » سبأ:٥٤).

١٠- يأسهم من الحياة الاخرة : « قد يئسوا من الاخرة » الممتحنة : ١٣).

١١- حيث لانصيب لهم فيها : « وماله فى الاخرة من نصيب » الشورى: ٣٠) و « يريد الله ألاّ يجعل لهم حظّاً فى الاخرة» آل عمران : ١٧٦) .

١٢- حيث ينسون فيها : « وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا » الجاثية : ٣٤) .

١٣- لا مولى لهم ولاناصر: « الظالمون مالهم من ولىّ ولا نصير» الشورى: ٨) « يوم لايغنى عنهم كيدهم شيئاً ولا هم ينصرون » الطور : ٤٦) .

١٤- لن تفتح لهم أبواب السماء :« انّ الذين كذّبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتّح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنّة حتى يلج الجمل فى سمّ الخياط » الاعراف : ٤٠) .

١٥ ـ لن يقبل منهم دفاع عن أنفسهم : « ولا يؤذن لهم فيعتذرون » المرسلات : ٣٦) .

١٦ ـ وفي كلمة واحدة : اخفاقهم : « انه لايفلح الظالمون » : ٢١) .

وغيرها من العقوبات الروحيّة السلبيّة . .

ثانيها ـ : عقوبة روحية ايجابية تالية :

١ ـ حيث يساقون يوم القيامة إلى نار جهنّم بشدة وعنف : « يوم يدعّون إلى نارجهنّم دعاً » الطور : ١٣) .

٢ ـ توبيخهم فيه لما كانوا عليه في الحياة الدنيا : « أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون » الطور : ١٥) .

٣ـ يمثلون فيه أمام الله سبحانه منكسي الرؤس : « ولو ترى إذ المجرمون كسوا رؤسهم عند ربّهم » السجدة : ١٢) .

٤ ـ تسودّ وجوههم : « و يوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة » الزمر : ٦٠) .

٥ ـ عابسة الوجوه كالحتها تعلوها ظلمة وغبار : « ووجوه يومئذ باسرة » القيامة : ٢٢) .

« و وجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة اولئك هم الكفرة الفجرة » عبس : ٤٠ ـ ٤٢) .

« وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة » الغاشية : ٢ ـ ٣) .

« وترهقهم ذلّة مالهم من الله من عاصم كأنما اغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً » يونس : ٢٧) .

٦ ـ وأكثر من ذلك هنالك في ابدانهم وحواسّهم شهود يشهدون ضدّهم : « يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بماكانوا يعملون » النور : ٢٤) .

٧ ـ حملهم أوزارهم على ظهورهم : « قد خسر الذين كذّبوا بلقاء الله

ـ وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم » الانعام : ٣١) .

٨ـ تطويقهم يوم القيامة: «سيطوّقون مابخلوا به يوم القيامة » آلعمران: ١٨٠).

٩ ـ مقتهم يوم القيامة « انّ الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم اذ تدعون إلى الايمان فتكفرون » المؤمن : ١٠) .

١٠ ـ يجللهم الخزى والعار : « ثم يوم القيامة يخزيهم ويقول أين شركائى » النحل : ٢٧) . « سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله » الانعام : ١٢٥) .

١١ ـ سوف يعرضون أمام الله سبحانه فيراهم الأشهاد ويشيرون إليهم باحتقار : « ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً اولئك يعرضون على ربّهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم » هود : ١٨) .

١٢ ـ اذا عرفوا حسابهم تمنّوا أن لم يكونوا قد عرفوه و أن لو كان الموت عدماً حقاً لهم : « وأمّا من اوتى كتابه بشماله فيقول يا ليتنى لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه يا ليتها كانت القاضية » الحاقة : ٢٥ ـ ٢٧) .

١٣ ـ يرون أخيراً العذاب الاليم يقترب : « وأسرّوا الندامة لمّا رأوا العذاب وقضى بينهم بالقسط » يونس : ٥٤) .

١٤ ـ يحسّون تقطّع كل العلائق التى تربطهم بسادتهم وأتباعهم : « وراوا العذاب وتقطّعت بهم الاسباب » البقرة : ١٦٦) .

١٥ ـ يجدون أنفسهم عاجزين عن أن يرجعوا مجرى الزمن و يعودوا الى الارض : « ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نردّ ولانكذّب بآيات ربّنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل » الانعام : ٢٧ ـ ٢٨) .

١٦ ـ ليس أمامهم إلاّ أن يعضّوا أصابعهم مع زفرات الاسى: « ويوم يعضّ الظالم على يديه يقول ياليتنى اتّخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتى ليتنى لم اتّخذ فلاناً خليلا لقد أضلّنى عن الذّكر بعد إذ جائنى وكان الشيطان للانسان خذولا » الفرقان : ٢٧ ـ ٢٩) .

وغيرها من الايات المتعلقة بالعقوبات الروحيّة الايجابيّة . .

وانك كما رايت قسمي الايجابي والسلبي من العقوبات الروحيّة مزدوجة بالجسم كالعقوبات الروحية الدنيوية سلباً وايجاباً

ثالثها - : عقوبة بدنية وآلام جسدية رصيدة للظالمين وهي :

١ - دخول المكذّبين في النار وذوقهم حرّها ، والالتزام والخلود فيها : « إصلوها فاصبروا أولا تصبروا سواء عليكم - فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون » الطور : ١٦ - ٤٥) .

٢ - هم جياع عطاش ولن يجدوا شيئاً يهدىء عطشهم وجوعهم : « لايذوقون فيها برداً ولا شراباً الاّ حميماً وغسّاقاً » النبأ : ٢٤ - ٢٥) .

« ليس لهم طعام الاّ من ضريع لايسمن ولايغنى من جوع » الغاشية : ٦-٧).

بيد انّ الايات القرآنية التى تحدد تحديداً موضوعيّاً عذابهم قد جاءت بوفرة كثيرة .

٣ - انّ مسكن المعذّبين هو - على نقيض مقام الطائعين - سجن : « وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً » الاسراء : ٨) .

٤ - وهو ذو أبواب كثيرة كل باب يخص طائفة بعينها : « لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم : » الحجر : ٤٤) .

٥ - سجن خزنته ملائكة غلاظ شداد : « عليها ملائكة غلاظ شداد » التحريم : ٦) .

٦ - سجن مظلم بعضهم فوق بعض : « انّ المنافقين في الدرك الاسفل من النّار » النساء : ١٤٥) .

٧ - نار محكمة الانسداد عليهم : « عليهم نار مؤصده » البلد : ٢٠) .

٨ - نار يسمع لها من بعيد زمجرة وهدير : « اذا رأيتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيّظاً وزفيراً » الفرقان : ١٢) .

٩ - نار كأنّها بركان ثائر : « اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهي تفور » الملك : ٧) .

١٠ - نـار تقذف شراراً كالقصور الكبـيرة : « انها ترمـى بشرر كالقصر » المرسلات : ٣٢) .

١١ - أصحاب النّارهم مـوثوقو القيود : « وترى المجرمين يومئذ مقرّنين فى الاصفاد » ابراهيم : ٤٩) .

١٢ - مغلولو الاعناق والأيدى والاقدام : « وجعلنا الاغلال فى أعناق الذين كفروا » سبأ: ٣٣) « خذوه فغلّوه ثم الجحيم صلّوه ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه » الحاقة : ٣٠ ـ ٣٢) .

« انّا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالا وسعيراً » الانسان : ٤) .

١٣ - هـم مضطرون الى مـكان ضيّق : « واذا القوا منها مكاناً ضيّقاً » الفرقان : ١٣) .

١٤ - هم يتعرّضون فيه لعقاب الاحراق : « وذوقوا عـذاب الحريـق » الانفال : ٥٠) .

١٥ - هم غذاء جهنّم : « فكانوا لجهنم حطباً » الجنّ : ١٥) .

« فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة اعدّت للكافرين » البقرة : ٢٤) .

« انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون » الانبياء : ٩٨).

١٦ - كلّما أحسّ العصاة بالعذاب والالـم حاولـوا الهروب منه ، فتدفعهم الزبانيّة فى النّار يضربونهم بهراوات من الحديد : « ولهم مقامع من حديد كلّما أرادوا أن يخرجوا منها من غمّ اعيدوا فيها » الحج : ٢١ ـ ٢٢) .

١٧ - يحيط بهم النكال من كلّ صوب : « إنّا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها » الكهف : ٢٩) .

١٨- سيضرب اللهيب وجوههم : « تلفح وجوههم النار » المؤمنون : ١٠٤).

١٩ - سيسلخ جلدهم : « نزّاعة للشوى » المعارج : ١٦) .

٢٠ - سيحرق لحمهم : « لوّاحة للبشر » المدّثّر : ٢٩) .

٢١ - نار تصل إلـى قلوبهم : « نار الله الموقـدة التى تطّلع على الافئدة »

الهمزة : ٦ ـ ٧) .

٢٢ ـ انّ الذهب الذى يجمعه البخلاء فسوف يحمى فى النار ثم تكوى به الجباه والجنوب والظهور : « يوم يحمى عليها فى نارجهنّم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم » التوبة : ٣٥) .

٢٣ ـ هنالك ستكون صرخات ألم وتوسلات : « وهم يصطرخون فيها ربّنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذى كنّا نعمل » فاطر: ٣٦) .

« ربّنا أخرجنا منها فان عدنا فانّا ظالمون قالاخسؤا فيها ولاتكلّمون » المؤمنون : ١٠٧ـ١٠٨) .

٢٤ ـ ستكون لهم فى النار زفرات وشهقات : « فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق » هود : ١٠٦) .

٢٥ ـ كلما ذابت جلودهم كان لها غيرها حتى يذيقهم الله العذاب مضاعفاً وهكذا إلى الابد: « ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم بدّلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب » النساء : ٥٦) .

٢٦ ـ لا يقتصر أمرهم على عذاب الحريق بل سيكونون كذلك فى عذاب الحميم يغمسون فى هذا الماء المغلى ، ثم يقذفون فى النار وهكذا دواليك : « اذ الاغلال فى أعناقهم والسّلاسل يسحبون فى الحميم ثمّ فى النار يسجرون » المؤمن : ٧١ ـ ٧٢) .

٢٧ـ يصبّ هذا الماء الحميم على رؤسهم فيذيب جلودهم وأحشاءهم : « يصبّ من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما فى بطونهم والجلود » الحج : ١٩ ـ ٢٠) .

٢٨ـ فاذا شربوا منه انشوت وجوههم وتمزّقت أمعاؤهم : « وسقوا ماء حميماً فقطّع أمعاءهم : « لهم شراب من حميم » الانعام : ٧٠) .

« و إن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب » الكهف : ٢٩) « وسقوا ماء حميماً فقطّع أمعاءهم » محمد ﷺ: ١٥) .

« فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم » الواقعة : ٥٤ ـ ٥٥) .

٢٩ ـ « ولسوف يسقون شراباً آخر أكثر تقيّحاً لا يطيقون إساغته : « ويسقى من ماء صديد يتجرّعه ولا يكاد يسيغه » ابراهيم : ١٦ ـ ١٧) .

٣٠ ـ وهنا لك أيضا طعام الزّقوم يغلى فى بطونهم كرصاص يذاب وأطعمة اخرى ذات غصّة وعذاب كله ألم : « انها شجرة تخرج فى أصل الجحيم طلعها كأنّه رؤس الشياطين فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون » الصافات ٦٤ ـ ٦٦) .

« انّ شجرة الزّقّوم طعام الاثيم كالمهل يغلى فى البطون كغلى الحميم » الدخان : ٤٣ ـ ٤٦) .

« و طعاماً ذا غصّة وعذاباً أليماً » المزمّل : ١٣) .

٣١ ـ من صنوف العذاب الريح المحرقة وظلّ من دخان خادع : « فى سموم وحميم وظلّ من يحموم لا بارد ولا كريم » الواقعة : ٤٢ ـ ٤٤) .

٣٢ ـ و كذلك حين تتوالى على المعذبين أقصى حالات البرودة وأقصى حالات الحرارة ـ على ماجاء فى تفسير كلمة (غسّاق) : « هذا فليذوقوه حميم وغسّاق » ص : ٥٧) .

« لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً الاّ حميماً و غسّاقاً جزاء وفاقاً » النبأ : ٢٤ ـ ٢٦) .

وغيرها من الآيات القرآنية فى العقوبات البدنية مزدوجة بالروح . .

فمن تلجلج فى المعاد والجزاء الجسمانيين فلا شأن له فى الاسلام وهو فى زمرة طلاقة العنان لا دراية له .

التنعم الجسمى و الروحى فى الجنة

تفضلا أو استحقاقاً

ومن الآيات الّتى يستدلّ بها على التنعم الجسمى والروحى فى الجنّة قوله تعالى: « فاكهين بما آتاهم ربهم - إلى - وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون » الطور: ١٨ - ٢٥).

لما فى قوله : « فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربّهم عذاب الجحيم » من تحديد الجانب الروحى بصورتى الايجابية والسلبيّة مضافاً إلى صحبة أسرهم وأصدقائهم ولتاليه من تحديد الجانب الجسمى أيضاً بصورتى الايجابيّة والسلبية من الاكل والشرب والاتكاء على السرر والتزويج والامداد بالفاكهة والتجاذب من غير لغو وإتهام بالاثم وطواف غلمان عليهم وإقبال بعضهم بعضاً.

كلها لذائذ جسميّة من قوى الظاهرة : من البصر والسمع واللمس والذوق والشمّ فسعادة النفس مزدوجة بلا مرية.

وعند ما تتحد النفس ببدنها تقدر على التمتع الكامل الحرّ بسعادتها الذاتيّة وانّ النظام القرآنى لا يقتصر على أن يضمن للمتقين فى الدار الاخرة عدم الموت أو الحماية من الشرور.. وانّ الانسان لا يبدو عليه الرضا الكامل لمجرّد أنّه لا يتألم من غير أن يلتذّ بما يتعلق بجسمه.

وانّ جميع المتع المرغوبة والمشروعة روحيّة وماديّة قد قدمت إلينا واننا لم نعد فى حاجة إلى السعى ورائها وإذا كان هـذا هو المثل الاعلى لا يمكن أن يتحقق فى دنيا الابتلاء هذه ، فما الذى يمنع أن يتحقق فى عالم الجزاء.

ولما ذا يريد البعض أن يكون الامر غير ذلك ؟

هل يضرّ نظام الطبيعة وجمالها بنظام الروح وجمالها ؟ . . أليسا غالباً قوامها وعمادها ؟ . . لا ريب انّ العاقل حين يعلم قدرهما الزهيد لن يرفضهما إذا ما اتيحا له ، أمن حقنا ان نرفض يداً تمتد إلينا في صداقة لتقدم إلينا هدية أو لتعلق على صدرنا حلية ؟ . .

انّ قيمة هذه الاشياء تكمن أقلّ ما تكون في مادتها عنها في معناها ومدلولها انّها رموز وشواهد على الرضا الّذى لا يمكن أن نرفضه في مواجهة مهديها إلاّ إذا أخللنا بالذوق الاخلاقي .

ومن هذه الزاوية يجب أن نتصور وصف القرآن للجنة ونرى أىّ جمال حسّى يقدّم لنا القرآن الكريم في قوله تعالى : « وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً » الانسان : ٢٠) .

نتصور جنّة رحيبة عرضها السموات والارض يتمتع فيها أصحابها بحريّة التنقل ، جنة ذات ظلّ ممدود دائماً وذات مناخ معتدل لا يفسده حرّ شمس ولا قسوة برد ، في قوله : « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنّة عرضها السموات والارض اعدّت للمتقين » آل عمران : ١٣٣) .

وقوله : « مثل الجنّة التى وعد المتقون تجرى من تحتها الانهار اكلها دائم وظلّها تلك عقبى الذين اتقوا » الرعد : ٣٥) .

وقوله : « لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً » الانسان : ١٣) .

نتصوّر جنّة تتفجر عيونها ذات عطور مختلفة ، تمزج بها الخمر اللذيذة وفيها فاكهة تدنو منهم لتصبح على افرعها في متناول أيديهم .

جنة فيها بساط رحيب أخضر محلّى بخيوط الفضة ، قد برزت فيه مساكن طيبة وفى هذه المساكن غرف من فوقها غرف مبنيّة في جنة عالية وهى على شاطىء الماء أوبعبارة اخرى تجرى من تحتها الأنهاروهى معدّة اعداداً رائعاً فيها سرر مصفوفة نسجها من الذهب والأحجار الكريمة محلاة بفروش بطائنها من استبرق

في قوله تعالى : « ان المتقين فى جنات ونهر » القمر : ٥٤) .

وقوله : « مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفّى ولهم فيها من كل الثمرات » محمد صلى الله عليه وآله : ١٥) .

وقوله : « فى جنّة عالية قطوفها دانية » الحاقة : ٢٢ ـ ٢٣) .

وقوله : « ومساكن طيبة فى جنات عدن » الصف : ١٢) .

وقوله : « والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوّئنهم من الجنّة غرفاً تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين » العنكبوت : ٥٨) .

وقوله : « متكئين على فرش بطائنها من استبرق » الرحمن : ٥٤).

وقوله : « ونمارق مصفوفة وزرابىّ مبثوثة » الغاشية : ١٥ ـ ١٦) .

وتصوّر جنة فيها جماعة ملتئمة من الرجال والنساء والأولاد والأقارب والأحباب ولكل منهم زينة وحلية و كسوة حرير ذات لون مريح قد إستند كل فى مقعده وأقبل بعضهم على بعض فى مودّة وحبّ فيجلسون متقابلين يتحادثون فى سرور ويستدعون ذكرياتهم البعيدة و هم يتساءلون مستغرقين فى سعادتهم .

فيطوف عليهم غلمان ، فيتسارعون فى الأقدام إليهم ما يشتهون من طعام وشراب ولحم طير وفاكهة ممّا يتخيرون .

فى قوله تعالى: « والذين آمنوا واتبعتهم ذرّيتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم » الطور : ٢١) .

وقوله : « جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرّياتهم » الرعد : ٢٣) .

وقوله : « يحلّون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثياباً خضراً من سندس وإستبرق » الكهف : ٣١) .

وقوله : « متكئين على سرر مصفوفة ـ ويطوف عليهم غلمان لهم ـ وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون » الطور : ٢٠ ـ ٢٥) .

وانّ القرآن الكريم لا يكتفي بأن يعدد هذه المتع المختلفة : الروحية والجسميّة التى توجد فى الجنّة بل إنّما أثبت انّ بينها تدرّجا فى القيم فيقول : « ولكلّ درجات مما عملوا» الانعام : ١٣٢) .

أو ليست هذه الفكرة ذاتها هي التي يوحى إلينا بها القرآن عند ما وجدناه وهو يجمع بين نوعى السّعادة : المعنوية والمادّية التي وعدت بها الانفس المطمئنة وأبرز ملامح السعادة الحسّية أعنى : أكثرها ذكراً موجود فى القرآن الكريم لما رأينا وليس هذا موقف يثير الاحلام ويلهم الشعر ، وأكثر ما تنبغي ملاحظته تلك العناية التى يبديها القرآن عند ما يتحدث عن الخمر فهو ينفى عنها صفة الاغتيال التى تتصف بها خمر الدنيا .

فلن تغشّى لذّة الكأس على العقل ولن يصيب شاربها منها صداع ولا وصب ولن يصحبها كذب ولا ثرثرة ولن تؤدّى بهم إلى لغو وإثم .

قال الله تعالى : « وكأس من معين لا يصدّعون عنها ولا ينزفون » الواقعة : ١٨ ـ ١٩) .

وقال : « لا يسمعون فيها لغواً ولا كذّاباً » النبأ : ٣٥) .

وقال : « يتنازعون فيها كأساً لا لغو فيها ولا تأثيم » الطور : ٢٣) .

ولنا أن نلاحظ نفس إهتمام القرآن الكريم بموضوع الازواج الذى تعدّ مرّات ذكره وانّ القرآن لم يكتف بالاشارة إلى معاشرة الرجال للنساء بل انّه بعد أن حدّد انّ النّساء سوف يكنّ ابكاراً وسوف يظللن كذلك أبداً ، قال : إنّ الحياة معهنّ ستكون حياة حب متبادل لانّهن سيكنّ عرباً وهو حبّ بين شباب من سنّ واحدة .

قال الله تعالى : « وحورعين كأمثال اللؤلؤ المكنون ـ إنّا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكاراً عرباً أتراباً » الواقعة : ٢٢ ـ ٣٧) .

وغيرها من الايات القرآنية الدالّة على جانبى التنعم . الجسميّ والروحى فى الجنّة وأمّا البحث فى نعيم الجنّة أفيكون تفضّلا أو على إستحقاق فنكتفى

بما جاء في (أوائل المقالات) للشيخ المفيد محمد بن النعمان رضوان الله تعالى عليه ثم نختم الكلام بما استفدنا من الايات الكريمة والروايات الشريفة إجمالا :

فقال الشيخ : « إنّ نعيم أهل الجنّة على ضربين : فضرب منه تفضّل محض لا يتضمّن شيئاً من الثواب والضرب الاخر تفضّل من جهة وثواب من اخرى وليس في نعيم أهل الجنّة ثواب وليس بتفضّل على شيء من الوجوه فأمّا التفضّل منه المحض فهوما يتنعّم به الاطفال والبله والبهائم إذليس لهؤلاء أعمال كلفوها فوجب من الحكمة إثابتهم عليها، وأمّا الضرب الاخر فهو تنعيم المكلفين وإنّما كان تفضلا عليهم لانهم لو منعوها ما كانوا مظلومين .

إذ ماسلف لله تعالى عندهم من نعمه وفضله وإحسانه يوجب عليهم أداء شكره وطاعته وترك معصيته فلو لم يثبهم بعد العمل ولا ينعمهم لما كان لهم ظالماً فلذلك كان ثوابه لهم تفضلا ، وأما كونه ثواباً فلانّ أعمالهم أوجبت في وجود الله تعالى وكرمه تنعيمهم ، وأعقبتهم الثواب وأثمرته لهم فصار ثواباً من هذه الجنّة وإنكان تفضّلا من جهة ما ذكرناه » .

وأمّا المستفاد من الايات الكريمة والروايات الشريفة الاتية فهو أن لايدخل أحد الجنّة إلا بالايمان وصالح العمل سواء بلغ في الحياة الدنيا حدّ التكليف فآمن وعمل صالحاً أم كان طفلا فمات ثم كلّف يوم القيامة فأطاع .

فالدخول فيها فعلى الاستحقاق وأما التفضل فبعد الدخول فيها بالمزيد على ما عليه المؤمن وبالحاق الذرّيّة المؤمنة به من غير نقص من مثوباته وما إليها من التّفضّلات . والتدبر في الابواب الاتية يوضح ذلك فتدبّر واغتنم .

« الجنة تجاه العمل »

قال الله تعالى : « إنّ المتقين في جنات ونعيم ـ كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون » الطور : ١٧ ـ ١٩) .

في تعليق الجزاء على التقوى والعمل اشعار بالعليّة والسببيّة ، وقد جاءت بذلك روايات عديدة :

منها : في الكافي باسناده عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ـ في حديث ـ قال : ولا ينال ما عند الله الاّ بجهة أسبابه .

ومنها : وفيه باسناده عن اسحق بن عمّار قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : من كان عاقلا كان له دين، ومن كان له دين دخل الجنّة .

ومنها : وفيه : في جواب من أبي عبدالله عليه السلام إلى رجل من أصحابه : أمّا بعد فانّي اوصيك بتقوى فانّ الله قد ضمن لمن اتّقاه أن يحوّله عمّا يكره إلى ما يحبّ ويرزقه من حيث لا يحتسب ، فايّاك أن تكون ممن يخاف على العباد من ذنوبهم ويأمن العقوبة من ذنبه فانّ الله عزّ وجل لا يخدع عن جنّته ولا ينال ما عنده إلاّ بطاعته ان شاء الله .

قال الله تعالى : « أيطمع كل امرىء منهم أن يدخل جنّة نعيم كلاّ » المعارج : ٣٨ ـ ٣٩) .

في تفسير روح البيان : « انّ رجلا يبلخ أمر عبده أن يزرع حنطة فزرع شعيراً فرآه وقت حصاده وسئله وقال : زرعت شعيراً على ظنّ أن ينبت حنطة فقال: يا أحمق هل رايت أحداً زرع شعيراً فحصد حنطة ، فقال العبد : فكيف تعصى الله أنت وترجو رحمته : جنته وثوابه ودخولك الجنّة .

ومنها : فى قرب الاسناد باسناده عن جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام ان النبى صلى الله عليه وآله قال : دخلت الجنة فرايت أكثر أهلها البله ، يعنى بالبله : المتغافل عن الشر العاقل فى الخير والذين يصومون ثلاثة ايام فى كل شهر .

ومنها : فى نهج البلاغة قال الامام عليه السلام : من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلباً ولا عن النار مهرباً : من عرف الله فأطاعه وعرف الشيطان فعصاه وعرف الحق فاتبعه وعرف الباطل فاتقاه وعرف الدنيا فرفضها وعرف الاخرة فطلبها .

وفيه: قال عليه السلام : أربعة تدعو إلى الجنة : كتمان المصيبة ، وكتمان الصدقة ، وبر الوالدين ، والاكثار من قول : لا إله الا الله .

ومنها : فى تحف العقول فى وصية الامام موسى بن جعفر عليه السلام لهشام ـ قال: يا هشام لا دين لمن لا مرؤة له ولا مروة لمن لا عقل له وان أعظم الناس قدراً الذى لا يرى الدنيا لنفسه خطراً أما ان أبدانكم ليس لها ثمن الا الجنة فلا تبيعوها بغيرها ـ يا هشام أصلح أيامك الذى هو أمامك ، فانظر أى يوم هو وأعدله الجواب ، فانك موقوف ومسئول ، وخذ موعظتك من الدهر واهله ، فان الدهر طويلة قصيرة ، فاعمل كأنك ترى ثواب عملك لتكون أطمع فى ذلك ، ٠ أعقل عن الله وانظر فى تصرف الدهر وأحواله ، فان ما هو آت من الدنيا كما ولى منها فاعتبر بها .

وقال على بن الحسين عليه السلام : « إن جميع ما طلعت عليه الشمس فى مشارق الارض ومغاربها ، بحرها وبرها وسهلها وجبلها عند ولى من اولياء الله وأهل المعرفة بحق الله كفيىء الضلال ـ ثم قال عليه السلام ـ : أو لا حر يدع هذه اللماظة لاهلها ـ يعنى الدنيا ـ فليس لانفسكم ثمن إلا الجنة فلا تبيعوها بغيرها فانه من رضى من الله بالدنيا فقد رضى بالخسيس » .

أقول : ومن غير خفى ان خلق العالم كلهم يشتاق الى الجنة ولكن الجنة تشتاق الى سلمان كما ورد فى الخبر : « ان الجنة لتشتاق إلى سلمان » .

فينال بالجنة ونعيمها من أسلم لا من تمنيها ويدخل فيها من إشتاقت إليه

لا من إشتاق إليها واشمأزّت عنه او كالعاشق بلا معشوق .

ومنها : في أمالي الشيخ الطوسي قدس سره باسناده عن حمّاد بن عثمان عن جعفر بن محمّد عن آبائه عليهم السلام عن علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا اسرى بي إلى السماء دخلت الجنّة فرأيت فيها قصراً من ياقوت أحمر يرى باطنه من ظاهره لضيائه ونوره وفيه قبّتان من درّ وزبرجد ، فقلت : يا جبرئيل لمن هذا القصر ؟ قال : هو لمن أطاب الكلام ، وأدام الصيام ، وأطعم الطعام ، وتهجد باللّيل والنّاس نيام .

قال علي عليه السلام : فقلت : يا رسول الله صلى الله عليه وآله وفي امّتك من يطيق هذا ؟ فقال : أتدرى ما إطابة الكلام ؟ فقلت : الله ورسوله أعلم ، قال : من صام شهر الصبر شهر رمضان ولم يفطر منه يوماً ، أتدرى ما اطعام الطعام ؟ قلت : الله ورسوله أعلم قال : من طلب لعياله ما يكفّ به وجوههم عن النّاس ، أتدرى ما التهجّد باللّيل والنّاس نيام ؟ قلت : الله ورسوله أعلم .

قال : من لم ينم حتّى يصلّي العشاء الاخرة والنّاس من اليهود والنصارى وغيرهم من المشركين نيام بينهما .



الاكل والشرب وما تشتهيه الانفس

فى الجنـة

قال الله تعالى : « كلوا واشربوا ـ وأمدد ناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون » الطور : ١٩ ـ ٢٢) . أصل الشهوة : نزوع النفس بقوّة من قواها إلى ما تريـده تلك القوّة ، وتلتذّ به ، كشهوة الطعام والشراب والنكاح ! ففى المقام بشارة بأنّ للمتقين فى الجنة ما يمكن ان تتعلق به شهواتهم من اكل وشرب ونكاح .

فى تفسير القمى : عن أبى عبد الله عليه السلام قال : إنّ الرّجل فى الجنّة يبقى على مائدته أيّام الدنيا ويأكل فى أكلة واحدة بمقدار ما اكله فى الدنيا .

وانّ الايات الكريمة والروايات تشير إلى إختلاف كميّة النعم الاخروية مع كميّة النعم الدنيويّة فبينهمابون بعيد ، فشتّان بين الاستفادة منها ومنها .

وذلك لانّ نعيم الاخرة دائم ، والدنيا ونعيمها منقطع ، وأى نسبة للدائم إلى المنقطع .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من قال : سبحان الله غرس الله بها عشر شجرات فى الجنّة فيها من أنواع الفواكه فهذه العشر شجرات لوخرجت إلى الدنيا على ما وصف من طيب طعمها وإختلاف اكلها ،

ان الرطب يكون بين يدى آكله فاذا قضى غرضه من الرطب تحوّل عنباً فاذا قضى غرضه منه تحوّل تيناً أو رماناً وهكذا يتحوّل ألواناً بين يدى الانسان وانها تأتى الى باغيها على منيته من غير تكلف اقتطاف وتعب تأتيه على ما يشتهى فى نفسه إن أراد أن يحضر بين يديه عنباً جائته عنباً وان أرادها رماناً جائته رماناً فلو تخرج شجرة واحدة من هذه الى الدنيا ويطلب بيعها ، ما ظنّك بما كان يبذل الملوك فى ثمنها ؟

وكيف اذا وصفت مع ذلك بأنها لا يحتاج الى سقى ولا رفاق ولا تعب ، بل

كيف إذا وصفت بأنّها تبقى عشرة آلاف سنة ، وما نسبة عشرة آلاف سنة فى أبد الآبدين ودهر الداهرين ؟ ! .

و فى رواية : قال النبى صلى الله عليه وآله : لو انّ ثوباً من ثياب أهل الجنة ألقى إلى أهل الدنيا لم تحتمله أبصارهم و لماتوا من شهوة النظر إليه فاذا كان هذا حال الثوب فما ظنّك بلابسه ؟ .

ومن هذا قول الامام على عليه السلام : لو رميت ببصر قلبك نحو ما يوصف لك من نعيمها لزهقت نفسك، ولتحملت من مجاسى هذا إلى مجاورة أهل القبور استعجالاً لها وشوقاً إليها ، وهذه المبالغة حاصلة من الوصف فكيف المشاهدة ؟ ! .

و فى رواية : عن أئمة أهل البيت عليهم السلام : كل شىء من الدنيا سماعه أعظم من عيانه ، و كل شىء من الآخرة عيانه أعظم من سماعه .

وقال الله تعالى : « واذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً » الانسان : ٢٠).

و فى رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : اذا دخل المؤمن منازله فى الجنّة وضع على رأسه تاج الملك و الكرامة ، و ألبس حلل الذهب و الفضّة و الياقوت والدر المنظومات فى الاكليل تحت التاج ، والبس سبعين حلّة حريراً بألوان مختلفة منسوجة بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت الاحمر وذلك قوله تعالى :

« يحلّون فيها من أساور من ذهب و لؤلؤاً و لباسهم فيها حرير » الحج : ٢٣) .

وفى الوحى القديم : اعددت لعبادى ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر بقلب بشر .

و فى رواية : قال النبىّ الكريم صلى الله عليه وآله انّ لله كرامة فى عباده المؤمنين فى كلّ جمعة فيقول : لكم مثل ما فى أيديكم سبعين ضعفاً فيرجع المؤمن فى كلّ جمعة سبعين ضعفاً مثل ما فى يديه ، وهو قوله تعالى : « ولدينا مزيد » ق : ٣٥) .

وفسّر ايضاً مما لا يخطر ببالهم مما لاعين رأت ، ولا اذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

وفي ربيع الابرار للزمخشري عن زيد بن أرقم قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وآله تزعم يا أباالقاسم انّ أهل الجنة يأكلون و يشربون ؟ قال : والذى نفسى بيده انّ أحدهم ليعطى قوّة ماة رجل فى الاكل والشرب قال : فانّ الذى يأكل يكون له الحاجة والجنة طيّبة لاخبث فيها ، قال : عرق يفيض من أحدهم كريح المسك فيضمر بطنه .

وفي تفسير كشف الاسرار : سئل الزنديق عن رسول الله صلى الله عليه وآله بأن تقول : إنّ أهل الجنّة يناكحون و يشربون و يأكلون ، و لازمها خروج الفضلة عن الانسان فالجنّة كانت موضعاً للفضلة ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « والذى نفسى بيده ان فيها لاكلاً وشرباً ونكاحاً يخرج من بطونهم عرق أطيب من ريح المسك » .

فقال رجل من القوم : صدق رسول الله صلى الله عليه وآله خلق الله خلقا يأكل مما نأكل ويشرب مما نشرب و منه يخرج من بطونها عسل سائغ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وفّقت هذا مثل طعام أهل الجنة .

و في رواية : إنّ الرجل هو الامام على عليه السلام ، و انّ السائل كان رجلا يهودياً .

وفي تفسير البرهان : بالاسناد عن جابر بن يزيد عن أبى جعفر عليه السلام قال : انّ الرّبّ تبارك وتعالى يقول : تدخلون الجنّة برحمتي وتنجون من النار بعفوى وتقسمون الجنّة بأعمالكم فوعزتي لأنزلنّكم دار الخلود ودار الكرامة فاذا دخلوها صاروا على طول آدم سبعين ذراعاً وعلى ميلاد عيسى ثلاث و ثلاثين سنة وعلى لسان محمد العربيّة وعلى صورة يوسف فى الحسن ثم يعلو وجوههم النور وعلى قلب أيّوب فى السلامة من الغل .

و قال عليه السلام : ان أهل الجنّة جرد مرد مكحلين مكللين أبداً مطوقين

مسرورين مختمين ناعمين محبورين مكرمين يعطى أحدهم قوّة مأة رجل فى الطعام والشراب و الشهوة والجماع ويجد لذّة غذائه مقدار أربعين سنة ولذّة عشائه مقدار أربعين سنة ، قد ألبس الله وجوههم النور و أجسادهم الحرير بيض الالوان صفر الحلى خضر الثياب .

و فى رواية : عن ابن عباس قال : « ليس فى الدنيا من الجنّة الاّ الاسماء ».



﴿ سؤال عن دفع فضولات الجنة ﴾

أخرج أحمد ـ إمام الحنابلة ـ فى الفضائل قال : حدّثنا عبدالله القواريرى ثنا مؤمل عن يحيى بن سعيد عن إبن المسيّب قال : كان عمر بن الخطّاب يقول : أعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو حسن قال إبن المسيّب : ولهذا القول سبب وهو انّ ملك الروم كتب إلى عمر يسئله عن مسائل فعرضها على الصّحابة فلم يجد عندهم جواباً فعرضها على أمير المؤمنين ـ على عليه السلام ـ فأجاب عنها فى اسرع وقت بأحسن جواب.

(ذكر المسائل) قال إبن المسيّب :

كتب ملك الرّوم إلى عمر ـ إبن الخطّاب ـ من قيصر ملك بنى الاصفر إلى عمر ـ أمّا بعد : فانّى مسائلك عن مسائل فأخبرنى عنها :

ما شىء لم يخلقه الله ؟ وما شىء لم يعلمه الله ؟ وما شىء ليس عند الله ؟ وما شىء كلّه فم ؟ وما شىء كله رجل ؟ وما شىء كلّه عين ؟ وما شىء كلّه جناح ؟ وعن رجل لا عشيرة له ؟ وعن أربعة لم تحمل بهم رحم ؟ وعن شىء يتنفّس وليس فيه روح ؟ و عن صوت الناقوس ماذا يقول ؟ و عن ظاعن ظعن مرّة واحدة ؟ و عن شجرة يسير الرّاكب فى ظلها مأة عام لا يقطعها ما مثلها فى الدنيا ؟ وعن مكان لم تطلع فيه الشمس الّا مرّة واحدة ؟ وعن شجرة نبتت من غير ماء ؟ وعن أهل الجنة فانهم يأكلون ويشربون ولا يتغوّطون ولا يبولون ما مثلهم فى الدنيا ؟ وعن موايد الجنّة فان عليها القصاع فى كل قصعة ألوان لا يخلط بعضها ببعض ما مثلها فى الدنيا ؟ وعن جارية تخرج من تفّاحة الجنّة ولا ينقص منها شىء ؟ وعن جارية تكون فى الدنيا لرجلين وهى فى الاخرة لواحد ؟ و عن مفاتيح الجنّة ما هى ؟ فقرأ على عليه السلام الكتاب و كتب فى الحال خلفه :

بسم الله الرحمن الرحيم

أمّا بعد : فقد وقفت على كتابك أيّها الملك وأنا اجيبك بعون الله وقوّته وبركته وبركة نبيّنا محمد ﷺ أمّا الشيء الذى لم يخلقه الله تعالى فالقرآن لانّه كلامه وصفته وكذا كتب الله المنزّلة والحق سبحانه قديم وكذا صفاته، وأما الذى لا يعلمه الله فقولكم : له ولد وصاحبة وشريك ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله لم يلد ولم يولد ، وأما الذى ليس عندالله : فالظلم وما ربّك بظلام للعبيد وأما الذى كله فمّ : فالنار تأكل ما يلقى فيها ، وأما الذى كله رجل : فالماء ، وأما الذى كله عين : فالشمس، وأما الذى كله جناح : فالريح، وأما الذى لاعشيرة له فآدم عليه السلام .

وأمّا الذين لم يحمل بهم رحم : فعصى موسى عليه السلام وكبش ابراهيم عليه السلام وآدم عليه السلام وحواء وأما الذى يتنفّس من غير روح فالصبح لقوله تعالى : « والصبح إذا تنفّس » وأما الناقوس: فانه يقول : طقّاً طقاً حقّاً حقّاً مهلاً مهلاً عدلاً عدلاً صدقاً صدقاً انّ الدنيا قد غرتنا واستهوتنا تمضى الدنيا قرناً قرناً ما من يوم يمضى عنّا الا أوهى منا ركنا ان الموتى قداخبرنا انا نرحل فاستوطنّا .

وأمّا الظاعن : فطور سيناء لما عصت بنو اسرائيل وكان بينه وبين الارض المقدسة أيام فقلع الله منه قطعة وجعل لها جناحين من نور فنتقه عليهم فذلك قوله : « وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنّه ظلّة وظنوا انه واقع بهم » .

وقال لبنى إسرائيل : إن لم تومنوا والاّ أوقعته عليكم فلمّا تابوا ردهإلى مكانه، وأمّا المكان الذى لم تطلع عليه الشمس إلا مرة واحدة فأرض البحر لما فلقه الله لموسى عليه السلام وقام الماء أمثال الجبال ويبست الارض بطلوع الشمس عليها ثم عاد ماء البحر إلى مكانه ، وأمّا الشجرة التى يسير الراكب فى ظلها مأة عام : فشجرة طوبى وهى سدرة المنتهى فى السماء السابعة إليها ينتهى أعمال بنى آدم وهى من أشجار الجنّة ليس فى الجنة قصر ولابيت إلا وفيه غصن من أغصانها ومثلها فى الدنيا : الشمس أصلها واحد وضوئها فى كل مكان وأمّا الشجرة التى نبتت

من غير ماء فشجرة يونس وكان ذلك معجزة له لقوله تعالى : « وأنبتنا عليه شجرة من يقطين » .

وأمّا غذاء أهل الجنة فمثلهم فى الدنيا الجنين فى بطن امه فانه يغتذى من سرّتها ولا يبول ولا يتغوط ، وأما الا لوان فى القصعة الواحدة : فمثله فى الدنيا البيضة فيها لونان أبيض وأصفر ولا يختلطان ، وأما الجارية التى تخرج من التفاحة: فمثلها فى الدنيا الدودة تخرج من التفاحة ولا تتغيّر .

وأما الجارية التى تكون بين اثنين : فالنخلة التى تكون فى الدنيا لمؤمن مثلى ولكافر مثلك وهى لى فى الآخرة دونك ، لانها فى الجنّة وأنت لا تدخلها ، وأمّا مفاتيح الجنة : فلا إله إلا الله محمد رسول الله .

قال ابن المسيب : فلما قرأ قيصر الكتاب قال : ما خرج هذا الكلام إلا من بيت النبوة ، ثم سئل عن المجيب فقيل له : هذا جواب ابن عم محمّد ﷺ فكتب اليه :

سلام عليك ، أمّا بعد : فقد وقفت على جوابك ، وعلمت أنت من أهل بيت النبوة ، ومعدن الرسالة ، وأنت موصوف بالشجاعة والعلم ، وأوثر أن تكشف لى عن مذهبكم ، والروح التى ذكرها الله فى كتابكم فى قوله : « ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى » .

فكتب اليه أمير المؤمنين : أمّا بعد : فالروح نكتة لطيفة ولمعة شريفة من صنعة باريها ، وقدرة منشأها ، أخرجها من خزائن ملكه ، وأسكنها فى ملكه فهى عده لك سبب ، وله عندك وديعة ، فاذا أخذت مالك عنده أخذ ماله عندك والسلام .

رواه الحافظ العاصمى فى (زين الفتى فى شرح سورة هل أتى) ، وسبط ابن الجوزى الحنفى فى (تذكرة الخواص) وأوردناه تماماً لما فيه من فوائد جمّة.

في ساعة الجنة وهوائها

ولا ينفد نعيمها

روى محمد بن جرير الطبري في (دلائل الامامة ص ١٠٤) باسناده عن الصادق عليه السلام قال : حجّ هشام بن عبد الملك بن مروان سنة من السّنين وكان قد حجّ في تلك السنة محمد بن عليّ الباقر وإبنه جعفر بن محمد عليهما السلام ، فقال جعفر بن محمد عليهما السلام :

« الحمد لله الّذي بعث محمداً بالحق نبيّاً وأكرمنا به ، فنحن صفوة الله على خلقه ، وخيرته من عباده وخلفاؤه ، فالسعيد من اتّبعنا ، والشقيّ من عادانا وخالفنا » .

ثم قال : فأخبر مسلمة أخاه بما سمع فلم يعرض لنا حتى إنصرف إلى دمشق وانصرفنا إلى المدينة فأنفذ بريداً إلى عامل المدينة باشخاص أبي وإشخاصي معه فأشخصنا فلمّا وردنا مدينة دمشق حجبنا ثلاثاً ، ثم أذن لنا في اليوم الرابع فدخلنا ، وإذاً قدقعد على سرير الملك وجنده وخاصّته وقوف على أرجلهم سماطان متسلّحان ، وقد نصب البرجاس حذاه ، وأشياخ قومه يرمون ، فلمّا دخلنا وأبي أمامي وأنا خلفه فنادى أبي وقال :

يا محمّد إرم مع أشياخ قومك الغرض فقال له : إنّي قد كبرت عن الرمي فهل رأيت أن تعفيني ، فقال : وحقّ من اعزّنا بدينه ونبيّه محمّد صلّى الله عليه وآله لا أعفيك ، ثم أومأ الى شيخ من بني اميّة أن أعطه قوسك ، فتناول ابي عند ذلك قوس الشيخ ، ثم تناول منه سهماً فوضعه في كبد القوس ثم انتزع ورمى وسط الغرض فنصبه فيه

ثم رمى فيه الثانية فشقّ فواق سهمه إلى نصله ثمّ تابع الرّمى حتى شقّ تسعة أسهم بعضها فى جوف بعض .

وهشام يضطرب فى مجلسه فلم يتمالك الاّ أن قال: أجدت يا أبا جعفر وأنت ارمى العرب والعجم هلاّ زعمت أنّك كبرت عن الرّمى ثم أدركته ندامة على ما قال .

وكان هشام لم يكن كنّى أحداً قبل أبى ولا بعده فى خلافته فهمّ به ، وأطرق إلى الارض اطراقة يتروّى فيها وأنا وأبى واقف حذاه مواجهين له ، فلمّا طال وقوفنا غضب أبى فهمّ به ، وكان أبى عليه السلام إذا غضب نظر إلى السّماء نظر غضبان يرى الناظر الغضب فى وجهه ، فلما نظر هشام إلى ذلك من أبى قال له : إلىّ يا محمد فصعد أبى إلى السّرير وأنا اتبعه ، فلمّا دنا من هشام قام اليه واعتنقه وأقعده عن يمينه ثمّ اعتنقنى وأقعدنى عن يمين ابى ، ثمّ أقبل على ابى بوجهه فقال له :

يا محمد لاتزال العرب والعجم تسودها قريش مادام فيهم مثلك لله درّك ، من علّمك هذا الرمى ؟ وفى كم تعلّمته ؟ فقال أبى : قد علمت أنّ اهل المدينة يتعاطونه فتعاطينه أيّام حداثتى ثمّ تركته ، فلمّا اراد أمير المؤمنين منى ذلك عدت فيه فقال له مارأيت مثل هذا الرّمى فقد مذ عقلت وما ظننت انّ فى الارض أحداً يرمى مثل هذا الرّمى ، ايرمى جعفر مثل رميك ؟ فقال : انّا نحن نتوارث الكمال والتمام اللذين انزلهما الله على نبيّه صلى الله عليه وآله فى قوله : « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً » .

والارض لا تخلو ممّن يكمل هذه الامور التى يقصر غيرنا عنها ، قال : فلمّا سمع ذلك فى ابى انقلبت عينه اليمنى فاحولّت واحمرّ وجهه وكان ذلك علامة غضبه إذا غضب ، ثم اطرق هنيئة ثمّ رفع رأسه فقال لابى : السنا بنو عبد مناف نسبنا ونسبكم واحد ؟ فقال أبى : نحن كذلك ولكنّ الله جلّ ثناؤه اختصنا من مكنون سرّه ، وخالص علمه بما لم يخصّ أحداً به غيرنا ، فقال :

أليس الله جلّ ثناؤه بعث محمداً صلى الله عليه وآله من شجرة عبد مناف إلى النّاس كافّة ، أبيضها واسودها وأحمرها ، من أين ورثتم ماليس لغيركم ؟ ورسول الله صلى الله عليه وآله

مبعوث الى النّاس كافة وذلك قول الله تبارك وتعالى : « و لله ميراث السموات والارض » إلى آخر الاية ، فمن أين ورثتم هذا العلم ، وليس بعد محمد نبى ولا أنتم انبياء ؟ فقال :

من قوله تبارك وتعالى لنبيّه ﷺ : « لاتحرّك به لسانك لتعجل به » الذى لم يحرّك به لسانه لغيرنا أمره الله ان يخصّنا به من دون غيرنا ، فذلك كان ناجى أخاه علينا من دون أصحابه ، فأنزل الله بذلك قرآناً فى قوله :

« وتعيها اذن واعية » فقال رسول الله ﷺ لاصحابه : سئلت الله أن يجعلها اذ نك يا علىّ ، فلذلك قال على بن أبيطالب صلوات الله عليه بالكوفة : « علّمنى رسول الله ﷺ ألف باب من العلم ، ففتح كل باب ألف باب » خصّه رسول الله ﷺ من مكنون سرّه بما يخصّ أمير المؤمنين أكرم الخلق عليه ، فكما خصّ الله نبيّه ﷺ خصّ نبيه ﷺ أخاه علياً من مكنون سرّه بما لم يخص به أحداً من قومه حتى صار إلينا ، فتوارثنا من دون أهلنا .

فقال هشام بن عبدالملك : إن علياً كان يدّعى علم الغيب والله لم يطّلع على غيبه أحدا ، فمن أين ادّعى ذلك ؟ فقال أبى : إنّ الله جل ذكره أنزل على نبيه ﷺ كتاباً بيّن فيه ما كان وما يكون إلى يوم القيامة ، فى قوله تعالى : « ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين » .

وفى قوله : « و كل شيء أحصيناه فى إمام مبين » .

وفى قوله : « ما فرّطنا فى الكتاب من شيء » .

و أوحى الله إلى نبيه ﷺ أن لا يبقى فى غيبه وسرّه ومكنون علمه شيئاً إلّا يناجى به علياً ، فأمره أن يؤلّف القرآن من بعده ، ويتولّى غسله وتكفينه وتحنيطه من دون قومه ، وقال لاصحابه : حرام على أصحابى وأهلى أن ينظروا إلى عورتى غير أخى علىّ ، فانّه منّى وأنا منه ، له مالى وعليه ما علىّ ، وهو قاضى دينى ، ومنجز وعدى .

ثم قال لاصحابه : على بن أبيطالب يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت

على تنزيله ولم يكن عند أحد تأويل القرآن بكماله وتمامه إلاّ عند على عليه السلام ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله لاصحابه : أقضاكم على ّ ، أى هو قاضيكم .

وقال عمر بن الخطاب : لو لا على ّ لهلك عمر ، يشهد له عمر ويجحده غيره فأطرق هشام طويلا ثم رفع رأسه فقال : سل حاجتك ، فقال: خلّفت عيالى وأهلى مستوحشين لخروجى ، فقال : قد آنس الله وحشتهم برجوعك إليهم ، ولا تقم سر من يومك ، فاعتنقه أبى ودعا له ، وفعلت أنا كفعل أبى ، ثمّ نهض ونهضت معه وخرجنا الى بابه اذا ميدان ببابه وفى آخر الميدان أناس قعود عدد كثير قال أبى من هؤلاء ؟ فقال الحجّاب : هؤلاء القسّيسون والرّهبان ، وهذا عالم لهم يقعد اليهم فى كل سنة يوماً واحداً يستفتونه فيفتيهم ، فلفّ أبى عند ذلك راسه بفاضل ردائه ، وفعلت انا مثل فعل ابى فأقبل نحوهم حتى قعد نحوهم وقعدت وراء ابى ورفع ذلك الخبر الى هشام فأمر بعض غلمانه ان يحضر الموضع فينظر ما يصنع ابى ، فأقبل واقبل عداد من المسلمين ، فأحاطوا بنا ، واقبل عالم النصارى وقد شدّ حاجبيه بحريرة صفراء حتّى توسطنا ، فقام اليه جميع القسيسين والرهبان مسلّمين عليه ، فجاؤا به الى صدر المجلس فقعد فيه واحاط به اصحابه وابى وانا بينهم ، فأدار نظره ثمّ قال : لابى: أمنّا ام من هذه الامّة المرحومة ؟

فقال أبى : بل من هذه الامّة المرحومة ، فقال : من أيّهم انت من علمائها أم من جهّالها ؟ فقال له أبى : لست من جهّالها ، فاضطرب إضطرباً شديداً ، ثمّ قال له : أسئلك ؟ فقال له أبى : سل فقال : من أين ادّعيتم انّ أهل الجنة يطعمون ويشربون ولا يحدثون ولا يبولون ؟ وما الدليل فيما تدّعونه من شاهد لا يجهل ؟ فقال له أبى : دليل ما ندّعى من شاهد لايجهل: الجنين فى بطن امّه يطعم ولايحدث قال : فاضطرب النصرانىّ اضطراباً شديداً ، ثمّ قال : هلاّ زعمت انّك لست من علمائها ؟ فقال له ابى : ولا من جهّالها واصحاب هشام يسمعون ذلك فقال لابى : اسئلك عن مسئلة اخرى ، فقال له ابى : سل ،

فقال : من اين ادّعيتم انّ فاكهة الجنة ابداً غضّة طريّة موجودة غيرمعدومة

عند جميع اهل الجنة ؟ وما الدليل عليه من شاهد لا يجهل ؟ فقال له ابى دليل ما ندّعى انّ ترابنا ابداً يكون غضاً طرياً موجوداً غير معدوم عند جميع اهل الدنيا لا ينقطع ، فاضطرب اضطراباً شديداً ، ثمّ قال: هلاّ زعمت انك لست من علمائها؟ فقال له ابى : ولا من جهّالها ، فقال له : اسئلك عن مسئلة ؟ فقال : سل، فقال : اخبرنى عن ساعة لا من ساعات الليل ولا من ساعات النهار ؟

فقال له ابى : هى الساعة التى بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس ، يهدأ فيها المبتلى ، ويرقد فيها الساهر ويفيق المغمى عليه ، جعلها الله فى الدنيا رغبة للراغبين ، وفى الاخرة للعاملين ، لها دليلا واضحاً وحجة بالغة على الجاحدين المتكبرين التاركين لها .

قال : فصاح النصرانى صيحة ، ثم قال : بقيت مسئلة واحدة ، والله لاسئلك عن مسئلة لا تهدى إلى الجواب عنها أبداً ، قال له أبى : سل ، فانك حانث فى يمينك ، فقال : اخبرنى عن مولودين ولدا فى يوم واحد ، وماتا فى يوم واحد ، عمر احدهما خمسون سنة ، وعمر الاخر مأة وخمسون سنة فى دار الدنيا ؟

فقال له ابى : ذلك عزير وعزيرة ، ولدا فى يوم واحد ، فلمّا بلغا مبلغ الرجال خمسة وعشرين عاماً مرّ عزير على حماره راكباً على قرية بأنطاكية وهى خاوية على عروشها « قال : انّى يحيى هذه الله بعد موتها » وقد كان إصطفاه وهداه فلمّا قال : ذلك القول غضب الله عليه فأماته الله مأة عام سخطاً عليه بما قال، ثم بعثه على حماره بعينه وطعامه وشرابه وعاد الى داره . وعزيرة اخوه لا يعرفه فاستضافه فأضافه وبعث اليه ولد عزيرة و ولد ولده وقد شاخوا وعزير شابّ فى سنّ خمس وعشرين سنة ، فلم يزل عزير يذكّر اخاه و ولده وقد شاخوا وهم يذكرون ما يذكّرهم ويقولون :

ما اعلمك بأمر قد مضت عليه السّنون والشهور ، ويقول له عزيرة و هو شيخ كبير ابن مأة وخمسة وعشرين سنة :

ما رايت شابّاً فى سنّ خمسة وعشرين سنة اعلم بما كان بينى وبين اخى

عزير ايّام شبابي منك ! فمن اهل السماء انت ام من اهل الارض ؟ فقال : يا عزيرة انا عزير سخط الله عليّ بقول قلته بعد ان اصطفاني وهداني فأماتني مأة سنة ثم بعثني لتزادوا بذلك يقيناً انّ الله على كل شيء قدير .

وها هو هذا حماري وطعامي وشرابي الذي خرجت به من عند كم اعاده الله تعالى كما كان ، فعندها ايقنوا فأعاشه الله بينهم خمسة وعشرين سنة ثمّ قبضه الله وأخاه في يوم واحد .

فنهض عالم النصارى عند ذلك قائماً وقاموا ـ النصارى ـ على ارجلهم ، فقال لهم عالمهم : جئتموني بأعلم مني واقعدتموه معكم حتى هتكني وفضحني ، واعلم المسلمين بأن لهم من احاط بعلو منّا ، وعنده ما ليس عندنا ، والله لا كلّمتكم من رأسي كلمة واحدة ، ولا قعدت لكم ان عشت سنة ، فتفرّقوا وابي قاعد مكانه وأنا معه ورفع ذلك الخبر الى هشام .

فلما تفرق الناس نهض ابي وانصرف الى المنزل الذي كنا فيه فوافانا رسول هشام بالجائزة ، وأمرنا ان ننصرف إلى المدينة من ساعتنا ، ولا نجلس ، لانّ النّاس ماجوا وخاضوا فيما دار بين أبي وبين عالم النصارى ، فركبنا دوابنا منصرفين وقد سبقنا بريد من عند هشام إلى عامل مدين على طريقنا الى المدينة أنّ ابني أبي تراب الساحرين : محمد بن عليّ وجعفر بن محمد الكذّابين ـ بل هشام هو الكذّاب لعنه الله ـ فيما يظهران من الاسلام وردا عليّ ولمّا صرفتهما إلى المدينة مالا إلى القسّيسين والرهبان من كفّار النّصارى وأظهرا لهما دينهما ومرقا من الاسلام إلى الكفر دين النّصارى وتقرّبا إليهم بالنّصرانيّة ، فكرهت ان انكّل بهما لقرابتهما .

فاذا قرأت كتابي هذا فناد في النّاس : برئت الذّمّة ممن يشاريهما او يبايعهما او يصافحهما او يسلّم عليهما ، فانّهما قد ارتدّا عن الاسلام ، ورأى أمير المؤمنين أن يقتلهما ودوابّهما وغلمانهما ومن معهما شرّ قتلة .

قال : فورد البريد إلى مدينة مدين ، فلمّا شارفنا مدينة مدين قدّم أبي

غلمانه ليرتادوا لنامنزلا ، وليشزوا لدوابّنا علفاً ولنا طعاماً، فلمّا قرب غلماننا من باب المدينة أغلقوا الباب في وجوهنا وشتمونا وذكروا على بن أبي طالب صلوات الله عليه فقالوا : لانزول لكم عندنا ، ولاشراء ولابيع يا كفّار يامشركين مرتدّين يا كذّابين ياشرّ الخلائق أجمعين ، فوقف غلماننا على الباب حتى إنتهينا إليهم فكلّمهم أبي وليّن لهم القول وقال لهم :

اتّقوا الله ولا تغلظوا فلسنا كما بلغكم ولا نحن كما تقولون فاسمعونا ، فقال لهم : فهبنا كما تقولون افتحوا لنا الباب وشارونا وبايعونا كما تشارون وتبايعون اليهود والنصارى والمجوس ، فقالوا : أنتم شرّ من اليهود والنصارى والمجوس ، لانّ هؤلاء يؤدّون الجزية وأنتم ماتؤدّون ، فقال لهم أبي : فافتحوا لنا الباب وانزلونا وخذوا منّا الجزية كما تأخذون منهم ، فقالوا : لا نفتح ولا كرامة لكم حتّى تموتوا على ظهور دوابّكم جياعاً نياعاً ، أو تموت دوابّكم تحتكم ، فوعظهم أبي فازدادوا عتوّاً ونشوزاً ، قال : فثنّى أبي رجله عن سرجه ثمّ قال لي : مكانك يا جعفر لا تبرح .

ثمّ صعد الجبل المطلّ على مدينة مدين وأهل مدين ينظرون إليه ما يصنع فلمّا صار في أعلاه إستقبل بوجهه المدينة وجسده ثم وضع إصبعيه في اذنيه ثمّ نادى بأعلاصوته : « وإلى مدين أخاهم شعيباً » إلى قوله : « بقيّة الله خير لكم إن كنتم مؤمنين » .

نحن والله بقيّة الله في أرضه ، فأمرالله ريحاً سوداء مظلمة فهبّت واحتملت صوت أبي فطرحته في أسماع الرّجال والصّبيان والنّساء ، فما بقى أحد من الرّجال والنساء والصبيان إلاّ صعد السّطوح وأبي مشرف عليهم ، وصعد فيمن صعد شيخ من أهل مدين كبير السن فنظر الى أبي على الجبل فنادى بأعلى صوته :

اتّقوا الله يا أهل مدين فانّه قد وقف الموقف الذى وقف فيه شعيب عليه السلام حين دعا على قومه فان أنتم لم تفتحوا له الباب ولم تنزلوه جاءكم من الله العذاب فانّى أخاف عليكم وقد أعذر من أنذر ، ففزعوا وفتحوا الباب وأنزلونا وكتب

بجميع ذلك الى هشام ، فارتحلنا في اليوم الثاني فكتب هشام الى عامل مدين يأمره بأن يأخذ الشيخ فيقتله رحمة الله عليه وصلواته ، و كتب الى عامل مدينة الرّسول أن يحتال في سمّ أبي في طعام أو شراب ، فمضى هشام ولم يتهيّأ له في ابي من ذلك شيء .

أقول: رواه القمي في تفسيره ، والكليني في روضة الكافي ملخصاً ، والسيد بن طاووس في امان الاخطار ، والمجلسي في البحار ، والراوندي في الخرائج ، وفيه : ان الديراني اسلم مع اصحابه على يديه عليه السلام .

وفي رواية : انّ النصراني سئله عليه السلام أيضاً : انكم تقولون : إنّ في الجنّة نعماً وفواكه لا تنفد مهما أكلها الانسان وإنتفع بها أصحابها فلها نظير في هذه الحياة الدنيا ؟

فقال عليه السلام : مثلها مثل الشمس مهما تخرج منها الحرارة والنور لا تنقص حرارتها ولا ينفد نورها إلا اذا انكدرت باذن الله تعالى .

وفي الاحتجاج : من سؤال الزنديق الذى سئل أبا عبدالله عليه السلام عن مسائل:

منها ـ : قال : فمن أين قالوا : انّ أهل الجنّة يأتي الرّجل منهم الى ثمرة يتناولها ، فاذا أكلها عادت كهيئتها ؟ قال : نعم ذلك على قياس السراج يأتي القابس فيقتبس منه فلا ينقص من ضوئه شيء وقد امتلأت الدنيا منه سرجاً ، قال : أليسوا يأكلون ويشربون وتزعم انّه لا يكون لهم الحاجة ؟ قال : بلى لانّ غذاءهم رقيق لا ثقل له بل يخرج من أجسادهم بالعرق .

﴿ المتقون و حور العين ﴾

قال الله عزّ وجل : « إن المتقين في جنّات ونعيم ـ وزوّجناهم بحورعين » الطور : ١٧ ـ ٢٠) .

الحور : جمع الحوراء ، وهنّ : البيض النقيّات في حسن و كمال ، يحار الناظر في حسنهنّ .

العين : واسعات الاحداق ، و كبيرات الاعين في غاية حسن وصفاء ، ان الله تعالى وصفهنّ في المقام ـ على طريق ذكر الموصوف وإرادة الصفة ـ بأحسن ما يحار به الناظر ، ويبتهج به الانسان .

وذلك لانّ أحسن الاعضاء تشتهي إليه النفس البشريّة هو الوجه ، وأحسن مافي الوجه هو العين ، وأحسن العيون : العين الواسعة توجب كثرة الروح المصبوبة إليها ، وتجلب توجه الانسان إليهن ليلتذّ برؤيتهنّ ، مثل أن يكون بياض العين في غاية البياض ، وسوادها في غاية السواد .

قيل : سمّيت نساء أهل الجنة بالحوراء لانّ أعينهن السوداء ، وثيابهن وجلدتهنّ البيضاء ، وهنّ نساء باكرات نقيات بياض ظاسرات ، مخ سوقهنّ وراء ثيابهن، ويرى الناظر وجهه في كبد احداهنّ كالمرآة لرقة جلدتهن وصفاء لونهن وهن مطهرات من الحيض والغائط والبول والبصاق والنخامة والمني والولد .

واختلفت كلمات المفسرين وغيرهم في الحور العين : هل هن من نساء مؤمنة دنياويّة ، أو هنّ من جنس آخر من أهل الجنّة ولكل طائفة :

والروايات الواردة : تصرح بأنهن خلقن ولسن من مخلوقات دنياوية ، ومن الروايات ما في تفسير القمي باسناده عن إبن أبي عمير عن أبي بصير عن أبي

عبد الله عليه السلام قال : المؤمن يزوّج ثمانمأة عذراء وأربعة آلاف ثيّب وزوجتين من الحور العين ، قلت :

جعلت فداك ثمانمأة عذراء ؟ قال : نعم ، ما يفترش منهنّ شيئاً إلا وجدها كذلك ، قلت جعلت فداك من أي شيء خلقت الحور العين ؟ قال : من تربة الجنّة النورانيّة ويرى مخ ساقها من وراء سبعين حلّة ، كبدها مرآته و كبده مرآتها قلت : جعلت فداك ألهنّ كلام تكلّمن به أهل الجنّة ؟ قال : نعم ، كلام يتكلّمن به لم يسمع الخلائق بمثله وأعذب منه ، قلت ما هو ؟ قال : يقلن بأصوات رخيمة : نحن الخالدات فلا نموت ونحن الناعمات فلا نبؤس ونحن المقيمات فلا نظعن ونحن الراضيات فلا نسخط ، طوبى لمن خلق لنا ، وطوبى لمن خلقنا له ، ونحن اللواتي لو انّ شعر أحدنا علق في جوّ السماء لأغشى نوره الابصار .

ومنها : ما في المجالس باسناده عن أبي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال له : يا أبا ذر لو انّ إمرأة من نساء أهل الجنّة اطلعت من سماء الدنيا في ليلة الظلماء لاضائت بها أفضل مما تضيء بالقمر ليلة البدر ولوجد ريح نشرها جميع اهل الارض ، و لو أن ثوباً من ثياب أهل الجنّة نشر اليوم في الدنيا لصعق من ينظر اليه وما حملته أبصارهم .

وقال صلى الله عليه وآله : والذي أنزل الكتاب على محمد انّ أهل الجنّة ليزدادون جمالا وحسناً كما يزدادون في الدنيا قباحة وهرماً .

ومنها : ما في تفسير البرهان بالاسناد عن عوف بن عبد الله الازدي عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث - قال : وحدث انّ الحور العين خلقهنّ الله في الجنّة مع شجرها وحبسهنّ على أزواجهنّ في الدنيا ، على كل واحدة منهنّ سبعون حلّة ، يرى بياض سوقهنّ من وراء الحلل السبعين كما يرى الشراب الاحمر في الزجاجة البيضاء والسلك الابيض في الياقوتة الحمراء ، يجامعها في قوّة مأة رجل شهوة أربعين سنة ، وهنّ شقراء أبكار عذارى ، كلّما نكحت صارت عذراء لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جانّ يقول لم يمسهنّ إنسي ولا جنّي قط .

فيهن خيرات حسان، يعني خيرات الاخلاق حسان الوجوه كأنّهن الياقوت والمرجان يعني صفاء الياقوت وبياض اللؤلؤ، قال: فانّ في الجنّة لنهراً حافيته الجوارى، قال: فيوحى إليهن الرّبّ تبارك وتعالى اسمعن عبادى تمجيدى وتسبيحى وتحميدى فيرفعن أصواتهن بألحان وترجيع لم يسمع الخلائق مثلها قطّ فتطرب أهل الجنّة.

وفي رواية: قال رسول الله ﷺ: «ولو انّ امرأة من نساء أهل الجنّة اطلعت إلى الارض لاضاءت ولملأت ما بينهما رائحة ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا بما فيها».

النصيف: الخمار. يقال: نصّفت المرأة رأسها بالخمار: اختمرت.

النصيف: ثوب تتجلّل به المرأة فوق ثيابها كلّها.

وفي رواية: عن أبي سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى: «كأنهنّ الياقوت و المرجان»: «تنظر إلى وجهها في خدرها أصفى من المرآة، و إنّ أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بن المشرق و المغرب، وانّه يكون عليها سبعون ثوباً ينفذها بصره حتى يرى مخّ ساقها من وراء ذلك».

وفي رواية: عن النبي الكريم ﷺ قال: «لمّا أسرى بى دخلت في الجنّة موضعاً يسمّى (الصرح) عليه خيام اللؤلؤ و الزبرجد الاخضر و الياقوت الاحمر فقلن: السّلام عليك يا رسول الله، فقلت: يا جبرئيل ما هذا النداء؟ قال: هؤلاء المقصورات فى الخيام إستأذن ربّهن فى السلام عليك فأذن لهنّ فطفقن يقلن: نحن الراضيات فلا نسخط أبداً، ونحن الخالدات فلانظعن أبداً» وقرأ رسول الله ﷺ قوله تعالى: «حور مقصورات فى الخيام».

وفي قرب الاسناد: عن بكر بن محمّد الازدى قال: سئله أبو بصير و أنا جالس عنده عن الحور العين فقال: جعلت فداك أخلق من خلق الدنيا أو خلق من خلق الجنّة؟ فقال: له ما أنت و ذاك عليك بالصّلاة فانّ آخر ما أوصى به رسول الله ﷺ وحثّ عليه: الصلاة، ايّاكم أن يستخفّ أحدكم بصلاته، فلا هو

إذاكان شابّاً أتمّها، ولا هو إذا كان شيخاً قوى عليها، وما أشدّ من سرقة الصّلاة .

فاذا قام أحدكم فليعتدل ، و اذا ركع فليتمكّن ، وإذا رفع رأسه فليعتدل، وإذا سجد فليفرّج وليتمكّن ، فاذا رفع رأسه فليلبث حتى يسكن ، ثم سئلته عن وقت صلاة المغرب فقال : إذا غاب القرص .

وفي الكافي : باسناده عن أبي الصّباح الكناني عن أبي جعفر عليه السلام قال : قيل لامير المؤمنين عليه السلام: من شهد أن لا إله إلاّ الله وانّ محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله كان مؤمناً ؟ فأين فرائض الله ؟ قال : وسمعته يقول : كان على عليه السلام يقول : لو كان الايمان كلاماً لم ينزل فيه صوم ولا صلاة ولا حلال ولا حرام ، قال :

وقلت لابي جعفر عليه السلام : إنّ عندنا قوماً يقولون : إذ اشهد أن لا إله الاّ الله و انّ محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله فهو مؤمن ، قال : فلم يضربون الحدود و لم تقطّع أيديهم ؟! و ما خلق الله عزّ و جلّ أكرم على الله عزّ و جلّ من المؤمن ، لانّ الملائكة خدّام المؤمنين، وانّ جوارالله للمؤمنين ، وانّ الجنّة للمؤمنين ، وان الحورالعين للمؤمنين ، ثم قال : فما بال من جحد الفرائض كان كافراً ؟ .



﴿ حور عين وتزويجهن ﴾

إنّ الله تعالى وعد المتقين في موارد عديدة من كتابه الكريم بتزويج حور عين وأزواج مطهّرة ، ووصفهن بصفات كثيرة من الطهارة وكونهن أبكاراً عرباً أتراباً ومقصورات في الخيام وغيرها من الصفات :

وقال : « وبشّر الذين آمنوا وعملوا الصّالحات انّ لهم جنّات تجرى من تحتها الانهار كلّما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الّذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابهاً ولهم فيها أزواج مطهّرة وهم فيها خالدون » البقرة : ٢٥) .

وقال: « وحور عين كامثال اللؤلؤ المكنون ـ إنّا أنشأناهنّ إنشاء فجعلناهنّ أبكاراً عرباً أتراباً لاصحاب اليمين » الواقعة : ٢٢ ـ ٣٨) .

وقال : « فيهنّ قاصرات الطرف لم يطمثهنّ إنس قبلهم ولا جانّ ـ كأنهنّ الياقوت والمرجان ـ فيهنّ خيرات حسان ـ حور مقصورات في الخيام » الرحمن : ٥٦ ـ ٧٢) .

في الكافي : باسناده عن الحلبي قال : سئلت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجل : « فيهنّ خيرات حسان » قال : هن صوالح المؤمنات العارفات ، قال : قلت : « حور مقصورات في الخيام » قال : الحور: هنّ البيض المصونات المخدرات في خيام الدر والياقوت والمرجان ، لكل خيمة أربعة أبواب على كل باب سبعون كاعباً حجاباً لهن ، ويأتيهن في كلّ يوم كرامة من الله عزّ ذكره يبشّر الله بهن المؤمن .

وفيه : باسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال قال : إذا دخل اهل الجنة الجنّة وأهل النّار النّار بعث ربّ العزّة علياً عليه السلام فأنزلهم منازلهم من الجنّة

فزوّجهم فعليّ والله الذى يزوّج أهل الجنّة فى الجنّة وما ذاك الى احد غيره كرامة من الله عزّ ذكره وفضلا فضّله الله ومنّ به عليه . الخبر.

وفى الخصال : عن أبى عبد الله عليه السلام قال : أربعة أوتوا سمع الخلائق النبى صلى الله عليه وآله والحور العين والجنّة والنار ، فما من عبد يصلّى على النبى صلى الله عليه وآله أو يسلم عليه الا بلغه ذلك وسمعه ، وما من أحد قال : اللّهم زوّجنى من الحور العين إلا سمعته وقلن : يا رب ان فلاناً خطبنا اليك فزوّجنا منه .

قوله عليه السلام : « اوتوا » أى اوتوا سمعاً يسمعون بها كلام الخلائق كلّهم .

وفى رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « انّ الرّجل من أهل الجنّة ليتزوّج خمسمأة حوراء وأربعة آلاف بكر وثمانية آلاف ثيّب ، يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره فى الدنيا » .

أقول: والحوراء من أهل الجنة ، والبكر: هنّ من أبكار الدنيا ، والثيّب هنّ أيضاً من ثيّبات نساء الدنيا المؤمنات اللاتى يتزوج بهن المتقون فى الجنّة ، وأمّا المعانقة بكل واحدة منهن مقدار عمره فى الدنيا من حيث اللذّة فكان المعانقة الواحدة فى الجنة تساوى جميع المعانقات الدنياوية فى اللذّة .

وفى رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « انّ الحور العين فى الجنّة يتغنين : نحن الحور الحسان خبئنا لازواج كرام » .

وفى رواية : عن أبى أمامة الباهلى : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « ما من عبد يدخل الجنّة إلاّ ويجلس عند رأسه وعند رجليه ثنتان من الحور العين يغنيانه بأحسن صوت سمعه الانس والجنّ ، وليس بمزمار الشيطان ، ولكن بتحميد الله وتقديسه » .

وفى الدر المنثور : عن إبن عباس قال : لوانّ إمرأة من نساء أهل الجنة بصقت فى سبعة أبحر كانت تلك الابحر أحلى من العسل .

وفى تفسير لباب التأويل : عن على عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « انّ فى الجنّة لمجتمعاً للحور العين يرفعن بأصوات لم تسمعن الخلائق مثلها

يقلن : نحن الخالدات فلا نبيد ، ونحن الناعمات فلا نبأس ، ونحن الراضيات فلا نسخط ، طوبى لمن كان لنا وكنّا له .

وفي تفسير روح الجنان : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : تقول حور العين في الجنّة بالغناء : « نحن خيرات حسان خلقنا لازواج كرام » .

وإذا رأين زوجهن تقول : « أنت لي وأنا لك لم تر عيناي مثلك » .

وفي الخصال : باسناده عن إبن أبي عمير عن إبن سنان قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : ثلاث من كن فيه زوّجه الله من الحور العين كيف شاء : كظم الغيظ ، والصبر على السّيوف لله عزّ وجل ، ورجل أشرف على مال حرام فتركه لله عزّ وجل .

في الدر المنثور : أخرج إبن أبي حاتم من طريق مسلم بن جعفر البجلي قال : سمعت أبا معاذ البصري انّ علياً عليه السلام قال : قال النبي صلى الله عليه وآله : والذي نفسي بيده انّهم إذا خرجوا من قبورهم يستقبلون بنوق بيض ، لها أجنحة عليها رحال الذهب ، شرك نعالهم نور تلألأ كل خطوة منها مدّ البصر ، فينتهون إلى شجرة ينبع من أصلها عينان فيشربون من إحداهما فيغسل ما في بطونهم من دنس ويغتسلون من الاخرى فلا تشعث أبشارهم ولا اشعارهم بعدها أبداً ، وتجري عليهم نضرة النعيم فيأتون باب الجنّة ،

فاذا حلقة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب فيضربون بالحلقة على الصفحة فيسمع لها طنين فيبلغ كل حوراء انّ زوجها قد أقبل فتبعث قيمها فيفتح له فاذا رآه خرّ له ساجداً فيقول : ارفع رأسك انّما ناقيحك وكلت بأمرك فيتبعه ويقفو أثره فتستخف الحوراء العجلة فتخرج من خيام الدر والياقوت ، حتّى تعتنقه ، ثم تقول : أنت حبّي وأنا حبّك وأنا الخالدة التي لا أموت وأنا الناعمة التي لا أباس وأنا الراضيّة التي لا أسخط وأنا المقيمة التي لا اظعن فيدخل بيتاً من أسّه إلى سقفه مأة ألف ذراع بناؤه على جندل اللؤلوء طرائق أصفر وأحمر وأخضر ليس منها طريقة تشاكل صاحبتها في البيت سبعون سريراً على كل سرير سبعون حشية على كل حشية سبعون زوجة على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ

ساقها من باطن الحلل ، يقضي جماعها في مقدار ليلة من لياليكم هذه الانهار من تحتهم تطرد أنهار من ماء غير آسن ، قال : صاف لا كدر فيه وأنهار من لبن لم يتغيّر طعمه .

قال : لم يخرج من ضروع الماشية وأنهار في خمر لذّة للشاربين ، قال : لم تعصرها الرجال بأقدامها وأنهار من عسل مصفّى ، قال : لم يخرج من بطون النحل فيستحلي الثمار فان شاء أكل قائماً وإن شاء أكل قاعداً وإن شاء أكل متكئاً ثم تلا : « ودانية عليهم ظلالها » الاية فيشتهي الطعام فيأتيه طيرأبيض وربّما قال : أخضر فترفع أجنحتها فيأكل من جنوبها ،أيّ الالوان شاء ، ثم يطير فيذهب فيدخل الملك فيقول: « سلام عليكم تلكم الجنّة التي أورثتموها بما كنتم تعملون » .

أقول: روى البحراني في البرهان قريباً منه عن أبي عبد الله عليه السلام .

وفي المجمع: وروى العياشي بالاسناد عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قلت له : جعلت فداك أخبرني عن الرجل المؤمن تكون له امرأة مؤمنة يدخلان الجنّة يتزوج أحدهما الآخر ؟ فقال : يا أبا محمد انّ الله حكم عدل إذا كان هو أفضل منها خيّره فان اختارها كانت من أزواجه ، وان كانت هي خيراً منه خيّرها فان اختارته كان زوجاً لها ، وقال أبو عبدالله عليه السلام :

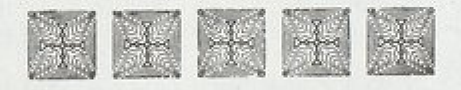
لا تقولنّ الجنّة واحدة انّ الله يقول: « ومن دونهما جنتان » ولا تقولن درجة واحدة انّ الله يقول : « درجات بعضها فوق بعض » انما تفاضل القوم بالأعمال . الخبر .

وفي تفسير البرهان: : بالاسناد عن موسى بن إبراهيم عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام عن أبيه عن جدّه عليه السلام قال : قالت ام سلمة لرسول الله صلى الله عليه وآله بأبي أنت وامّي المرأة يكون لها زوجان ويدخلون الجنّة لأيهما تكون ؟ قال : يا ام سلمة تخيّر أيّهما أحسن خلقاً وخيرهما لاهله، يا ام سلمة انّ حسن الخلق ذهب بخير الدنيا والاخرة .

أقول: رواه الصدوق رضوان الله تعالى عليه في أماليه .

وفي الكافي: باسناده عن الحسين بن خالد قال : سئلت أبا الحسن عليه السلام عن مهر السنّة كيف صار خمسمأة ؟ فقال : انّ الله تبارك وتعالى أوجب على نفسه أن لايكبره مؤمن مأة تكبيرة ويسبّحه مأة تسبيحة ويحمده مأة تحميدة ويهلله مأة تهليلة ويصلّي على محمد وآل محمد مأة مرة ، ثم يقول :

اللّهمّ زوّجني من الحور العين إلاّ زوّجه حوراً وجعل ذلك مهرها ثم أوحى الله إلى نبيه صلى الله عليه وآله أنّ سنّ مهور المؤمنات خمسمأة درهم ففعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وأيمّا مؤمن خطب إلى أخيه حرمته فقال خمسمأة درهم فلم يزوجه فقد عقّه ، واستحق من الله عزّوجلّ إلاّ يزوجه حوراً .



« عذارى الجنة و التوالد فيها »

العذراء : الجارية التى لم يمسّها رجل وهى البكر ، والعذرة : ما للبكر من الالتحام قبل الافتضاض ، وجمع العذراء : عذارى ، ومنه حديث جابر : « مالك وللعذارى ولعابهنّ » .

فى الدر المنثور: عن أبى سعيد قال: قال رسول الله ﷺ : إنّ اهل الجنة إذا جامعوا النساء عدن أبكاراً .

قال الله تعالى: «إنا أنشأنا هنّ انشاء فجعلناهن أبكاراً » الواقعة : ٣٥-٣٦) .

وفيه : أتت عجوز فقالت : يا رسول الله ﷺ ادع الله ان يدخلنى الجنّة ، فقال : يا امّ فلان ! انّ الجنّة لا يدخلها عجوز ، فولّت تبكى ، قال : اخبروها انّها لا تدخلها وهى عجوز .

انّ الله يقول : « انّا أنشاناهنّ انشأهنّ فجعلناهن ابكارا » .

وفيه: عن عائشة انّ النبىّ ﷺ أتته عجوز من الانصار فقالت : يا رسول الله ادع الله أن يدخلنى الجنة ، فقال : إن الجنّة لا يدخلها عجوز ، فذهب يصلّى ثم رجع فقالت عائشة لقد لقيت من كلمتك مشقّة ، فقال ﷺ : إن ذلك كذلك ، انّ الله اذا أدخلهن الجنة حوّلهن أبكاراً .

فى تفسير كشف الاسرار : قال إبن عباس : قال رسول الله ﷺ فى قوله تعالى : « انّ اصحاب الجنّة اليوم فى شغل فاكهون » : انّ أحدهم ليفتضّ فى الغداة الواحدة مأة عذراء ، فشغل اصحاب الجنة إفتضاض الابكار .

وفى رواية : « أخّر نومك إلى القبر ، وفخرك إلى الميزان ، وشهوتك إلى

الجنة ، وراحتك إلى الآخرة ، ولذّتك الى الحور العين » .

وفي الاحتجاج : من سؤال الزنديق الّذى سئل الامام جعفر بن محمد صلى الله عليه وآله
عن مسائل :

منها : قال : فكيف تكون الحوراء في كلّ ما أتاها زوجها عذراء ؟ قال : لأنّها خلقت من الطيّب ، لا تعتريها عاهة ، ولاتخالط جسمها آفة ، ولا يجرى فى ثقبها شيء ، ولا يدنّسها حيض ، فالرحم ملتزقة ملدم ، إذ ليس فيه لسوى الاحليل مجرى ، قال : فهى تلبس سبعين حلّة ، ويرى زوجها مخّ ساقها من وراء حللها وبدنها ؟ قال : نعم كما يرى أحدكم الدراهم اذا القيت فى ماء صاف قدره قيد رمح .

وفي نورالثقلين: بالاسناد عن أبى حمزة قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول لرجل من الشيعة : أنتم الطيّبون ونساؤكم الطيبات ، كل مؤمنة حوراء عيناء ، وكل مؤمن صديق . الخبر .

وفي روضة الكافي : باسناده عن أبى بصير عن عبد الله عليه السلام قال : ان فى الجنة قصراً حافتاه حور نابتات . فاذا مرّ المؤمن باحداهن فأعجبته اقتلعها فأنبت الله عزوجل مكانها .

وفي الاحتجاج : فى كتاب محمد بن عبد الله الحميرى الى صاحب الزمان عليه السلام سنة ثمان وثلاثماة سئله فيه عن مسائل :

منها : وسئل : عن أهل الجنة يتوالدون اذا دخلوها أم لا ؟ فأجاب الامام عليه السلام : ان الجنة لا حمل فيها للنساء ، ولا ولادة ، ولا طمث ، ولا نفاس ولا شقاء بالطفولية ، وفيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين ، كما قال سبحانه فاذا اشتهى المؤمن ولداً خلقه الله بغير حمل ولا ولادة على الصورة التى يريد كما خلق آدم عبرة .

وفي رواية : عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « انّ الرّجل من اهل الجنّة ليولدله الولد كما يشتهى ، يكون حمله وفصاله وشبابه

في ساعة واحدة .

كثيراً ما يسئل : انّ الله تعالى صرّح بمواضع كثيرة من كتابه المجيد : ان المتّقين يجزون بالجنة ونعيمها ، ولهم فيها حور وقصور ، وماتشتهى أنفسهم من المآل والمشارب والملابس وما إليها . . .

ولا نجد فيه ما يشير إلى جزاء المؤمنات ، و جزاءهنّ في الجنّة بالفتيان والشبّان وما كان للمتقين . . مع أنّ النساء كالرجال في الغرائز والاميال ، أو ليس لهن جزاء أو جزاء غير ما للرجال ؟

والجواب : انّ الله جل وعلا صرح في كتابه بأنه لا يضيع عمل عامل ، ذكراً كان أو انثى ، فقال : « أني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر أو انثى » آل عمران : ١٩٥) .

ولكل جزاء في الجنّة ومن دخلها ، فله ماتشتهيه نفسه وتلذّ به عينه ، ذكراً أو انثى كل بحسبه وقدره .

قال الله تعالى : « ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو انثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنّة ولا يظلمون نقيراً » النساء : ١٢٤) .

وقال : « وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنّات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيّبة في جنّات عدن » التوبة : ٧٢) .

وقال : « يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنّات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم » الحديد : ١٢) .

نعم : لم يذكر في جانب النساء الجزاء بالفتيان جارية على المألوف بين الناس حيث يقال للشاب : لم لا تتزوّج ومتى تتزوّج ولايقال ذلك للفتاة حيث يغلب عليها الحياء .

« الاطفال يوم القيامة »

انّ الايات القرآنيّة تصرّح بأن الله تعالى يعذّب فى النار الكافرين من المكلّفين جزاء وفاقاً على كفرهم ، وتركهم ما كلفوا به ، وفعلهم ما نهوا عنه ، فقال : « فويل يومئذ للمكذّبين ـ إلى ـ إنما تجزون ما كنتم تعملون » الطور : ١١ ـ ١٦) .

وتصرّح بأنّه جلّ وعلا يؤتى فى الجنة المؤمنين جزاء بما كانوا يعملون من الايمان وصالح العمل ، فقال : « انّ المتّقين فى جنات ونعيم ـ إلى ـ بما كنتم تعملون » الطور : ١٧ ـ ١٩) .

وتشير إلى أنّ الذّرية المؤمنة تلحقون بآبائهم المؤمنين فقال : « والّذين آمنوا ـ إلى ـ بما كسب رهين » الطور : ٢١) .

واختلفت كلمات المفسرين والحكماء والمتكلمين فى الاطفال الذين لم يبلغوا حدّ التكليف فما هو مصيرهم ؟ هل يأخذهم الله سبحانه بذنوب لم يرتكبو ها فيعذّبهم يوم القيامة أم يدخلهم فى الجنة من غير عمل .

فذهبت الاشاعرة إلى جواز أن يعذّبهم الله تعالى يوم القيامة بالنّار ، واستدلّوا على ذلك بأنّ الله يوصل إليهم الآلام فى الحياة الدنيا بالامراض وغيرها ولا تتأثر عدالته فيصح أن يفعل بهم ذلك فى الاخرة .

وذهبت المعتزلة إلى أنّ الاطفال لو كانوا من أطفال المؤمنين فيلحقون بآبائهم تبعاً لهم ولو كانوا من أطفال الكافرين فيدخلون فى الجنة وهم خدم لاهلها بلا إبتلاء لهم يوم القيامة .

وتوقّف بعض علماء العامّة ومنهم أبو حنيفة إذ قال : لاأدرى أهم فى الجنّة

أم في النار .

وأما الشيعة الامامية الاثنى عشرية فذهبوا إلى أنّ للاطفال يوم القيامة تكليفاً ما فيبتلون به ، فان أطاعوا دخلوا الجنّة ، وإن أبوا دخلوا النار .

وهم يستدلّون على ذلك بطريقي العقل والنقل :

أمّا العقل فيرى أنّ التعذيب هو إيصال العذاب إلى الغير ، والعذاب هو الضرر الخالص المستحق على طريق الاستحقاق ولايكون هذا الاّ على المكلّفين الذين إستحقوا العقوبة بمخالفتهم فيما كلفوا به .

ومثل التعذيب في ذلك مثل الثواب الذى لا يناله إلاّ المستحقون ، فيحكم بأن الله تعالى كما لايثيب الاّ مستحقاً ـ وان كان له أن يتفضّل بنعمه على من يشاء ـ فانه لايعذب إلامستحقاً وان كان له ان يؤلم غير المستحق لغرض الاعتبار وشرط العوض.

ولو عذّب الله سبحانه الاطفال لكان فعله ظلماً ، والظلم قبيح لايجوز على الله ، وحكمه فى ذلك يستوى مع الناس ، لانّ أحكام الافعال تختلف بقيمتها لا بفاعلها .

وأما النقل فوردت روايات كثيرة عن طريق أئمة اهل البيت عليهم السلام : انّ الاطفال توهج لهم نار يوم القيامة ثم يؤمرون باقتحامها ، فمن اقتحمها دخل الجنّة ، ومن أبى دخل النار :

ومن الروايات : روى الصدوق رضوان الله تعالى عليه فى الخصال باسناده عن زرارة عن أبى جعفر عليه السلام قال : إذا كان يوم القيامة إحتجّ الله عزّ وجلّ على خمسة : على الطفل والذى مات بين النبيّين ، والذى أدرك النبى وهو لايعقل ، والابله والمجنون الذى لايعقل ، والاصم والابكم ، فكلّ واحد منهم يحتجّ على الله عزّ وجلّ ، قال : فيبعث الله إليهم رسولا فيؤجّج لهم ناراً فيقول لهم : ربّكم يأمر كم أن تثبوا فيها ، فمن وثب فيها كانت عليه برداً وسلاماً ، ومن عصى سيق إلى النار .

ومنها: فى التوحيد باسناده عن عبدالله بن سلام مولى رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال: سئلت رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت: أخبرني ايعذّب الله عزّ وجلّ خلقاً بلا حجّة؟ قال: معاذ الله! قلت: فأولاد المشركين فى الجنّة أم فى النّار؟ فقال: الله تبارك وتعالى أولى بهم انّه إذا كان يوم القيامة ـ وساق الحديث إلى ان قال ـ: فيأمر الله عزّ وجلّ ناراً يقال له: الفلق أشدّ فى نار جهنّم عذاباً، فتخرج من مكانها سوداء مظلمة بالسلاسل والاغلال فيأمر الله عزّ وجل ان تنفخ فى وجوه الخلائق نفخة فتنفخ فمن شدة نفختها تنقطع السماء وتنطمس النجوم وتجمد البحار وتزول الجبال وتظلم الابصار وتضع الحوامل حملها وتشيب الولدان من هولها يوم القيامة فيأمر الله تعالى اطفال المشركين ان يلقوا أنفسهم فى تلك النار، فمن سبق له فى علم الله عزّ وجل ان يكون سعيداً ألقى نفسه فيهافكانت عليه برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم عليه السلام، ومن سبق له فى علم الله تعالى ان يكون شقياً إمتنع فلم يلق نفسه فى النار فيأمر الله تعالى النار فتلتقطه لتركه امر الله وإمتناعه من الدخول فيها فيكون تبعاً لآبائه فى جهنم.

وأمّا أحوال الاطفال قبل يوم القيامة فمختلفة باختلاف اسراتهم الدينية والالحاديّة، فمنهم من تغذوهم فاطمة عليها السلام، ومنهم من يحضنهم ابراهيم عليه السلام ومنهم من تربّيهم سارة عليها السلام، ومنهم من يلهون كما يلهى من لم يحكم عليه بالكفر والايمان عند الموت على ما ورد فيه من الروايات.

وفى نوادر الراوندى: باسناده عن موسى بن جعفر عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تزوّجوا الحسناء الجميلة العاقرة فانّى اباهى بكم الامم يوم القيامة، أوما علمت ان الولدان تحت عرش الرحمن يستغفرون لابائهم يحضنهم إبراهيم عليه السلام وتربّيهم سارة عليها السلام فى جبل من مسك وعنبر وزعفران.

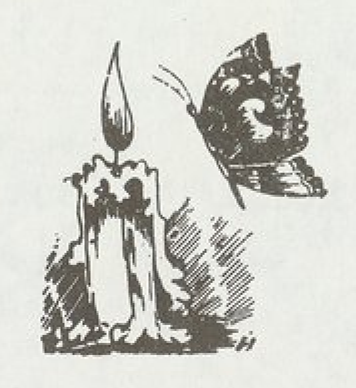
وأمّا الذين لم يلحقوا بآبائهم لكفرهم فينسى الله تعالى الآباء عن ذكرهم.

وفى الاحتجاج: من سؤال الزنديق الذى سئل الامام جعفر بن محمد صلى الله عليه وآله

عن مسائل :

منها : قال : فكيف ينعّم أهل الجنّة بما فيها من النعيم وما منهم أحد إلاّ وقد افتقد إبنه أو أباه أو حميمه أو امّه ؟ فاذا افتقدوهم فى الجنّة لم يشكّوا فى مصيرهم إلى النار ، فما يصنع بالنعيم من يعلم أنّ حميمه فى النار يعذّب ؟

قال الامام عليه السلام : إنّ أهل العلم قالوا : إنّهم ينسون ذكرهم ، وقال بعضهم: إنتظروا قدومهم و رجوا أن يكونوا بين الجنّة و النار فى أصحاب الاعراف .



﴿ كلام فى الذرية ﴾

قال الله تعالى : « والذين آمنوا واتّبعتهم ذرّيتهم بايمان ألحقنابهم ذرّيتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرىء بما كسب رهين » الطور : ٢١) .

إنّ الاية الكريمة تذكر إلحاق الذرّية بآبائهم فى الجنّة إذا اتبعوهم بايمان من غير نقص مثوبات الاباء ودرجاتهم فى الجنة .

فلا بدّ لنا من البحث فى المقام ما يسعه :

الذرّيّة : سلالة الانسان من الذكور والاناث فهى له أعقاب ونسل صغاراً كانوا أو كباراً ، أمّا الصغارفيحكم عليهم بالايمان تبعاً لآبائهم فيلحقون بآبائهم بعد ابتلائهم فى الآخرة بالاتباع .

وأمّا الكبارفيلحقون بآبائهم فى الجنّة بسبب إيمانهم وصالح عملهم الفعليين فى الحياة الدنيا وإن كانوا أنزل درجة منهم فيهما .

ومما يساق إلى المؤمنين فى الجنّة أن يكرم من أجلهم ذرّيتهم المؤمنين و بذلك يجتمع شملهم فيها ، كما إجتمع شملهم فى الدّنيا ، و بهذا تقرّ أعينهم ، ويكمل سرورهم .

وهذا الالحاق الادنى بالاعلى إحسان من الله جلّ وعلا الى الآباء والذرّية جميعاً فيصبحون فى الجنّة كأنهم أسرة واحدة .

فى شواهد التنزيل : للحاكم الحسكانى باسناده عن محمّد بن مسلم عن أبى جعفر و أبى عبد الله عليهما السلام فى قوله : « واتبعتهم ذرّيتهم بايمان » قالا : يميل أعمال آباءهم كذا ، و يحفظ الاطفال بأعمال آبائهم كما حفظ الله الغلامين بصلاح أبيهما .

وفيه: عن ابن عباس قال: رفع الله للمسلم ذرّيته و ان كانوا دونه في العمل ليقرّ بذلك عينه ، ثم قرأ « ألحقنابهم ذرّيتهم » .

وفيه : عن عبدالله في قوله : « الحقنابهم ذرّيتهم » ، قال : الرجل يكون له القدم فيدخل الجنة وله ذرّية فيرفعون اليه ليقرّبهم عينه ولم يبلغوا ذلك .

وفيه : عن أبي عمران الخوبي قال : بلغني انّ العبد يكون له درجة في الجنّة لا يبلغها ولد وأهل بيته فيرفعون معه في درجته لكرامة المؤمن على الله ليقرّ الله عينه ، وليجمع له شمله ، ثم قرأ الآية .

وفي الخصال: باسناده عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: اذا كان يوم القيامة احتجّ الله عزّوجل على خمسة : على الطفل والذي مات بين النّبيين والذي أدرك النبي وهو لا يعقل والأبله والمجنون الذي لا يعقل والأصم والأبكم ، فكل واحد منهم يحتجّ على الله عزّوجلّ ، قال : فيبعث الله اليهم رسولاً فيؤجّج لهم ناراً فيقول لهم : ربّكم يأمركم أن تثبوا فيها فمن وثب فيها كانت عليها برداً و سلاماً ومن عصى سيق الى النار .

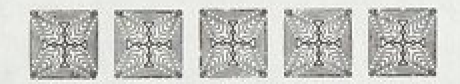
قال الصدوق رحمة الله عليه : انّ قوماً من أصحاب الكلام ينكرون ذلك ويقولون : انّه لا يجوز أن يكون في دار الجزاء تكليف ودار الجزاء للمومنين انّما هي الجنّة ودار الجزاء للكافرين انّما هي النار و انّما يكون هذا التكليف من الله عزّوجلّ في غير الجنة والنار فلا يكون كلفهم في دار الجزاء ثم يصيّرهم الى الدار التي يستحقّونها بطاعتهم أومعصيتهم فلا وجه لانكار ذلك ولاقوّة إلاّ بالله.

وفي الكافي: باسناده عن زرارة قال : سئلت أبا جعفر عليه السلام: هل سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن الاطفال ؟ فقال : قد سئل فقال : الله أعلم بما كانوا عاملين ، ثم قال : يا زرارة هل تدري ما قوله: الله أعلم بما كانوا عاملين؟ قلت : لا قال : لله عزّوجل فيهم المشيّة انّه اذا كان يوم القيامة اتى بالاطفال و الشيخ الكبير الذي قد أدرك النبي ولم يعقل من الكبر والخرف ، والذي مات في الفترة بين النبيين ، والمجنون والأبله الذي لا يعقل فكلّ واحد يحتجّ على الله عزّوجل فيبعث الله تعالى اليهم

ملكاً من الملائكة ويؤجّج ناراً فيقول : ان ربّكم يأمركم أن تثبوا فيها ، فمن وثب فيها كانت عليه برداً وسلاماً ، ومن عصاه سيق الى النار .

وفيه : باسناده عن ابن أبي عمير عن هشام عن أبي عبدالله عليه السلام انه سئل عمن مات في الفترة ، و عمن لم يدرك الحنث و المعتوه ، فقال : يحتج الله عليهم يرفع لهم ناراً فيقول لهم : ادخلوها فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً ، ومن ابى قال : ها أنتم قد أمرتكم فعصيتموني .

قوله عليه السلام : « المعتوه » : من نقص عقله .



ذرية النبي الكريم صلى الله عليه وآله و آله و أهله

و عترته و أمته

وقد جائت روايات كثيرة بأسانيد صحيحة في الفرق بين الذرّية و الآل والعترة والأهل والامّة ، نشير إلى ما يسعه المقام :

١ ـ في معاني الأخبار باسناده عن سليمان الديلمي قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : جعلت فداك من الآل ؟ قال : ذرّية محمد صلى الله عليه وآله قال : قلت : فمن الأهل ؟ قال : الأئمة عليهم السلام ، فقلت : قوله عزوجل : « ادخلوا آل فرعون أشدّ العذاب » قال : والله ما عنى إلاّ ابنته .

٢ ـ في أمالي الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن أبي بصير قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : من آل محمد صلى الله عليه وآله ؟ قال : ذريته ، فقلت : من أهل بيته قال : الأئمة الاوصياء ، فقلت: من عترته ؟ قال : أصحاب العباء ، فقلت : من أمته ؟ قال : المؤمنون الذين صدقوا بما جاء به من عند الله عزّ وجل المتمسّكون بالثقلين الذين امروا بالتمسّك بهما : كتاب الله و عترته أهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً » و هما الخليفتان على الأمّة بعد رسول الله عليهم السلام .

٣ ـ في العيون باسناده عن الريّان بن الصلت قال : حضر الرضا عليه السلام مجلس المأمون بمرو ، وقد إجتمع في مجلسه جماعة من علماء أهل العراق وخراسان فقال المأمون : أخبرني عن معنى هذه الاية : « ثمّ أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا » فقالت العلماء : أراد الله عزّ وجلّ بذلك الامّة كلّها .

فقال المأمون : ما تقول يا أبا الحسن ؟ فقال الرضا عليه السلام : لا أقول كما قالوا ، ولكنّي أقول : أراد الله عزّ وجلّ بذلك العترة الطاهرة .

فقال المأمون : وكيف عنى العترة من دون الأمّة ؟ فقال له الرضا عليه السلام : انه لو أراد الأمّة لكانت بأجمعها في الجنّة لقول الله عزّ وجلّ : « فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير » ثم جمعهم كلّهم في الجنّة فقال : « جنّات عدن يدخلونها يحلّون فيها من أساور من ذهب » الآية . فصارت الوراثة للعترة الطاهرة لا لغيرهم .

فقال المأمون : من العترة الطاهرة ؟ فقال الرضا عليه السلام : الذين وصفهم الله في كتابه فقال جلّ وعزّ : « إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً » وهم الّذين قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « إني مخلف فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما ، أيّها الناس لا تعلّموهم فانّهم أعلم منكم » .

قالت العلماء : أخبرنا يا أبا الحسن عن العترة أهم الآل أم غير الآل ؟ فقال الرضا عليه السلام : هم الآل . فقالت العلماء : فهذا رسول الله صلى الله عليه وآله يؤثر عنه ـ أي ينقل عنه ـ انّه قال : « امتي آلي » و هؤلاء أصحابه ، يقول بالخبر المستفاض الذي لا يمكن دفعه : « آل محمد امتّه » .

فقال أبو الحسن عليه السلام : اخبروني هل تحرم الصدقة على الآل ؟ قالوا : نعم قال : فتحرم على الأمة ؟ قالوا : لا ، قال . هذا فرق ما بين الآل والامة ، و يحكم أين يذهب بكم أضربتم عن الذكر صفحاً أم أنتم قوم مسرفون ؟

أما علمتم انّه وقعت الوراثة والطهارة على المصطفين المهتدين دون سائرهم ؟ .

قالوا : ومن أين يا أبا الحسن ؟ قال : من قول الله عزّ وجلّ : « ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذرّيتهما النبوّة والكتاب فمنهم مهتد و كثير منهم فاسقون » فصارت وراثة النبوة والكتاب للمهتدين دون الفاسقين .

أما علمتم ان نوحاً عليه السلام حين سئل ربّه : « فقال ربّ ان إبني من أهلي

وان" وعدك الحق" وأنت أحكم الحاكمين » .

وذلك ان" الله عز" وجل وعده أن ينجّيه وأهله فقال له ربّه عز" وجل :

« يا نوح انّه ليس من أهلك انه عمل غير صالح فلا تسئلن" ما ليس لك به علم انى أعظك أن تكون من الجاهلين » .

فقال المأمون : هل فضّل الله العترة على سائر الناس ؟ فقال أبوالحسن عليه السلام إن" الله عز" وجل" أبان فضل العترة على سائر الناس فى محكم كتابه فقال له المأمون : أين ذلك من كتاب الله ؟ .

قال له الرضا عليه السلام : فى قوله عز" وجل" : « ان" الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذر"ية بعضها من بعض » .

وقال عز" وجل فى موضع آخر : « أم يحسدون النّاس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً » .

ثم رد" المخاطبة فى أثر هذا الى سائر المؤمنين فقال : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامرمنكم » يعنى الذين قرنهم بالكتاب والحكمة وحسدوا عليهم .

فقوله عز" وجل" : « أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً » يعنى الطاعة للمصطفين الطاهرين ، فالملك ههنا هو الطاعة لهم ، الخبر .

وفى احقاق الحق : عن على بن الحسين عليه السلام قال : يا ايّها الناس إن" كل" صمت ليس فيه فكر فهو عي" ، وكل" كلام ليس فيه ذكر فهو هباء ، ألا ان" الله عز" وجل" ذكر أقواماً بآبائهم فحفظ الابناء لآباء .

قال الله تعالى : « وكان أبوهما صالحاً » ولقد حد"ثنى أبى عن آبائه انّه كان التّاسع من ولده ونحن عترة رسول الله صلى الله عليه وآله فاحفظونا لرسول الله صلى الله عليه وآله ، قال الراوى : فرأيت النّاس يبكون من كل" جانب .

أئمة أهل البيت و ذرية

النبى الكريم صلوات الله عليهم أجمعين

وقد أورد أعلام العامّة روايات كثيرة فى مآخذهم : انّ أئمة أهل البيت عليهم السلام هم ذرّية رسول الله الخاتم ﷺ :

منها ـ : ما رواه الشيخ عبد الله بن محمد الشبراوى المصرى فى (الاتحاف بحب الاشراف ص ٥٤ ط مصر) قال :

دخل موسى الكاظم عليه السلام على الرشيد فقال له : لم زعمتم انّكم أقرب إلى رسول الله منّا ؟ فقال : لو انّ رسول الله حىّ فخطب إليك كريمتك هل كنت تجيبه ؟ قال : سبحان الله ، و كنت أفتخر بذلك على العرب والعجم ، فقال : لكنّه لايخطب إلىّ ولا أزوّجه ، لانه ولدنا ولم يلد كم.

وسئله أيضاً لم قلتم : إنّا ذرّية رسول الله وجوّزتم للنّاس أن ينسبو كم إليه وأنتم بنو على عليه السلام وانما ينسب الرجل لابيه .

فقال : أعوذ بالله من الشيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرحيم :

« ومن ذرّيته داود وسليمان وأيّوب ويوسف وموسى وهارون و كذلك نجزى المحسنين وز كريّا ويحيى وعيسى وإلياس » وليس لعيسى أب وانّما الحق بذرّية الانبياء من قبل امّه ولذلك ألحقنا بذرّية النبى ﷺ من قبل امّنا فاطمة .

قال تعالى : « فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندعو أبناءنا وأبناء كم ونسائنا ونسائكم وأنفسنا وأنفسكم » ولم يدع ﷺ عند مباهلة النصارى غير علىّ وفاطمة والحسن والحسين وهما الابناء .

رواه جماعة منهم بأدنى تفاوت :

١ - إبن حجر فى (الصواعق ص ١٢١ ط البابى بحلب) .

٢ - القرمانى فى (أخبار الدول ص ١٢٣ ط بغداد) ولكنه زاد بعد قوله : « سئله أيضاً » ثم قال : وهل كان يجوز له صلى الله عليه وآله أن يدخل على حرمك وهنّ منكشفات ؟ فقال : لا لكنّه كان له أن يدخل على حرمى ويجوز له ذلك ، فلذلك نحن أقرب إليه منكم .

٣ - المحدث الحافظ الميرزا محمّد خان البدخشى فى (مفتاح النجا ص ١٧٤) .

٤ - المناوى فى (الكواكب الدريّة ج ١ ص١٧٢ ط الازهرية بمصر) .

وغيرها من الروايات الواردة عن طريقهم تركناها للاختصار . .

وما ورد عن طريق الشيعة الاماميّة الاثنى عشرية فكثيرة :

منها : فى المناقب لابن شهر آشوب رضوان الله تعالى عليه : قرأ أبو عبد الله عليه السلام قوله تعالى : « ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرّية » ثمّ أومأ عليه السلام إلى صدره فقال : نحن والله ذرّية رسول الله صلى الله عليه وآله .

ومنها : فى روضة الكافى باسناده عن عبد الله بن الوليد الكندىّ قال : دخلنا على أبى عبد الله عليه السلام فى زمن مروان فقال : من أنتم ؟ فقلنا : من أهل الكوفة ، فقال : ما من بلدة من البلدان أكثر محبّاً لنا من أهل الكوفة ، ولا سيّما هذه العصابة انّ الله جل ذكره هداكم لامر جهله النّاس ، وأحببتمونا وآبغضنا النّاس ، واتّبعتمونا وخالفنا الناس وصدّقتمونا وكذّبنا الناس ، فأحياكم الله محيانا ، وأماتكم الله مماتنا ، فاشهد على أبى أنّه كان يقول :

ما بين أحدكم وبين أن يرى ما يقرّ الله به عينه ، وأن يغتبط إلاّ أن تبلغ نفسه هذه - وأهوى بيده إلى حلقه - وقد قال الله عزّ وجل فى كتابه : « ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرّية » فنحن ذرّية رسول الله صلى الله عليه وآله .

ومنها : فى تحف العقول - من كلام الامام موسى بن جعفر عليه السلام مع

هارون الرشيد في خبر طويل ـ قال الرشيد : ما لكم لا تنسبون إلى عليّ عليه السلام وهو أبو كم ، وتنسبون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو جدّكم ؟ فقال موسى عليه السلام : إنّ الله نسب المسيح عيسى بن مريم عليه السلام الى خليله ابراهيم عليه السلام بامّه مريم البكر البتول التى لم يمسّها بشر فى قوله : « ومن ذرّيته داود وسليمان وأيّوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزى المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصّالحين » فنسبه بأمّه وحدها الى خليله ابراهيم عليه السلام .

كما نسب داود وسليمان وأيّوب وموسى وهارون عليهم السلام بآبائهم وامّهاتهم فضيلة لعيسى عليه السلام ومنزلة رفيعة بامه وحدها ، وذلك قوله فى قصة مريم عليها السلام : « ان الله اصطفاك وطهّرك واصطفاك على نساء العالمين » بالمسيح من غيربشر وكذلك اصطفى ربّنا فاطمة عليها السلام وطهّرها وفضلها على نساء العالمين بالحسن والحسين سيدى شباب أهل الجنة .

ومنها : فى تفسير القمى : عن أبى بصير قال : قال الصادق عليه السلام : إن قلنا لكم فى الرجل منا قولا فلم يكن فيه ، وكان فى ولده أو ولد ولده فلا تنكروا ذلك ، ان الله تعالى أوحى إلى عمران انى واهب لك ذكراً مباركاً يبرىء الاكمه والابرص ويحيى الموتى باذنى ، وجاعله رسولا إلى بنى اسرائيل فحدث بذلك امرأته حنّة وهى ام مريم فلما حملت بها كان حملها عند نفسها غلاماً فلما وضعتها انثى قال :

« رب انى وضعتها انثى وليس الذكر كالانثى » لان البنت لا تكون رسولا يقول الله والله أعلم بما وضعت فلما وهب الله لمريم عيسى كان هو الذى بشّر به عمران ووعده إياه فاذا قلنا لكم فى الرجل منا شيئاً فكان فى ولده أو ولد ولده فلا تنكروا ذلك الخبر .

أقول : رواه العياشى فى تفسيره عن جابر عن الباقر عليه السلام .

وفى تفسير الكاشف : فى قوله تعالى : « اولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين » ـ الخ ، قال : ان المراد بذرية إبراهيم إسحق وإسمعيل ويعقوب واسرائيل

هو يعقوب ومن ذرّيته موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى من جهة الامّ.

وذلك ان منصب النبوّة كما ورد قطع من يوسف عليه السلام ولكنه وصل الى ذرّية يعقوب بطريق بنته فأنبياء بني اسرائيل كلّهم ذرّية يعقوب من ناحية الامّ.

وفي المناقب: واعلم أنّ الله تعالى قال في التوحيد والعدل: «قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم» وفي النبوّة والامامة: «قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم» وفي الشرعيّات: «قل تعالوا أتل ما حرّم ربكم».

وقد أجمع المفسّرون بأنّ المراد بأبنائنا الحسن والحسين، قال أبوبكر الرازي: هذا يدل على أنّهما أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله وأنّ ولد الابنة إبن على الحقيقة.

ومن العامة: الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل باسناده عن أبان بن تغلب قال: سئلت جعفر بن محمد عن قول الله تعالى: «الذين يقولون ربّنا هب لنا من أزواجنا وذرّياتنا قرّة أعين واجعلنا للمتقين اماماً» قال: نحن هم أهل البيت.

وفيه: باسناده عن أبي سعيد في قوله تعالى: «هب لنا» الاية، قال: النبي صلى الله عليه وآله قلت: يا جبرئيل «من أزواجنا»؟ قال: خديجة، قال: ومن «ذرّياتنا»؟ قال: فاطمة: و«قرّة أعين»؟ قال: الحسن والحسين، قال: «واجعلنا للمتقين أماماً»؟ قال: علي عليه السلام.

في شرح ابن أبي الحديد: في قول الامام علي عليه السلام في بعض أيّام صفين حين رأى إبنه الحسن عليه السلام يتسرّع إلى الحرب: «املكوا عنّي هذا الغلام لا يهدّني فانّي انفس بهذين ـ يعني الحسن والحسين ـ عن الموت لئلاّ ينقطع بهما نسل رسول الله صلى الله عليه وآله».

: فان قلت: أيجوز أن يقال للحسن والحسين وولدهما أبناء رسول الله وولد رسول الله وذرّية رسول الله ونسل رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قلت: نعم لانّ الله سمّاهم أبناءه في قوله تعالى: «ندع أبناءنا وابناءكم» وانّما عنى الحسن والحسين ولو أوصى لولد فلان بمال دخل فيه أولاد البنات، وسمّى الله تعالى عيسى ذرية ابراهيم ولم يختلف أهل اللغة في أنّ ولد البنات من نسل الرّجل.

فان قلت :

فما تصنع بقوله تعالى : « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم » قلت : أسئلك عن ابوّته لابراهيم بن مارية فكلّما تجيب به عن ذلك فهو جوابى عن الحسن والحسين عليهما السلام ، والجواب الشامل للجميع انّه عنى زيد بن الحارثة لانّ العرب كانت تقول : زيد بن محمد على عادتهم فى تبنّى العبيد فأبطل الله تعالى ذلك ونهى عن سنّة الجاهليّة ، وقال : إنّ محمداً ليس أباً لواحد من الرجال البالغين المعروفين بينكم ، وذلك لا ينفى كونه أباً لاطفال لم يطلق عليهم لفظة الرجال كابراهيم وحسن وحسين عليهم السلام .

وفى البحار: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : معا شر النّاس ذرّية كل نبىّ من صلبه وذرّيتى من صلب علىّ عليه السلام .

وفى كنز الفوائد : فى خبر يحيى بن يعمر العدوانى مع الحجّاج : قال الشعبى : كنت بواسط وكان يوم أضحى فحضرت صلاة العيد مع الحجّاج فخطب خطبة بليغة فلمّا انصرف جاءنى رسوله فأتيته فوجدته جالساً مستوفزاً ـ أى قعد غير مطمئن كأنه يتهيأ للوثوب ـ قال : يا شعبىّ هذا يوم أضحى و قد أردت أن اضحى فيه برجل من أهل العراق ، وأحببت أن تسمع قوله فتعلم أنّى قد أصبت الرأى فيما افعل به فقلت :

أيّها الامير أو ترى أن تستنّ بسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله و تضحى بما أمر ان يضحّى به ، و تفعل مثل فعله وتدع ما أردت أن تفعله به فى هذا اليوم العظيم إلى غيره ؟

فقال : يا شعبىّ انك إذا سمعت ما يقول صوّبت رأيى فيه لكذبه على الله وعلى رسوله وإدخاله الشبهة فى الاسلام .

قلت : أفيرى الامير أن يعفينى من ذلك ؟ قال : لابدّ منه ثم أمر بنطع فبسط وبالسيّاف فاحضر وقال : احضروا الشيخ فأتوا به فاذا هو يحيى بن يعمر فاغتممت غمّاً شديداً و قلت فى نفسى و أىّ شىء يقوله يحيى عمّا يوجب قتله ؟ فقال له

الحجّاج : أنت تزعم أنّك زعيم العراق ؟ قال يحيى: أنا فقيه من فقهاء أهل العراق قال : فمن أىّ فقهك زعمت ان الحسن والحسين من ذرّيّة رسول الله صلى الله عليه وآله ؟

قال : ما أنا زاعم ذلك بل قائله بحق قال : وبأىّ حق قلته ؟ قال : بكتاب الله عزّ و جلّ فنظر إلىّ الحجّاج و قال : اسمع ما يقول فانّ هذا مما لم أكن سمعته عنه ، اتعرف أنت فى كتاب الله عزّ وجلّ انّ الحسن و الحسين من ذرّيّة محمد رسول الله ؟

فجعلت افكر فى ذلك فلم أجد فى القرآن شيئاً يدلّ على ذلك ، و فكر الحجّاج ملياً ثم قال ليحيى : لعلّك تريد قول الله عزوجل : « فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا و أبناءكم ونساءنا و نساءكم وأنفسنا و أنفسكم ثمّ نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين » .

وانّ رسول الله صلى الله عليه وآله خرج للمباهلة ومعه علىّ وفاطمة والحسن والحسين؟ قال الشعبىّ فكانما أهدى إلى قلبى سروراً وقلت فى نفسى : وقد خلص يحيى وكان الحجّاج حافظاً للقرآن .

فقال له يحيى : والله انّها لحجة فى ذلك بليغة ولكن ليس منها احتجّ لما قلت فاصفرّ وجه الحجّاج واطرق ملياً ثم رفع رأسه إلى يحيى وقال له : إن انت جئت من كتاب الله بغيرها فى ذلك فلك عشرة آلاف درهم وإن لم تأت بها فأنا فى حلّ من دمك ؟ قال : نعم قال الشعبى : فغمّنى قوله : وقلت : أما كان فى الذى نزع به الحجّاج ما يحتجّ به يحيى ويرضيه بانّه قد عرفه وسبقه إليه و يتخلّص منه حتّى ردّ عليه و افحمه فان جاءه بعد هذا بشىء لم آمن أن يدخل عليه من القول ما يبطل به حجتّه لئلاّ يدعى انه قد علم ما قد جهله هو .

فقال يحيى للحجّاج : قول الله عزّ و جل : « و من ذرّيته داود و سليمان » من عنى بذلك ؟ قال الحجّاج : ابراهيم ، قال : فداود وسليمان من ذرّيته قال : نعم قال يحيى : و من نصّ الله عليه بعد هذا انّه من ذرّيته فقرأ الحجّاج : « وأيّوب ويوسف وموسى وهارون و كذلك نجزى المحسنين » .

قال يحيى : ومن قال : « وزكريّا ويحيى وعيسى » ؟ قال يحيى : ومن أين كان عيسى من ذرّية ابراهيم ولا أب له ؟ قال : من قبل امّه مريم .

قال يحيى : فمن اقرب؟ مريم من ابراهيم أم فاطمة من محمد ﷺ وعيسى من ابراهيم أم الحسن والحسين من رسول الله ؟

قال الشعبىّ : فكأنما ألقمه حجراً فقال : اطلقوه قبّحه الله وادفعوا إليه عشرة آلاف درهم لابارك الله له فيها ثم اقبل علىّ فقال : قدكان رأيك صواباً ولكنا أبيناه ودعا بجزور فنحروه وقام فدعا بالطعام فأكل واكلنا معه وما تكلّم بكلمة حتّى انصرفنا ولم يزل مما احتجّ به يحيى بن يعمر واجماً ، أى ساكتاً على غيظ.



﴿ في فضل ذرية النبي الكريم صلى الله عليه وآله ﴾

إعلم أنّ الروايات الواردة في فضل ذرّيّة رسول الله الخاتم صلى الله عليه وآله كثيرة جدّاً نشير إلى ما يسعه المقام :

١ـ في أمالي الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن الحسين بن خالد عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام قال : النظر الى ذرّيّتنا عبادة فقيل له: يابن رسول الله النظر الى الائمة منكم عبادة ام النظر إلى جميع ذرّية النبي صلى الله عليه وآله فقال : بل النظر إلى جميع ذرّيّة النبي صلى الله عليه وآله عبادة .

٢ ـ و فيه باسناده عن خالد القلانسي عن الصادق جعفر بن محمد عن ابيه عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إذا قمت المقام المحمود تشفعت في أصحاب الكبائر من امّتي فيشفعني الله فيهم، والله لاتشفعت فيمن آذى ذرّيتي.

٣ـ في المناقب لابن شهر آشوب عن إبن عباس في قوله تعالى : « قل الحمد لله و سلام على عباده الذين اصطفى » قال : هم أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله : على بن ابيطالب وفاطمة والحسن والحسين واولادهم إلى يوم القيامة هم صفوة الله وخيرته من خلقه .

٤ ـ في تحف العقول : في وصيّة الامام على عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام قال : الله الله في ذرّية نبيّكم لا يظلمن بين أظهر كم وأنتم تقدرون على المنع عنهم .

٥ ـ في إحقاق الحق : من كلام الامام على بن موسى الرضا عليه السلام لاخيه زيد حين جنى : يا زيد لعلّه غرك قول أهل دار البطّيج بالكوفة : ان فاطمة عليها السلام أحصنت فرجها فحرّم الله ذرّيتها على النار اتدرى لمن ذلك انّما هو للحسن والحسين، يا زيد لئن كانا بطاعتهما وطهارتهما يدخلان الجنة وتدخلها انت

بمعصيتك انك لخير منهما .

٦ـ في أمالي الصدوق رحمة الله تعالى عليه باسناده عن ابى بصير عن أبى عبدالله الصادق عليه السلام قال : إذا كان يوم القيامة جمع الله الاولين والاخرين فى صعيد واحد فتغشاهم ظلمة فيضجّون الى ربهم ويقولون : يا رب اكشف عنا هذه الظلمة قال : فيقبل قوم يمشى النور بين ايديهم قد اضاء ارض القيامة فيقول اهل الجمع : هؤلاء انبياء الله فيجيئهم النداء من عند الله ما هؤلاء بانبياء فيقول اهل الجمع : فهؤلاء ملائكة فيجيئهم النداء من عند الله ما هؤلاء بملائكة .

فيقول أهل الجمع : هؤلاء شهداء ، فيجيئهم النداء من عند الله ما هؤلاء بشهداء فيقولون : من هم ؟ فيجيئهم النداء يا أهل الجمع سلوهم من أنتم ؟ فيقول أهل الجمع : من أنتم ؟ فيقولون : نحن العلويّون نحن ذرّيّة محمد رسول الله نحن أولاد علىّ عليه السلام ولىّ الله ، نحن المخصوصون بكرامه الله ، نحن الآمنون المطمئنّون ، فيجيئهم النداء من عند الله عزّ وجلّ : اشفعوا فى محبيكم وأهل مودّتكم وشيعتكم فيشفعون فيشفّعون .

٧ـ وفيه باسناده عن إبن عبّاس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أنا سيّد الانبياء والمرسلين وأفضل من الملائكة المقربين وأوصيائى سادة أوصياء النبيّين والمرسلين وذريّتى أفضل ذرّيّات النبيين والمرسلين . الخبر .

٨ ـ فى عيون الأخبار باسناده عن دعبل بن علىّ عن الرضا عن آبائه عن على عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة : المكرم لذرّيّتى من بعدى والقاضى لهم حوائجهم والسّاعى لهم فى امورهم عند إضطرارهم والمحبّ لهم بقلبه ولسانه .

٩ ـ فى المناقب لابن شهر آشوب رضوان الله تعالى عليه : قال الله تعالى : « والذين آمنوا واتبعتهم ذرّياتهم بايمان » ، قال : ولا اتّباع أحسن من اتّباع الحسن والحسين وقال تعالى : « ألحقنا بهم ذرّياتهم » فقد ألحق الله بهما ذرّيّتهما برسول الله صلى الله عليه وآله وشهد بذلك كتابه فوجب لهم الطاعة لحقّ الامامة مثل ما وجب

للنبي ﷺ لحق النبوة ، وقال تعالى حكاية عن حملة العرش :

« الّذين يحملون العرش ومن حوله يسبّحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا ربّنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتّبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربّنا وادخلهم جنّات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آباءهم وأزواجهم وذرّياتهم انك أنت العزيز الحكيم وقهم السيّئات » .

وقال أيضاً : « والذين يقولون ربّنا هب لنا من أزواجنا وذرّياتنا قرة أعين » ولا يسبق النبيّ ﷺ في فضيلة وليس أحق بهذا الدعاء بهذه الصيغة منه وذرّيته فقد وجب لهم الامامة .

وفيه: عن سعيد بن جبير في قوله تعالى : « والّذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرّياتنا » الآية قال : نزلت هذه الآية والله خاصة في اميرالمؤمنين عليه السلام قال : كان أكثر دعائه يقول : « ربنا هب لنا من أزواجنا » يعني فاطمة « وذرياتنا » الحسن والحسين « قرّة أعين » قال أمير المؤمنين عليه السلام : والله ما سئلت ربي ولداً نضير الوجه ولا سئلته ولداً حسن القامة ولكن سئلت ربي ولداً مطيعين لله خائفين وجلين منه حتى إذا نظرت إليه وهو مطيع لله قرّت به عيني .

١٠ ـ في كنز الفوائد للكراجكي قدس سره باسناده عن جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام قال : إذا كان يوم القيامة نادى مناد من لدن العرش : يا معشر الخلائق غضوا أبصاركم حتى تمر فاطمة بنت محمد فتكون أول من يكسى ويستقبلها من الفردوس اثنا عشر ألف حوراء معهن خمسون ألف ملك على نجائب من ياقوت أجنحتها من زبرجد وأزمتّها من اللؤلؤ الرطب ،

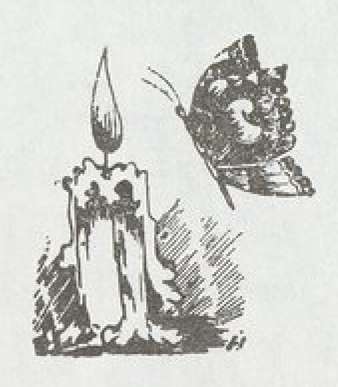
عليها رحائل من در على كل رحل نمرقة ـ النمرقة : الوسادة الصغيرة ـ من سندس حتى تجوز بها الصراط ويأتون الفردوس فيتباشر بها أهل الجنة وتجلس على عرش من نور ويجلسون حولها وفي بطنان العرش قصران : قصر أبيض وقصر أصفر من لؤلؤ من عرق واحد وان في القصر الابيض سبعين ألف دار مساكن محمد وآل محمد وان في القصر الاصفر سبعين ألف دار مساكن ابراهيم وآل ابراهيم ويبعث الله

إليها ملكاً لم يبعث الله إليها ملكاً ، لم يبعث إلى أحد قبلها ولم يبعث إلى أحد بعدها فيقول لها : ان ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك :

سليني اعطك فتقول: قد أتم" على" نعمته و أباحني جنّته وهنأني كرامته وفضّلني على نساء خلقه أسئله أن يشفّعني في ولدي وذر"يتي ومن ود"هم بعدي وحفظهم بعدي قال : فيوحى الله إلى ذلك الملك من غير أن يتحو"ل عن مكانه : أن خبّرها أنّي قد شفّعتها في ولدها وذريّتها ومن ود"هم وأحبّهم وحفظهم بعدها قال فتقول: « الحمد لله الذي أذهب عنّي الحزن وأقر عيني » .

ثم قال جعفر عليه السلام كان أبي عليه السلام إذا ذكر هذا الحديث تلا هذه الآيـة :

« والذين آمنوا واتبعتهم ذر"يتهم بايمان ألحقنا بهم ذر"يتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرىء بما كسب رهين » .



﴿ الشرك وحقيقته ﴾

قال الله تعالى: « أم لهم إله غير الله سبحان الله عما يشر كون » الطور: ٤٣).

الشرك: هو أن يضم الى الواحـد الذى ليس كمثله شيء آخر وجوداً وإيجاداً وتدبيراً وعبادة وطاعة له.

وقد جاء به الآيات الكريمة والروايات الصحيحة:

أما الآيات القرآنية فمنها:

قوله تعالى: « الذى له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك وخلق كل شيء فقدّره تقديراً واتخذوا من دونه آلهة لايخلقون شيئاً وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضرّاً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولاحياة ولا نشوراً » الفرقان: ٢ ـ ٣).

وقوله: « بديع السموات والأرض أنّى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكلّ شيء عليم ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه » الانعام: ١٠١ ـ ١٠٢).

وقوله: « ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون » المؤمنون: ٩١).

وقوله: « أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون لو كان فيهما آلهـة إلا الله لفسدتا فسبحان الله ربّ العرش عمّا يصفون » الانبياء: ٢١ ـ ٢٢).

وقوله: « قل إنما هو إله واحد وانني برىء ممايشر كون » الانعام: ١٩).

وقوله: « قل من يرزقكم من السماء والارض امّن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبّر الامر فسيقولون الله

فقل أفلا تتقون » يونس : ٣١) .

وقوله : « فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولايشرك بعبادة ربه احداً » الكهف : ١١٠) .

وقوله : « قل افغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون » الزمر : ٦٤) .

وقوله : « إن الحكم إلا لله أمر الاّ تعبدوا إلا اياه ذلك الدين القيّم » يوسف : ٤) .

وقوله: « أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله» الشورى: ٢١).

وغيرها من الايات القرآنية . .

وأما الروايات فكثيرة:

١ ـ فى الاحتجاج : ومن سؤال الزنديق الذى سئل أبا عبد الله عليه السلام عن مسائل كثيرة ـ : قال : فما الشرك وما الشك ؟ .

قال عليه السلام : الشرك هو : أن يضمّ إلى الواحد الذى ليس كمثله شيء آخر والشك ما لم يعتقد قلبه شيئاً . الخبر.

٢ ـ فى البحار عن تفسير النعمانى بالاسناد عن الامام على عليه السلام فى رواية طويلة ـ قال : فأمّا ما جاء من ذكر الشرك فى كتاب الله تعالى فمن أربعة أوجه : قوله تعالى : « لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربّكم انّه من يشرك بالله فقد حرم عليه الجنّة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار » .

فهذا شرك القول والوصف .

وأمّا الوجه الثّانى من الشرك فهو شرك الاعمال ، قال الله تعالى : « وما يؤمن أكثرهم بالله إلاّ وهم مشركون » وقوله سبحانه : « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله » ألا انهم لم يصوموا لهم ولم يصلّوا ولكنّهم أمروهم ونهوهم فأطاعوهم وقد حرّموا عليهم حلالا وأحلّوا لهم حراماً فعبدوهم من حيث لا يعلمون .

فهذا شرك الاعمال والطاعات.

وامّا الوجه الثالث من الشرك فهو شرك الزّنا قال الله تعالى: «وشاركهم في الاموال والاولاد» فمن اطاع ناطقاً فقد عبده فان كان الناطق ينطق عن الله تعالى فقد عبدالله وان كان ينطق عن غير الله تعالى فقد عبد غير الله.

وأمّا الوجه الرابع من الشرك فهو شرك الرياء قال الله تعالى: «فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً».

فهؤلاء صاموا وصلّوا واستعملوا انفسهم بأعمال أهل الخير إلاّ انهم يريدون به رئاء النّاس فأشركوا لما أتوه من الرّياء فهذه جملة وجوه الشرك في كتاب الله تعالى.

٣ ـ في تحف العقول عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: ومعنى الشرك كل معصية عصى الله بها بالتدين فهو مشرك صغيرة كانت المعصية أو كبيرة ففاعلها مشرك.

٤ ـ وفيه عن الامام أبي الحسن العسكري عليه السلام قال: الاشراك في النّاس أخفى من دبيب النمل على المسح الاسود في الليلة المظلمة.

٥ ـ في تفسير القمي عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سئل عن قول النبي صلى الله عليه وآله: انّ الشّرك أخفى من دبيب النّمل على صفاة سوداء في ليلة ظلماء قال: كان المؤمنون يسبّون ما يعبد المشركون من دون الله، فكان المشركون يسبّون ما يعبد المؤمنون فنهى الله المؤمنين عن سبّ آلهتهم لكيلا يسبّ الكفّار إله المؤمنين فيكون المؤمنون قد أشركوا بالله من حيث لا يعلمون فقال: «ولا تسبّوا الّذين يدعون من دون الله».

٦ ـ في الكافي باسناده عن بريد العجلي عن أبي جعفر عليه السلام قال: سئلته عن أدنى ما يكون العبد به مشركاً، قال: فقال: من قال للنواة: انّها حصاة، وللحصاة: انّها نواة، ثم دان به.

أقول: أي من اعتقد شيئاً من الدين ولم يكن كذلك في الواقع فهو أدنى

الشرك ولو كان مثل اعتقاد ان النواة حصاة والعكس ثم دان به .

٧ ـ وفيه باسناده عن أبى العباس قال : سئلت أبا عبد الله عليه السلام عن أدنى ما يكون به الانسان مشركاً قال : فقال : من ابتدع رأياً فأحبّ عليه أو ابغض عليه .

٨ ـ فى الخصال باسناده عن العبّاس بن زيد عن أبى عبد الله عليه السلام قال : قلت : إنّ هؤلاء العوامّ يزعمون انّ الشرك أخفى من دبيب النمل فى الليلة الظلماء على المسح الاسود فقال : لا يكون العبد مشركاً حتّى يصلّى لغيرالله أو يذبح لغير الله أو يدعو لغير الله عزّ وجل .

٩ ـ فى تفسير العياشى عن زرارة قال : سئلت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله : « وما يؤمن اكثرهم بالله إلاّ وهم مشركون » ، قال : من ذلك قول الرجل : لا وحياتك .

١٠ ـ وفيه عن يعقوب بن شعيب قال : سئلت أبا عبد الله عليه السلام « وما يؤمن اكثرهم بالله إلاّ وهم مشركون » قال : كانوا يقولون : نمطر بنوء كذا وبنوء كذا ومنها أنّهم كانوا يأتون الكهّان فيصدّقونهم فيما يقولون .

أقول : قوله عليه السلام : « نمطر بنوء » النوء ـ بالفتح ـ : النجم إذا مال للغروب وأصل النوء سقوط نجم بالغد فى المغرب وطلوع نجم بحياله من ساعته فى المشرق فى كل ليلة إلى ثلاثة عشر يوماً .

وكانت العرب تضيف الامطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط منها وإلى الطالع منها فيقولون : مطرنا بنوء كذا .

١١ ـ فى الكافى باسناده عن أبى بصير وإسحق بن عمّار عن أبى عبدالله عليه السلام فى قول الله عزّ وجل : « وما يؤمن أكثرهم بالله إلاّ وهم مشركون » قال : يطيع الشيطان من حيث لا يعلم فيشرك .

١٢ ـ وفيه باسناده عن ضريس عن أبى عبد الله عليه السلام فى قول الله عزّ وجل « وما يؤمن أكثرهم بالله إلاّ وهم مشركون » قال : شرك طاعة وليس شرك عبادة وعن قوله عزّ وجل : « ومن النّاس من يعبد الله على حرف » قال : إنّ الاية تنزل

فى الرّجل ثم تكون فى أتباعه ثمّ قلت : كل من نصب دونكم شيئاً فهوممن يعبد الله على حرف ؟ فقال : نعم وقد يكون محضاً .

أى شركاً محضاً أو قد يكون فى الرجل محضاً ولا يكون فى أتباعه .

١٣ـ وفيه باسناده عن عبدالله بن يحيى الكاهلى قال: قال أبو عبدالله عليه السلام : لو انّ قوماً عبدوا الله وحده لا شريك له وأقاموا الصلاة وآتوا الزّكاة وحجّوا البيت وصاموا شهر رمضان ثم قالوا لشيء صنعه الله أو صنعه النبى صلى الله عليه وآله : ألاّ صنع خلاف الذى صنع أو وجدوا ذلك فى قلوبهم لكانوا بذلك مشركين ثم تلاهذه الآية: « فلا وربّك لايؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجاً ممّا قضيت ويسلّموا تسليماً » ثمّ قال أبو عبد الله عليه السلام فعليكم بالتسليم .

١٤ ـ فى تفسير القمى : عن أبى الجارود عن أبى جعفر عليه السلام فى قوله : « اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح بن مريم » .

أمّا المسيح فعصوه و عظّموه فى انفسهم حين زعموا انّه إله وانه ابن الله وطائفة منهم قالوا : ثالث ثلاثة وطائفة منهم قالوا : هو الله ، وأما احبارهم ورهبانهم فانّهم اطاعوا وأخذوا بقولهم واتبعوا ما امروهم به ودانوا بما دعوهم اليه فاتخذوهم ارباباً بطاعتهم لهم وتركهم امر الله و كتبه ورسله فنبذوه وراء ظهورهم وما امرهم به الاحبار والرهبان اتبعوه واطاعوهم وعصوا الله .

١٥ ـ وفيه باسناده عن الفضيل عن ابى جعفر عليه السلام فى قول الله تبارك وتعالى: « وما يؤمن اكثرهم بالله الاّ وهم مشركون » قال : شرك طاعة ليس شرك عبادة والمعاصى التى يرتكبون فهى شرك طاعة اطاعوا فيها الشيطان فأشركوا بالله فى الطاعة لغيره وليس باشراك عبادة ان يعبدوا غير الله .

١٦ ـ فى تفسير العياشى عن ابى بصير عن ابى اسحق قال : هو ـ الشرك ـ : هو قول الرجل : لو لا الله وأنت ما صرف عنّى كذا و كذا واشباه ذلك .

١٧ ـ وفيه عن مالك بن عطية عن ابى عبد الله عليه السلام فى قوله : « وما يؤمن اكثرهم بالله إلاّ وهم مشركون » قال : هو قول الرجل : لو لا فلان لهلكت ولولا

فلان لاصبت كذا و كذا ولولا فلان لضاع عيالى،ألا ترى انه قد جعل لله شريكا فى ملكه يرزقه ويدفع عنه؟ قال : قلت : فيقول: لولا ان الله منّ علىّ بفلان لهلكت قال : نعم لا بأس بهذا .

١٨ ـ فى الكافى باسناده عن أبى بصير قال : سئلت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّوجل : « اتّخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله » فقال : أما والله ما دعوهم إلىعبادة أنفسهم ولودعوهم إلىعبادة أنفسهم لما أجابوهم ولكن أحلّوالهم حراماً وحرّموا عليهم حلالا فعبدوهم من حيث لايشعرون .

١٩ ـ وفيه باسناده عن يعقوب بن شعيب عن أبى عبد الله عليه السلام قال : أوحى الله عزّوجل إلى آدم عليه السلام إنّى سأجمع لك الكلام فى أربع كلمات قال : يا رب وما هنّ ؟ قال : واحدة لى و واحدة لك و واحدة فيما بينى وبينك و واحدة فيما بينك وبين الناس ، قال : يا ربّ بيّنهن لى حتّى أعلمهنّ ، قال : أمّا الّتى لى فتعبدنى لا تشرك بى شيئاً، وأمّا الّتى لك فاجزيك بعملك أحوج ما تكون اليه وأمّا الّتى بينى وبينك فعليك الدّعاء وعلىّ الاجابة وأمّا الّتىبينك وبين النّاس فترضى للناس ما ترضى لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك .

٢٠ ـ فى تفسير القمى باسناده عن أبى بصير عن أبى عبد الله عليه السلام فى قوله : « واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزّاً كلاّ سيكفرون بعبادتهمويكونون عليهم ضدّاً يوم القيامة » أى يكون هؤلاء الذين اتخذوهم آلهة من دونالله عليهم ضدّاً يوم القيامة ويتبرّؤن منهم ومن عبادتهم إلى يوم القيامة ، ثم قال : ليس العبادة هى السجود ولا الرّكوع، انّما هى طاعة الرّجال من أطاع المخلوق فى معصية الخالق فقد عبده .

٢١ ـ فى الدّر المنثور عن عبد الله بن عمر : ان النبى صلى الله عليه وآله قال : إنّ نوحاً عليه السلام لما حضرته الوفاة قاللابنه : إنّى قاصر عليك الوصيّة : آمرك باثنتين وأنهاك عن إثنتين آمرك بلا إله إلاّ الله فانّ السّموات السّبع والارضين السّبع لو وضعن فى كفّة و وضعت لاإله الاّ الله فى كفّة لرجحت بهنّ ولو انّ السموات

السبع والارضين السبع كن حلقة مبهمة لقصمتهن لا إله الا الله وسبحان الله وبحمده فانها صلاة كل شيء وبها يرزق كل شيء وأنهاك عن الشرك والكبر

وقال بعض المفسرين: إن الانداد التي ينهي عنها القرآن تشديداً لا يلزم أن يعبد الانسان غير الله ظاهراً ويسجد لغيره، بل للشرك صور شتى قد يتحقق برجاء من غير الله والخوف من غيره والاعتقاد بنفع أو ضر من غيره.

عن ابن عباس قال: الانداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاء سوداء في ظلمة الليل، وهو أن يقول الانسان: والله وحياتك يا فلان وحياتي، ويقول: لو لا الكلب في الدار لاتانا اللصوص البارحة ولو لا البط فيها لاتى اللصوص. وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت وقول الرجل: لو لا الله وفلان هذا كله شرك بالله تعالى.

روى: ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وآله: ما شاء الله وشئت، قال: أجعلتني لله نداً.

وفي الدر المنثور: عن طفيل بن سخبرة انه رأى فيما يرى النائم كأنه مر برهط من اليهود فقال: أنتم نعم القوم لو لا انكم تزعمون ان عزيراً إبن الله فقالوا: وأنتم نعم القوم لو لا انكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد صلى الله عليه وآله ثم مر برهط من النصارى فقال: أنتم نعم القوم لو لا انكم تقولون: المسيح إبن الله، قالوا: وأنتم نعم القوم لو لا انكم تقولون:

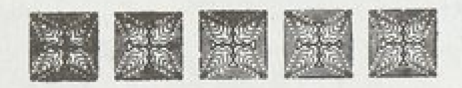
ما شاء الله وشاء محمد فلما أصبح أخبر النبي صلى الله عليه وآله فخطب النبي صلى الله عليه وآله فقال: إن طفيلا رأى رؤياً وانكم تقولون كلمة - فلا تقولوها ولكن قولوا: ماشاء الله وحده لا شريك له.

وفي تفسير روح البيان: وعظ الشبلي يوماً الناس فأبكاهم لما ذكر من القيامة وأهوالها فمر بهم أبو الحسين النوري قال: لا تفزعهم فان حساب يومئذ ليس بهذا الطول انما هو كلمتان: (من ترا بودم تو كرا بودى) وهو معنى قوله تعالى: « فلا تجعلوا لله أنداداً » يعني ينبغي الاخلاص في العبادة بترك ملاحظة

الاغيار وبشهود خالق الليل والنهار .

وفي رواية : قال رسول الله ﷺ : إنّ أخوف ما أخاف عليكم : الشرك الخفيّ وإيّاكم وشرك السرائر فان الشرك أخفى فى امتى من دبيب النمل على الصفاء فى الليلة الظلماء .

وفي تفسير ابن كثير دمشقي : عن شدّاد بن أوس انه بكى فقيل له ما يبكيك ؟ قال : شيء سمعته من رسول الله ﷺ فأبكاني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أتخوّف على امّتي الشرك والشّهوة الخفيّة » قلت : يا رسول الله ﷺ أتشرك امّتك من بعدك ؟ قال : نعم أما انّهم لا يعبدون شمساً ولا قمراً ولا حجراً ولا وثناً ولكن يراؤون بأعمالهم والشهوة الخفيّة ان يصبح أحدهم صائماً فتعرض له شهوة من شهواته فيترك صومه .



﴿ العرب الجاهلية والشرك ﴾

واختلفت كلمات المفسرين وغيرهم في شرك العرب الجاهلية وعلل شركهم.

فمنهم: من قال: انهم كانوا معترفين بوجود الاله الخالق الواحد.

وقال: الله: علم على ذات واجب الوجود وكان العرب الجاهليّة إذا سئل من خلقك أو من خلق السموات والارض؟ يقول: الله وإذا سئل عن بعض **آلهتهم**: هل خلقت اللات والعزّى شيئاً من هذه الموجودات؟ يقول لا، وقد احتجّ القرآن عليهم باعتقادهم وانّما كانوا يتوسلون بها الى الله ويعتقدون شفاعتها عنده.

أقول: انّهم كانوا طائفة منهم لا كلّهم سيأتيك التحقيق انشاء الله تعالى.

ومنهم: من قال: لم يكن العرب يجحدون الله ولكن كانوا لا يعرفونه بحقيقته التي وصف بها نفسه أحد صمد فكانوا يشركون به.

أقول: وهذا مردود بقوله تعالى حكاية عن منكريهم الله تعالى: «وقالوا ما هي إلاّ حياتنا الدّنيا نموت ونحيى وما يهلكنا الاّ الدهر» الجاثية: ٢٤).

فكانت طائفة منهم ينكرون الله حيث ان السورة مكّية والاية تذكر انكارهم.

ومنهم: من قال: انّ الوثنيين لا ينكرون توحيده تعالى في الالوهيّة بمعنى الصّنع والايجاد، وانما يشركون في العبادة بمعنى انّهم يخصّونه تعالى بالصّنع والايجاد ويخصّون **آلهتهم** بالعبادة فلهم آلهة كثيرون أحدهم اله موجد غير معبود وهو الله سبحانه والباقون شفعاء معبودون غير موجدين فهم لا يعبدون الله أصلا، لا انّهم يعبدونه تعالى وآلهتهم جميعاً.

أقول: وبالتدبر في الايات النازلة في عقائد العرب الجاهليّة نجدهم فيها على طوائف:

فطائفة منهم : المنكرون لله تعالى وهم الدّهريّون المادّيّون يشير اليهم بقوله تعالى : « وما يهلكنا الاّ الدّهر » الجاثية : ٢٤) .

وطائفة منهم : القائلون بتعدد الالهة ذاتاً فهم شركاء فى الخلق والابداع يشير اليهم بقوله تعالى : « أم اتّخذوا آلهة من الارض هم ينشرون لو كان فيهما آلهة إلاّ الله لفسدتا فسبحان الله ربّ العرش عما يصفون » الانبياء : ٢١ ـ ٢٢) .

وقوله : « ما اتّخذ الله من ولد وما كان معه من إله اذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عمّا يصفون » المؤمنون : ٩١) .

وقوله : « أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار » الرعد : ١٦) .

و طائفة منهم : القائلون بأنّ الله سبحانه اتخذله ولداً و كفواً وله شركاء فى تدبير العالم بعد ما خلقه هو وحده يشير اليهم بقوله : « وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولىّ من الذّل وكبره تكبيراً » الاسراء : ١١١) .

وطائفة منهم : المعترفون بوجود الا له الواحد و هو الخالق الرازق والمدبّر وحده وكانوا هم يعبدون الاصنام والاوثان والالهة المتخذة و يشير إليهم بقوله تعالى: « الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وانّ أوهن البيوت لبيت العنكبوت ـ ولئن سئلتهم من خلق السموات والارض و سخّر الشمس والقمر ليقولنّ الله ـ ولئن سئلتهم من نزّل من السماء ماء فأحيى به الارض من بعد موتها ليقولنّ الله » العنكبوت : ٤١ ـ ٦٣) .

وقوله : « ويعبدون من دون الله ما لا يضرّهم ولا ينفعهم و يقولون هؤلاء شفعاءنا عند الله » يونس : ١٩) .

و أمّا عبادتهم للالهة المتخذة من الاصنام و الاوثان و الكواكب و الشمس والقمر والانسان والملائكة والحيوان وما إليها مما يتمثلون به ويجعلونه آلهة لهم ففرقة منهم بعد إعتقادهم جميعاً انّ عبادة الآلهة هى عبادة الله والتقرب اليه

لكن بطرق مختلفة :

ففرقة منهم : تقول : ليست لنا أهليّة العبادة لله بلا واسطة لعظمته و كبر شأنه وحقارتنا وذلّة شأننا فعبدناها لتقربنا إلى الله زلفى .

« ما نعبدهم الاّ ليقرّبونا إلى الله زلفى انّ الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون » الزمر : ٣) .

وفرقة منهم : تقول : إنّ الملائكة ذوجاه ومنزلة عند الله فاتخذنا أصناماً على هيئة الملائكة ليقربونا إلى الله .

قال تعالى : « و جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً ـ و قالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم إن هم إلاّ يخرصون » الزخرف : ١٩ ـ ٢٠) .

وفرقة منهم : تقول : جعلت الاصنام قبلة لنا فى عبادة الله كما انّ الكعبة قبلة لنا فى عبادة الله .

وفرقة منهم : تقول : إنّ على كل صنم شيطاناً مو كّلا بأمر الله فمن عبد الصنم حقّ عبادته قضى الشيطان حوائجه بأمر الله و الاّ أصابه الشيطان بنكبة بأمر الله .



﴿ شرك و ابطال ﴾

إنّ الله تعالى بالغ و اهتمّ بالردّ على عبدة الاوثان و إبطال الالوهيّة عن الاصنام وإثبات وحدانيته تعالى .

وذلك لانّ من يعبد الصنم وينكر وحدانية الله جلّ وعلا أو يشكّ فيه لا يبالي أن يعصي ويرتكب كلّما تشتهيه نفسه وهذا جار من بدء خلق البشر إلى يوم البعث .

لانّ تقديس الاصنام و عبادتها على أيّ صورة كانت و الشرك على أيّ نوع كان من بدء حياة الانسان إلى عصرنا الفضاء حيث نرى إنتشار الوثنيّة في الشرق و الغرب أكثر من إنتشار الوحدانيّة و جهد أهل الوثنية و سعيهم في ترويجها أكثر من جهد أهل التوحيد وسعيهم في ترويج التوحيد .

ونرى التماثيل في مفارق الطرق ورؤس الجبال وفوق الجدران و في كوة الدور ، و نرى المجسّمات الجامدة المزخرفة لا شأن لاصحابها و كيف هي ؟ ويقدّسون تلك الهياكل الهائلة على صورها وهيئاتها ومن ثمّ يعلم إهتمام القرآن الكريم في الردّ على عبدة الاوثان وتتجلّى عظمة محمد صلّى الله عليه وآله في تكريم الانسان وتنزيهه عن عبادة ما صنعت يداه .

في نهج البلاغة : قال الامام مولى الموحدين أمير المؤمنين علي عليه السلام : « و اعلم يا بنيّ انّه لو كان لربك شريك لاتتك رسله ولرأيت آثار ملكه وسلطانه ولعرفت أفعاله وصفاته ولكنّه إله واحد كما وصف نفسه لايضادّه في ملكه أحد ولا يزول أبداً ولم يزل أوّل قبل الاشياء بلا أوّلية و آخر بعد الاشياء بلا نهاية عظم أن تثبت ربوبيّته باحاطة قلب أو بصر ، فاذا عرفت ذلك فافعل كما ينبغي

لمثلك أن يفعله في صغره وقلة مقدرته و كثرة عجزه وعظيم حاجته إلى ربه في طلب طاعته والخشية من عقوبته والشفقة من سخطه فانه لم يأمرك إلاّ بحسن و لم ينهك إلاّ عن قبيح ».

بيان:

يمكن أن يستدلّ بهذا الكلام على نفي إله ثان من وجهين:

أحدهما ـ: انه لو كان في الوجود إله ثان لما كان القول بالوحدانيّة حقاً بل كان الحق هو القول بالتثنية ومحال ألاّ يكون ذلك الثاني حكيماً ولو كان الحق هو اثبات ثان حكيم لوجب أن يبعث رسولاً يدعو المكلّفين إلى التثنية لأنّ الانبياء كلهم دعوا إلى التوحيد.

لكن التوحيد على هذا الفرض ضلال فيجب على الثاني الحكيم أن يبعث من ينبّه المكلّفين على ذلك الضلال ويرشدهم إلى الحق وهو اثبات الثاني وإلا كان منسوباً في إهمال ذلك إلى السّفه واستفسار المكلّفين وذلك لايجوز ولكنّا ما أتانا رسول يدعو إلى اثبات إله ثان في الالهية فبطل كون القول بالتوحيد ضلالاً وإذا لم يكن ضلالاً كان حقاً فنقيضه وهو القول باثبات الثاني باطل.

ثانيهما ـ: انه لو كان في العالم إله ثان لوجب أن يكون لناظر بق الى إثباته امّا من مجرّد أفعاله أو من صفات أفعاله أو من صفات نفسه أولا من هذا ولا من ذاك فمن التوقيف.

وهذه هي الاقسام التي ذكرها الامام اميرالمؤمنين علي عليه السلام:

وذلك لأنّ قوله عليه السلام: «أتتك رسله» هو التوقيف، وقوله: «ولرأيت آثار ملكه وسلطانه» هي صفات أفعاله وقوله: «ولعرفت افعاله وصفاته» هما القسمان الاخران.

أما اثبات إله ثان من مجرد الفعل فباطل لأنّ الفعل انّما يدل على فاعل ولايدل على التعدد وأمّا صفات افعاله وهي كون افعاله محكمة متقنة فانّ الاحكام الذي نشاهده انمّا يدلّ على عالم ولا يدل على التعدد و أما صفات ذات الباري

فالعلم بها فرع على العلم بذاته فلو أثبتنا ذاته بها لزم الدور .

وأما التوقيف فلم يأتنا رسول ذو معجزة صحيحة يدعونا الى إله ثان واذا بطلت الاقسام كلّها وقد ثبت انّ مالا طريق الى اثباته لايجوز اثباته بطل القول باثبات إله ثان ، ثم قال : « لايضادّه فى ملكه أحد » ليس يريد بالضدّ ما يريده المتكلمون من نفى ذات هى معاكسة لذات البارى تعالى فى صفاتها كمضادّة السواد للبياض بل مراده نفى إله ثان لا غير ، فانّ نفى الضدّ بحث آخر لا دخول له بين هذا الكلام .

ثم ذكر له انّ البارى تعالى قديم سابق للاشياء لاسبقا له حدّ محدود وأول معيّن بل لا أوّل له مطلقاً ، ثم قال : وهو مع هذا آخر الا شياء آخريّة مطلقة ليس تنتهى الى غاية معيّنة ثم ذكر انّ له ربوبيّة جلّت عن ان تحيط بها الابصار و العقول ، ثم أشار الى آثار التوحيد من الخوف والخشية ، والائتمار بأوامره والانتهاء عن نواهيه .

وفى الاحتجاج: عن هشام بن الحكم انّه قال : من سؤال الزنديق عن الصادق عليه السلام ان قال : لم لايجوز ان يكون صانع العالم اكثر من واحد ؟ قال أبو عبد الله عليه السلام : لا يخلو قولك : انّهما اثنان من ان يكونا قديمين قويين أو يكونا ضعيفين او يكون احدهما قوياً والاخر ضعيفاً فان كانا قويّين فلم لايدفع كل واحد منهما صاحبه ويتفرّد بالتدبير وان زعمت ان احدهما قوى و الاخر ضعيف ثبت انّه واحد ـ كما نقول ـ للعجز الظاهر فى الثانى .

وان قلت : انهما اثنان لم يخل من ان يكونا متفقين من كل جهة ، أو مفترقين من كل جهة ، فلما رأينا الخلق منتظماً والفلك جارياً والتدبير واحداً واختلاف الليل والنّهار والشمس والقمر دل صحة الامر والتدبير وإئتلاف الامر على ان المدبّر واحد .

أقول: ولو كان مع الله سبحانه شريك فى الصنع والابداع فلا يخلو أمرهما من أحد وجهين : أحدهما ـ : ان يحتاج كل واحد منهما الى الاخر فلا يصلح

للربوبية لفقره المستلزم لحدوثه المنافى لوجوب وجوده .

ثانيهما ـ : أن لا يحتاج احدهما الى الاخر وعلى هذا لو اتفقا فى ارادتهما كان وجود الثانى لغواً وعبثاً ، ولو اختلفا فى ارادتهما لتنازعا وتمانعا فيفسد نظم الكون وما فيه ، والمفسدة منتفية كما قال تعالى :

« لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا » الانبياء : ٢٢) وقال : « اذن لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض » المؤمنون : ٩١) .

وذلك لانه لو فرض للعالم آلهة متعددة لكانوا مختلفين ذاتاً متبائنين حقيقة وتباين حقائقهم يقضى بتباين تدبيرهم فيتفاسد التدبيرات وتفسد السماء والارض لكن النظام الجارى نظام واحد متلائم الاجزاء فى غاياتها ، فليس للعالم آلهة فوق الواحد وهو المطلوب .

ومن غير خفىّ على القارىء الخبير انّ هذه الحجة حجة برهانية مؤلفة من مقدّمات يقينيّة تدل على أن التدبير العام الجارى بما يشتمل عليه و يتألف منه من التدابير الخاصة صادر عن مبدء واحد غير مختلف

فلو كان للعالم صانعان لكان لايجرى تدبيرهما على نظام ولا يتسق على احكام و لكان العجز يلحقهما أو أحدهما و ذلك لانه لو أراد أحدهما إحياء جسم ر أراد الاخر إماتته فاما أن تنفذ ارادتهما فيتناقض لاستحالة تجزّى الفعل ان فرض الاتفاق أو لامتناع اجتماع الضدّين ان فرض الاختلاف ،

واما أن لاتنفذ ارادتهما فيؤدّى الى عجزهما أولا تنفذ ارادة أحدهما فيؤدى الى عجزه والاله لايكون عاجزاً .

فقد ثبت بذلك انّ الله تعالى هو خالق كل شيء و مدبّر كل شيء ومقدّر كل شيء لان كتاب الكون الحى ينادى بهذه الحقيقة ذاتها ، فنظامه و تنسيقه و تناسقه كلها تشهد بوحدانية الخالق المدبر الذى يصنع على علم و يبدع على معرفة فأنّى يتخذ الانسان آلهة من دون الله فما ذا صنع تلك الآلهة وماذا أبدعوا.

« أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ام خلقوا السموات والارض أم لهم

إله غير الله سبحان الله عما يشركون » الطور : ٣٥ - ٤٣) .

هذا تلقين من الله تعالى لرسوله ﷺ ليواجه القوم بشهادة كتاب الكون المفتوح الكتاب الذى لايقبل الجدل والمغالطة وهو الذى يخاطب الفطرة البشرية لمنطقها بما بينه وبين الفطرة من صلة ذاتيّة خفيّة يصعب التغلب عليها ومغالطتها ولن يملك انسان أن يزعم ان تلك المعبودات من الحجر والشجر ومن الجن والشيطان ومن الملائكة والانسان وغير ذلك قد خلقت من السماء أو الارض شيئاً أو خلقت فى الارض شيئاً لانّ منطق الفطرة منطق الواقع لن يستطيع انكار الجميع ولن يملك أن يعترف لتلك المعبودات شركة فى خلق السموات والارض ولا مستقلا فى خلق شىء منها . .

ومن غير خفىّ على المتتبع الخبير فى آى القرآن الكريم انّ أكثر الخلاف بين الانبياء عليهم السلام والمشركين كان يدور حول التوحيد والشرك والبعث والجزاء وإنكارهما وكان المشركون يحتجّون للشرك وعبادة الاصنام بعادة الآباء والاجداد .

ولانكار البعث استبعادهم عود الحياة مرّة ثانية بعد صيرورة الانسان تراباً وقد ارسل الله تعالى رسلا وأقام لهم حججاً عقلياً ونقلياً لابطال ماكان المشركون يعتقدون به ويقلّدونه من آباءهم ويشكّون فيه ، وانّ كثيراً من الايات القرآنية وأساليب السور تتصل بهذين الامرين بأسلوب مباشرأوغير مباشر وهذه السورة أعنى سورة الطور غير خارجة من ذلك . .

وكان المشركون عندئذ عاجزين عن الجواب ، ويلجأون إلى العناد والاستهزاء والشغب تارة والى الافتراء والتكذيب تارة اخرى ، والتهديد والوعيد ثالثة . فتدبّر واغتنم جداً .

﴿ حرمة الجنة على المشرك والمكذب ﴾

قال الله تعالى : « لقد كفر الذين قالوا انّ الله هو المسيح إبن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربّي وربّكم انّه من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنّة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار » المائدة : ٧٢) .

انّ الاية الكريمة تشير إلى القسمين من أقسام الشرك وهما الشرك في الوجود من إتخاذ الولد والشرك في العبادة الشامل للرياء وتشير الى حرمة الجنة على أصحابهما .

وفي معنى الاية قوله تعالى : في المكذّبين « ان الذين كذّبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتّح لهم أبواب السّماء ولا يدخلون الجنّة حتى يلج الجمل في سمّ الخياط و كذلك نجزى المجرمين لهم من جهنّم مهاد ومن فوقهم غواش و كذلك نجزى الظالمين ـ ونادى أصحاب النار أصحاب الجنّة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إنّ الله حرّمهما على الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرّتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون » الاعراف : ٤٠ ـ ٥١).

وفي معنى الايات قوله تعالى في المكذبين ما جاء في هذه السورة أعني سورة الطور : « فويل يومئذ للمكذبين ـ وان للذين ظلموا عذاباً دون ذلك ولكن أكثرهم لا يعلمون » : ١١ ـ ٤٧) .

في تفسير العياشي : عن زرارة قال : كتبت الى أبي عبد الله عليه السلام مع بعض أصحابنا فيما يروى الناس عن النبيّ صلى الله عليه وآله : انّه من أشرك بالله فقد وجبت له النّار ومن لم يشرك بالله فقد وجبت له الجنّة ، قال : أمّا من أشرك بالله فهذا الشّرك البيّن وهو قول الله : « ومن يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنة » .

وأما قوله : « من لم يشرك بالله فقد وجبت له الجنة » قال أبو عبدالله عليه السلام : ههنا النظر هو من لم يعص الله .

وفيه: عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال : شرك طاعة وليس بشرك عبادة ، والمعاصي التي يركبون مما أوجب الله عليها النار شرك طاعة أطاعوا الشيطان وأشركوا بالله في طاعته ولم يكن بشرك عبادة فيعبدون مع الله غيره .

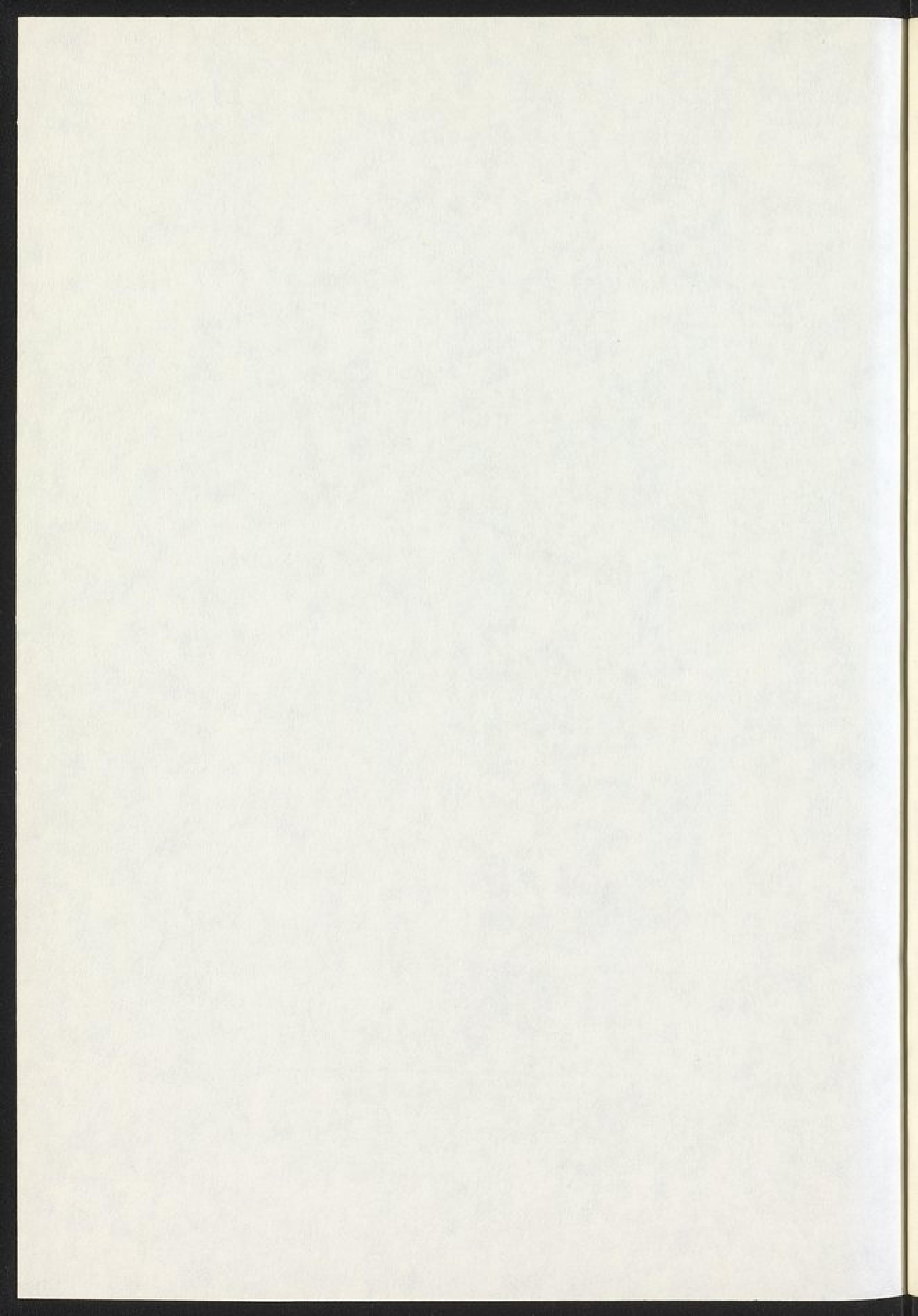
أقول: قوله عليه السلام : « ولم يكن بشرك عبادة فيعبدون مع الله غيره » يشير الى حتمية وحوب النار على ذلك وعدم الخلاف فيه .

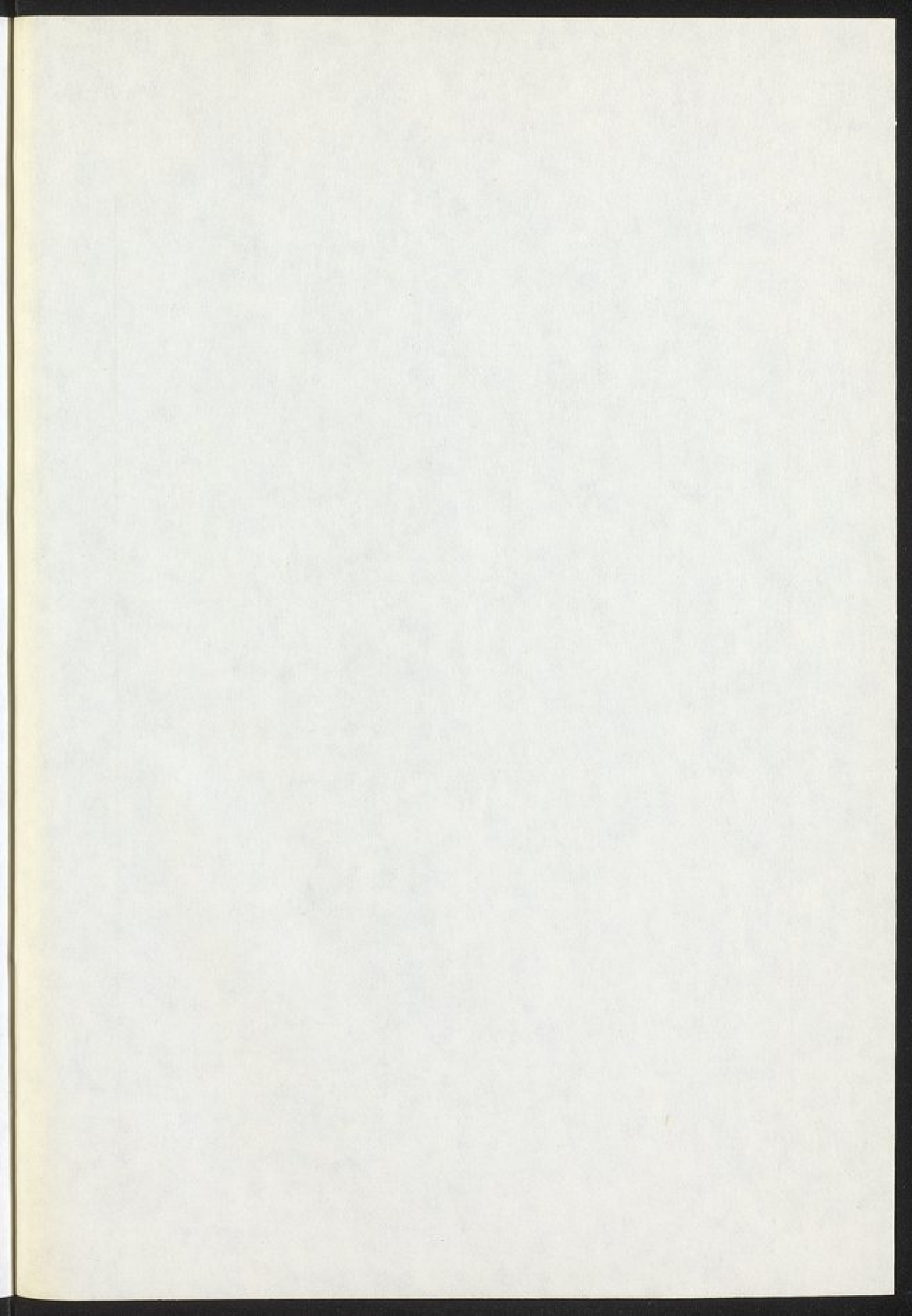
وفي الكافي : باسناده عن عبيدالله بن الوليد الوصافي قال سمعت ابا جعفر عليه السلام يقول : إنّ فيما ناجى الله عزّ وجل به عبده موسى عليه السلام قال : ان عباداً لي ابيحهم جنتي واحكّمهم فيها قال : يا ربّ ومن هؤلاء الذين تبيحهم جنتك وتحكّمهم فيها ؟ قال : من ادخل على مؤمن سروراً ثم قال : انّ مؤمناً كان في مملكة جبّار فولع به فهرب منه إلى دار الشرك فنزل برجل من اهل الشرك فأظله وأرفقه واضافه فلما حضره الموت اوحى الله عزّ وجل اليه وعزتي وجلالي لو كان لك في جنتي مسكن لاسكنتك فيها ولكنها محرمة على من مات به مشركاً ولكن يا نار هيديه ولاتوذيه ويؤتى برزقه طرفي النهار قلت : من الجنة ؟ قال: من حيث شاء الله .

قوله عليه السلام : « احكّمهم » من التحكيم أي اجعلهم فيها حكاماً ، و« فولع » : استخففّ و« هيديه » اي ازعجيه وافزعيه وحرّكيه واصلحيه .

ولا يخفى على القارىء الخبير : انّ الشرك اطلاقاً اكبر الكبائر ، وان التوحيد افضل الفضائل ، وانّ للتوحيد نوراً يحرق سيئآت الموحدين ، وان للشرك ناراً تحرق حسنات المشركين وأنفسهم ، نعوذ بالله من جميع أنحاء الشرك ، ومن شر طوائف المشركين .

تمت سورة الطور والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على محمد وآله الطاهرين





فهرس ما جاء في تفسير سورة الذاريات

يدور البحث فيها على فصلين :

الاول : في عناوين تفسير السورة وهي سبع عشرة بصيرة :

الفصل الثانى : فى مواضيع الحكم القرآنيّة ، والمعارف الاسلاميّة ، المبحوث عنها فى هذه السورة وهى خمس بصائر :

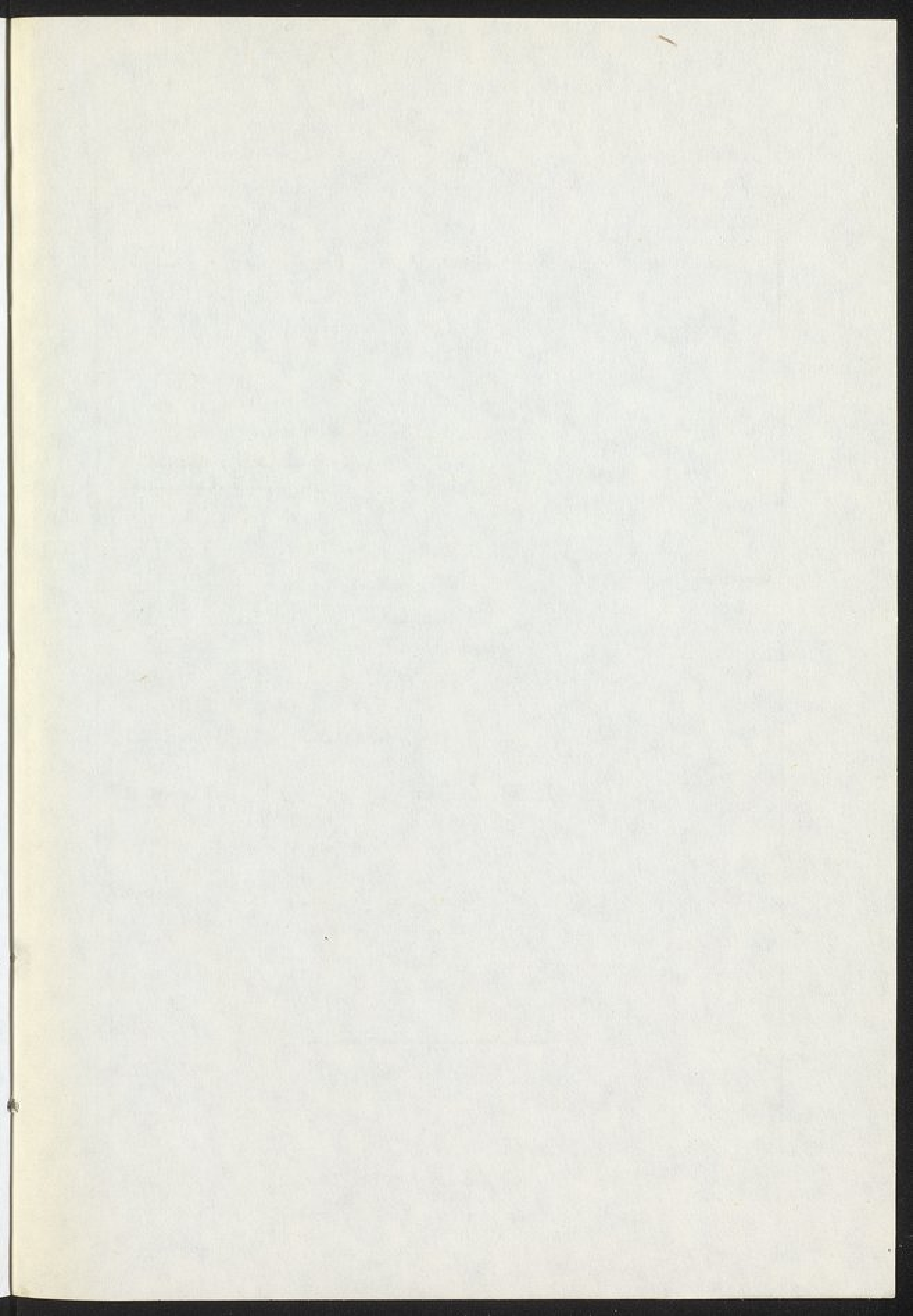
الاولى : وفيها ستّة امور :

البصيرة الثانية : وفيها ثلاثة عشر أمراً :

البصيرة الثالثة : وفيها امور ثلاثة :

البصيرة الرابعة : وفيها أمران :

البصيرة الخامسة : وفيها خمسة امور :



فهرس ما جاء في تفسير سورة الطور

يدور البحث فيها على فصلين :

الاول : في عناوين تفسير السورة وهي ثمان عشرة بصيرة :

الفصل الثانى : فى مواضيع الحكم القرآنية والمعارف الاسلامية، المبحوث عنها فى هذه السورة وهى خمس بصائر :

الاولى : وفيها أمران :

البصيرة الثانية : وفيها امور خمسة :

البصيرة الثالثة : وفيها ثلاثة امور :

البصيرة الرابعة : وفيها خمسة امور :

البصيرة الخامسة : وفيها امور أربعة :

